قام الطالب بتصحيح المطلوب

جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة

أصول الإسماعيلية

دراسة • تحليل • نقد

« القسم الأول »

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه

إعداد

الطالب / سليمان عبد الله السلومي

إشراف

فضيلة الدكتور / عثمان عبد المنعم يوسف

الأستاذ بقسم العقيدة « دراسات عليا »

١٤٠٩ / ١٤١٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم

١- قال تعالى :

" وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون "
سورة الأنعام آية ١٥٣

٢- وقال تعالى :

" فاقصص القصص لعلهم يتفكرون . ساء مثلا القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون "
سورة الأعراف آية ١٧٦-١٧٧

٣- عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

" إفترقت اليهود على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفرقت النصارى على إحدى أو ثنتين وسبعين فرقة وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة . رواه أبوداود والترمذي وابن ماجه

وفي رواية لأبي داود عن معاوية رضي الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة وهي الجماعة .

سنن أبي داود جـ٥ ص ٤-٥-٦

المقدمة

ان الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا . من يهده الله فلامضل له ومن يضلل فلاهادى له وأشهد أن لااله الا الله وحده لاشريك له وأشهد أن محمدا عبده ورسوله .

{ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن الا وأنتم مسلمون} (١) .

{ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ان الله كان عليكم رقيبا} (٢) .

{ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولا سديدا يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزا عظيما} (٣) (٤) .

أما بعد :

فان من أشرف العلوم وأجلها العلم الشرعى الذى به سعادة الدارين علما وعملا . ومن نعم الله وتوفيقه على أن انتظمت بهذا التخصص ـ ولاسيما فى أصول الدين ـ الذى يعتبر أشرف العلوم وهو الفقه الأكبر بالنسبة لفقه الفروع .

---

(١) سورة آل عمران : ١٠٢

(٢) سورة النساء : ١

(٣) سورة الأحزاب : ٧٠

(٤) هذه الخطبة تسمى فى السنة المطهرة خطبة الحاجة وهى من سنن المصطفى صلى الله عليه وسلم يبدأ فيها فى كل خطبه وأمر ذى بال . انظر سلسلة الأحاديث الصحيحة للشيخ ناصر الألبانى ٣/١ .

ومما أوجب الله على أمة الاسلام - ولاسيما العلماء وطلبة العلم - أن يقوموا بهذا الدين أمرا ونهيا فيدعوا اليه بالحكمة والموعظة الحسنة ببيان مزاياه وفضائله وحقوق الله على عباده بالتعبد والتأله له وحده لاشريك له ولاند ولامثيل له في ربوبيته والهيته وأسمائه وصفاته .

كما أوجب عليهم - وهذا جزء كبير من الدعوة - أن ينفوا عن هذا الدين غلو الغالين وتحريف الضالين وأن يبطلوا شبهات الأعداء والملبسين .

ومما خاطب الله عز وجل بهذا الأمر أنبياءه ورسله من لدن نوح عليه السلام الى نبينا محمد بن عبد الله خاتم النبيين والمرسلين عليهم صلوات الله وسلامه كما قال تعالى {شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا اليك وماوصينا به ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدين ولاتتفرقوا فيه} (١) ... الخ الآيات .

وقال تعالى مخاطبا نبيه عليه الصلاة والسلام : {فأقم وجهك للدين حنيفا فطرة الله التى فطر الناس عليها لاتبديل لخلق الله ذلك الدين القيم} ... ثم بعد ذلك ذم الله من خالف ذلك بقوله : {من الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا كل حزب بما لديهم فرحون} (٢) وبعدها بآيات أمر الله بنفس الأمر فقال : {فأقم وجهك للدين القيم من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله ...} (٣) .

---

(١) سورة الشورى : ١٣
(٢) سورة الروم : ٣٠،٣٢
(٣) سورة الروم : ٤٣

فمن هذه الآيات وغيرها من النصوص الشرعية (القرآن والسنة) نستلهم الواجب ونتبين الأمانة التى حملها الله عباده من ايضاح للحق وأمر به وابطال للباطل ونهى عنه ومايتبع ذلك من كشف للدسائس والمؤامرات التى تحاك وتدبر ضد الاسلام وأهله فى كل بقعة وبكل زمان .

ومما تعبدنا الله به عز وجل فى كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أن أمرنا بكشف الأعداء وتوضيح مكائدهم وتعريتهم أمام الحق ليتميز بعد ذلك دعاة الحق الصادقون المخلصون من دعاة الهدم والشر الملبسين، نلمس ذلك فى آيات كثيرة بل سور عظيمة انزلت على نبى هذه الأمة فاضحة لأقوام هم من بنى جلدتنا ويتحدثون بلغتنا ويحملون أسمائنا وليس لهم من الانتساب الى الاسلام وأهله - والله أعلم - الا ذلك ومما نزل فى هؤلاء سور قرآنية معظمها وأكثرها يبين خطر هذه الفئة وذلك كسورة التوبة والأحزاب والقتال والمنافقين وغيرهن من السور والآيات . وما الفرق الغالية وحركات الزنادقة فى مختلف الأزمان والأماكن الا أمثلة واقعية لتلك الفئة فى العصر النبوى بل امتداد لها وسير على أصولها ومنهجها .

ومما نزل على الرسول عليه الصلاة والسلام قوله تعالى : {وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين}(١) وكان ذلك فى الفترة الأولى من الدعوة . المرحلة المكية . يقول سيد قطب رحمه الله مبينا دلالة هذه الآية وعظيم معناها فى كشف

---

(١) سورة الأنعام : ٥٥

أعداء الله :

أمـا ختام هذه الآية القصيرة فهو شأن عجيب . انه يكشف عن خطة المنهج القرآنى فى العقيدة والحركة بهذه العقيدة . ان هـذا المنهج لايعنى ببيان الحق واظهاره حتى تستبين سبيل المـؤمنين الصـالحين فحسب . انما يعنى كذلك ببيان الباطل وكشفه حتى تستبين سبيل الضالين المجرمين أيضا . ان استبانة سبيل المجرمين ضرورية لاستبانة سبيل المؤمنين وذلك كالخط الفاصل يرسم عند مفرق الطريق .

ان هـذا المنهج هو المنهج الذى قرره الله ـ سبحانه ـ ليتعامل مع النفوس البشرية . ذلك أن الله سبحانه يعلم أن انشاء اليقيـن الاعتقـادى بالحق والخير يقتضى رؤية الجانب المضـاد من الباطل والشر والتأكد من أن هذا باطل ممحض وشر خـالص . وان ذلـك حـق ممحض وخير خالص كما أن قوة الاندفاع بـالحق لاتنشـأ فقـط مـن شعور صاحب الحق انه على الحق ولكن كـذلك مـن شـعوره بـأن الـذى يحـاده ويحاربـه انما هو على البـاطل وانـه يسلك سبيل المجرمين الذين يذكر الله فى آية أخرى انـه جعل لكل نبى عدوا منهم كما قال تعالى : {وكذلك جعلنـا لكـل نبـى عـدوا من المجرمين}(١) ليستقر فى نفس النبى ونفـوس المـؤمنين ان الـذين يعادونهم انما هم المجرمون عن ثقة وفى وضوح وعن يقين .

ان سـفور الكفـر والشـر والاجـرام ضرورى لوضوح الايمان والخـير والصلاح . واسـتبانة سـبيل المجرمين هدف من أهداف

---

(١) سورة الفرقان : ٣١

التفصيل الرباني للآيات . ذلك أن أى غبش أو شبهة فى موقف المجرمين وفى سبيلهم يرتد غبشا وشبهة فى موقف المؤمنين وفى سبيلهم فهما صفحتان متقابلتان وطريقان مفترقتان ولابد من وضوح الألوان والخطوط . (١)

وانطلاقا من هذه الأهداف القرآنية التى يجب على وعلى غيرى من طلبة العلم امتثالها والقيام بها حسب الاستطاعة والقدرة اخترت فرقة من الفرق التى نشأت وظهرت فى منتصف القرن الثانى الهجرى ولازالت الى يومنا هذا تظهر وتنتشر وتستتر وتخبو حسب قوة الحق وأهله أو ضعفهم فى كل زمان ومكان ، هذه الفرقة هى (فرقة الاسماعيلية) احدى الفرق الشيعية الباطنية التى يعلن اتباعها الاسلام ظاهرا وحقيقة أمرها الكفر المحض كما قرر ذلك الغزالى من خلال دراسته الفريدة عنها فى كتابه فضائح الباطنية . (٢)

اذن فتعرية هذه الفرقة وكشف مخططاتها واستبانة معتقداتها وايضاح أهدافها يعتبر قياما بالواجب وأداء للنصيحة ومعذرة الى ربنا عز وجل ولعل المغرورين والجاهلين ومن لبس عليهم لعلهم بعد ذلك يتقون .

ذلك - علم الله عز وجل - أنه السبب الرئيسى لاختيار هذا الموضوع اطروحة للدكتوراه ، ولايمنع أن يكون هناك بعض أسباب ودوافع أخرى تعتبر مكملة ومتممة لهذا السبب منها :

(١) ان هذه الفرقة يعيش أفرادها واتباعها بين ظهرانى المسلمين وفى بلادهم على اعتبار انهم مسلمون . ولهم

---

(١) فى ظلال القرآن لسيد قطب ٢٣٩/٣-٢٤٠ .
(٢) انظر فضائح الباطنية للغزالى ص ٣٧ .

نشاطهم الواسع فى مجالات التعليم والاقتصاد بل والتوجيه فى بعض الأقطار الاسلامية .

ومن هنا فالدراسة لهذه الفرقة تعتبر دراسة واقعية تعالج أمرا موجودا وملموسا بعيدا عن الترف الفكرى أو الدراسة التاريخية لفرق وملل ظهرت ثم بادت وطواها الزمن منذ أمد بعيد .

(٢) المتتبع لحركة النشر ودور الطباعة فى العالم الاسلامى يجد نشاطا واسعا وبعثا لكتب الشيعة سواء فى ذلك الشيعة الاسماعيليون أو الشيعة الاماميون وعند التأمل فى هذا النشاط الفكرى والثقافى نرى أنه لايخلو من أحد أمرين :

أولهما : نشر وبعث المؤلفات القديمة لهذه الفرقة وذلك مثل مؤلفات قاضى الاسماعيلية (١) فى عهد المعز العبيدى ، فانها لم تطبع ولم تنتشر الا فى هذا العصر حيث طبع منها على سبيل المثال كتاب المجالس والمسايرات فى تاريخ الاسماعيلية وعقائدهم ، وكتاب دعائم الاسلام وتأويل الدعائم فى ستة مجلدات ، وكتاب افتتاح الدعوة ، وكتاب الهمة فى آداب اتباع الأئمة ، وكتاب الاقتصار وغيرها من كتبه الكثيرة بل انه عقد لهذا المؤلف الاسماعيلى ندوة علمية فى تونس كان من آثارها التعريف به وبمؤلفاته المخطوطة ومن ثم طبع الكثير منها .

---

(١) يلقب القاضى بأبى حنيفة المغربى واسمه محمد بن منصور ابن حيون توفى عام ٣٦٣هـ . أما المعز فستأتى ترجمته مفصلة ان شاء الله عند الحديث عن أئمة الاسماعيلية فى الباب الثانى .

ومثل مؤلفات الداعي الاسماعيلي السجستاني الذي طبعت له مجموعة من الكتب من أشهرها كتاب اثبات النبوات وكتاب الينابيع وكتاب الافتخار . ومن بعده تلميذه الكرماني الذي ألف الموسوعة العقدية للاسماعيلية وهي : زاحة العقل حيث حقق وطبع عدة مرات ، وكتاب الرياض ، وكتاب المصابيح في اثبات الامامة .

والحقيقة أن كتب الاسماعيلية القديمة التي طبعت ونشرت في العصر الحاضر كثيرة جدا ولاسبيل الى حصرها (١) ، وهذا يعطي دلالة على نشاط هذه الفئة في نشر تراثها ومذهبها الخطير وحسبنا رجوعا الى قائمة من قوائم دار الاندلس للطباعة والنشر في بيروت فسنجد العجب العجاب حيث ان هذه الدار نذرت على نفسها نشر تراث الاسماعيلية . انظر على سبيل المثال قائمة مطبوعات دار الاندلس عام ١٩٨١م .

<u>ثانيهما</u> : مؤلفات جديدة لكتاب معاصرين اما اسماعيليين أو متعاطفين معهم ويجمعهم الاشادة بفرقة الاسماعيلية والثناء على معتقداتها حتى ان القارىء والمطلع على مثل هذه المؤلفات يشعر بمغالطة هؤلاء وقلبهم الحقائق ففرقة الاسماعيلية عندهم فرقة اسلامية وتطالب كذلك بحق الامامة لزعمائها ومن أشهر القائمين بهذا النوع من التأليف :

---

(١) ذكر الدكتور محمد كامل حسين في كتابه طائفة الاسماعيلية مجموعة من كتب الاسماعيلية طبعت ونشرت تصل الى أربعين كتابا . انظر كتابه طائفة الاسماعيلية ص ١٨٠-١٨٥ .

(أ) مستشرقون متعصبون للاسماعيلية ندروا أقلامهم في نشر وخدمة هذه الفرقة وغيرها من الفرق المنحرفة تحت مظلة البحث العلمي لكنه لايخفى على القارئ لأمثال هؤلاء دسهم وأهدافهم السيئة ومن أكثر هؤلاء كتابة واشادة بهذه الفرقة المستشرق الروسي ى.ايفانوف الذى أصدر مجموعة من الرسائل والكتب عن الاسماعيلية ونشر كثيرا من مخطوطاتهم ويصفه الدكتور النشار بالتعصب والتحيز للاسماعيلية ، يقول عنه : "انه يقف دائما بجوار الفكرة الاسماعيلية ويجعل نفسه أسيرا لها ولايرى سواها" (١) .

وكذلك المستشرق الانجليزى برنارد لويس حيث كتب عن الاسماعيلية كثيرا وافرد لها مؤلفين خاصين هما كتابه المشهور أصول الاسماعيلية وكتابه عن الاسماعيلية الشرقية "الحشاشين" . كما كتب عنهم المستشرق الفرنسي لويس ماسينون وذلك في دائرة المعارف الاسلامية . وغير هؤلاء كثير .

(ب) كتاب اسماعيليون معاصرون حجب التعصب الشديد أبصارهم وبصائرهم حتى انهم لايرون الا باطلهم وضلالهم ووصل بهم الأمر الى القول بأن الاسماعيلية بتاريخها وعقائدها انما تعبر عن الاسلام الصحيح وعن واقعه وتطبيقه .

---

(١) نشأة الفكر الفلسفي ٣٨٢/٢ .

ومن أشهر هذه الفئة عارف تامر (١) ومصطفى غالب (٢) . وتمتاز كتاباتهما بكثرتها مع قلة الفائدة منها لخلوها من الأصول العلمية المتفق عليها بين الباحثين والكتاب ، فهما مثلا لايشيران البته الى مصادر معلوماتهما لافى ثنايا البحث ولافى آخره مع مافى أسلوبهما من التعمية والتمويه للحقائق البينة . وقد فضح كل واحد منهما الآخر من خلال خلاف بينهما حيث ان لكل واحد منهما رأيا يختلف عن الآخر فى تفسير بعض المسائل الاعتقادية الباطنية . (٣)

والحق الذى لامرية فيه أن هؤلاء الكتاب مغرضون وان ورائهم أهدافا خطيرة فترويج الباطل والضلال على انه هو

---

(١) اسماعيلى نزارى متعصب لفكره الباطنى تعصبا أعمى يقلب الحقائق ويموه الأحداث تمتاز كتاباته بخلوها من المراجع وعدم العزو اليها سواء فى ثنايا الكتاب أو فى آخره حيث لايتضح كلامه من كلام غيره ، وهذه بلية عظيمة صاحبها خلو من الأمانة العلمية . من مؤلفاته : الامامة فى الاسلام ، وكتاب القرامطة أصلهم وتاريخهم ونشأتهم ، وأربع رسائل اسماعيلية وغيرها من الكتب الأخرى . جند نفسه لنشر تراث الاسماعيلية حيث نشر الكتب التالية : ثلاث رسائل اسماعيلية ، وأربع رسائل اسماعيلية ، وخمس رسائل اسماعيلية ، وكتاب الهفت والأظلة ، كتاب الرياض للكرمانى وكتاب الايضاح لأبى فراس ، وكتاب الميزان لعبدان الكاتب - كما يزعم - .

(٢) اسماعيلى معاصر عاش فى لبنان وسوريا ودرس فى جامعاتها . نذر حياته لنشر مذهب الاسماعيلية والدعوة اليها وفى مؤلفاته مايدل على تعصبه الشديد وقلب الحقائق والتلاعب بالألفاظ مع استغفال القارىء بأسلوب انشائى مطاط . من مؤلفاته : أعلام الاسماعيلية ، وتاريخ الدعوة الاسماعيلية ، وكتاب الحركات الباطنية فى العالم الاسلامى ، والثائر الحميرى الحسن الصباح ، وكتاب عن شيخ الجبل سنان راشد الدين وغيرها .
ومن كتب الاسماعيلية القديمة التى نشرها كتاب راحة العقل للكرمانى وكتاب الينابيع للسجستانى والمجالس المؤيديه للشيرازى ، واختلاف اصول المذاهب للقاضى بن حيون وغيرها كثير .

(٣) لمزيد من التفصيل عن شخصية الرجلين وقمة حصولهما على شهادة الدكتوراه يرجع الى كتاب الاسماعيلية تاريخ وعقائد لاحسان الهى ص ٧-٨ لاسيما التعليق فى الحاشية .

الاسلام نوع واسع من أنواع الصد عن دين الله وشرعه المطهر بل هو فى حقيقة الأمر افتراء على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وسلم والواجب فى مقابل هذا الطوفان الفكرى مجابهته وكشف زيفه وبطلانه ومن ثم صد دعاته والحذر منهم بشتى الطرق والأساليب الشرعية .

أما الدافع الثالث والأخير لكتابتى عن الاسماعيلية فهو ان ماكتب عن الاسماعيلية - حسب علمى واطلاعى المحدودين - لايسد الثغرة المطلوبة . وذلك ان الكتابات والمؤلفات عن هذه الفرقة تأريخا لها ونقدا لمذهبها وكشفا لنظمها ومخططاتها . اما أن تكون مهتمة بالجانب التاريخى مغفلة للجانب العقدى . أو تكون مهتمة بالجانب التنظيمى مغفلة الجوانب الأخرى . أو تكون مهتمة بالجانب الفلسفى مع اغفال الجوانب التاريخية والتنظيمية وفى كل قصور لايخفى على مطلع . كما أن من جوانب النقص فى بعض الكتابات عدم رجوع أصحابها الى مصادر القوم الأولى مباشرة مع التحليل والنقد لها وتفصيل ذلك حسب الاستقراء والاطلاع كالآتى :

(أ) الكتابات التاريخية ومن أشهرها مؤلفات الدكتور حسن ابراهيم حسن حيث ألف كتاب تاريخ الدولة الفاطمية . وكتاب فى أدب مصر الفاطمية . وكتاب عبيد الله المهدى امام الشيعة الاسماعيلية . وكتاب المعز لدين الله والأخيران اشترك معه فى تأليفهما الدكتور طه أحمد شرف وعلى نفس المنهاج كتابا محمد جمال الدين سرور وهما سياسة الفاطميين الخارجية ، والنفوذ الفاطمى فى جزيرة العرب ، وكذلك كتابا الدكتور محمد عبد الله عنان وهما

الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية وتاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة . والذى يؤخذ على هذه المؤلفات والكتابات أمران مهمان :

الأول : النهج التاريخى الذى يحفل بالأحداث والوقائع اكثر مما يحفل بالعقائد والأفكار . ومن المسلم به ان العقائد والتاريخ - ولاسيما فيمايتعلق بالفرق والمذاهب - أمران مرتبطان احدهما نتيجة الآخر ولايجوز الفصل بينهما فتاريخ كل فرقة هو النتيجة التطبيقية العملية لمعتقداتها وآرائها وماخروج الخوارج وتاريخهم الملىء بالصراع الدموى والحروب الطاحنة الا نتيجة من نتائج معتقداتهم وأفكارهم فالفصل بين عقيدة الفرقة وتاريخها خطأ علمى ومنهجى يصير البحث والموضوع فى نقص وخلل .

الثانى : ان هذه الكتب والمؤلفات التاريخية تتحدث عن تاريخ الاسماعيلية ودولها وأئمتها كما تتحدث عن الدولة الأموية أو الدولة العباسية وان الخلافة الفاطمية - كما يسمونها - شرعية ودولتها دولة اسلامية وحسبنا فى هذا المقام قول الامام الذهبى عن دولة الاسماعيلية (الفاطميين) يقول عن صلاح الدين الأيوبى رحمه الله : واستأصل شأفة بنى عبيد ومحق دولة الرفض وكانوا أربعة عشر متخلفا لاخليفة .(١)

وحينما تحدث الامام السيوطى عن دول الخلافة الاسلامية فى العالم الاسلامى لم يتحدث عن أحد من الفاطميين معللا ذلك بقوله : ولم أورد أحدا من الخلفاء العبيديين لأن امامتهم غير صحيحة لأمور منها :



(١) سير أعلام النبلاء للذهبى ٢١٢/١٥ .

انهم غير قرشيين وانما سمتهم بالفاطميين جهلة العوام والا فجدهم مجوسى .

ومنها : ان أكثرهم زنادقة خارجون عن الاسلام ومنهم من اظهر سب الانبياء ومنهم من أباح الخمر ومنهم من أمر بالسجود له والخير منهم رافضى خبيث لئيم يأمر بسب الصحابة رضى الله عنهم ومثل هؤلاء لاتنعقد لهم بيعة ولاتصح لهم امامة (١) .

وحينما سئل الامام ابن تيمية عن أحد حكام الدولة العبيدية (الفاطميين) وهو المعز معد بن تميم قال ماخلاصته ان ذرية عبد الله بن ميمون القداح وسيرة أئمتهم من بعده من أكثر سير الملوك ظلما وانتهاكا للمحرمات وأبعدها عن اقامة الواجبات وأعظم اظهارا للبدع المخالفة للكتاب والسنة واعانة لأهل النفاق والبدعة فهم من أفسق الناس ومن أكفر الناس .

أمانسبهم فجمهور الأمة تطعن فيه ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود وهذا مشهور من شهادة علماء الطوائف الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وأهل الحديث وأهل الكلام وعلماء النسب والعامة وغيرهم .

كما صنف القاضى أبوبكر الباقلانى كتابه المشهور فى كشف أسرارهم وهتك أستارهم وذكر انهم من ذرية المجوس وذكر من مذاهبهم مابين فيه ان مذاهبهم شر من مذاهب اليهود والنصارى (٢) .

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ص ٤-٥ .
(٢) الفتاوى لابن تيمية ٣٥/١٢٠-١٢٩ .

ان هـذه الأحكام غيض من فيض وقليل من كثير فيما يتعلق بالنظرة الواقعية والحكم على دولة الاسماعيلية هل هى خلافة اسلامية أو كافرة وهل سلطتها شرعية أو كافرة (١) .

وهذه المسألة المهمة طالما أغفلها المؤرخون ـ ولاسيما المعاصرين منهم ـ ولم يبنوا عليها وذلك بلا شك يعتبر قصورا ونقصا فى بيان حقيقة تلك الدولة وأئمتها .

(ب) هناك من الكتاب المعاصرين من كتب عن الاسماعيلية كتابات مقتضبة مجملة ضمن كتاباتهم عن فرق أخرى متعددة وذلك كالدكتور عبد الرحمن بدوى فى كتابه مذاهب الاسلاميين الجزء الثانى والدكتور على سامى النشار فى كتابه نشأة الفكر الفلسفى الجزء الثانى ، والدكتور محمد أحمد الخطيب فى كتابه الحركات الباطنية فى العالم الاسلامى وهؤلاء جميعا تحدثوا عن طائفة الاسماعيلية ضمن طوائف كثيرة فهم لم يفردوها بمؤلف خاص مع أهمية ذلك واعتبارها الحركة الأم لسائر الفرق الباطنية الأخرى .
مع مايضاف الى انهم ـ ولاسيما بدوى ـ ينقلون نصوص الاسماعيلية من غير تحليل لها تارة أورد ومناقشة تارة أخرى .

(ج) هناك كتابات ومؤلفات لها قيمتها وأهميتها العلمية ـ فى نظرى ـ حيث أفردت هذه الطائفة بمؤلف خاص وعرفت

---

(١) سوف نتعرض ان شاء الله للحكم على الاسماعيلية فى آخر فصل من فصول البحث فى الباب الثالث .

لجوانب مهمة عنها ، ومن هذه المؤلفات :

(١) كتاب الاسماعيلية تاريخ وعقائد للشيخ احسان الهي ظهير رحمه الله تعالى .

حيث ظهر كتابه هذا قريبا وبالتحديد في عام ١٤٠٦هـ الطبعة الأولى حيث كشف هذه الفرقة وبين خطرها وماتحمله معتقداتهم من غلو والحاد ولذلك - والله أعلم - كانت حياته ثمنا لهذا الجهاد - جهاد القلم واللسان - فاغتيل في عام ١٤٠٧هـ على يد أحد الشيعة الباطنية - كما هو تاريخهم في الماضي والحاضر - حيث وضع مادة متفجرة داخل باقة من الزهور أمام المنصة التي يلقي عليها خطابا في اجتماع حاشد لعلماء الحديث في باكستان .(١)

والكتاب جوانبه الايجابية كثيرة ومنها على سبيل المثال رجوعه الى مصادر القوم مباشرة . والجمع بين الجانب التاريخي والجانب العقدي مع ماللمؤلف من اتجاه سلفي في الدراسة والحكم . ولكنه في عرضه لمعتقداتهم وقع في أمرين أخلا بأهمية الكتاب والهدف من تأليفه :

أولهما : حشد نصوص الاسماعيلية مجتمعة وبكثرة في بعض المواضع من دون ترتيب لأهمية الكتاب والمؤلف(٢) ومن غير تحليل للنصوص الاسماعيلية واستنباط المعتقدات منها بل ينقل النصوص مجتمعة وقبل ذلك يحكم مسبقا(٣) . والترتيب العلمي - كما هو معروف - نقل أصول المخالف ونصوصه ثم بعد ذلك

---

(١) انظر مقال بمجلة المجتمع الكويتية عدد ٨١٢ في شعبان لعام ١٤٠٧هـ ص ٢٢-٢٣ .

(٢) انظر ص ١٧٧-٢٧٨، ٢٨١ من كتابه الاسماعيلية تاريخ وعقائد .

(٣) انظر الفصل الأول تحت عنوان عقيدتهم في الله ص ٢٧٣ المرجع السابق .

بيـان مخالفتها لمنهج الحق والصواب بيانا قائما على الأدلة الصحيحة وبعد ذلك الحكم النهائى وهو البطلان والفساد .

ثانيهما : فـى نصوص الاسماعيلية تناقض واضطراب وكشفه وبيانه يعتبر ردا محكما لفلسفتهم عن الله واطلاق الأسماء والصفات عليه وهذا لم يقم به البته مع العلم أنه نقل نصوصا لابن تيمية تكشف عن تناقضهم (١) .

وعلى كل حال فالكتاب صرخة عالم من علماء أهل السند فـى عصر كثرت فيه الفتن وانتشرت الفرق ـ ولاسيما فى شبه القارة الهندية ـ منذرة بخطرها فأراد تبيين ذلك الخطر بكتابه هذا وسائر كتبه الأخرى عن الفرق (٢) .

كما أنه رحمه الله لم يتعرض لأمر أساسى عن طائفة الاسماعيلية وهو الحديث عن فرقهم المعاصرة (الأغاخانية ـ والبهرة) وبيان خطورة نشاطهم وانتشارهم فى العصر الحاضر . وفى آخر الكتاب وعد رحمه الله بافراد ذلك بمؤلف مستقل ، ولكن يد المنون اخترمته قبل اخراج ذلك (٣) .

(٢) طائفة الاسماعيلية تاريخها ونظمها وعقائدها للدكتور محمد كامل حسين .

الف هذا الكتاب وطبع الطبعة الأولى فى عام ١٩٥٩م والكتاب يعتبر جهدا علميا مختصرا عن هذه الفرقة وللمؤلف طريقة متباينة بالنظر الى موقفه من الاسماعيلية ، فهو حينا

---

(١) انظر على سبيل المثال ص ٢٨٣ من المرجع السابق .

(٢) للمؤلف رحمه الله كتب كثيرة عن الفرق منها الشيعة والسنة ، والشيعة والقرآن ، والبابية والبهائية ، ودراسات عن القاديانية ، وكتاب البريلوية عقائد وتاريخ وغيرها من الكتب عن الملل والفرق التى تصل الى حوالى عشر مؤلفات باللغة العربية .

(٣) انظر كتاب الاسماعيلية تاريخ وعقائد ، الصفحة الأخيرة .

يدافع عن الاسماعيلية وينشر تراثهم (١)، وحينا يسخر بهم ومعتقداتهم (٢). وعموما فانه يعتبر الاسماعيلية فرقة من الفرق الاسلامية لها حضارة ينبغي الاشادة بها كما يمر على صحة نسب الائمة وانهم من نسل فاطمة الزهراء رضي الله عنها (٣). وعلى كل حال فكتابه هذا لايحقق الأمل المنشود والمطلوب في منهج أهل السنة والجماعة بل هو في حقيقة الأمر على خلاف ذلك (٤).

(٣) دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين للدكتور أحمد محمد جلي.

وقد طبع الطبعة الأولى في عام ١٤٠٦هـ ونهج المؤلف

---

(١) انظر على سبيل المثال ماذكر عن نفسه في وسط الكتاب ومن خلاله يتبين عدد الكتب التي نشرها وهي تزيد عن العشرة من كتب الاسماعيلية الأساسية ص ٥٥-٥٦ من كتابه طائفة الاسماعيلية. وأما دفاعه عن الاسماعيلية فهو يتمثل في اصراره على تسميتهم بالفاطميين والترحم على أئمتهم والاشادة ببعض نظم هؤلاء الأئمة والاعجاب بها وأخيرا اعتبار الاسماعيلية فرقة من الفرق الاسلامية وذلك مبثوث في مواضع كثيرة من الكتاب. وللمؤلف اهتمام ملحوظ بتراث الاسماعيلية حيث يوجد لديه الكثير من مخطوطاتهم. انظر قائمة المراجع في آخر كتابه.

(٢) انظر ص ٦٠، ١٢٦-١٢٧ على سبيل المثال.

(٣) للمؤلف كتاب آخر عن الاسماعيلية ولكنه يتحدث عن الجانب الأدبي لدى الفاطميين ـ كما يسميهم ـ واسم هذا الكتاب "في أدب مصر الفاطمية" ونشير الى نصين لبيان رأي المؤلف في الدفاع عنهم :
أولهما : قوله في ص ٣٠ : "والفاطميون لم يعملوا على طرح الأديان وابطال العبادة كما فهم الكتاب والمؤرخون".
وثانيهما : قوله في ص ٣٣ : "فالاسماعيليون لم يقولوا بالاباحة المطلقة وبالتناسخ والحلول".

(٤) لأنه خطأ علماء المسلمين القدامى من كتاب الفرق والمقالات والذين أجمعوا على باطنية الاسماعيليين وطرحهم للشرائع والأديان فهو يقول في كتابه هذا ص ١٤٨ "ولذلك أخطأ القدامى في اطلاق لقب الباطنية على فرقة الاسماعيلية" وفي آخر الصفحة يقول : "فالاسماعيلية لايقولون بالباطن فقط كما وهم القدماء" وفي ص ١٥٠ ومابعدها يسوق قصصا وحكايات لنفي الغلو والادعاءات الثابتة عند أئمة الاسماعيلية مخطئا ونافيا لما أثبته علماء أهل السنة والجماعة عن الاسماعيليين.

منهجا جيدا فى عرضه للفرق التى تحدث عنها والكتاب بحق يعتبر المرجع الوحيد لهذه الفرق على مستوى الطلبة فى المرحلة الجامعية لسهولة أسلوبه وحسن عرضه ونهجه منهج أهل السنة والجماعة . ولعل المؤلف ان شاء الله أن يضيف اليه نقاطا هى فى نظرى لها أهمية بالغة :

(أ) بيان خطورة كل فرقة على حده وذلك بايضاح نشاطهم على مستوى العالم الاسلامى وبيان مايخططونه لأهل السنة من كيد ومكر .

(ب) بيان الصلات والتداخل بين فرق الشيعة وصلة كل فرقة بالأخرى ولاسيما الاسماعيلية مع الامامية .

(ج) نقل نصوص علماء السلف فى هذه الفرق وزعمائها من حيث الحكم عليهم مع عرض معتقداتهم على الكتاب والسنة ومن ثم الحكم عليهم بالاسلام أو الكفر .

(د) حركة القرامطة تعتبر فرقة مستقلة رغم مالزعماء القرامطة من علاقة وتأثر بأئمة الاسماعيلية الا انهم خالفوا الأئمة ونهجوا منهجا ثوريا على ضوئه اعتبروا منشقين عن حركتهم الأم الاسماعيلية وبعد ذلك أصبحوا كالدروز تماما حينما ألهوا الحاكم العبيدى واختلفوا مع الاسماعيليين فيحسن بعد ذلك اعتبار القرامطة فرقة باطنية مستقلة مثل سائر الفرق الباطنية الأخرى .

(هـ) ومما لاشك فيه أن لعلمائنا المتقدمين جهودا فى التأليف والمناقشة والرد على الفرق الباطنية عموما ومنها فرقة الاسماعيلية .

وأول مايطالعنا فى هذا المقام ماكتبه علماء الفرق

والمقالات كأبي الحسن الأشعرى والملطى والبغدادى وابن حزم والشهرستانى والرازى وجميع هؤلاء[1] تحدثوا عن الاسماعيلية ضمن فرق كثيرة فأوجز بعضهم كالملطى والأشعرى والبعض الآخر تحدث عن الاسماعيلية الشرقية كالشهرستانى وبعضهم تحدث عنها مفرقة ومختصرة من دون ترتيب كابن حزم وأكثرهم عنها حديثا البغدادى حيث أفرد لهم فصلا خاصا ولكنه تحدث عن الباطنية عموما والاسماعيلية – كما هو معروف – فرقة من فرقها .

وممن كتب عن الاسماعيلية من العلماء المتقدمين الامام ابن تيمية وذلك ضمن كتبه الثلاثة المشهورة :

(١) الفتاوى والحديث عنهم مفرق فى أجزائها العديدة وقد اكثر من الحديث عنهم فى المجلد الخامس والثلاثين فى باب حكم المرتد .

(٢) كتابه العظيم منهاج السنة النبوية فى نقض كلام الشيعة والقدرية حيث تحدث عنهم استطرادا فى مواضع متفرقة من الكتاب لأن الكتاب فى أصله رد على الرافضى الامامى ابن المطهر الحلى فموضوعه الأساسى الشيعة الامامية .

(٣) فى مخطوطة عنوانها بغية المرتاد فى الرد على المتفلسفة والباطنية والقرامطة والجهمية أهل الحلول والاتحاد تحدث عن الاسماعيلية فى مواضع متفرقة حسب

---

(١) وكتبهم على الترتيب وحسب الوفيات لكل واحد منهم كالآتى :
(أ) مقالات الاسلاميين واختلاف المصلين
(ب) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع
(ج) الفرق بين الفرق
(د) الفصل فى الملل والأهواء والنحل
(هـ) الملل والنحل
(و) اعتقادات فرق المسلمين والمشركين

الموضوعات . وقد حققت هذه المخطوطة أخيرا في جامعة الامام محمد بن سعود وفي مكتبتي الخاصة نسخة منها مخطوطة وظهرت مطبوعة بعد ذلك بمجلدين .

وأخيرا فاننا حينما نرجع الى تلك الكتابات لهؤلاء العلماء الأعلام فسنجد انها - مع قيمتها العلمية واستفادتنا منها - قليلة المادة بالنسبة لوفرة المصادر الاسماعيلية . كما نجد أن مباحثها عن الاسماعيلية مفرقة في مواضع متعددة مما يصعب معه الاستفادة منها بسهولة ويسر . كما انها غير مختصة ومقتصرة على طائفة الاسماعيلية .

(هـ) كتب الردود على الباطنية وفرقها - ومنها الاسماعيلية -

وهذا النوع من الكتابات والمؤلفات كثير جدا وهي على قسمين :

القسم الأول : مفقود ولكنه ثابت حيث أشار اليه مؤلفه في كتاب من كتبه الأخرى أو ذكره من تحدث عن ذلك العالم وترجم له . ومن الأمثلة على ذلك كتاب أبي بكر الباقلاني وعنوانه كما نقل لنا : "كشف الأسرار وهتك الأستار" حيث ذكره ابن حزم ونقل نصوصا منه (١) . كما أشار اليه السبكي في طبقاته وذكر أن الباقلاني كشف عن بطلان نسب الفاطميين فيه (٢) .

وقال عنه ابن تيمية : ان القاضي الباقلاني صنف كتابه المشهور في كشف أسرار الاسماعيلية وهتك أستارهم (٣) .

ومثله كتاب ثابت بن أسلم النحوي الشيعي الحلبي المتوفى سنة ٤٦٠هـ وهو كتاب كشف فيه عن بداية الدعوة

---

(١) انظر الفصل لابن حزم ٢/٥ الطبعة الأخيرة المحققة .
(٢) طبقات الشافعية للسبكي
(٣) الفتاوى لابن تيمية ١٢٩/٣٥ .

الاسماعيلية وقبائحها لكن الاسماعيليين ـ كما يقول الدكتور بدوى ـ انتقموا منه فاختطفوه الى مصر حيث صلبوه ومات صبرا .[1]

القسم الثاني : موجود متداول ومن أشهره كتاب الامام الغزالى "فضائح الباطنية" حيث طبع عدة طبعات بتحقيق الدكتور عبد الرحمن بدوى . وهو صرخة عالم فى وجه المد الباطنى الذى انتشر فى بلاد فارس وبلاد الشام بقيادة أصحاب القلاع والحصون فى الألموت ومثله كتاب محمد بن الحسن الديلمى وهو "بيان مذهب الباطنية وبطلانه" وكذلك للعالم الزيدى يحيى بن حمزة العلوى كتابان فى الرد على الباطنية أحدهما "الافحام لأفئدة الباطنية الطغام"[2] بتحقيق النشار وفيصل عون ، والثانى بعنوان "مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار" بتحقيق محمد الجليند .

وهذه الكتب الأربعة مليئة بالردود باسلوب انشائى عاطفى ، كما انها مبنية على السماع عن الباطنية وليس الرجوع الى مصادرهم وكتبهم فى معظم الأحيان الا نتفا بسيطة أشار اليها الديلمى فى مواضع من كتابه . والرد على فرقة أو فئة ضالة يكون قاطعا ومحكما اذا حوكموا الى نصوصهم ومؤلفاتهم التى لايسعهم انكارها أو التبرؤ منا بحال من الاحوال .

---

(١) مقدمة الدكتور بدوى على كتاب الغزالى فضائح الباطنية ص ج .

(٢) هذا الكتاب يعتبر من أصول كتب الزيدية وهو بجانب ذلك رد على الباطنية ، والصراع بين الزيدية والباطنية قائم منذ وجود الفرقتين فى القرن الثالث الهجرى حتى عصرنا الحاضر .

ومما له أهمية بالغة وقيمة علمية ماكتبه محمد بن مالك بن أبى الفضائل الحمادى فى رسالته "كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة" وتاتى أهميته مما ذكر المؤلف فى مقدمته : أنه دخل فى مذهب المليحى ليتيقن صدق ماقيل فيه من كذبه وليطلع على اسرار المذهب وكتبه . يقول عن هذه التجربة : ولما تصفحت مافيه وعرفت معانيه رأيت أن أبرهن على ذلك نصيحة لله وللمسلمين فألفت هذا الكتاب بعنوان كشف أسرار الباطنية ، والكتاب كما هو واضح من موضوعاته والباعث على تأليفه خاص بالمليحيين اسماعيلية اليمن والذين يتبعون الاسماعيلية المستعلية (١) .

هذه هى أهم الكتب وأشهرها - حسب علمى واطلاعى - عن الباطنية عموما والاسماعيلية بوجه خاص . وتظل الحاجة قائمة ويبقى الدافع قويا الى افراد هذه الفرقة (الاسماعيلية) بكتابة خاصة تشتمل على الجوانب الرئيسية الثلاثة وهى :

الجانب التاريخى - الجانب التنظيمى - الجانب العقدى الذى لم أجد - حسب علمى المحدود - من كتب فيها أو ولجها بهذه الجوانب الرئيسية الثلاثة مجتمعة حسب المنهج العلمى المتفق عليه وذلك بتصوير مذهبهم كما هو من كتبهم ومصادرهم مباشرة ومن ثم تحليل نصوصهم والرد عليها بموضوعية ونقدها حسب منهج أهل السنة والجماعة القائم على العدل والانصاف

---

(١) انقسمت الطائفة الاسماعيلية بعد المستنصر أحد حكام الدولة العبيدية الى فرقتين ، احداهما تسمى بالمستعلية نسبة الى المستعلى والأخرى تسمى بالنزارية نسبة الى نزار بن المستنصر ، وان شاء الله سوف نتحدث عن هذا الانقسام وسببه فى آخر الباب الثانى عند الحديث عن أئمة الاسماعيلية ، وعند الحديث عن فرق الاسماعيلية .

حتى مع الخصوم . لهذه الأسباب عزمت على دراسة هذه الفرقة واستبانة أمرها بعنوان "أصول الاسماعيلية دراسة وتحليل ونقد" . وكانت خطتي في البحث كالآتي :

الباب الأول وعنوانه : "التشيع وأثره في الاسماعيلية" ويشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التشيع تعريفه ونشأته وفرق الشيعة .

تحدثت في هذا الفصل عن تعريف التشيع لغة واصطلاحا وبينت المراحل التي مر بها مصطلح الشيعة ومن ثم رجحت التعريف الجامع لفرقة الشيعة .

ثم تحدثت عن نشأة الشيعة ونقلت الأقوال والآراء في ذلك ورجحت بالأدلة ما اتضح لي انه القول الصحيح في نشأتها وظهورها .

ثم انتقلت بعد ذلك الى الحديث عن فرق الشيعة ونقل أقوال وآراء علماء الفرق والمقالات عن حصر أصول هذه الفرق ورجحت بعد ذلك ما اتضح لي من خلال الأدلة والواقع انه القول الراجح .

الفصل الثاني : أصول التشيع الأولى .

ومهدت لهذا الفصل بذكر بعض مزاعم الشيعة عن أصالة مذهبهم وبينت تهافت تلك المزاعم . ثم أوضحت بعد ذلك بدء ظهور أصول التشيع على يد ابن سبأ . وحيث ان الشيعة - ولاسيما في العصر الحاضر - يحاولون نقض ما أجمع عليه المتقدمون من ثبوت شخصية ابن سبأ ، اما بنفي الصلة بينهم وبينه تارة أو بانكار شخصية ابن سبأ تارة أخرى فقد تحدثت

بشىء من التفصيل عن اثبات ابن سبأ ودوره فى مذهب الشيعة ومن ثم بينت واستنبطت العوامل الخارجية والمصادر الأجنبية فى مذهب الشيعة وأثرها فى أصول الشيعة . ثم بعد ذلك تحدثت بالتفصيل عن أصول التشيع على النحو الآتى :

الأصل الأول : الامامة .

الأصل الثانى : الغيبة .

الأصل الثالث : الرجعة .

الأصل الرابع : التقية .

الأصل الخامس : الوقيعة فى الصحابة وسبهم .

الأصل السادس : دعوى تحريف القرآن .

وفى الفصل الثالث : وعنوانه : "أثر التشيع فى فرقة الاسماعيلية نشأة وعقيدة" : بينت دور الشيعة الامامية وأثرهم فى ظهور التشيع الباطنى سواء فيما يتعلق بأصول الفرقتين واتكاء احداهما على الأخرى أو فيما يتعلق بالأحداث التاريخية للشيعة الامامية واستغلال الاسماعيليين لها وأثبت ذلك بنصوص العلماء والاتفاق على معظم الأصول .

أما الباب الثانى فعنوانه : "الجانب التاريخى لفرقة الاسماعيلية" ويشتمل على خمسة فصول هى :

الفصل الأول : تعريف الاسماعيلية ونشأتها .

الفصل الثانى : جذور الاسماعيلية حيث أنها مسبوقة بحركتين تعتبران أساسا وأصلا للاسماعيلية وهما الخطابية والباطنية وبينت من خلال عرض أصول هاتين الفرقتين وآرائهما التوافق التام بينهما وبين الاسماعيلية كما بينت صلة زعمائها ودعاتها بأئمة الاسماعيلية ودعاتهم .

وقد فصلت القول فى هاتين الطائفتين بتعريفهما وبيان آرائهما وزعمائهما ومدى التأويل الباطنى فى كل منهما وأخيرا دورهما فى تأسيس وتأصيل الطائفة الاسماعيلية . ثم بعد ذلك انتقلت الى الفصل الثالث وعنوانه : "أئمة الاسماعيلية " وقسمت الحديث عنهم على النحو الآتى :

(أ) الأئمة الأوائل .

(ب) أئمة دور الستر بعد محمد بن اسماعيل .

(ج) أئمة دور الظهور .

وقد افردت لكل امام ترجمة خاصة ابتداء من مؤسس الدولة العبيدية (عبيد الله المهدى) حتى آخر حاكم منهم وهو العاضد مركزا على الجوانب الفكرية ومايتعلق بالجانب المذهبى لطائفة الاسماعيلية .

(د) ثم الحديث عن انقسام الاسماعيلية حول الأئمة وسبب ذلك وقيام طائفتين للاسماعيلية الى يومنا هذا .

(هـ) ثم بعد ذلك الحديث عن أئمة الطائفة الأولى (المستعلية) .

(و) ثم الحديث عن أئمة الطائفة الثانية (الاسماعيلية النزارية) .

(ز) وختمت هذا الفصل بنهاية الدولة العبيدية .

اما الفصل الرابع وعنوانه "نظم الدعوة الاسماعيلية " فقد قسمت الحديث عن هذه النظم الى ثلاثة جوانب :

الجانب الأول : ويتعلق بالدعوة ذاتها وعنوانه "مراحل الدعوة " .

والجانب الثانى : يتعلق بالأئمة وبيان مراتبهم وعنوانه "مراتب الأئمة" .

أما الجانب الثالث : فيتعلق بدعاة المذهب دون الأئمة ودرجاتهم وخاصية كل درجة والعمل الذى يزاوله صاحبها وعنوانه "درجات الدعاة" .

أما الفصل الخامس فكان عن فرق الاسماعيلية ثم عن الدول التى قامت لهذه الطائفة وعنوانه : فرق الاسماعيلية ودولها .

وبنهاية هذا الفصل انتقلت الى القسم الثانى من الرسالة وهو الباب الرئيسى فى هذا البحث ـ وكان ترتيبه العددى الباب الثالث وعنوانه : "أصول الاسماعيلية وعقائدهم" . ويشتمل على سبعة فصول هى :

الفصل الأول : "الأصول العامة لمعتقداتهم" . وفيه تحدثت عن أصلين أساسيين لهما أثر كبير على جميع معتقدات الاسماعيلية وهما :

(أ) الامامة .

(ب) التأويل الباطنى أو الظاهر والباطن .

وفى الفصل الثانى : انتقلت الى معتقد الاسماعيلية عن الله سبحانه وتعالى . وبينت ماتؤول اليه ألفاظهم المعقدة وعباراتهم الغريبة من سلب ونفى محض ومافيها كذلك من تناقض واضطراب . وحاولت جاهدا عرض أفكارهم فى هذا الأصل بأسلوب أقرب الى متناول القارىء والمطلع . ومن ثم تتبعت مزاعمهم مبينا بطلانها واضطرابها ومخالفتها للفطرة البشرية .

أما الفصل الثالث : فكان عن معتقد الاسماعيلية فى النبوات . ويشمل النبوة نفسها كما يشمل الأنبياء والرسل ومعتقدهم عن أولى العزم . وعن قائمهم محمد بن اسماعيل الذى يعبرون عنه بالناطق السابع . وقد بينت بعد ذلك ضلال

هذه المعتقدات بعد عرضها وتحليلها .

أما الفصل الرابع : فهو عن معتقد الاسماعيلية فى القيامة والمعاد وعنوانه : "معتقد الاسماعيلية فى الآخرة" بينت فيه معنى القيامة عندهم وارتباط ذلك بقائم القيامة ، وقد تتبعت أوهامهم فى هذا الأصل وعرضتها بأسلوب يشعر بتفاهتها ومن ثم نقدها .

وفى الفصل الخامس : بينت معتقدهم فى المصادر الأساسية للمسلمين وهما كتاب الله تعالى الوحى الأول وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم الوحى الثانى ، وبينت خلاصة مذهبهم عن هذين المصدرين وأنه لايخرج عن احدى حالتين : اما الانكار التام والصريح ولاسيما للمصدر الثانى ، أو التأويل والتلاعب بألفاظهما حتى يصل فى نهاية الأمر الى انكارهما أو انكار مايدلان عليه .

أما الفصل السادس : فكان عن تأويلات الاسماعيلية للتكاليف الشرعية وفيه بيان أهمية التكاليف وانها هى الصورة العملية لعقيدة المسلم فلااسلام الا بأداء الصلاة والزكاة والصوم والحج أداء وفق ماجاء عن الله وعن رسوله صلى الله عليه وسلم وبينت من خلال مصادرهم نهاية هذه الأركان وابطالها عن طريق تأويلها .

وفى الفصل السابع والأخير : بينت حكم الاسلام فى طائفة الاسماعيلية من خلال معتقداتهم آنفة الذكر مع حكم علماء الاسلام فيهم قديما وحديثا .

واخيرا ختمت الرسالة بخاتمة تتضمن اهم نتائج البحث مع عدة ملاحق لحقائق أساسية ووثائق مهمة لها ارتباط تاريخى

او عقدى بفرقة الاسماعيلية .

هذه هى بضاعتى فى هذا البحث وهذا هو جهدى أرجو من الله العلى القدير أن أكون وفيته بعض حقه وقدمت للباحثين والدارسين فى علم الفرق خدمة متواضعة فى كشف هذه الفرقة وغيرها من الفرق المنحرفة وبيان مواطن خطرهم على الأمة الاسلامية . وانني مع ذلك اقول كما قال بعض السلف الصالح "فأما سائر ماتكلمنا عليه فانا أحقاء بألا نزكيه والا نؤكد الثقة به وكل من عثر منه على حرف أو معنى يجب تغييره فنحن نناشده الله فى اصلاحه وأداء حق النصيحة فيه فان الانسان ضعيف لايسلم من الخطأ الا أن يعصمه الله بتوفيقه ونحن نسأل الله ذلك ونرغب اليه فى دركه انه جواد وهوب" .

وختاما أشكر الله عز وجل وأحمده أولا وآخرا وظاهرا وباطنا على نعمه وآلائه التى لاتعد ولاتحصى {وان تعدوا نعمة الله لاتحصوها ان الانسان لظلوم كفار} (١) .

ثم بعد ذلك امتثالا للأمر النبوى (٢) أشكر أستاذى المشرف الأول على الرسالة الدكتور سليمان دنيا رحمه الله سائلا الله عز وجل أن يحسن مثوبته ويغفر له ويجزل له الأجر والثواب .

كما أشكر أستاذى المشرف الحالى على الرسالة الدكتور

---

(١) سورة ابراهيم : ٣٤

(٢) ورد فى الحديث الصحيح قوله صلى الله عليه وسلم عن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "لايشكر الله من لايشكر الناس" . رواه أبو داود ١٥٧/٥ ، والترمذى ٨٧/٦ ، والامام أحمد فى المسند ٩٤/١٩ من كتاب الفتح الربانى .

عثمان بن عبد المنعم يوسف على مابذل لى من جهد وتوجيه ووقت لاحد له وأسأل الله عز وجل أن يجزيه عنى خير الجزاء ويجمع له بين الصحة وطول العمر وحسن العمل انه على مايشاء قدير .

كما أشكر جميع الاخوة والأساتذة الذين قدموا لى توجيها ونصحا .

ولايفوتنى أن أشكر عمادتى كلية الشريعة وكلية الدعوة على اهتمامهم بالعلوم الشرعية وطلابها سائلا الله عز وجل أن يجزيهم خير الجزاء وأن يسدد خطاهم . وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

الطالب/سليمان بن عبدالله السلومى
مكة المكرمة عام ١٤٠٩هـ

منهج السلف في محاربة البدع والأهواء والفرق

للسلف رضوان الله عليهم منهج عظيم في محاربة البدع والفرق يتمثل في بيان الحق ونشره وتعلمه وتعليمه بعيدا عن الخوض في المسائل الاعتقادية أو ذكر الشبه ومعتقدات الفرق ومن ثم الرد عليها حتى لايكون ذلك سببا في ظهورها ونشرها وتوجيه الأنظار لها . ولذا نجد أن التأليف والكتابة في فن المقالات والفرق تأخر حتى بداية القرن الثالث الهجري (١) .

وحينما استأذن رجل أحمد بن حنبل في أن يضع كتابا يقوم فيه بالرد على أهل البدع وأن يحضر مع أهل الكلام فيناظرهم ويحتج عليهم ، كتب اليه ابو عبد الله كتابا فيه الذي كنا نسمع وادركنا عليه من أدركنا من أهل العلم أنهم كانوا يكرهون الكلام والجلوس مع أهل الزيغ وانما الأمر في التسليم والانتهاء الى ماكان في كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم لافي الجلوس مع أهل البدع والزيغ لترد عليهم فانهم يلبسون عليك ، وهم لايرجعون فالسلامة ان شاء الله في ترك مجالستهم والخوض معهم في بدعتهم (٢) .

ومن الآثار الواردة عن السلف في ذلك ماروى عن عبد الله السرى قوله : "ليس السنة عندنا أن يرد على أهل الأهواء ولكن السنة عندنا أن لانكلم أحدا منهم" .

وروى البغوى عن سفيان الثورى أنه قال : من سمع بدعة

---

(١) وذلك كأبي الحسن الأشعرى المتوفى سنة ٣٣٠هـ وابى الحسين الملطى المتوفى سنة ٣٧٧هـ ومن جاء بعدهم كالبغدادى وابن حزم والشهرستانى وغيرهم .

(٢) الابانة لابن بطة ٤٤/١ ، أصول الاعتقاد للالكائى ٥٦/١-٥٧

فلايحكها لجلسائه لايلقيها فى قلوبهم .(١)

والنصوص لأهل السنة والجماعة فى هذه المسألة كثيرة جدا وحسبنا أن نرجع فيها الى شرح السنة للبغوى أو الابانتين الكبرى والصغرى لابن بطة أو شرح أصول الاعتقاد للالكائى .(٢)

وخلاصة القول أن علماء المسلمين يكرهون مناظرة أهل البدع والجلوس معهم بل ونهوا عن نقل شبهاتهم أو عرضها على المسلمين خوفا من ضعف الناقل لها وعجزه عن ابطالها وتزييفها فيفتتن بها بعض من سمعها أو قرأها . كان هذا هو موقف السلف فى الفترة الأولى لظهور المبتدعة وهى الفترة التى لم يكن لهؤلاء المبتدعة فيها كتب كثيرة ولاتلاميذ ينشرون بدعهم وأهوائهم وشبهاتهم فكان منهج أهل السنة أن لايسهموا بنشر هذه الآراء بين الناس على نطاق واسع عن طريق المناقشة والرد شفاها أو كتابة .

أما الفترة الثانية التى انتشرت آراء المبتدعة ومذاهبهم فيها على نطاق واسع وكان لهم فيها كتب وتلاميذ فلم يعد من الممكن تجاهل هذه الآراء الضالة بعد انتشارها على هذا النحو بين الناس . وأصبح من الواجب مجاهدة هذه الفرق والأهواء بمعارضتها وملاحقة أصحابها فى كل مكان ، وهذا ما انتهى اليه أمر علماء أهل السنة والجماعة حيث قام الكثير منهم ببيان حالهم وتحذير الأمة منهم مع اظهار السنة

---

(١) المرجع السابق ٥٦/١ .
(٢) حققت الكتب الثلاثة الأخيرة فى جامعة أم القرى وبعد ذلك طبعت وكلها باشراف الدكتور عثمان بن عبد المنعم يوسف الأستاذ فى قسم العقيدة بجامعة أم القرى .

وتعريف المسلمين بها ثم قمع البدع ودفع بغي وعدوان أهلها كل ذلك في اطار الانضباط بالعدل والاحتكام للكتاب والسنة فهناك ضابطان شرعيان أساسيان لدى أهل السنة في كشف المبتدعة وأهل الأهواء وبيان أمرهم وهما :

(١) ان هذا البيان وذلك الانكار دافعه الاخلاص لله عز وجل والطاعة له وموافقة أمره والأمل في الاصلاح لا أن يكون لهوى النفس أو استيفاء من أحد أو عداوة دنيوية له .

(٢) أن يكون ذلك كله من خلال عمل شرعي مأمور به بحيث يحقق المصلحة ويدرأ المفسدة حسب الأحوال والظروف المختلفة والا لم يكن العمل مشروعا ولامأمورا به . وحسبنا في هذا المقام نص عظيم لابن تيمية يقول فيه :

"أهل السنة يستعملون مع الروافض العدل والانصاف ولايظلمونهم فان الظلم حرام مطلقا . بل أهل السنة لكل طائفة من هؤلاء - يعني طوائف البدع - خير من بعضهم لبعض بل هم للرافضة خير وأعدل من بعض الرافضة لبعض وهذا مايعترفون هم به ويقولون انتم تنصفونا مالاينصف بعضنا بعضا (١) " . (٢)

وفي موضع آخر قال : "واذا اجتمع في الرجل الواحد خير وشر وفجور وطاعة ومعصية وسنة وبدعة استحق من الموالاة والثواب بقدر مافيه من الخير واستحق من المعاداة والعقاب

---

(١) جاء في كتاب الكافي للكليني أن أحد الشيعة ويسمى عبد الله بن كيسان قال لامامهم : اني نشأت في أرض فارس وانني أخالط الناس في التجارات وغير ذلك فأخالط الرجل فأرى له حسن السمت وحسن الخلق وكثرة أمانة ثم أفتشه فأتبينه من عداواتكم - يعني من أهل السنة - وأخالط الرجل فأرى منه سوء الخلق وقلة أمانة وذعارة ثم أفتشه فأتبينه من ولايتكم - يعني من الشيعة - انظر كتاب الكافي للكليني ٤/٢ .

(٢) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٣٩/٣ .

بحسب مافيه من الشر فيجتمع فى الشخص الواحد موجبات الاكرام والاهانة فيجتمع له من هذا وهذا" (١) .

وبالجملة فأهل السنة خير من يتمثل هذه الآية ويطبقها وهى قوله تعالى : {ولايجرمنكم شنآن قوم على أن لاتعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى} (٢) .

وحينما ننتقل من هذا الجانب النظرى الى الجانب التطبيقى فان رؤوس الفرق الضالة (٣) ظهروا فى أواخر عهد الصحابة رضوان الله عليهم بعد الفتنة (٤) الكبرى وكان الحكم فى هذه الفرق كالآتى :

(١) الخوارج حكموا عليهم بالمروق من الدين وتفريق كلمة المسلمين .

وعالج الصحابة ذلك أولا بالمناظرة والاقناع بالحجة حيث ثبت أن أمير المؤمنين عليا رضى الله عنه أرسل اليهم حبر الأمة وترجمانها لمناظرتهم وبيان الحق لهم فيما خالفوا فيه فرجع أكثرهم وأما من عاند وكابر وحمل السيف لنصرة بدعته فان حكمه القتال والقتل حيث وردت الأحاديث بفضل الطائفة

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢٠٩/٢٨ .
(٢) سورة المائدة : ٨
(٣) عين السلف هذه الفرق وحددوها بأربع فرق تعتبر أساس الفرق كلها ومما نقل عن الامامين الجليلين يوسف بن أسباط وعبد الله بن المبارك أنهما قالا : "أصول البدع أربعة : الروافض والخوارج والقدرية والمرجئة" . انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥٠/٣ .
(٤) المقصود بهذه الفتنة مافعله الثوار بقيادة ابن سبأ اليهودى سنة ٣٥هـ من حصار المدينة وقتل الخليفة الثالث من الخلفاء الراشدين فى بيته صبرا وهو يقرأ القرآن وكان ذلك ايذانا بفتن عظيمة ومجازر كثيرة بين المسلمين يقتل بعضهم بعضا وكان من آثار ذلك ظهور الفرق والبدع التى لاعهد للمسلمين بها .

التى تقاتل هؤلاء المبتدعة (١) (٢) .

(٢) الشيعة وهؤلاء كانوا ثلاث طوائف :

(أ) طائفة تؤله عليا ولما تبين لعلى رضى الله عنه قبح مقالتهم وكفرهم أحرقهم بالنار حيث خد لهم أخاديد عند باب مسجد بنى كنده فمن تاب ورجع خلا سبيله ومن أصر على بدعته الشنعاء قذف فيها .

(ب) وطائفة أخرى تسمى السابة وهم الذين يتعرضون بالسب والشتم لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما وكان على رأس هؤلاء ابن سبأ ولما بلغ على بن أبى طالب رضى الله عنه هذا عن ابن سبأ طلبه ليقتله ولكنه هرب وفى رواية أنه نفاه الى المدائن .

(ج) وطائفة ثالثة وتسمى المفضلة وهم الذين يفضلون عليا على أبى بكر وعمر رضوان الله عليهم وثبت عن على فى أمر هؤلاء أنه نهاهم وتوعدهم بل انه كما فى صحيح البخارى قال : والله لاأوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر الا جلدته حد المفترى (٣) .

(٣) القدرية :

وهؤلاء أعلن الصحابة رضوان الله عليهم البراءة منهم واخبروا أنهم مجوس هذه الأمة فلايعاملون معاملة

---

(١) انظر هذا الموضوع بالتفصيل فى كتاب دراسة عن الفرق للأستاذ أحمد محمد جلى ص ٤٠-٤٦ .

(٢) انظر صحيح البخارى كتاب استتابة المرتدين ٨/٥١-٥٢ ، صحيح مسلم باب ذكر الخوارج وصفاتهم ٣/١١١ .

(٣) انظر كتاب معالم الانطلاقة الكبرى لمحمد عبد الهادى ص ١٢٧ ، والحديث رواه البخارى . انظر فتح البارى ٧/٣٣ .

المسلمين .[1]

وثبت عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أنه قال حينا ذكرت له أقوال هذه الفئة : أخبرهم أنى برىء منهم وانهم براء منى والذى يحلف به عبد الله بن عمر . لو أن لأحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ماقبل الله منه حتى يؤمن بالقدر .

قال النووى فى شرحه للحديث : هذا الذى قاله ابن عمر رضى الله عنهما ظاهر فى تكفيره القدرية . وقال القاضى عياض : والقائل بهذا كافر بلاخلاف وهؤلاء الذين ينكرون القدر هم الفلاسفة فى الحقيقة .[2]

وفى بعض الروايات : ان مرضوا فلاتعودوهم وان ماتوا فلاتتبعوهم .

(٤) وأما الطائفة الرابعة فهم المرجئة الذين تصدى لهم علماء السلف بالرد والتفنيد لبدعتهم وبيان فسادها مع العلم أن الارجاء فى عهد الصحابة رضى الله عنهم كان أخف وأقل مخالفة فيما بعد ذلك حيث انضم الى البدعة الأولى ارجاء العمل عن الايمان .

وللسلف حكمهم فى رؤوس البدع وزعماء الفرق حيث حكموا بكفر بعضهم وقتل البعض الآخر . فالجعد بن درهم قتله خالد ابن عبد الله القسرى والجهم بن صفوان قتله مسلم بن أحوز .

---

(١) حديث القدرية مجوس هذه الأمة رواه أبو حازم عن ابن عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . وأخرجه أبو داود فى سننه والحاكم فى المستدرك وقال صحيح على شرط الشيخين ان صح سماع أبى حازم من ابن عمر . صحيح مسلم بشرح النووى ١٥٤/١ .

(٢) الحديث رواه مسلم فى صحيحه . انظر صحيح مسلم بشرح النووى ١٥٥/١-١٥٦ .

وأما واصل بن عطاء رأس المعتزلة فقد طرده الحسن البصرى من مجلسه . وبالجملة فان علماء أهل السنة ومعظم الخلفاء تصدى لهؤلاء المبتدعة فطاردوهم وتتبعوهم وهذا المنهج وتلك الأحكام انما كانت عند ظهور الفرق وانتشارها بحيث ظهر أن الرد والتفنيد لايكفى فى ايقاف مثل هذه الأهواء والضلالات . وما احوج عصرنا الحاضر الى مواقف السلف الأولى حيث كثرت البدع والفرق ونشط اتباعها وزعماؤها . ومن أخطر هذه البدع وأشدها فتكا بالأمة الاسلامية حركة الباطنية التى يندرج تحتها مسميات وفرق عديدة كالنصيرية والاسماعيلية والدروز والرافضة . والواجب على أولى الأمر من المسلمين سواء كانوا علماء أو أصحاب سلطة شرعية أن يجاهدوا هذه الفرق بكشفها وبيان أمرها وتحذير الناس منها والانكار على أصحابها باللسان والهجر واليد بل والجهاد بالسيف اذا اقتضى الأمر ذلك .

ولعل كتابتى ان شاء الله عن الاسماعيلية ببيان أمرها وكشف خطرها مساهمة متواضعة لنوع من أنواع الجهاد المأمورين به وهى جهد مقل وماتوفيقى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب .

والآن الى أبواب الرسالة وفصولها ابتداء بالباب الأول عن كشف أثر ودور الشيعة الامامية فى طائفة الاسماعيلية الشيعية الباطنية .

الباب الأول

التشيع وأثره فى فرقة الاسماعيلية

يشتمل هذا الباب على تمهيد وفصول ثلاثة هى :

الفصل الأول

التشيع تعريفه ونشأته وفرق الشيعة

تمهيد :

ظهر التشيع كمبدأ ومذهب على يد ابن سبأ وهو تيار بدعى ظهر فى مقابل بدعة الخوارج ومذهبهم حيث ان كلا البدعتان انحراف فى مقابل انحراف آخر .

فالخوارج جفوا عليا رضى الله عنه ومن رضى بالتحكيم حتى كفروهم ففرطوا والشيعة - بزعمهم - يقدسون عليا وذريته تقديسا يخرج بهم عن بشريتهم فأفرطوا .

فلفظ الشيعة اذا أطلق فانما يراد به الفرقة التى خالفت أهل السنة والجماعة فى معتقداتها عن الامامة وترتيب الأئمة المهديين الخلفاء الراشدين فيقال عن من يقول بامامة أبى بكر وعمر وعثمان وعلى بهذا الترتيب سنى ومن يخالف ذلك يقال عنه شيعى . وهذا مظهر وصفة ظهر واتصف بها مدعو التشيع فى أول أمره وعليه تعريف الأشعرى الذى يقول عن سبب تسميتهم بالشيعة : "وانما قيل لهم الشيعة لأنهم شايعوا عليا رضى الله عنه ويقدمونه على سائر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم" (١) .

فالشيعة بناء على هذا التعرف يتصفون بصفتين :

---

(١) مقالات الاسلاميين لأبى الحسن الأشعرى ١/٦٥ .

الأولى : المناصرة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه وهذه صفة لاتميز الشيعة عن غيرهم فان تلك الصفة ثابتة لمعظم الصحابة بعد مبايعتهم له بالخلافة بعد مقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه فهؤلاء يرون أحقيته للخلافة فى تلك الفترة لأنه أفضل الصحابة بعد استشهاد ذى النورين ، كما أنه أحق بالأمر من معاوية رضى الله عنه بأدلة شرعية ثابتة (١)

وعلى هذا من قاتل مع على وانضم اليه فى معاركه الأولى ان يقال عنهم أصحابه وأنصاره ولايطلق عليهم شيعته الا بالمعنى اللغوى ضبطا لهذا المصطلح ومن ينطبق عليه وابعادا لتوهم اطلاق لفظ التشيع على الصحابة الذين ناصروه وحاربوا من لم يبايعه باعتبار أنه هو الخليفة الرابع من الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين . (٢)

الصفة الثانية : تقديم على رضى الله عنه على سائر الصحابة رضوان الله عليهم . وهذا هو رأى المفضلة من الشيعة وهم الذين يفضلونه على أبى بكر وعمر رضى الله

---

(١) منها حديث عمار بن ياسر رضى الله عنه قوله صلى الله عليه وسلم لعمار : "تقتلك الفئة الباغية" بل نقل ابن حجر تواتر ذلك عن النبى صلى الله عليه وسلم . انظر الاصابة لابن حجر ٦٥/٧ .
وفى ترجمة على بن أبى طالب رضى الله عنه قال : وظهر بقتل عمار أن الصواب كان مع على واتفق على ذلك أهل السنة بعد اختلاف كان فى القديم ولله الحمد . الاصابة ٥٨/٧ .
كذلك قوله صلى الله عليه وسلم عن مجاهدة الخوارج وقتالهم : "تقتلهم أولى الطائفتين بالحق" وقد ثبت أن عليا رضى الله عنه هو الذى قاتلهم ووجد علامتهم وسجد شكرا لله . الفتاوى ٣٢/١٣ .

(٢) ذكر ابن حبيب فى كتابه المحبر أن الصحابة الذين مع على بن أبى طالب رضى الله عنه ممن بايع تحت الشجرة (بيعة الرضوان) ثمانمائة صحابى . فكيف بالصحابة الآخرين لاشك أن العدد منهم كثير . انظر الدولة الأموية ليوسف العشى ص ١٠٧ .

عنهمـــا ووقف على من هؤلاء موقفا واضحا ثابتا حيث تواتر عنه انــه قــال خـيـر هــذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر . وروى البخارى فى صحيحه عن محمد بن الحنفية انه سأل أباه :من خير الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر قال ثم مــن فقال عمر (١) . بل ان عليا رضى الله عنه صعد على منبر الكوفــة فقال : والله لاأوتي برجل يفضلني على أبى بكر وعمر الا جلدته حد المفترى (٢) .

واذا تأملنــا فــى هاتين الصفتين المتقدمتين فانه ليس فيهمــا معتقدات ومبادىء مما اشتهرت بها الشيعة فيما بعد . وعــلى هــذا فتعــريف الأشـعرى انما ينطبق على الشيعة فى أول أمرهــا قبل مجاهرتهم بعقائدهم وافكارهم من الرجعة والوصية والتقية والسب وغيرها .

ومــن المسلم به بل والمجمع عليه عند الشيعة الامامية ان تقــديم عــلى عــلى ســائر الصحابــة فى الخلافة غير كاف فى التشـيع لــه بـل لابــد مــن الاعتقــاد بأن امامته ثابتة بالنص الصـريح على التعيين وانها بدأت بعد وفاة الرسول صلى الله عليــه وسـلم مباشـرة الى استشهاده رضى الله عنه . وعن ذلك يقــول أحد علمائهم : وكانت امامة أمير المؤمنين بعد النبى صــلى الله عليه وسلم ثلاثين سنة منهــا أربع وعشرون سنة وستة أشــهر كــان ممنوعــا مــن التصـرف فى أحكامها مستعملا للتقية والمــداراة (٣) ومنهــا خمس سنين وستة أشـهر ممتحنــا بجهـــاد

---

(١) فتح البارى شرح صحيح البخارى ٢٠/٧ .
(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبى ص ٣٦١-٣٦٢ .
(٣) يقصد هذا الرافضى بهذه الفترة خلافة الخلفاء الراشدين الثلاثة أبو بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم .

المنافقين من الناكثين والقاسطين والمارقين ومضطهدا بفتن الضالين كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة من نبوته ممنوعا من أحكامها خائفا ومحبوسا وهاربا ومطرودا لايتمكن من جهاد الكافرين ولايستطيع دفعا عن المؤمنين ثم هاجر وأقام بعد الهجرة عشر سنين كمجاهد للمشركين ممتحنا بالمنافقين الى أن قبضه الله جل اسمه اليه وأسكنه جنات النعيم .(١)

واذا كان الأمر كذلك فان تعريف الأشعرى للشيعة غير منطبق عليهم جميعا . ومن المسلم به ايضا أن الشيعة تتعدد فرقهم وتختلف آراؤهم حسب الزمان والمكان . فهم قد امتدت بهم العصور وكان لهم في كل عصر ظروف وأحوال مما يصعب معه تحديد معنى واحدا للتشيع ولابد من اللجوء الى أن التشيع مر بمراحل متعددة كل مرحلة ينطبق عليها تعريف معين .

ونبدأ بتعريف الشيعة لغة واصطلاحا مع محاولة تحليل هذه التعاريف وتطبيقها على نشوء التشيع ومراحله التى مر بها .

---

(١) كتاب الارشاد للشيخ المفيد ص ١٢ .

تعريف التشيع

الشيعة في اللغة هم الأتباع والأنصار . جاء في القاموس شيعة الرجل بالكسر اتباعه وأنصاره . والفرقة على حده ويقع على الواحد والاثنين والجمع والمذكر والمؤنث وجمعه أشياع وشيع . وقد غلب هذا الاسم على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا (١) .

وكل قوم اجتمعوا على أمر فهم شيعة . وكل من عاون انسانا وتحزب له فهو له شيعة (٢) .

قال الأزهري : "معنى الشيعة الذين يتبع بعضهم بعضا وليس كلهم متفقين" (٣) .

فالتشيع بمعناه اللغوى هنا يعنى المناصرة والمتابعة أو الاجتماع على أمر أو التحزب لشخص . ويضيف الأزهرى معنى لغويا مهما وهو عدم وجود الوفاق التام بين هؤلاء المتشيعين وهو هنا لايحدد فرقة بعينها ولكنه غلب فيما بعد – كما يقول صاحب القاموس – على كل من يتولى عليا وأهل بيته حتى صار اسما لهم خاصا فاذا قيل فلان من الشيعة عرف انه منهم .

وأما تعريف الشيعة في الاصطلاح فيعرفها المفيد بقوله : "ان لفظ الشيعة يطلق على أتباع أمير المؤمنين على سبيل الولاء والاعتقاد لامامته بعد الرسول صلوات الله عليه وآله بلا فصل ونفى الامامة عمن تقدمه في مقام الخلافة وجعله في

---

(١) القاموس المحيط للفيروز ابادى ٣/٤٧-٤٨ .
(٢) تاج العروس مادة شاع ٨/٤٠٥ .
(٣) تهذيب اللغة مادة شاع ٣/٦٢ .

الاعتقاد متبوعا لهم غير تابع لأحد منهم على وجه الاقتداء ". [1]

ومما يلاحظ على هذا التعريف الأمور التالية :

(أ) لم يشر الى اعتبار الامامة فى أبنائه من بعده مع انهم يقولون بأن من لم يؤمن بالائمة بعد على فليس من الشيعة .

(ب) انه لم يذكر فى تعريفه مسألة النص على على من الله ورسوله - كما يعتقدون - ومن لم يؤمن بالائمة وبالنص عليهم فليس من الشيعة عندهم .

(ج) انه فى تعريفه يخرج بعض فرق الشيعة كالزيدية الذين يقرون بامامة الشيخين على أساس جواز امامة المفضول مع وجود الفاضل . [2]

وعلى هذا فان تعريف المفيد للشيعة ليس بجامع لمعنى التشيع . واذا تأملنا فى كتب المقالات والفرق الشيعية القديمة كفرق الشيعة للنوبختى والمقالات والفرق للقمى فانها لاتعطى كذلك التعريف الجامع والدقيق وتكتفى بالقول : بانهم أتباع على بن أبى طالب .

وخالص القول انه عند التأمل لمصطلح الشيعة عندهم فان لباب التشيع وأساسه هو الايمان بالنص على امامة على ، لهذا نجد شيعيا معاصرا يعرف الشيعة على هذا النحو فيقول : "ان لفظ الشيعة علم على من يؤمن بأن عليا هو الخليفة بنص النبى" . [3]

---

(١) أوائل المقالات للشيخ المفيد ص ٣٩ .

(٢) بل انه بعد التعريف مباشرة نص على خروج فرق الزيدية سوى الجارودية من التشيع وقال عنهم ان هؤلاء لاتشملهم سمة التشيع وليسوا من الشيعة .
انظر أوائل المقالات ص ٣٩ للمفيد .

(٣) الشيعة فى الميزان لمحمد جواد مغنية ص ١٥ .

مع العلم أن في ذلك اغفالا لامامة الائمة بعد على بن أبى طالب والنص لهم وهو من أساسيات مذهبهم [(١)] .

لهذا نرى بعض كتاب الشيعة المعاصرين يولى وجهه تعاريف أهل السنة للشيعة ويختار تعريف ابن حزم لهم ويعتبره من اكثر التعاريف شمولا واقربها الى التدقيق [(٢)] .

يقول ابن حزم : ومن وافق الشيعة فى أن عليا رضى الله عنه افضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأحقهم بالامامة وولده من بعده فهو شيعى وان خالفهم فيما عدا ذلك مما اختلف فيه المسلمون فليس شيعيا [(٣)] .

ويعلل اختياره لهذا التعريف بقوله : ومما حدانا الى تفضيل هذا التعريف هو الاعتراف بافضلية الامام على على الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه الامام والخليفة بعده وان الامامة فى ذريته من نسل فاطمة هو أس التشيع وجوهره [(٤)] .

وانه مع التأمل لبعض نصوص الشيعة عن عقائدهم وأصولهم كالعصمة والتقية والرجعة وغيرها نجد فيها ربطا للتشيع ووصف من يقول به بالايمان بمثل هذه العقائد كقولهم :

"من لم يؤمن بكرتنا ويقل بمتعتنا فليس منا" . وغيره - مما سيأتى ان شاء الله عند ذكر أصول التشيع - مما يتضمن نفى صفة التشيع عمن لم يؤمن بتلك العقائد بحيث ان من لم

---

(١) انظر كتاب غاية المرام ص ففيه باب بهذا العنوان "باب فى نص رسول الله على على أمير المؤمنين بأنه الامام بعده وبنيه الاحد عشر هم الائمة الاثنى عشر وخلفاؤه وأوصياؤه" -وفيه ١٩ حديثا من طرق الشيعة .
(٢) تاريخ الامامية لعبد الله فياض ص ٣٣ .
(٣) الفصل لابن حزم ١٠٧/٢ .
(٤) تاريخ الامامية لعبد الله فياض ص ٣٤ .

تتوفر فيه لايعتبر شيعيا أو لاينطبق التعريف عليه .

وقريب من تعريف ابن حزم السابق تعريف الجرجاني الذى قال ان الشيعة : هم الذين شايعوا عليا رضى الله عنه وقالوا انه الامام بعد رسول الله واعتقدوا ان الامامة لاتخرج عنه وعن أولاده .(١)

ومن أكثر تعاريف علماء الفرق شمولا لفرق الشيعة ومعتقداتها تعريف الشهرستاني الذى يقول فيه : "الشيعة هم الذين شايعوا عليا رضى الله عنه على الخصوص وقالوا بامامته وخلافته نصا ووصية اما جليا واما خفيا واعتقدوا ان الامامة لاتخرج من أولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده" .(٢)

وحينما نتأمل تعريفات الشيعة آنفة الذكر نجد أن بعضها يختص بالشيعة الأولى وهو أول سلم التشيع وذلك كتعريف الأشعرى والبعض الآخر ينطبق على الزيدية فقط وذلك كالتعريفات العامة للتشيع من غير نص على مسألة السب أو التفضيل فيما يتعلق بالشيخين رضى الله عنهما .

وبعضها يضيف قيودا جديرة بالاعتبار في تحديد مصطلح الشيعة لكنها لاتشمل جميع سمات الشيعة وفرقهم وذلك كتعريف ابن حزم والجرجاني .

ويظل تعريف الشهرستاني - فيما وصل الينا من كتب الفرق والمقالات - أكثرها شمولا وأدقها ضوابط حيث اشتمل على أمور خمسة تعتبر جميعا معالم بارزة لفرق الشيعة كلها سوى

---

(١) التعريفات للجرجاني ص ١٣٥ .
(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١/١٤٦-١٤٧ .

بعض فرق الزيدية[1] حيث يقولون ببعضها كالأمر الأول والثالث والرابع وهذه الأمور هى :

(١) مناصرة على بن أبى طالب رضى الله عنه ومشايعته خاصة من بين الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .

(٢) وجوب امامته وخلافته بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم مباشرة .

(٣) ان هذه الامامة صريحة وثبتت بطريقين :

(أ) نصوص واردة فى تعيينه جلية أو خفية .

(ب) وصايا تناقلوها فى تعيين على بن أبى طالب رضى الله عنه جلية أو خفية .

(٤) أن الامامة بعده فى أولاده باقية وتنتقل من أب الى ابنه نصا واجبا غير اختيار أو مشورة .

(٥) الاعتقاد بالتقية والوصية .

ومع ترجيحنا لتعريف الشهرستانى وكونه أشملها فان هناك بعض تعريفات لعلماء العقيدة وأهل الحديث تفيد مادة علمية وتحدد مصطلح الشيعة حسب أصولهم ومعتقداتهم وموقف أهل السنة والجماعة منهم . وبعد البحث والتحرى تجمع لدى ثلاثة نصوص فى هذا الامر وهى :

---

(١) هناك من فرق الزيدية غلاة يعتقدون معتقدات الامامية وذلك كفرقة الجارودية منهم وهناك بعض فرقهم خفيف التشيع كالبترية ولكل فرقة حكمها حسب المعتقدات والآراء . ومما يدل على ماذكرت ان الشيخ المفيد أحد علماء الرافضة ينظم الجارودية فى سلك التشيع ويخرج ماعداهم من فرق الزيدية بحيث ان اسم التشيع عنده لايشملهم .
انظر كتابه اوائل المقالات ص ٤٠ .

النص الأول : للامام الذهبي يقول في كتابه ميزان الاعتدال في نقد الرجال مانصه :

"ان البدعة على ضربين :

بدعة صغرى كالتشيع بلا غلو ولاتحرف فهذاكثير في التابعين وتابعيهم مع الدين والورع والصدق فلو رد حديث هؤلاء لذهب جملة من الآثار النبوية وهذه مفسدة بينة .

وبدعة كبرى كالرفض الكامل والغلو فيه والحط على أبي بكر وعمر رضي الله عنهما والدعاء الى ذلك فهذا النوع لايحتج بهم ولاكرامة " .

ثم يضيف الذهبي مبينا صفات هؤلاء بقوله :

"فما استحضر الآن في هذا الضرب رجلا صادقا ولامأمونا بل الكذب شعارهم والتقية والنفاق دثارهم فكيف يقبل نقل من هذا حاله حاشا وكلا .

فالشيعي الغالي في زمان السلف وعرفهم هو من تكلم في عثمان والزبير وطلحة ومعاوية وطائفة ممن حارب عليا رضي الله عنه وتعرض لسبهم .

والغالي في زماننا وعرفنا هو الذي يكفر هؤلاء السادة ويتبرأ من الشيخين أيضا فهذا ضال مفتر (١) .

والنص الثاني : لابن تيمية وفيه يقول :

"ان الشيعة الأولى لايتنازعون في تفضيل أبي بكر وعمر وانما كان النزاع في علي وعثمان (٢) ولهذا قال شريك بن

---

(١) ميزان الاعتدال للذهبي ١/٥-٦ .

(٢) شريك بن عبد الله القرشي يلقب بأبي عبد الله المدني توفي في المدينة عام ١٤٠هـ وأخرج له البخاري ومسلم وغيرهما من كتب الحديث .
انظر تقريب التهذيب لابن حجر ١/٣٥١ .

عبد الله : ان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبو بكر وعمر فقيل له : تقول هذا وانت من الشيعة ؟ فقال : كل الشيعة كانوا على هذا" (١) .

النص الثالث : لابن حجر العسقلانى يقول فى مقدمة كتابه فتح البارى :

"ان من أسباب الطعن فى الرواة من ضعفه بسبب الاعتقاد وذكر التشيع وقال هو : محبة على وتقديمه على الصحابة فمن قدمه على أبى بكر وعمر فهو غال فى تشيعه ويطلق عليه رافضى والا فشيعى فان انضاف الى ذلك السب أوالتصريح بالبغض فغال فى الرفض وان اعتقد الرجعة الى الدنيا فاشد فى الغلو (٢) .

انه مع التأمل لهذه النصوص الثلاثة نستحمل على حقيقتين مهمتين :

أولاهما : ان التشيع فى أول الأمر انما يقصد به المعنى اللغوى فقط حيث ان من انضم الى على وطائفته وحارب معه فى معركتى الجمل وصفين (٣) هم شيعته الحقيقيين الصادقين وأما

---

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٤/١٣ .
(٢) هدى السارى مقدمة فتح البارى لابن حجر ص ٤٥٩ .
(٣) معركة الجمل من المعارك التى أخبر بوقوعها الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم وهى من الفتن التى وقعت بين المسلمين فى عام سبع وثلاثين للهجرة فى خلافة على ابن أبى طالب رضى الله عنه ، حيث سارت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ومعها الزبير وطلحة رضى الله عنهما مطالبين بالقصاص من قتلة عثمان الى البصرة والتقى معهم على بن أبى طالب رضى الله عنه مطالبا بجمع الكلمة وضم جميع الأمصار ولكن فى الجيشين من أنشب المعركة وكان ماوقع بقدر وقضاء من الله عز وجل حيث نشبت المعركة وقتل جمع من الطرفين .
أما معركة صفين فكانت بينه وبين معاوية رضى الله عنه وكلاهما يطالب بأمر شرعى حيث يطالب على رضى الله عنه بالمبايعة واجتماع الكلمة ويطالب معاوية رضى الله عنه بالقصاص أولا من قتلة عثمان رضى الله عنه وكان هؤلاء ممن حملوا لواء التشيع لعلى وانضموا الى جيشه =

الفرقة التي تذكر في مقابل أهل السنة دائما فيقال عن الرجل هذا سني وذاك شيعي فليس معه أحد من هؤلاء البته فأصحاب علي رضي الله عنه يسمون شيعته بمعنى صحبه وأنصاره وهم من حيث العقيدة من سلف هذه الأمة وأهل السنة والجماعة وهؤلاء لامذمة فيهم البته كيف لا ومعظمهم من الصحابة رضوان الله عليهم .

يقول صاحب مختصر التحفة :

"ان الذين كانوا في وقت خلافة الأمير كرم الله وجهه من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم باحسان كلهم عرفوا له حقه وأحلوه من الفضل محله ولم ينتقصوا أحدا من اخوانه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فضلا عن اكفاره وسبه بيد ان منهم من قاتل معه على تأويل القرآن كما قاتلوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على تنزيله فقد كان معه رضي الله عنه في حرب صفين من أصحاب بيعة الرضوان ثمانمائة صحابي وقد استشهد منهم تحت رايته هناك ثلاثمائة " (١) .

أما الشيعة الذين يخالفون أهل السنة في معتقداتهم فهم في الحقيقة أعداء علي بن أبي طالب الذين غدروا به وتقاعسوا عنه وتخاذلوا عن مناصرته :

= وصفه فيطالب معاوية بتسليم هؤلاء أو اقامة القصاص عليهم ويطالب علي بالبيعة واجتماع الكلمة ومن ثم اقامة الحد على من يجب عليه ولما لم يقتنع أحدهما بحجة الآخر وقعت المعركة بموضع يسمى صفين بين أهل العراق بقيادة علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين أهل الشام بقيادة معاوية رضي الله عنه .
وعن هاتين المعركتين يرجع الى تاريخ الطبري وتاريخ ابن كثير البداية والنهاية أحداث عام ٣٧هـ .

(١) مختصر التحفة الاثني عشرية ص ٣ .

الحقيقة الثانية : أن التشيع البدعي والمخالف لأهل السنة يطلق على الرافضة أو غلاة الشيعة ، ويتميز هؤلاء بصفة واحدة قريب أن تكون كالاجماع عند علماء أهل السنة والجماعة وهي التعرض للشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما سواء بتقديم على عليهما في الامامة أو الفضل أو بغضهما وسبهما وأقول بكل صراحة ان مذهب الشيعة هذا لاصلة له البته بعلي ابن أبي طالب ولابآل بيته ونسله من بعده فهو منه براء .
ومما قال الصحابي الجليل أبو سعيد الخدري رضي الله عنه للحسين رضي الله عنهما حين هم بالسفر الى العراق : ياأبا عبد الله اني لك ناصح وعليك مشفق وقد بلغني انه قد كاتبك قوم من شيعتكم بالكوفة يدعونك الى الخروج اليهم فلاتخرج اليهم فاني سمعت أباك يقول بالكوفة : والله لقد مللتهم وأبغضتهم وملوني وأبغضوني ومايكون منهم وفاء قط ومن فاز بهم فاز بالسهم الأخيب والله مالهم نيات ولاعزم على أمر ولاصبر على السيف .(١)

وحينما تحدث البغدادي عن الشيعة قال ان روافض الكوفة موصوفون بالغدر والمشهور من غدرهم ثلاثة أشياء :

أحدها : انهم بعد قتل علي رضي الله عنه بايعوا ابنه الحسن فلما توجه لقتال معاوية غدروا به في ساباط المدائن فطعنه الجعفي في جنبه فصرعه عن فرسه وكان ذلك أحد أسباب مصالحته معاوية رضي الله عنه .

الثاني : انهم كاتبوا الحسين بن علي رضي الله عنهما ودعوه الى الكوفة لينصروه على يزيد بن معاوية فاغتر بهم

---

(١) استشهاد الحسين لابن كثير ص ٤٩ .

وخرج اليهم فلما بلغ كربلاء غدروا به وصاروا مع عبيد الله ابن زياد يدا واحدة عليه حتى قتل الحسين واكثر عشيرته بكربلاء .

والثالث : غدرهم يزيد بن على الحسين بن على بن أبى طالب بعد أن خرجوا معه على يوسف بن عمر ثم نكثوا بيعته واسلموه عند اشتداد القتال حتى قتل (١) .

ومما تؤيده النصوص المنقولة ان مصطلح الشيعة الأولى الذى ذكره ابن تيمية لايدل الا على مذهب الزيدية القائلين بامامة ابى بكر وعمر رضى الله عنهما بل ان عالمين من علماء الزيدية جزما بذلك . ويقول الحميرى وابن المرتضى : "انه لايسمى فى الصدر الأول شيعيا الا من قدم عليا على عثمان ولذلك قيل شيعى وعثمانى فالشيعى من قدم عليا على عثمان . والعثمانى من قدم عثمان على على" (٢) .

وقال ليث بن أبى سليم : "ادركت الشيعة الأولى ومايفضلون على أبى بكر وعمر أحدا" (٣) .

وروى ابن بطة عن شيخه المعروف بأبى العباس بن مسروق حدثنا محمد بن حميد حدثنا جرير عن سفيان عن عبد الله بن زياد بن جرير قال : قدم أبو اسحاق السبيعى (٤) الكوفة فقال

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٦ .
(٢) انظر الحور العين لنشوان الحميرى ص ١٧٩ ، وابن المرتضى فى المنية والأمل ص ٨١ .
(٣) المنتقى ص ٣٦٠-٣٦١ .
(٤) أبو اسحاق السبيعى عالم من علماء الكوفة روى عن الصحابى سليمان بن صرد رضى الله عنه . انظر الاصابة لابن حجر ٢٤٠/٤ توفى عام ١٢٧هـ وهو ممن عرف بالتشيع المعتدل . انظر ترجمته فى رسالة ابن حزم فى المفاضلة بين الصحابة ص ٢٨٥ .

لنا شمر بن عطية : قوموا اليه فجلسنا اليه فتحدثوا فقال أبو اسحاق : خرجت من الكوفة وليس أحد يشك فى فضل أبى بكر وعمر وتقديمهما وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون ولا والله ماأدرى مايقولون .(١)

ويعلق محب الدين الخطيب على هذا النص وأهميته ومدلوله بقوله :

"هذا نص تاريخى عظيم فى تحديد تطور التشيع فان أبا اسحاق السبيعى كان شيخ الكوفة وعالمها ولد فى خلافة أمير المؤمنين عثمان رضى الله عنه قبل شهادته بثلاث سنين وعمر حتى توفى سنة ١٢٧هـ وكان طفلا فى خلافة أمير المؤمنين على رضى الله عنه وهو يقول عن نفسه : رفعنى أبى حتى رأيت على ابن أبى طالب يخطب أبيض الرأس واللحية . ولو عرفنا متى فارق الكوفة ثم عاد فزارها لتوصلنا الى معرفة الزمن الذى كان فيه شيعة الكوفة علويين يرون مايراه امامهم من تفضيل أبى بكر وعمر . ومتى أخذوا يفارقون عليا ويخالفونه فيما كان يؤمن به ويعلنه على منبر الكوفة من أفضلية أخويه صاحبى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيريه وخليفتيه على أمته فى أنقى وأطهر أزمانها .(٢)

والخلاصة أن تعريفات الشيعة على كثرتها لاتحدد وتجمع جميع الفرق والمعالم الأساسية لمذهبهم فلابد والحالة هذه أن

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبى ص ٣٦٠ .
(٢) حاشية المرجع السابق لمحب الدين الخطيب ص ٣٦٠-٣٦١ .

يكون للشيعة الغلاة تعريف[1] وللشيعة الامامية تعريف وهى معظم تعاريف علماء الفرق وللزيدية تعريف وهو ماينطبق عليه تعريف الأشعرى .

وأما ماذكره الذهبى وابن تيمية وابن حجر فانها زيادة بيان وايضاح حول بعض معتقداتهم وغلو البعض فيها واعتدال البعض الآخر تضم الى تعريف الشهرستانى الذى ينطبق على الامامية لتكون بعد ذلك تعريفا وبيانا شاملا لفرق الشيعة ومعظم أصولهم .

ومما يستنبط ويستفاد من التعريفات اللغوية والاصطلاحية السابقة أن هناك نتيجة شرعية مهمة تستقرىء استقراء من هذه التعريفات وتدل عليها الأحداث التاريخية وبعض نصوص العلماء هذه الحقيقة هى :

ان التشيع بالمعنى اللغوى موجود فى أفاضل الصحابة وكبار التابعين فكما يقال شيعة على بن أبى طالب رضى الله عنه يقال شيعة معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما . وهناك حقيقة شرعية يجب بيانها والتذكير بها وهى : ان أهل السنة والجماعة من الصحابة والتابعين هم فى الحقيقة أصحاب على وأنصاره ومحبيه بحق وصدق وهؤلاء هم المشايعون حقيقة لأهل البيت الموالون لهم فى السراء والضراء ، يدل على ذلك

---

(١) عرف الشهرستانى الغلاة بأنهم : هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى اخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بالأحكام الالهية فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق وهم على طرفى الغلو والتقصير .
الملل والنحل للشهرستانى ١٧٣/١ .
ويعرفهم الأشعرى بقوله : هم الذين غلوا فى على وقالوا فيه قولا عظيما .
مقالات الاسلاميين ٦٦/١ .

مانقل لنا فى كتب التاريخ والسير : ان معظم الصحابة كانوا فى معسكره وان فى جيشه ممن بايع تحت الشجرة ثمانمائة صحابى رضى الله عنهم (١) . فكيف بغيرهم من سائر الصحابة . مما لاشك فيه أن العدد مع على رضى الله عنه من اخوانه الصحابة عدد كثير .

كما أن من أصحاب على طائفة من كبار التابعين من العلماء والفقهاء والعباد وحملة القرآن وجميع هؤلاء سواء من الصحابة ، والتابعين ينطلقون فى مناصرة على والانضمام اليه من منطلق شرعى حيث رأو أحقيته وأفضليته على جميع الصحابة فى عصره ومن ثم بايعوه وقالوا بخلافته بعد الخلفاء الراشدين الثلاثة فهو رابع الخلفاء الراشدين وأحد العشرة المبشرين بالجنة . فكانت مشايعة هؤلاء لعلى ومناصرته ومحبته وطاعتهم له مبنية على أمر شرعى لايجوز معه الخروج عليه من غير دليل .

واذا جاز لنا من الناحية الاصطلاحية اطلاق شيعة على على فئة أو أقوام فاننا نطلقه على التشيع المنسوب الى شريك بن عبد الله النخعى الذى كان يفضل أبا بكر وعمر فقيل له أنت من شيعة على وانت تفضل أبا بكر وعمر فقال : كل شيعة على على هذا هو يقول على أعواد هذا المنبر : خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر أفكنا نكذبه والله ماكان كذابا (٢) .

وعلى التشيع المنسوب الى أبى اسحاق السبيعى القائل

---

(١) المحبر لابن حبيب القرشى نقلا من كتاب الدولة الأموية ليوسف العشى ص ١٠٧ .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٣/٣٣-٣٦ ، النبوات لابن تيمية ص ١٣٢ .

خرجت من الكوفة وليس أحد يشك فى فضل أبى بكر وعمر وتقديمهما وقدمت الآن وهم يقولون ويقولون ولا والله ماأدرى مايقولون [١] .

وعلى التشيع الذى قام به سليمان بن صرد الخزاعى [٢] الذى كان يسمى بأمير التوابين فان تشيعه وقتاله لقتلة الحسين ابن على رضى الله عنهما انتصارا وندما على تقصير شعر به فقام بهذه الحركة التى تسمى بحركة التوابين [٣] .

وعلى مانسب الى زيد بن على بن الحسين الذى نفى عن نفسه وشيعة على الحقيقيين سبهم وتعرضهم للشيخين . فبينما كانت المعارك دائرة بين زيد وجيوش الخلافة سأله الشيعة عن رأيه فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فقال زيد : غفر الله لهما ماسمعت أحدا من أهلى تبرأ منهما وأنا لاأقول فيهما الا خيرا [٤] . هؤلاء الصحابة الأجلاء والعلماء الفضلاء يقال عنهم وعن إمثالهم انهم شيعة على الحقيقيين من غير فرقة أو ابتداع أو هوى مع ابتعادهم عن لوثة فرقة الشيعة وخطلها وزللها فليس عندهم رأى أو معتقد يختلف عن أصول أهل السنة والجماعة . ولذا يقول ابن تيمية :

ان الشيعة المتقدمين الذين صحبوا عليا أو كانوا فى

---

(١) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبى ص ٣٦٠ .

(٢) صحابى جليل وصف بالعبادة والنبل والزهد روى عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث فى الصحيحين وغيرهما وشهد مع على بن أبى طالب معركة صفين . قتل فى معركة التوابين عام ٦٥هـ .
انظر ترجمته فى الاصابة لابن حجر ٢٥٠/٤ ، سير أعلام النبلاء للذهبى ٣٩٤/٣ .

(٣) راجع الحديث بالتفصيل عن هذه الحركة تاريخ الطبرى ٥١/٥ ، البداية والنهاية لابن كثير ٢٥٠/٨ .

(٤) الفتاوى لابن تيمية ٣٥/١٣ .

ذلك الزمان لم يتنازعوا فى تفضيل أبى بكر وعمر وانما كان نزاعهم فى تفضيل على وعثمان وهذا مما يعترف به علماء الشيعة الأكابر من الأوائل والأواخر حتى ذكر مثل ذلك أبو القاسم البلخى قال : سأل سائل شريك بن عبد الله ابن أبى نمر فقال له : أيما افضل ابو بكر أو على فقال له : أبو بكر فقال له السائل تقول هذا وانت شيعى . فقال له نعم من لم يقل هذا فليس شيعيا والله لقد رقى على هذه الأعواد فقال الا ان خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ثم عمر فكيف نرد قوله وكيف نكذبه والله ماكان كذابا (١) .

كما يدل على ذلك ماذكره الحميرى – وهو شيعى – ان الشيعة الذين شايعوا عليا عليه السلام فى حياته كانوا ثلاث فرق :

(أ) فرقة منهم وهم الجمهور الأعظم الكثير يرون امامة أبى بكر وعمر وعثمان الى ان غير السيرة وأحدث الأحداث .

(ب) وفرقة منهم أقل من أولئك عددا يرون الامام بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ابا بكر ثم عمر ثم عليا ولايرون لعثمان امامة .

(ج) وفرقة منهم يسيرة العدد جدا يرون عليا أولى بالامامة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ويرون امامة أبى بكر وعمر كانت من الناس على وجه الراى والمشورة ويصوبونهم فى رأيهم ولايخطئونهم الا انهم يقولون : ان امامة على كانت أصوب وأصلح وكانت الشيعة كذلك حتى

---

(١) منهاج السنة لابن تيمية ١/٧-٨ .

مقتل الحسين .(١)

وقريب من هذا التقسيم ذكره النوبختي على الرغم من تشيعه .(٢)

وحكى الجاحظ انه كان في الصدر الأول لايسمى شيعيا الا من قدم عليا على عثمان ولذلك قيل شيعي وعثماني . فالشيعي من قدم عليا على عثمان والعثماني من قدم عثمان على علي . وكان واصل بن عطاء ينسب الى الشيعة في ذلك الزمان لأنه كان يقدم عليا على عثمان .(٣)

ويشير المقدسي الى ان التشيع الأول تشيعا حسنا لامطعن في القائلين به .

يقول : "اعلم أن الشيعة أتوا في حياة علي بن أبي طالب ثلاث فرق :

(١) فرقة على جملة أمرها في الاختصاص به والموالاة مثل عمار بن ياسر وسلمان والمقداد وجابر وأبي ذر الغفاري وعبد الله بن العباس وعبد الله بن عمر وجرير بن عبد الله البجلي ودحية بن خليفة ونظرائهم من الصحابة وهؤلاء لايظن بهم غير الحق ولانجد للطعن فيهم موضعا .

(٢) وفرقة تغالوا قليلا في أمر عثمان مع ميلهم الى الشيخين رضوان الله عليهما بعض الميل مثل عمرو بن الحمق ومحمد بن أبي بكر ومالك الأشتر وكانوا يظهرون هذا المقدار في زمن أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم .(٤)

---

(١) الحور العين لنشوان الحميري ص ١٨٠-١٨١ .
(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص ٣٧-٣٨ .
(٣) الحور العين للحميري ص ١٨١ .
(٤) البدء والتاريخ للمقدسي ١٢٤/٥-١٢٥ .

ان هذه النصوص والوقائع كفيلة بثبوت التشيع الحسن القائم على الحق والشرعية لعلى رضى الله عنه مع الاقرار بأفضلية وأحقية من سبقه من الخلفاء الراشدين وهذا كما ذكرنا سابقا يصح أن نطلق عليه تشيع حسب المدلول اللغوى .

ولذا يصف أحد المستشرقين حركة الشيعة حسب هذا المدلول بأنها كانت خلال عهدها الأول عربية تفصح عن مطامع شرعية ولم تتأثر بأفكار اجتماعية ودينية ولابمشاكل عالم الشرقى الأدنى . كما أن التشيع فى هذه المرحلة قد حافظ على هذه الطبيعة غير الدينية ولم يختلف أنصار على والعلويون عن سائر الأمة من حيث المعتقدات الدينية بوجه من الوجوه . ولذلك فقد اعتبرت الناس هذا تشيعا حسنا (١) .

أما منتحلى التشيع لعلى ومدعى محبته - وهم الذين غلب عليهم هذا اللقب فيما بعد - فهم فى الحقيقة والواقع أعداءه الذين غدروا به وغدروا بأبنائه من بعده (٢) . وهؤلاء أصحاب أهداف سيئة ومطامع عاجلة ومروجى فتنة استغلوا الأحداث والفتن بعد مقتل عثمان رضى الله عنه فى تأصيل هذا المذهب ونشره متترسين ومستترين بمحبة آل البيت والتشيع لهم وأطلقوا على هذا المذهب أو تلك الطائفة "الشيعة" وهو اطلاق ومصطلح لايعبر فى كل حال عن واقعهم وتاريخهم مع على ابن أبى طالب وآل بيته من بعده ولذلك فان التشيع بالمعنى الاصطلاحى انصرف الى هؤلاء وأصبح علما عليهم مع اعتقادى جازما بأن هذا المصطلح لاينطبق على هؤلاء بالمعنى اللغوى بل

---

(١) انظر أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ٥٨ .
(٢) ذكرت بعض الوقائع التاريخية عن غدر الشيعة بعلى بن أبى طالب وآل بيته فى ص ٤٩-٥٠ من البحث فليراجع .

ان تاريخهم وواقعهم على طرفى نقيض مع هذا المعنى . وأول مظاهر هذه الفئة حركة الثوار بقيادة ابن سبأ حينما حركوا الفتنة ونشروا النقمة على الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه وآل الأمر الى قتله رضى الله عنه فى بيته صبرا . ومن ثم أخذ هذا التيار يقوى ويزداد وينتشر بدعوى محبة على بن أبى طالب والتشيع لآل بيته مستغلا الفرقة والاختلاف بين المسلمين ومن أشهر هذه الفتن التى استغلها منتحلو التشيع وسيروها لنشر مذهبهم الفتن التالية :

(١) مقتل الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضى الله عنه والتظاهر بمبايعة على بن أبى طالب من بعده . فمن الثابت تاريخيا أن الثوار وعلى رأسهم ابن سبأ لما قتلوا عثمان رضى الله عنه بقيت المدينة خمسة أيام بأيديهم فيلتمسون عليا للخلافة فيردهم ويقول لهم : ليس ذلك اليكم وانما هو لأهل بدر فمن رضى به أهل بدر فهو الخليفة فلم يبق أحد من أولئك الا أتى اليه يطلبون بيعته (١) .

(٢) معركة الجمل . دلت الأحداث التاريخية على دور بارز لمدعى التشيع ورافعى رايته ولاسيما السبأية الذين لاينكر بأى حال من الأحوال أثرهم فى انشاب المعركة بعدما كادت راية الصلح ترفرف على الفريقين (٢) .

---

(١) انظر كتاب الثقات لابن حبان ٢٦٧/٢-٢٦٨ ، تاريخ الطبرى ٤٣٢/٤ .

(٢) لمزيد من التفصيل عن سبب نشوب المعركة ودور السبأية فى ذلك يرجع الى تاريخ الطبرى ٤٩٣/٤-٤٩٤ ، البداية والنهاية لابن كثير ٢٦٠/٧ .

(٣) مقتل واستشهاد على بن أبى طالب رضى الله عنه حيث برزت بعض المعتقدات والآراء للسبأية مارت فيما بعد أصولا للشيعة وذلك كالرجعة والغيبة حيث جاهر بها ابن سبأ وقال فيهما أقوالا مشهورة مستغلا بذلك هذه الفتنة التى أودت بحياة الخليفة الرابع من الخلفاء الراشدين (١)

(٤) مقتل واستشهاد الحسين بن على رضى الله عنهما .

فلقد استغل الشيعة هذا الحادث وسخروه لتأصيل مذهبهم على الرغم من تخاذلهم بل واشتراكهم فى قتل الحسين كما تذكر بعض الروايات (٢) . وماحركة التوابين الا دليل قاطع على غدرهم وتخاذلهم . ولأهمية وفجاعة هذا الحدث ودور الشيعة فى استغلاله فقد جزم بعض المستشرقين (٣) وبعض الكتاب المعاصرين (٤) على أن بداية التشيع بداية حقيقية ترجع الى مقتل الحسين

---

(١) عن ظهور بعض معتقدات الشيعة بعد مقتل على رضى الله عنه يراجع الفصل الثانى من الباب الأول ففيه تفصيل لها وبيان استغلال الشيعة لهذا الحدث فى تأصيل هذه المعتقدات .

(٢) يؤكد المسعودى ـ مع تشيعه ـ دور أهل الكوفة فى قتل الحسين فيقول : وكان جميع من حضر مقتله من العساكر وتولى قتله من أهل الكوفة خاصة ولم يحضرهم شامى . مروج الذهب للمسعودى ٧٤/٣ .
وعن غدر الشيعة وتخاذلهم عن الحسين يرجع الى كتاب استشهاد الحسين لابن كثير ص ٤٥-٤٩ .

(٣) وذلك كشتروتمان القائل : ان دم الحسين يعتبر البذرة الأولى للتشيع كعقيدة . انظر دائرة المعارف الاسلامية ٥٩/١٤ .
ويقول المستشرق ول ديورانت : ونشأت طائفة الشيعة على اثر مقتل الحسين وأسرته . قصة الحضارة ٣٢/٢ .

(٤) وذلك كالدكتور النشار الذى قال : ان الشيعة تكونت حقا فى هذه الفترة وأصبحت فرقة دينية تتدبر الأمر . نشأة الفكر الفلسفى ٥١/٢ .
ويقول الخربوطلى أيضا : ان الحركة الشيعية بدأ ظهورها فى العاشر من المحرم وصبغت مبادىء الشيعة بصبغة دينية ... الخ . كتاب تاريخ العراق فى ظل الأمويين ص ١٢٣ .

ابـن علـى رضى اللـه عنـه واستشهاده علـى يد الأعراب الظلمة فـى كربلاء عـام احدى وستين هجرية (١) .

ان هـذه الفتـن والأحـداث التى وقعت بقضاء اللـه وقدره استغلهـا الشـيعة وتظاهروا بمناصرة آل البيت والوقوف معهم ابـان حدوثهـا وهـذا بطبيعـة الحـال يصعب معه تحديد مصطلح الشيعة الذى يعبر عن فرقة تتكيف مع مقتضى المقام والحال . فالشـيعة ـ كمـا قـال أحـد البـاحثين المعاصرين ـ لم تولد كفكـرة وعقيـدة فجأة بل انهـا اخذت طورا زمنيـا . ولكن طلائع العقيدة الشيعية وأصل أصولهـا ظهرت علـى يد السبئية باعتراف كتب الشيعة التى قالت بأن ابن سبأ أول من أشهر القول بفرض امامـة علـى . وهـذه عقيدة النص على على بالامامة وهى أساس التشـيع . وان عبـد اللـه بن سبأ أول من أظهر الطعن فـى أبى بكـر وعمـر وعثمـان أصهـار رسـول اللـه صلى اللـه عليه وسلم وأرحامـه والصحابة ـ كما قال النوبختى وغيره ـ وهذه عقيدة الشـيعة فـى الصحابـة وانه لما بلغه نعى على بالمدائن قال للذى نعاه : كذبت لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة وأقمت على قتلـه سـبعين عـدلا لعلمنـا انه لم يمت ولم يقتل ولايموت حتى يملك الأرض وهذه عقيدة الرجعة .

وأمـا عقيـدة الشـيعة فى أن الرسول صلى اللهعليهوسلم استودع عليـا شيئـا غـير مـافى أيدى النـاس فقد وجدت هذه المقالـة فـى عهـد على رضى اللـه عنه وسئل عن ذلك فنفى هذه

---

(١) عـن مسـير الحسين بن علـى رضى اللـه عنهمـا وقصة خروجه ومـن ثم وصوله الى العراق واستشهاده يرجع الى ماذكره الامام ابـن حجر فى كتابه الاصابة ٢/٢٤٨-٢٥٣ ففى ماذكره ابن حجر غنية عن روايات الشيعة وحماقاتهم .

الدعوى نفيا قاطعا كما ثبت ذلك فى صحيح البخارى[(١)] .

هذه بعض أصول الشيعة وقد وجدت اثر مقتل عثمان وفى عهد على ولم تأخذ مكانها فى نفوس فرقة معينة بل ان السبئية ماكادت تطل برأسها حتى حاربها على رضى الله عنه ولكن ماتلا ذلك من أحداث خلق جوا صالحا لظهور هذه العقائد كمعركة صفين وحادثة التحكيم التى أعقبتها ومقتل على وابنه الحسين رضى الله عنهما كل هذه الأحداث خلقت جوا صالحا لدخول الفكر الوافد من نافذة التشيع لعلى وآل بيته مع براءتهم من أفكار الشيعة وآرائهم[(٢)] .

---

(١) صحيح البخارى كتاب العلم ٣٦/١ .

(٢) فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة للطالب ناصر القفارى ص ١٢٧ ، رسالة ماجستير فى جامعة الامام محمد ابن سعود الاسلامية عام ١٤٠٢هـ .

نشأة التشيع

اختلف الباحثون لفرقة الشيعة حول نشأتها وبدايتها وتحديد الفترة الزمنية التى ظهرت فيها هذه البدعة الكبرى .

(١) فالشيعة يحرصون أشد الحرص بل ويستميتون فى اقرار وتأكيد زعمهم المتمثل فى أن أول من وضع بذرة التشيع هو الرسول صلى الله عليه وسلم وان فرقة التشيع انما تكونت حقا فى العهد النبوى وهذه نصوصهم على هذا الرأى .

يقول العاملى نقلا عن أبى حاتم الرازى :

"ان أول اسم ظهر فى الاسلام على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم هو الشيعة وكان هذا لقب أربعة من الصحابة وهم أبو ذر وسلمان والمقداد وعمار وان لفظة شيعة كانت تقال على من شايع عليا قبل موت النبى وبعده " (١) .

ويقول شيعى آخر من المعاصرين : "ان النبى هو الذى بعث عقيدة التشيع وأوجدها ودعا الى حب على وولائه وأول من أطلق لفظ الشيعة على أتباعه ومريديه ولولاه لم يكن للشيعة والتشيع عين ولا أثر" (٢) .

وبمثل ذلك زعم آل كاشف الغطاء حتى انه عنون الفصل فى كتابه أصل الشيعة وأصولها بقوله : فصل بدء نشأة التشيع وتكونه وانه كان على عهد النبى صلى الله عليه وسلم واثبات

---

(١) كتاب الشيعة فى التاريخ للعاملى ص ٢٥-٢٦ .
(٢) كتاب الشيعة فى الميزان لمحمد جواد مغنيه ص ١٧ .

ذلك بالدليل من الكتاب والسنة ومما قال : "ان أول من وضع بذرة التشيع فى حقل الاسلام هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية يعنى ان بذرة التشيع وضعت جنبا الى جنب مع بذرة الاسلام . ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقى والرعى حتى نمت وازدهرت فى حياته ثم اثمرت بعد وفاته " (١) .

وهذا الرأى - على فداحته وخطورته - يمثل اتجاه الشيعة ورأيهم حتى زمننا الحاضر . بيد أن هذا الرأى على خطله ووضوح زلله موجود ومسطر فى مؤلفات متقدمى الشيعة فالنوبختى والقمى - من علماء الشيعة فى القرن الثالث الهجرى - اعتبرا الشيعة فرقة من أوائل الفرق الاسلامية فى العهد النبوى !!

فمما قالا : "ان أول الفرق الشيعية وهم فرقة على بن أبى طالب المسمون بشيعة على فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وبعده معروفون بانقطاعهم اليه والقول بامامته " (٢) .

ومع التتبع لكتب الشيعة نجد لديهم الحرص الشديد على رد أصل التشيع الى عهد النبى صلى الله عليه وسلم والذى دفعهم الى ذلك أمران :

الأول : اضفاء الصبغة الشرعية والاسلامية على مذهبهم وانه من تعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم وتوجيهاته وبالتالى يصبح التشيع بذرة اسلامية خالصة .

الثاني : ابعاد الفكرة القائلة ان أصل التشيع يرجع

---

(١) أصل الشيعة وأصولها لمحمد حسين آل كاشف الغطاء ص ٤٣-٥٣ .
(٢) كتاب الفرق للنوبختى ص ٣٦ ، كتاب المقالات والفرق لسعد القمى ص ١٥ .

الى جذور ومؤشرات أجنبية يهودية كانت أم مجوسية أم نصرانية ولذا يقول المظفرى أحد علماء الشيعة المعاصرين : "وأما ماذهب اليه بعض الكتاب من أن أصل مذهب التشيع من بدعة ابن سبأ المعروف بابن السوداء فهذا يعتبر وهم وقلة معرفة بحقيقة مذهبهم" (١) .

ورأى الشيعة هذا ينطوى على كذب وبهتان ليس على المسلمين فحسب بل على الهادى البشير محمد صلى الله عليه وسلم الذى جمع الله به القلوب وأزال به العداوة والبغضاء بين قبائل العرب وأحزابهم المتناحرة . فان الله عز وجل أرسل رسوله ليجمع القلوب ويؤلفها على الايمان والتقوى لاليفرقها شيعا وأحزابا . قال تعالى : {هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم} (٢) .

وقال تعالى فى وصف صحابته الكرام : {محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود ...} (٣) الآية .

كما قال تعالى عن صفة المؤمنين وبعدهم عن الخلاف مع وجوب التسليم لأمر الله وأمر رسوله صلى الله عليه وسلم {وماكان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا} (٤) .

---

(١) تاريخ الشيعة للمظفرى
(٢) سورة الأنفال : ٦١-٦٢
(٣) سورة الفتح : ٢٩
(٤) سورة الأحزاب : ٣٦

فلاخلاف على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ كما يزعم الشيعة ـ ولاجماعات ولاأحزاب وقد وقع فى هذا الخطأ الأكبر أحمد أمين حيث وافق الشيعة على اعتبار أن التشيع ظهر فى حياة النبى نفسه وان نواة الشيعة من الصحابة سلمان وأبو ذر والمقداد .(١)

والخطأ الأكبر ـ كما يقول النشار ـ فى محاولة الشيعة ارجاع مذهبهم الى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم ينتج منها انه بين يدى الرسول صلى الله عليه وسلم شيعة وسنة ولم يكن بين يديه سوى الاسلام الذى أعلن عنه القرآن بقوله : {ان الدين عند الله الاسلام}(٢) لاالتشيع ولاالتسنن ولم يكن هناك شيعة لاروحية ولاسياسية بين يدى النبوة ولم تظهر كلمة الشيعة كمصطلح على الاطلاق ابان ذلك الوقت .(٣)

(٢) ويذهب الوراق الشيعى ابن النديم الى أن التشيع انما نشأ مع معركة الجمل وصفين وذلك حينما اختلف المسلون حول بعض مسائل اجتهادية فمن كان مع على فهو شيعى ومن كان مخالفا له ومحاربا فليس بشيعى .

يقول ابن النديم فى الفهرست :

"لما خالف طلحة والزبير على على رضى الله عنه وأبيا الا الطلب بدم عثمان بن عفان وقصدهما على عليه السلام ليقاتلهما حتى يفيئا الى أمر الله جل اسمه تسمى من اتبعه على ذلك الشيعة وكان يقول : هؤلاء شيعتى" .(٤)

---

(١) انظر ضحى الاسلام لأمين ٢٠٩/٣ .
(٢) سورة آل عمران : ١٩
(٣) انظر نشأة الفكر الفلسفى للنشار ٢٥/٢ .
(٤) الفهرست لابن النديم ص ٢٢٣ .

ويكفي ردا لهذا الرأى أن جيش على رضى الله عنه فيه جمع كثير من افاضل الصحابة كابن عباس وأبى موسى الأشعرى وعمار بن ياسر وحجر بن عدى وغيرهم من أجلة الصحابة رضوان الله عليهم فهؤلاء لايجوز بحال من الأحوال اعتبارهم شيعة بالمعنى الاصطلاحى .

ويقول الأستاذ أحمد جلى فى معرض رده على هذا القول : "ان الجماعات التى ضمها معسكر الخليفة على رضى الله عنه ابان حروبه مع خصومه لاتكون حزبا منتظما يدين بالطاعة المطلقة لعلى ولاتجمعهم عقيدة مشتركة فى آل البيت فاذا ما أطلقت كلمة شيعة على هذه الجماعات فانها لاتخرج فى دلالتها عن معناها اللغوى العام الذى يشير الى الاتباع والأنصار ، ويؤيد هذا ماورد فى الصحيفة التى كانت فى التحكيم حيث ذكر فيها شيعة على الى جانب شيعة معاوية مما يدل على أن شيعة على لاتشير الى المعنى الاصطلاحى لهذا اللفظ والذى اكتسب مدلولا خاصا فيما بعد (١) . كما أن اطلاق لفظ شيعة لايفهم منه دائما فرقة الشيعة الذين رسموا لهم معتقدا يختلف عن معتقد أهل السنة والجماعة فى أصوله حيث يقال شيعة عثمان وشيعة معاوية أى أنصارهما ومما قال معاوية لبسر بن أرطأة حين وجهه الى اليمن : امض حتى تأتى صنعاء فان لنا بها شيعة (٢) " .

(٣) وهناك رأى ثالث وخلاصته أن دلالة الاصطلاح (شيعة) انما ظهرت سنة ٦١هـ أى بعد مقتل الحسين رضى الله عنه ومن

---

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ٩٦-٩٧ .
(٢) تاريخ اليعقوبى ١٧٣/٤ .

جراء ذلك ظهرت الحركة التى تسمى أصحابها بالتوابين أو الترابيين.[1]

ويحدثنا المسعودى - وهو شيعى - عن هذه الحركة فيقول "انه فى سنة خمس وستين تحركت الشيعة بالكوفة وتلاقوا بالتلاؤم والتنادم حين قتل الحسين فلم يغيثوه ورأوا أنهم قد أخطأوا خطأ كبيرا بدعاء الحسين اياهم ولم يجيبوه ولمقتله الى جانبهم فلم ينصروه ورأوا أنه لايغسل عنهم ذلك الجرم الا قتل من قتله أو القتل فيه ففزعوا الى خمسة نفر منهم وتحركوا الى القتال حتى وصلوا موضعا يسمى عين الوردة ودارت بينهم وبين عبيد الله بن زياد معركة حامية قتل فيها معظمهم ولحق باقيهم بالكوفة والبصرة وكان قائد الحركة يلقب بشيخ الشيعة".[2]

وممن قال بهذا الرأى البلاذرى فى كتابه انساب الأشراف[3]

ومن الكتاب المحدثين الدكتور النشار حيث قال: "ان الشيعة تكونت حقا فى هذه الفترة وأصبحت فرقة دينية تتدبر الأمر".[4]

وذهب الى هذا الرأى الشيبى الذى يقول: "ان اصطلاح ودلالة شيعة انما بدأ وظهر بحركة التوابين حيث استقل هذا

---

(١) اللقب الأول نسبة الى التوبة والندم ودافع الحركة كما زعم أصحابها توبتهم وندمهم من تخاذلهم وتقاعسهم عن نصرة الحسين. أما اللقب الثانى فهو نسبة الى لقب من القاب أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه حيث لقبه الرسول صلى الله عليه وسلم بأبى تراب حينما دخل عليه المسجد وهو نائم وقد لصق التراب بظهره فقال له قم أبا تراب.
انظر فتح البارى ٧/٧٠.

(٢) مروج الذهب للمسعودى ٣/١٠٠-١٠٢.

(٣) انظر انساب الأشراف ٥/٢٠٦.

(٤) نشأة الفكر الفلسفى للنشار ٢/٢١.

اللفظ لوضوح مدلوله ورسوخه فى الميدان السياسى .[(١)]

ويحلو لبعض المستشرقين أن يتبنى هذا الرأى ويعتبره نقطة واضحة لنبات مذهب الشيعة . يقول شتروتمان : "وكان مقتل الحسين الذى لقى مصرعه بسيوف جند الدولة أكثر مما كان دم على الذى اغتاله فرد من الخوارج هو بذرة مذهب الشيعة " .[(٢)]

ومع تمحيص هذا الرأى والنظر فيه فانه ينظر الى الجانب العسكرى فقط مع اهمال الجانب الفكرى والمذهبى للشيعة ، كما أنه يهمل أحداثا كبرى كان لها الأثر فى ظهور نزعة التشيع وذلك كقتل عثمان بن عفان رضى الله عنه وماتلى ذلك من فتن متعددة كمعركة الجمل وصفين ثم حادثة التحكيم وماتلى ذلك من قتل على بن أبى طالب على يد أحد الخوارج بل ان معظم كتاب المقالات والفرق يذكرون أن أكثر معتقدات الشيعة انما برزت وظهرت بموت على بن أبى طالب واستشهاده رضى الله عنه ولاسيما معتقدات السبأية من القول بالرجعة والغيبة .[(٣)]

(٤) ويذهب جمع من علماء اهل السنة والجماعة فى القديم والحديث الى القول بأن التشيع بدت بوادره تحت حركة الثوار فى آخر خلافة عثمان رضى الله عنه على يد عبد الله بن سبأ الذى تمكن من زرع بذور الفتنة وتهييجها حتى وصل الأمر الى قتل عثمان بن عفان رضى الله عنه فى

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبى ص ١٨ .
(٢) دائرة المعارف الاسلامية ٥٩/١٤ .
(٣) مقالات الاسلاميين للأشعرى ص ٨٦ ، الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٢٣-٢٢٤ ، الملل والنحل للشهرستانى ١٧٤/١

بيته مبرا ومن ثم اصبح ابن سبأ ومن معه يمثلون كيانا واصلا للتشيع بجانبيه الفكرى والسياسى كما أن فرقة السبأية هى النواة الأولى للتشيع . وهذه نصوص العلماء على هذا الرأى :

يقول الملطى عند حديثه عن الرافضة من الشيعة : "ان أهل الضلال الرافضة ثمانى عشرة فرقة يلقبون بالامامية وأولهم السبأية حيث نشأ التشيع على يد عبد الله بن سبأ" (١) .

ويقول الشهرستانى : "ان عبد الله بن سبأ هو أول من أظهر القول بالنص بامامة على رضى الله عنه ومنه انشعبت أصناف الغلاة" (٢) .

ويحدد ابن تيمية بداية التشيع بقوله : "لما وقعت الفتنة وقتل عثمان رضى الله عنه حدثت بدع التشيع كالغلاة المدعين الالهية فى على رضى الله عنه والمدعين النص عليه السابين لأبى بكر وعمر رضى الله عنهما" (٣) .

أما أصل مذهب الشيعة فيقول عنه : "انه من احداث الزنادقة المنافقين الذين عاقبهم على رضى الله عنه فى حياته فحرق منهم طائفة بالنار وطلب قتل بعضهم ففروا" (٤) .

ويرى ابن حزم هذا الرأى أيضا مع تحديده لبداية التشيع تحديدا دقيقا يقول : "ان الروافض فرق حدث أولها بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة أى

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطى ص ١٨ .
(٢) الملل والنحل للشهرستانى ١٧٤/١ .
(٣) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ٢١٨/١-٢١٩ .
(٤) المرجع السابق ص ٧/٦ .

السنة التى قتل فيها عثمان رضى الله عنه " [١] .

كما أوضح أن مبدأ التشيع وأصله يرجع الى ابن سبأ اليهودى يقول : وكان مبدأ فرق الرفض على يد طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى فى الكذب والكفر وهم القائلون بالهية على بن أبى طالب رضى الله عنه والهية جماعة معه [٢] .

وهذا الرأى - المتمثل فى ارجاع التشيع الى آخر خلافة عثمان على يد ابن سبأ - أكده جمع من المتأخرين وهذه نصوصهم على ذلك .

يقول الذهبى : "ان مبدأ ظهور المذهب الشيعى كان فى آخر عهد عثمان رضى الله عنه ثم نما واتسع على عهد على رضى الله عنه" [٣] .

ويقول الشيخ احسان الهى ظهير : "ان عبد الله بن سبأ اليهودى أراد مزاحمة الدين الاسلامى بالتظاهر والنفاق فخطط هو وجمع ممن وافقه على أهدافه فى عصر كان الخليفة فيه ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه فأثاروا الفتن وفرقوا المسلمين وجعلوا عليا ترسا لهم يتولونه ويتشيعون به ويتظاهرون بحبه والولاء له ومن هناك ويومئذ تكونت طائفة سمت نفسها الشيعة لعلى" [٤] .

كما يقول أبو زهرة : "وكان الطاغوت الأكبر عبد الله

---

(١) توفى الرسول صلى الله عليه وسلم فى السنة العاشرة من الهجرة وعند اضافة هذه السنوات العشر الى خمس وعشرين سنة نجدها توافق سنة ٣٥هـ وهى السنة التى قتل فيها عثمان بن عفان رضى الله عنه على يد الثوار بزعامة عبد الله بن سبأ .

(٢) الفصل لابن حزم ٧٨/٢ .

(٣) التفسير والمفسرون ٣/٢ .

(٤) انظر الشيعة والسنة ص ١٩-٢٠ .

ابن سبأ الذى دعا الى ولاية على بن أبى طالب ووصايته والى رجعة النبى وانه فى ظل هذه الفتن نشأ المذهب الشيعى" (١) .

ويقول محيى الدين عبد الحميد : "وعن هذه الآراء الفاسدة التى نفث سمومها عبد الله بن سبأ تفرعت آراء كثير من الفرق ومن تعاليمه تشعبت أصناف الغلاة من الشيعة والرافضة" (٢) .

كما يقول عبد الله القصيمى فى كتابه الصراع بين الاسلام والوثنية : "ان أول أمر هذه الطائفة – أى الشيعة – رجل يهودى يقال له عبد الله بن سبأ تظاهر بالاسلام وأضمر خلافه وادعى أن عليا مظلوم من قبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ يدعو الى هذا المبدأ أولا ثم غلا فيه وادعى الوهيته ... ثم يقول ان هذه الحادثة تعتبر أساسا من الأسس التى قام عليها المذهب الشيعى بل انها الحجر الأول فى بنائه وتفرعت بعد ذلك حماقات الشيعة وعقائدهم الباطلة" (٣) .

ان نظرة فاحصة فى هذه النصوص المتعددةلهذا الرأى تبين لنا رجحان الرأى الرابع المتضمن ارجاع التشيع الى ابن سبأ وأثره فى احداث الفتنة فى آخر خلافة عثمان بن عفان رضى الله عنه وحينما أرجح هذا الرأى فان هناك ماأستند اليه من أدلة اضافة الى نصوص العلماء المتقدمين والمتأخرين . وأجمل هذه الأدلة فى الجوانب الآتية :

---

(١) تاريخ المذاهب الاسلامية للشيخ محمد ابو زهرة ص ٤٦ .
(٢) مقالات الاسلاميين ص ٥٩ شرح وتعليق محيى الدين عبد الحميد .
(٣) الصراع بين الاسلام والوثنية ص ٤٠-٤١ .

(١) ان هذا الرأى ينظر الى التشيع نظرة شاملة تشمل التشيع كعقيدة (وذلك كآراء ابن سبأ عن الرجعة والوصية) كما تشمله كنظام من حيث القول بامامة على وأحقيته دون سواه .

(٢) ان ابن سبأ يعتبر أول من هاجم الخلفاء الثلاثة أبوبكر وعمر وعثمان رضى اللهعنهم واعتبرهم مغتصبين الامامة من على بن أبى طالب وفى نص النوبختى - وهو شيعى - مايؤكد ذلك يقول : "ان ابن سبأ يعتبر أول من قال بالغلو وأظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم"[1] .

(٣) ان عبد الله بن سبأ أول من ابتدع عقيدة الشيعة فى على رضى الله عنه من حيث تقديسه كشخصية من أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن حيث فكرة وصايته عن النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته وبالرجوع الى مصادر الشيعة نجد هذه الحقيقة .

فمما نقل الماقمانى فى كتابه تنقيح المقال مانصه :

"وذكر أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع بن نون وصى موسى فقال فى اسلامه مثل ذلك فى على بن أبى طالب رضى الله عنه"[2] .

كما يقول الكشى : "وكان ابن سبأ أول من أشهر القول

---

(١) فرق الشيعة للنوبختى ص ٤٠ .
(٢) المنتقى للذهبى ص ٣٠٧ حاشية رقم ٢ من تعليق محب الدين الخطيب .

بفرض امامة على بن ابى طالب رضى الله عنه " .(١)

ويؤكد النوبختى ذلك بقوله :"ان ابن سبأ أول من أشهر القول بفرض امامة على وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه " .(٢)

(٤) انه قال برجعة على ونادى بأن عليا لم يمت ولم يقتل وانه رفع الى السماء وسيرجع حتى يملك الأرض ويقود الأمة بل ان السبأية لايخصون الرجعة بعلى وحده ويقولون ان جميع الأموات سيرجعون الى الدنيا .(٣)

كما يقول القمى :"انه لما بلغ عبد الله بن سبأ نعى على بالمدائن قال للذى نعاه : كذبت لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولايموت حتى يملك الأرض ويسوق العرب بعصاه " .(٤)

وهذه الجوانب الأربع تشتمل على الأصول الأساسية والمعتقدات الأولى للتشيع مما نكاد نجزم معه بأن التشيع بدايته وظهوره ارتبط بشخصية ابن سبأ وتحركاته وآرائه التى بدأ بقذفها فى المجتمع حينما تحرك الثوار والناقمون على الخليفة عثمان رضى الله عنه حتى وصل الأمر بهم الى قتله فى بيته صبرا ومن ثم بذر البذرة الأولى للتشيع بالتظاهر فى حب على بن ابى طالب رضى الله عنه والتترس بالتشيع لآل البيت .

وقد أثار ربط التشيع بابن سبأ - كما يقول الأستاذ جلى - علماء الشيعة وباحثيهم ومن ثم حرصوا على ابعاد هذه

---

(١) الشيعة والسنة لاحسان الهى ص ٦٠ .
(٢) فرق الشيعة للنوبختى ص ٤ .
(٣) مقالات الاسلاميين للأشعرى ص ٨٦ .
(٤) المقالات والفرق للقمى ص ٢٠-٢١ .

الفئة عنهم وشنوا هجوما عنيفا على السبئية محاولين اخراجها من دائرتهم فذهبوا الى أن شخصية ابن سبأ من اختلاق خصوم الشيعة لاظهارهم بمظهر الخارجين على الاسلام والمارقين من الدين ويقولون ان شخصية ابن سبأ شخصية متوهمة لا أثر لها ولاوجود (١) .

وسوف نتحدث بالتفصيل ان شاء الله عن حقيقة ابن سبأ ودوره في نزعة التشيع في الفصل القادم (٢) .

---

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص ٩٤ .
(٢) انظر الفصل الثاني من الباب الأول .

فرق الشيعة

اشتهرت الشيعة من بين سائر الفرق الأخرى بكثرة التفرق والاختلاف فتسمت بأسماء عديدة وألقاب شتى :

فمنها ما انتسب الى شخص كالسبأية والكيسانية والجعفرية والزيدية والموسوية والاسماعيلية .

ومنها ما انتسب الى عقيدة وعمل كالرافضة والباطنية والغالية والامامية والاثنى عشرية . يقول احمد بن حمدان الرازى الشيعى الباطنى : "انه انشعب من الشيعة فرق كثيرة سميت بأسماء متفرقة وألقاب شتى وكلهم داخلون فى جملة هذا اللقب الواحد الذى يسمى الشيعة على تباينهم فى المذاهب وتفرقهم فى الآراء" (١) .

وحينما نستعرض كتب الشيعة القديمة - ولاسيما - المقالات والفرق للقمى وفرق الشيعة للنوبختى نجد أنهما يتضمنان أسماء لكثير من فرق الشيعة قد تصل الى الخمسين فرقة (٢) ، وبعدهما نشأت فرق عديدة وولدت طوائف كثيرة جميعها تنتمى للتشيع .

وحاول بعض مؤرخى الشيعة أن يطبق حديث الافتراق على طوائف الشيعة فالمسعودى قال ان طوائف الشيعة بلغت ثلاثا وسبعين فرقة (٣) ، ونقل الشهرستانى مايدلل على هذا الأساس فقال "ان اختلافات الشيعة أكثر من اختلافات الفرق كلها حتى قال

---

(١) كتاب الزينة للرازى ص ٢٥٩ ضمن كتاب الغلو للسامرائى.
(٢) ينظر الى مقدمة الكتابين والى سرد الفرق بداخلهما اجمالا فى مواضع متفرقة من الكتابين .
(٣) مروج الذهب للمسعودى

بعضهم ان نيفا وسبعين فرقة من الفرق المذكورة فى الخبر هو فى الشيعة خاصة ومن عداهم فهم خارجون عن الأمة (١) .

ومن مزاعم أحد شيوخ الرافضة قوله : "ان جميع الفرق المذكورة فى الحديث (حديث افتراق الامة الى ثلاث وسبعين فرقة) انها فرق الشيعة وان الناجية منهم فرقة الامامية وأما أهل السنة والمعتزلة وغيرهم من سائر الفرق فجعلهم من أمة الدعوة الذين لم يدخلوا فى الاسلام" (٢) .

والذى يهمنا هو حصر أصول الشيعة وذكر فرقهم الأساسية فكتاب المقالات والفرق غير الشيعية تتعدد اتجاهاتهم وآراؤهم الى أربعة آراء فى ذكر هذه الفرق أصولها وفروعها :

فالرأى الأول : ماذكره أبو الحسين الملطى فى كتابه التنبيه حيث جمع فرق الشيعة كلها سواء وسماهم الرافضة ولقبهم بالامامية وقال انهم منقسمون الى ثمانى عشرة فرقة واعتبر الاسماعيلية الفرقة الثالثة عشرة من فرق الامامية (٣) .

الرأى الثانى : اعتبار فرق الشيعة وارجاع أصولهم الى ثلاث فرق هى :

(أ) غلاة .

(ب) زيدية .

(ج) رافضة امامية .

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١/١٦٥ .

(٢) هذا القول لمحمد باقر الاسترابادى من علماء وشيوخ الشيعة فى القرن الحادى عشر الهجرى ومن القابه مير باقر الداماد ونص هذا القول فى تعليقات الأفغانى على شرح الدوانى للعقائد العضدية ضمن كتاب الأعمال الكاملة للأفغانى ١/٢١٥ .

(٣) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطى ص١٨-٣٤.

واتفق على هذا التقسيم كل من أبى الحسن الأشعرى والايجى وصاحب الفرق الاسلامية الا انهم اختلفوا فى تفريعات هذه الفرق . فالغلاة عند الأشعرى خمس عشرة فرقة والزيدية ستة أصناف جارودية وسليمانية وبترية ونعيمية ويعقوبية ولايسمى السادسة بل يقول عنها : انهم يتبرؤون من أبى بكر وعمر ولاينكرون رجعة الأموات قبل يوم القيامة والامامية اعتبرهم أربعا وعشرين فرقة (١) .

أما فرقة الاسماعيلية فاعتبرها الصنف التاسع من أصناف الرافضة الامامية الا انه يسميهم بالمباركية نسبة الى رئيس لهم يقال له المبارك (٢) .

أما الايجى فانه يذكر أن فرق الشيعة اثنتان وعشرون فرقة يكفر بعضهم بعضا ولكن أصولهم ثلاث فرق غلاة وزيدية وامامية (٣) .

أما صاحب الفرق الاسلامية فقد اعتبر الغلاة ثمانى عشرة فرقة والزيدية ثلاثة أصناف جارودية وسليمانية وبترية . أما الامامية فقد اعتبرهم فرقة واحدة ساقوا الامامة من على بن أبى طالب الى جعفر الصادق ثم ابنه موسى الكاظم ثم فى أئمتهم الاثنى عشر وآخرهم محمد بن الحسن والمسمى بالامام المنتظر (٤) .

ويرى ابن حزم هذا الرأى من حيث تقسيم فرق الشيعة الى ثلاث فرق فيقول : "ان أهل الشنع من هذه الفرقة - أى الشيعة

---

(١) انظر مقالات الاسلاميين للأشعرى ص ٦٥،١٠٥ ، ص ١٣٦-١٤٥ .
(٢) المرجع السابق ص ١٠٠-١٠١ .
(٣) شرح المواقف للايجى ٣٨٥/٨ .
(٤) مخطوطة الفرق الاسلامية ورقة ٦٦-٦٨-٧٠-٧١ .

ثلاث طوائف . زيدية وامامية ثم الغالية .(١)

ويقسم الغلاة الى قسمين :

قسم أوجب النبوة بعد النبى صلى الله عليه وسلم لغيره وهم فرق متعددة .

والقسم الثانى من فرق الغالية الذين يقولون بالالهية لغير الله عز وجل . فأولهم أصحاب عبد الله بن سبأ اليهودى الذين ألهوا عليا . واعتبر ابن حزم الاسماعيلية من هذا القسم حيث انهم قالوا بالهية محمد بن اسماعيل بن جعفر .(٢)

والخلاصة فى هذا الرأى أنه اتفق أربعة من العلماء على اعتبار فرق الشيعة الكبرى ثلاث فرق : زيدية وامامية وغلاة .

الرأى الثالث : أن فرق الشيعة (الرافضة) افترقت الى اربعة اصناف وهذا الرأى هو رأى البغدادى فى كتابه الفرق بين الفرق وهذه الأصناف الأربعة هى :

(١) الزيدية : وهم ثلاث فرق جارودية وسليمانية وبترية . ويجمع هذه الفرق القول بامامة زيد بن على بن الحسين.

(٢) الامامية وعددهم خمس عشرة فرقة ويقول ان فرق الزيدية وفرق الامامية معدودون فى فرق الأمة .

(٣) الكيسانية :(٣) وهم فرق كثيرة ولكنهم عند التحصيل يرجعون الى فرقتين :

احداهما : تزعم أن محمد بن الحنفية حى لم يمت وهم

---

(١) الفصل لابن حزم ١٧٩/٤ .
(٢) المرجع السابق ١٨٣/٤-١٨٦ .
(٣) سموا كيسانية لأن المختار الذى خرج وطلب بدم الحسين ابن على ودعا الى محمد بن الحنفية كان يقال له كيسان ويقال انه مولى لعلى بن أبى طالب .
انظر مقالات الاسلاميين للأشعرى ص ٩١ .

على انتظاره وانه المهدى المنتظر .

والثانية : مقرون بامامة محمد بن الحنفية ولكنهم يقولون بموته وان الامامة انتقلت الى غيره مع خلاف بينهم فى المنقول اليه .

ولايذكر حكمه على الكيسانية كما حكم على الامامية والزيدية غير انه يجمع فرق الروافض ويضم الكيسانية اليهم فيقول فهذه عشرون فرقة من فرق الروافض منها ثلاث زيدية وفرقتان من الكيسانية وخمس عشرة فرقة من الامامية .

(٤) الغلاة : وهم الذين قالوا بالهية الأئمة وأباحوا محرمات الشريعة وأسقطوا الفرائض ولايحصر فرقهم وانما يذكر أصنافا لهذه الفرقة ويحكم عليها بانها ليست من فرق الاسلام وان كانوا منتسبين اليه (١) .

الرأى الرابع : رأى الشهرستانى الذى حصر فرق الشيعة وبين أن أصولها يرجع الى خمس فرق وهى :

(١) الكيسانية وهم منقسمون الى أربع فرق وهى : المختارية والهاشمية ، والبيانية ، والرزامية .

(٢) الزيدية وهم أصناف ثلاثة : جارودية وسليمانية وبترية او صالحية .

(٣) الامامية وقسمهم الى سبع فرق وهى :

(أ) الباقرية والجعفرية الواقفة .

(ب) الناووسية .

(ج) الافطحية .

(د) الشميطية .

---

(١) انظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٥-١٧ .

(هـ) الاسماعيلية الواقفة .

(و) الموسوية والمفضلية .

(ز) الاثنا عشرية .

(٤) الغالية : وهم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخلقية وحكموا فيهم بأحكام الالهية وهم أحد عشر صنفا وجميع هذه الأصناف مخالفة للاثنين والسبعين فرقة .

(٥) الاسماعيلية وهم الذين اثبتوا الامامة لاسماعيل بن جعفر واشهر القابهم الباطنية والقرامطة والمزدكية والتعليمية والملحدة (١) .

انـنا حينما نستعرض هذه الآراء الأربعة نجد أن أرجحها ماذهب اليه الامام البغدادى والذى اعتبر فرق الشيعة أربعا فقط : زيدية وامامية وكيسانية وغلاة وبيان ذلك من وجوه ثلاثة :

الأول : ان ماذهب اليه الشهرستانى من اعتبار الاسماعيلية فرقة قائمة وحدها يعتبر خطأ حيث ان الاسماعيية فرقة ضمن فرق الغلاة وهى تمثل الغلو بكل حال فى فرق الشيعة فهى فرقة من فرق الغلاة لاسيما اذا تذكرنا ان جذورها يرجع الى حركتى الخطابية والباطنية (٢) .

فالاسماعيلية بهذا لاتعتبر فرقة قائمة لوحدها ولم تنشأ الاسماعيلية او تظهر الا بعد موت جعفر الصادق سنة ١٤٨هـ حينما تجمع فلول الخطابية والتفوا حول اسماعيل بن جعفر

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١٤٧/١-١٩٢ .

(٢) سوف ان شاء الله نفصل القول فى ذلك فى الباب الثانى الفصل الثانى .

الذى كان له صلة بأبى الخطاب ومن ثم نادوا بامامته فأصبح الشيعة فى سوق الامامة حزبان حزب ينادى ويتبنى امامة اسماعيل . وحزب يقول بامامة موسى الكاظم وهم الامامية الاثنا عشرية .

الوجه الثانى : ان ماذهب اليه أصحاب الرأى الثانى من تحديد فرق الشيعة بثلاث فرق زيدية وامامية وغلاة وان الكيسانية بفرقها المتعددة داخلة ضمن الرافضة الامامية . ان هذا الرأى فيه قصور مع مايقع القائلون به من خلط واضطراب . فمن المعروف ان الكيسانية يختلفون كثيرا عن فرق الشيعة الأخرى سواء فى شخصيات الائمة أو فى بعض المعتقدات ولذا لابد من اعتبارهم فرقة قائمة لوحدها . فآراء الكيسانية مثلا فى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما ليست كآراء الرافضة .

كما أن من آراء الكيسانية القول بامامة محمد بن الحنفية وعقبه من بعده بينما الامامية الرافضة لايرون امام له مع وجود الحسين بن على ونسله من بعده .

ويتضح اضطراب أصحاب هذا الرأى حينما نجد الأشعرى يذكر بعض فرق الكيسانية مرة مع فرق الغلاة ومرة مع فرق الرافضة الامامية .(١)

فلابد والحالة هذه من اعتبار الكيسانية فرقة قائمة بذاتها من فرق الشيعة المتعددة لأن لها مبادىء تختلف بها مع الغلاة والرافضة الامامية وهذا مافعله البغدادى حيث اعتبرها فرقة رابعة من فرق الشيعة .

---

(١) مقالات الاسلاميين للأشعرى ص ٦٨، ٩١-٩٢ .

الوجه الثالث : ان الرأى الأول وهو اعتبار الشيعة فرقة واحدة فيه تسوية بين المتضادات وجمع بين المختلفات فالشيعة الغلاة ليسوا كالشيعة الزيدية والشيعة الامامية ليسوا كالشيعة الكيسانية فالاختلاف بين هذه الفرق واضح كل الوضوح لايخفى على مطلع سواء أكان هذا الاختلاف فى المعتقدات أو فى سوق الامامة وشخصيات الأئمة .

وقد وقع الملطى من جراء هذا الرأى فى اضطراب حيث ذكر أن فرقة من السبأية تقول بامامة محمد بن الحنفية ثم ذكر بعض معتقداتهم التى تتصل بالكيسانية (١) وهذا لم يقله أحد البتة سواء من علماء الفرق والمقالات أو غيرهم .

كما يتضح الاضطراب بدرجة أكثر عنده حينما ذكر الفرقة الثالثة عشرة من الامامية فقال عنهم انهم الاسماعيلية والزمهم بآراء ومعتقدات عرفت للشيعة الاثنى عشرية المخالفين للشيعة الاسماعيلية (٢) .

والذى أوقعه فى هذا الاضطراب منهجه فى عرض فرق الشيعة واعتبارها فرقة واحدة .

ومن الجدير بالذكر أن تسمية الشيعة بالرافضة كانت فى أوائل القرن الثانى للهجرة ابان خلافة هشام بن عبد الملك على اختلاف بين علماء الفرق فى سبب ذلك (٣) . وهذا واضح الدلالة على ان هذا المصطلح انما نشأ فيما بعد ولايجوز بحال اطلاقه

---

(١) انظر التنبيه للملطى ص ١٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٢ .
(٣) انظر مقالات الاسلاميين للأشعرى ص ٨٩ ، الملل والنحل للشهرستانى ١/١٥٥ ، التبصير فى الدين للاسفرائينى ص ٢٩-٣٠ ، الفتاوى لابن تيمية ١٣/٣٣-٣٦ .

على جميع فرق الشيعة كالزيدية مثلا فمما يدل على خطئ هذا الرأى وعدم انطباقه على فرق الشيعة . وعلى هذا فان أقرب الآراء الى الحقيقة والواقع ماذهب اليه البغدادى لجمعه أصول فرق الشيعة وانطباقه على واقع الشيعة وتاريخهم .

الفصل الثانى

أصول التشيع الأولى

(١) تمهيد .

دأب الشيعة قديما وحديثا يكررون القول بأن التشيع ماهو الا بذرة نبوية تولى الرسول صلى الله عليه وسلم وضعها فى تربة الاسلام بيده وتولاها بالرعاية والنماء وزعموا دليلا لذلك أنه عليه الصلاة والسلام اختار جمعا من الصحابة لموالاة على ومحبته أكثر من غيره من الصحابة . وعن هذا الزعم يقول القمى - أحد علماء الشيعة القدامى - : "فأول الفرق الشيعية فرقة على بن أبى طالب المسمون شيعته فى زمان النبى صلى الله عليه وسلم وبعده معروفون بانقطاعهم اليه والقول بامامته منهم المقداد بن الأسود وسلمان الفارسى وأبو ذر الغفارى وعمار بن ياسر . وان لفظ شيعة كانت تقال على من شايع عليا قبل موت النبى وبعده" (١) .

وبمثل ذلك قال النوبختى فى كتابه "فرق الشيعة" (٢) .

كما نقل العاملى عن أبى حاتم الرازى قوله : "ان أول اسم ظهر فى الاسلام على عهد رسول الله هو الشيعة وكان هذا لقب أربعة من الصحابة وهم أبو ذر وسلمان والمقداد وعمار وان لفظ شيعة كانت تقال على من شايع عليا قبل موت النبى وبعده" (٣) .

---

(١) المقالات والفرق للقمى ص ١٥ .
(٢) الفرق للنوبختى ص ٣٦ .
(٣) الشيعة فى التاريخ للعاملى ص ٢٥-٢٦ .

ومن المعاصرين آل كاشف الغطاء يقول مرددا هذا الزعم "ان أول من وضع بذرة التشيع فى حقل الاسلام هو نفس صاحب الشريعة الاسلامية مع بذرة الاسلام جنبا الى جنب وسواء بسواء ولم يزل غارسها يتعاهدها بالسقي والرعي حتى نمت وازدهرت فى حياته ثم أثمرت بعد وفاته ".(١)

ويقول المظفرى : "ان الدعوة الى التشيع ابتدأت من اليوم الذى هتف فيه المنقذ الأعظم محمد صلوات الله عليه صارخا بكلمة لااله الا الله ".

ثم يضيف قائلا : "فكانت الدعوة الى التشيع لأبى الحسن من صاحب الرسالة تمشى معه جنبا الى جنب مع الدعوة للشهادتين ومن ثم كان أبو ذر الغفارى من شيعة على عليه السلام ".(٢)

وهكذا يحرص متكلموا الشيعة وعلماؤهم قديما وحديثا على هذه الفرية وهى رد اصل التشيع الى عهد النبى صلى الله عليه وسلم ليجعلوا بدعتهم بذرة اسلامية خالصة .

ويعلل الدكتور صبحى هذه المغالطة الفاحشة من الشيعة بأنها ليست الا محاولة من جانب متكلمى الشيعة لنقض دعوى خصومهم القائمة على رد معتقدات الشيعة الى أصول أجنبية .(٣)

---

(١) أصل الشيعة وأصولها لمحمد حسين آل كاشف الغطاء ص ٤٣

(٢) تاريخ الشيعة للمظفرى .

(٣) ومما يدل على هدف الشيعة هذا مانقل عن بعض كتابهم ولاسيما المعاصرين منهم . يقول أحدهم : "وأما ماذهب اليه بعض الكتاب من أن أصل مذهب التشيع من بدعة ابن سبأ المعروف بابن السوداء فهو وهم وقلة معرفة بحقيقة مذهبهم ".
تاريخ الشيعة لمحمد حسين المظفرى ١٠ نقلا من كتاب نظرية الامامة لأحمد صبحى ص ٣٠-٣١ .

كما يرد عليهم بقوله : "ان عهد النبى صلى الله عليه وسلم خير وصف دقيق له قوله تعالى : {وماكان لمؤمن ولامؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم} (١) فلم يكن ثمة خلاف على عهد رسول الله وبالتالى لاجماعات ولا أحزاب (٢).

وحينما ذكر الدكتور النشار محاولة الشيعة الجاهدة أو حيلتهم - كما يسميها - قال : "والخطأ الأكبر فى هذه المحاولة أنه لم يكن بين يدى الرسول شيعة وسنة وقد أعلن القرآن {ان الدين عند الله الاسلام} (٣) لاالتشيع ولاالتسنن وأتى الاسلام لكى يرفع الحجز بين الناس . وأخيرا لم تظهر كلمة الشيعة كمصطلح على الاطلاق ابان ذلك الوقت كما لم يكن هناك شيعة لاروحية ولاسياسية بين يدى النبوة" (٤).

ويوجز أحد علماء السنة المعاصرين الرد على هذه الفرية بقوله :

"ان هذه المقالة من الشيعة مغالطة فاحشة خرجت عن حدود كل أدب وانها افتراء على النبى صلى الله عليه وسلم وتحريف للآيات ولعب بالكلمات ويتعجب من قول آل كاشف الغطاء ان أول من وضع بذرة التشيع فى حقل الاسلام هو نفس صاحب الشريعة فيقول : أى حبة بذر النبى حتى أنبتت سنابل اللعن والتكفير للصحابة وخيار الأمة وسنابل الاعتقاد بأن القرآن محرف بأيدى منافقى الصحابة وان وفاق الأمة ضلال وان الرشاد فى خلافها

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٦
(٢) انظر نظرية الامام لأحمد محمود صبحى ص ٣١ .
(٣) سورة آل عمران : ١٩
(٤) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام للنشار ٢/١٤-١٥ .

حتى توارت العقيدة الحقة فى لج من ضلال الشيعة جم" (١) .

وخلاصة القول : أن رأى الشيعة هذا ينطوى على كذب وبهتان ليس على المسلمين فحسب بل على هادى البشرية وجامع كلمتها وموحدها بعد فرقة محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام . ومن المعانى العظيمة والأهداف النبيلة التى أرسله الله بها جمع القلوب وتأليفها على الايمان والتوحيد الخالص لاتفريقها وتشتيتها شيعا وأحزاب كما قال تعالى : {هو الذى أيدك بنصره وبالمؤمنين وألف بين قلوبهم} (٢) فعهد الرسول صلى الله عليه وسلم خير العهود وأصفاها وأبعدها عن التفرق والتشتت فلم يكن ثمة خلاف أو جماعات وأحزاب فى حياته صلى الله عليه وسلم وحتى بعد وفاته الى أن ظهرت الفرق وكثرت البدع والأهواء بعد انقراض معظم الجيل الأول من الصحابة رضوان الله عليهم .

(٢) ابن سبأ وبدء ظهور أصول التشيع .

مما يتعلق بأصول الشيعة الأولى ارتباط التشيع بظهور ابن سبأ الذى دعا الى ولاية على ووصايته ومن ثم المناداة والمجاهرة برجعته . ودأب الشيعة كثيرا - ولاسيما متأخروهم على قطع أى صلة بينه وبين الشيعة حينا أو انكاره حينا آخر أو الزعم بأن شخصيته انما هى شخصية الصحابى الجليل عمار ابن ياسر رضى الله عنه مما يتطلب دراسة وبيانا لهذه الشخصية وارتباط التشيع بها تاريخا واعتقادا وبالتالى

---

(١) كتاب الوشيعة للشيخ موسى جار الله
(٢) سورة الأنفال : ٦٢-٦٣

يتضح لنا الدور الاجنبى فى اصول الشيعة الأولى .

فأقدم المصادر التى تتحدث عن ابن سبأ وطائفته ماجاء فى كتاب الحسن بن محمد بن الحنفية والذى أمر بقراءته على الناس وفيه : ومن خصومة هذه السبئية التى أدركنا . اذ يقولوا هدينا لوحى ضل عنه الناس.

كما أن ابن حبيب البغدادى المتوفى سنة ٢٤٥هـ ذكر ابن سبأ باسمه واعتبره أحد أبناء الحبشيات .

بل ان ابن عساكر ذكر فى تاريخه رواية أقدم حيث نقل عن الشعبى المتوفى عام ١٠٣هـ أن أول من كذب عبد الله بن سبأ .

أما البلاذرى فيذكر ابن سبأ فى جملة من أتوا الى على يسألونه عن رأيه فى أبى بكر وعمر وحينما كتب على الكتاب الذى أمر بقراءته على شيعته كان عند ابن سبأ نسخة منه وقد حرفها .

أما الطبرى فقد افاض فى ذكر أخبار ابن سبأ وآثاره معتمدا فى الغالب على روايات سيف بن عمر وخلاصة ماذكره عن ابن سبأ أنه رأس الفتنة وأساس البلاء .

ومما ذكر ابن عساكر عن تعريف ابن سبأ قوله : "عبد الله بن سبأ الذى تنسب اليه السبئية وهم الغلاة من الرافضة أصله من اليمن كان يهوديا وأظهر الاسلام وطاف بلاد المسلمين ليلفتهم عن طاعة الائمة ويدخل بينهم الشر وقد دخل دمشق لذلك فى زمن عثمان بن عفان ويروى ابن كثير ان من أسباب تألب الاحزاب على عثمان ظهور ابن سبأ وصيرورته الى مصر واذاعته على الملأ كلاما اخترعه من عند نفسه فيقول :

اليس قد ثبت أن عيسى سيعود الى هذه الدنيا ؟ فيقول الرجل نعم فيقول له : فرسول الله افضل منه فما تنكر أن يعود الى هذه الدنيا وهو أشرف من عيسى ثم يقول وقد كان أوصى الى على فمحمد خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء . ثم يقول فهو احق بالأمر من عثمان . وعثمان معتد فى ولايته ماليس له فأنكروا عليه وأظهروا الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فافتتن به بشر كثير من أهل مصر"(١).

هذه كتب التاريخ منذ القرن الأول الهجرى تتحدث عن السبأية كطائفة وتتحدث عن ابن سبأ كزعيم لها وهى أدلة قوية تشهر بوجوده حقيقة وتبين دوره فى نشر آراء ومعتقدات اصبحت فيما بعد أصولا للتشيع .

ويتأكد الأمر بدرجة أكثر اذا رجعنا الى كتب علم الرجال عند المحدثين حيث نجد له ذكرا على النحو التالى :

يقول ابن حبان صاحب كتاب المجروحين : "وكان الكلبى(٢) سبئيا من أصحاب عبد الله بن سبأ من أولئك الذين يقولون ان عليا لم يمت وانه راجع الى الدنيا قبل قيام الساعة فيملؤها عدلا كما ملئت جورا وان رأوا سحابة قالوا : أمير المؤمنين فيها " .

وقال أيضا فى ترجمة جابر بن يزيد الجعفى : "وكان سبئيا من أصحاب عبد الله بن سبأ وكان يقول ان عليا عليه

---

(١) انظر كتاب عبد الله بن سبأ للعودة ص ٥٣-٥٥ .
(٢) هو محمد بن السائب الكلبى صاحب التفسير والنسابة المشهور من أهل الكوفة توفى سنة ١٤٦هـ أجمع على سبأيته معظم كتب التراجم والرجال .
انظر كتاب عبد الله بن سبأ وأثره فى احداث الفتنة للعودة ص ٢٢٧ .

السلام يرجع الى الدنيا " .

ويقول عنه الذهبي : "عبد الله بن سبأ من غلاة الشيعة ضال مضل" . بل في موضع آخر قال عنه : "انه من غلاة الزنادقة ضال مضل أحسب أن عليا حرقه بالنار . كما انه المهيج للفتنة بمصر وباذر بذور الشقاق والنقمة على الولاة ثم على الامام فيها " .

أما ابن حجر فقال : "ان أخبار عبد الله بن سبأ شهيرة في التواريخ وليست له رواية والحمد لله " (١) .

ويقول ابن تيمية عن عبد الله بن سبأ : "وقد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض انما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ فانه أظهر الاسلام وأبطن اليهودية وطلب أن يفسد الاسلام كما فعل بولص النصراني الذي كان يهوديا في افساد دين النصارى" (٢) .

ويتفق مشاهير العلماء من أصحاب الفرق والمقالات على ذكر عبد الله بن سبأ وانه شخصية خبيثة ظهرت في مجتمع المسلمين بعقائد وأفكار ليلفت المسلمين عن دينهم ثم اجتمع اليه من غوغاء الناس ماتكونت بهم طائفة السبأية المشهورة مع اختلاف بينهم في عرض أخباره وذلك كالأشعري والملطي والبغدادي وابن حزم الأندلسي والاسفرائيني والشهرستاني والرازي .

وخلاصة القول ان هذه النصوص من المحدثين والمؤرخين وكتاب الفرق والمقالات تأكيدات واضحة واجماع لايقبل النقض

---

(١) هذه النصوص منقولة من كتاب عبد الله بن سبأ ص ٥٥-٥٦.
(٢) الفتاوى لابن تيمية ٤٨٣/٢٨ .

أو الانكار بشأن ثبوت شخصية ابن سبأ ودوره فى نشر الأصول الشيعية الأولى .

ومن باب التنزل مع الخصم والجامه ننتقل الى نصوص الشيعة المتقدمين ففيها رد واضح ونقض لمزاعم متأخرى الشيعة المنكرين لشخصية ابن سبأ .

فمما أورد الناشىء الأكبر عن ابن سبأ والسبئية مانصه "وفرقة زعموا أن عليا عليه السلام حى لم يمت وانه لايموت حتى يسوق العرب بعصاه وهؤلاء هم السبئية أصحاب عبد الله بن سبأ وكان عبد الله بن سبأ رجلا من أهل صنعاء يهوديا أسلم على يد على وسكن المدائن" (١) .

وذكر القمى – من مشاهير علماء الشيعة فى آخر القرن الثالث الهجرى – أن عبد الله بن سبأ أول من أظهر الطعن على أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة وتبرأ منهم وادعى أن عليا أمره بذلك وأن التقية لاتجوز (٢) فأخبر على فسأله عن ذلك فأقربه وأمر بقتله فصاح الناس اليه من كل ناحية : ياأمير المؤمنين أتقتل رجلا يدعو الى حبكم أهل البيت وآلى ولايتك والبراءة من أعدائك فسيره الى المدائن (٣) .

وبمثل ذلك قال النوبختى ونقل الرواية التى تنص على تكذيب ابن سبأ لمن قال بموت على ، فمما قال للذى نعى له على بن أبى طالب : "كذبت لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة واقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل

---

(١) مسائل الامامة ص ٢٢-٢٣ للناشىء الأكبر المتوفى سنة ٢٩٣هـ .
(٢) لم تكن التقية قد أصبحت مبدأ شيعيا على نحو ماصارت عليه فيما بعد عند الشيعة .
(٣) المقالات والفرق ص ٢٠ .

ولايموت حتى يملك الأرض" (١) .

ومما ذكر الكشى فى كتابه عن رجال الشيعة روايات عدة بأسانيدها تؤكد حقيقة ابن سبأ وتبين شيئا من معتقداته وأخباره قال : "حدثنى محمد بن قلويه القمى قال حدثنى سعد ابن عبد الله بن أبى خلف القمى قال حدثنى محمد بن عثمان العبدى عن يونس بن عبد الرحمن بن سنان قال حدثنى أبو جعفر عليه السلام : ان عبد الله بن سبأ كان يدعى النبوة ويزعم أن أمير المؤمنين عليه السلام هو الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فبلغ ذلك أمير المؤمنين عليه السلام وسأله فأقر بذلك وقال نعم أنت هو . وقد كان القى فى روعى انك أنت الله وانى نبى فقال له أمير المؤمنين عليه السلام : ويلك قد سخر منك الشيطان فارجع عن هذا ثكلتك أمك وتب فأبى فحبسه واستتابه ثلاثة أيام فلم يتب فأحرقه بالنار وقال ان الشيطان استهواه فكان يأتيه ويلقى فى روعه ذلك" .

وعن ابان بن عثمان قال سمعت أبا عبد الله يقول لعن الله بن سبأ انه ادعى الربوبية فى أمير المؤمنين وكان والله أمير المؤمنين عبدا لله طائعا الويل لمن كذب علينا وان قوما يقولون فينا مالانقوله فى أنفسنا نبرأ الى الله منهم نبرأ الى الله منهم (٢) .

أما رئيس المحدثين عند الشيعة أبو جعفر الصدوق فقد ذكر فى الحديث الثامن من باب التعقيب مانصه : "وقال أمير المؤمنين عليه السلام : اذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع

---

(١) فرق الشيعة للنوبختى ص ٢٣ .
(٢) معرفة أخبار الرجال ص ٧٠ ، رجال الكشى ص ٩٨-١٠٠ .

يديه الى السماء ولينصب فى الدعاء فقال ابن سبأ :ياأمير المؤمنين اليس الله عز وجل بكل مكان قال بلى قال فلم يرفع يديه الى السماء قال أوماتقرأ : {وفى السماء رزقكم وماتوعدون} (١) فمن اين يطلب الرزق الا من موضعه وموضع الرزق وماوعد الله عز وجل السماء" (٢) .

وخلاصة القول أن هذه نصوص شيعية تدين من حاول من متاخرى الشيعة انكار ابن سبأ أوالتشكيك فى أخباره وبمقارنة منطقية بين مصادر الشيعة الأولى والمتأخرة من حيث التوثيق والأقرب الى الواقع فلاشك أن الأولى هى المقدمة والمعتبرة - فيما يتعلق بمسألة من مثل هذه - لقربها من الأحداث أولا ولأنها مسنده ولكثرة الكذب عند متاخرى الشيعة أكثر من متقدميهم .

أما الزعم بأن ابن سبأ هو شخصية رمزية لعمار بن ياسر فانه زعم خال من الأدلة وترده كتب الجرح والتعديل وكتب التراجم والتاريخ عند أهل السنة . وكذلك كتب الرجال الموثقة عند الشيعة فهى تذكر عمار بن ياسر رضى الله عنه ضمن أصحاب على والرواة عنه وهو أحد الأركان الأربعة عندهم (٣) . ثم هى تذكر فى موضع آخر ترجمة ابن سبأ فى معرض السب واللعنة فهل يمكن اعتبار الرجلين شخصية واحدة .

وكيف التوفيق بين صحابى جليل له قدم راسخة فى الاسلام

---

(١) سورة الذاريات : ٢١
(٢) من لايحضره الفقيه ٢١٣/١ .
(٣) المقصود بالأركان الأربعة عند الشيعة عدد أربعة من الصحابة اختارهم الشيعة وزعموا أنهم النواة الأولى للتشيع من الصحابة وهم أبو ذر وسلمان والمقداد وعمار

شهد له الرسول صلى الله عليه وسلم ولأسرته بالجنة مع شخص يهودى تظاهر بالاسلام نفاقا واشتهر بعقيدة الرجعة والوصية .

ويشتد العجب بدرجة أكثر حينما نرجع الى تاريخ عمار رضى الله عنه فانه ثبت نصا أنه استشهد فى معركة صفين (١) بينما معظم الأخبار التاريخية والأحداث التى قام بها ابن سبأ ـ ولاسيما معتقدات السبأية ـ بعد معركة صفين وفى آخر حياة على رضى الله عنه وبعد وفاته .

وبالجملة فان هذا الزعم دافعه هوى فى نفوس أصحابه وهو محاولة تبرئة التشيع مما يتهم به من أن أصله رجل يهودى لم يكن له من الاسلام نصيب (٢) .

ومن كل ماسبق نخلص الى أن عبد الله بن سبأ شخصية تاريخية واقعة تؤكدها المصادر والمراجع قديمها ومعظم حديثها سنية أو شيعية وبعد ذلك لايعزر أحد بانكارها أو التشكيك فيها .

ويبقى بعد ذلك السؤال . ماصلة ابن سبأ بالتشيع والشيعة ؟

وللاجابة على ذلك لابد من بيان المعتقدات التى نادى بها ابن سبأ واشتهر بها مع مايضاف الى معتقدات فرقة السبأية المنسوبة اليه .

(١) فمما اشتهر به ابن سبأ بل انه أول من ابتدع ذلك وتابعه عليه الشيعة وأصبح شعارا لهم مهاجمة الخلفاء

---

(١) الاصابة لابن حجر ٦٥/٧ ونص عبارة ابن حجر "وأجمعوا على أن عمار قتل مع على بصفين سنة سبع وثلاثين للهجرة " .

(٢) انظر عبد الله بن سبأ لسليمان العوده وقد أطال فى عرض آراء الخصوم والرد عليها بما فيه الكفاية ص ٥٣-١١٠ .

الراشدين الثلاثة قبل على رضى الله عنهم جميعا وسبهم بل ولعنهم وتكفيرهم ورميهم بالنفاق والردة .

ومما ذكر القمى والنوبختى - وهما من مشاهير علماء الشيعة المتقدمين - أن أول من أظهر الطعن فى أبى بكر وعمر وعثمان والصحابة والبراءة منهم عبد الله بن سبأ (١) .

وأصبح ذلك فيما بعد دينا للسبأية والرافضة وفرق الباطنية حتى أن علماء السلف من التابعين ومن تبعهم باحسان يستدلون على كون الرجل سبأيا أو شيعيا رافضيا بسبه وشتمه لأحد من صحابة رسول الله عليه الصلاة والسلام .

ففى طبقات ابن سعد أن رجلا كان يأتى لابراهيم النخعى فيتعلم منه فيسمع قوما يذكرون أمر عثمان وعلى فقال : أنا اتعلم من هذا الرجل وأرى الناس مختلفين فى أمر على وعثمان فسأل ابراهيم النخعى عن ذلك فقال : ما أنا بسبأى ولامرجىء (٢) .

وذكر ابن حجر أن سويد بن غفلة دخل على على فى امارته فقال انى مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يرون انك تضمر لهما مثل ذلك منهم عبد الله بن سبأ - وهو أول من أظهر ذلك - فقال على : ومالى ولهذا الخبيث الأسود ثم قال معاذ الله أن أضمر لهما الا الحسن الجميل ثم أرسل الى ابن سبأ فسيره الى المدائن ونهض الى المنبر حتى اذا اجتمع الناس اثنى عليهما خيرا ثم قال الا لايبلغنى عن أحد يفضلنى عليهما الا جلدته حد المفترى (٣) .

---

(١) فرق الشيعة ص ٤٤ ، المقالات والفرق ص ٢٠ .
(٢) طبقات ابن سعد ١٩٦/٦ .
(٣) لسان الميزان ٢٩٠/٣ .

ويقول ابن تيمية : "انه روى عن على بأسانيد جيدة أنه قال لاأوتى بأحد يفضلنى على أبى بكر وعمر الا جلدته حد المفترى وقد طلب ابن سبأ كما بلغه عنه ذلك ليقتله فهرب منه "[1] .

وفى الصواعق المحرقة : "ان السبأية كانوا يسبون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قليلا وينسبونهم الى الكفر والنفاق ويتبرأون منهم ولذا سموا أيضا بالتبرئية "[2] .

ويقرر هذا المبدأ لدى ابن سبأ أحد علماء الشيعة المعاصرين بقوله : "لاشك ان هذا الذى لقنه ابن سبأ وأوصى به كان تطورا خطيرا فى النظر الى السابقين الأولين وهم الصحابة جلة المسلمين وان تجريحهم انما كان تشجيعا وحضا على تمزيق لباس الهيبة والجلال الذى أضفاه عليهم تاريخهم فى الاسلام وكان فتحا للطريق وتمهيدا لمن لم يتمكن الاسلام فى قلبه ليمرق منه وذلك مانلحظه فى هذه الطائفة التى اتبعت تعاليمه ونسبت اليه وسميت السبأية "[3] .

(٢) كما أن ابن سبأ أول من ابتدع عقيدة الشيعة فى على رضى الله عنه من حيث تقديسه كشخصية من أقارب الرسول صلى الله عليه وسلم ومن حيث فكرة وصايته عن النبى صلى الله عليه وسلم بعد موته وكتب الشيعة أنفسهم تؤكد ذلك ومما نقل المامقانى – وهو شيعى – فى كتابه تنقيح المقال مانصه :

---

(١) الفتاوى ٤٧٥/٢٨ .
(٢) الصواعق المحرقة ص ٦ .
(٣) حركات الشيعة المتطرفين لمحمد جابر عبد العال ص ٢٢ .

"وذكر أهل العلم أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا وكان يقول - وهو على يهوديته - فى يوشع ابن نون وصى موسى فقال فى اسلامه مثل ذلك فى على بن أبى طالب رضى الله عنه " (١) .

ويؤكد النوبختى ذلك - وهو شيعى أيضا - بقوله : "ان ابن سبأ أول من أشهر القول بفرض امامة على وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه " (٢) .

كما يقول الكشى : "وكان ابن سبأ أول من أشهر القول بفرض امامة على بن أبى طالب رضى الله عنه " (٣) .

بل أن الغلو والانحراف عند ابن سبأ وأتباعه من السبأية لم يقف عند هذا الحد فى على بن أبى طالب وآله حيث تعتقد السبأية الوهية على والقول بأنه هو الاله وهذا من أشد الغلو وأقبح الانحراف بل انه هو الكفر الصراح الذى لايقبل تأويلا أو اعتذارا وهذا مادفع بعلى رضى الله عنه الى عقوبة المتفوهين بذلك تحريقا بالنار لخطورة هذه المقالة وعظم هذه الفرية وخطرها (٤) .

---

(١) حاشية المنتقى للذهبى ص ٣٠٧ رقم ٢ .

(٢) فرق الشيعة للنوبختى ص ٤١ .

(٣) الشيعة والسنة لاحسان الهى ظهير ص ٦٠ .

(٤) ان خبر احراق على رضى الله عنه لطائفة السبأية المدعين الوهيته تؤكده الروايات الصحيحة فى أمهات كتب الحديث . فمما جاء فى صحيح البخارى عن عكرمة رضى الله عنه : ان عليا رضى الله عنه حرق قوما فبلغ ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لأن النبى صلى الله عليه وسلم قال لاتعذبوا بعذاب الله ولقتلتهم كما قال النبى صلى الله عليه وسلم من بدل دينه فاقتلوه .
وفى كتاب استتابة المرتدين عن عكرمة أيضا قال أبى على رضى الله عنه بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس فقال : لو كنت أنا لم أحرقهم لنهى النبى صلى الله عليه وسلم "لاتعذبوا بعذاب الله" ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم : من بدل دينه فاقتلوه . =

وقد أجمعت معظم المصادر في التاريخ والفرق والتراجم على بدعة السبأية هذه (١) . ومما ذكروا أنه جا الى على بن أبى طالب جمع من السبئية وقالوا له انت انت قال ومن أنا قالوا الخالق البارىء فاستتابهم فلم يرجعوا فأوقد لهم نارا عظيمة وأحرقهم .

(٣) ظهرت عقيدة الرجعة مع ظهور آراء السبأية ومعتقداتها فلم تكن هذه العقيدة معروفة لدى المسلمين البته حتى نقلها ابن سبأ من دينه الى مجتمع المسلمين ومن تقريره لها انه زعم أن عليا لم يمت ولم يقتل وانه رفع الى السماء وسيرجع حتى يملك الأرض ويقود الأمة .

ومما نقل القمي عن ابن سبأ قوله :

"انه لما بلغه نعى على بن أبى طالب وهو فى المدائن قال للذى نعاه كذبت لو جئتنا بدماغه فى سبعين صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا لعلمنا أنه لم يمت ولم يقتل ولايموت

= وممن روى حادثة الاحراق أبو داود فى سننه فى كتاب الحدود ورواها النسائى فى سننه والترمذى فى جامعه كما روى خبر الاحراق أبو حفص بن شاهين بسنده عن الشعبى أن عليا حرق جماعة من غلاة الشيعة ونفى بعضهم ومن المنفيين عبد الله بن سبأ .
وقبل هؤلاء ذكر ابن قتيبة خبر الاحراق فى أكثر من موضع ففى المعارف السبأية من الرافضة ينسبون الى عبد الله ابن سبا وكان أول من كفر من الرافضة وقال على رب العالمين فأحرق على أصحابه فى النار .
ومعظم كتاب الفرق والمقالات يؤكدون خبر الاحراق كالاسفراييني والملطى وابن تيمية والبغدادى وابن حزم وغيرهم .
وهذه نصوص كثيرة ترد على من زعم بأن خبر الاحراق أمر مخترع ومزعوم وانه لم يرد فى كتاب معتبر وموثوق كما قال ذلك الشيبى فى كتابه الصلة بين التصوف والتشيع ص ٩٠ .
انظر كتاب عبد الله بن سبأ للعودة ص ٢١٤-٢١٥-٢١٧ .

(١) وذلك كالطبرى وابن قتيبة وأبى الحسن الأشعرى والملطى والشهرستانى وابن عساكر وابن حجر .

حتى يملك الأرض ويسوق العرب بعصاه " (١).

ونقل الطبرى قول ابن سبأ : "العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع وقد قال الله عز وجل :{إن الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد} (٢) فمحمد أحق بالرجوع من عيسى قال فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها (٣).

ونجد فى عقد الجمان للعينى : "ان ابن سبأ دخل مصر وطاف فى كورها وأظهر الأمر بالمعروف وتكلم فى الرجعة وقررها فى قلوب المصريين" (٤).

ويقرر السكسكى فى كتابه البرهان أن ابن سبأ وفرقته يقولون بالرجعة الى الدنيا بعد الموت وهو أول من قال بذلك (٥) وهذه العقيدة لدى ابن سبأ انتقلت الى تلامذته والفرق الغالية من بعده حتى أن أحد السبأية وهو رشيد الهجرى (٦) يدخل على على بعد موته وهو مسجى فيسلم ويقول لأصحابه : انه ليفهم الكلام ويرد السلام ويتنفس نفس الحى ويعرق تحت الدثار الوثير وانه الامام الذى يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت جورا وظلما (٧).

---

(١) المقالات والفرق للقمى ص ٢٠-٢١ .
(٢) سورة القصص : ٨٥
(٣) تاريخ الطبرى ٣٤٠/٤ .
(٤) عقد الجمان ١٦٨/٩ .
(٥) البرهان فى معرفة عقائد أهل الأديان ص ٥٠ .
(٦) من مشاهير السبأية الذين كانوا يجاهرون بآرائهم من التأليه لعلى والقول برجعته . عاصر الامام على بن أبى طالب رضى الله عنه أخباره ورواياته التى يرويها ليست بشىءكما ذكر ذلك علماء الجرح والتعديل . قال عنه الجوزجانى : "كذاب غير ثقة " .
ميزان الاعتدال للذهبى ٥١/٢ .
(٧) مسائل الامامة للناشىء الأكبر ص ٢٢-٢٣ .

(٤) كمـا أن معتقدات السبائية زعمهم بتحريف القرآن الكريم وان نبـي الله صلى الله عليه وسلم كتم عن الأمة تسعة أعشـار القرآن ومن النصوص التى أبانت عن هذه العقيدة لدى السبئية ماكتبه الحسن بن محمد بن الحنفية فى رسالته الارجاء ومما جاء فيها :

"ومن خصومة هذه السبئية التى أدركنا اذ يقولوا هدينا لوحى ضل عنه الناس وعلم خفى ويزعمون أن نبى الله كتم تسعة اعشار القرآن ولو كان نبى الله كاتما شيئا مما أنزل الله لكتم شان امرأة زيد {واذ تقول للذى أنعم الله عليه} الآية (١) وقوله : {لم تحرم ما أحل الله لك} الآية (٢) . وقوله : {لقد كدت تركن اليهم شيئا قليلا} (٣) " .

كما نقل الجوزجانى قوله : "ان هذه الفرية – وهى اعتقاد تحريف القرآن – ترجع أصولها الى ابن سبأ الذى زعم أن القرآن جزء من تسعة أجزاء وعلمه عند على فضربه على ونفاه بعد ماكان هم به" (٤) .

ولذا فان الامام المفسر قتادة رحمه الله كان اذا قرأ هذه الآية {فأما الذين فى قلوبهم زيغ فيتبعون ماتشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله} (٥) قال : "ان لم يكونوا الحرورية والسبئية فلاأدرى من هم وكان يقول : والله ان اليهودية لبدعة وان النصرانية لبدعة وان الحرورية لبدعة وان السبائية لبدعة مانزل بهن كتاب ولاسنهن نبى" (٦) .

---

(١) سورة الأحزاب : ٣٧
(٢) سورة التحريم : ١
(٣) سورة الاسراء : ٧٤
(٤) كتاب الضعفاء مخطوطة ورقة ٣/ب .
(٥) سورة آل عمران : ٧
(٦) تفسير الطبرى ١٨٧/٦-١٨٩ .

تلك هي أهم المبادىء والمعتقدات التي نادى بها وابتدعها ابن سبأ في المجتمع الاسلامي الذي لم يكن يعرف لهذه الأفكار وجودا قبله حتى بمجرد التلفظ والعبارة .

وبالرجوع الى كتب الشيعة ومصادرهم الأولى نجد هذه المبادىء والأصول التي ابتدعها ابن سبأ وجاهر بها أصبحت فيما بعد ولازالت أصولا للشيعة ومعتقدات لهم وذلك كالوصية والرجعة والتقديس لآل البيت مع سب الصحابة والزعم بتحريف القرآن .

وحينما نقلب النظر في كتب أهل السنة من المتقدمين والمتأخرين نجد أن هذه الحقيقة عندهم واضحة كل الوضوح حتى لتكاد أن تكون مسألة اجماعية .

وهذه بعض النصوص التي تدل وتؤكد على هذه الحقيقة :

يقول أبو الحسين الملطي : "ان أهل الضلال من الرافضة ثماني عشرة فرقة يلقبون بالامامية وأولهم السبأية حيث نشأ التشيع على يد عبد الله بن سبأ " (١) .

ويقول الشهرستاني : "ان عبد الله بن سبأ هو أول من أظهر القول بالنص بامامة علي رضي الله عنه ومنه انشعب أصناف الغلاة " (٢) .

ويحدد ابن تيمية بداية التشيع بقوله : "لما وقعت الفتنة وقتل عثمان رضي الله عنه حدثت بدع التشيع كالغلاة المدعين الالهية في علي رضي الله عنه والمدعين النص عليه السابين لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما " (٣) .

وعن أصل مذهب الشيعة يقول : "انه من احداث الزنادقة

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطي ص ١٨ .
(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١٧٤/١ .
(٣) منهاج السنة لابن تيمية ٢١٨/١-٢١٩ .

المنافقين الذين عاقبهم على رضى الله عنه فى حياته فحرق منهم طائفة بالنار وطلب قتل بعضهم ففروا " (١) .

وفى موضع آخر ينقل ابن تيمية أقوال أهل العلم بأن مبدا الرفض انما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ (٢) .

ويقول ابن قتيبة : "وكان ابن سبأ أول من كفر من الرافضة والسبأية من الرافضة ينسبون الى عبد الله بن سبأ " (٣) .

ويحدد ابن حزم بداية التشيع تحديدا دقيقا من حيث بدايته وواضعه فيقول : "ان الروافض فرق حدث أولها بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم بخمس وعشرين سنة - أى السنة التى استشهد فيها عثمان رضى الله عنه - وكان مبدا هذه الفرق على يد طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى فى الكذب والكفر وهم القائلون بالهية على بن أبى طالب رضى الله عنه والهية جماعة معه " (٤) .

ومن نصوص علماء أهل السنة المتأخرين ماذكره الشيخ أبو زهرة فى كتابه المذاهب الاسلامية بقوله : "وكان الطاغوت الاكبر عبد الله بن سبأ الذى دعا الى ولاية على بن أبى طالب ووصايته والى رجعة النبى وانه فى ظل هذه الفتن نشأ المذهب الشيعى" (٥) .

ويقول القصيمى فى كتابه الصراع بين الاسلام والوثنية :

---

(١) المرجع السابق ص ٦-٧ .
(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٤٨٣/٢٨ .
(٣) المعارف لابن قتيبة ص ٢٦٧ .
(٤) الفصل لابن حزم ٧٨/٢ .
(٥) المذاهب الاسلامية ص ٤٦ .

"ان أول أمر هذه الطائفة - أى الشيعة - رجل يهودى يقال له عبد الله بن سبأ تظاهر بالاسلام وأضمر خلافه وادعى أن عليا مظلوم من قبل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذ يدعو الى هذا المبدأ أولا ثم غلا فيه وادعى الوهيته ..." .

ثم يقول : "ان هذه الحادثة تعتبر أساسا من الأسس التى قام عليها المذهب الشيعى بل انها الحجر الأول فى بنائه وتفرعت بعد ذلك حماقات الشيعة وعقائدهم الباطلة " (١) .

كما يقول الأستاذ احسان ظهير : "ان عبد الله بن سبأ اليهودى أراد مزاحمة الدين الاسلامى بالتظاهر والنفاق فخطط هو وجمع ممن وافقه على أهدافه فى عصر كان الخليفة فيه ذى النورين عثمان بن عفان رضى الله عنه فاثاروا الفتن وفرقوا المسلمين وجعلوا عليا ترسا لهم يتولونه ويتشيعون به ويتظاهرون بحبه والولاء له ومن هناك ويومئذ تكونت طائفة سمت نفسها الشيعة لعلى" (٢) .

ان هذه النصوص كافية فى بيان علاقة الشيعة بالسبأية وابن سبأ . وعند التأمل فى كتب المتقدمين من الشيعة نجد انهم يقرون بهذه الحقيقة ونجدها مسطورة فى بعض كتبهم . فالقمى - وهو من متقدمى الشيعة - عند حديثه عن ابن سبأ وماجاهر به من معتقدات يقول : (فمن هنا قال من خالف الشيعة ان أصل الرفض مأخوذ من اليهودية) . وأقر بذلك حيث لم ينفه أو يرد عليه (٣) . ومثل ذلك فعل النوبختى فى كتابه

---

(١) الصراع بين الاسلام والوثنية ٤٠/١-٤١ .
(٢) انظر الشيعة السنة ص ١٩-٢٠ .
(٣) المقالات والفرق للقمى ص ٢٠ .

فرق الشيعة[1] .

ويربط ابن المرتضى - وهو من أئمة الشيعة الزيدية - مباشرة بين التشيع وظهوره بعبد الله بن سبأ فقول : "وأما الرافضة فحدث مذهبهم بعد مضى الصدر الأول ولم يسمع عن أحد من الصحابة من يذكر أن النص فى على جلى متواتر ولافى اثنى عشر كما زعموا وقد مر أن أول من أحدث هذا القول عبد الله ابن سبأ ولم يظهر قبله"[2] .

وأخيرا فانه حتى بعض المستشرقين أكد هذه الحقيقة بقوله : "ان مذهب الشيعة الذى ينسب الى عبد الله بن سبأ مؤسسه انما يرجع الى اليهود أقرب من أن يرجع الى الايرانيين"[3] .

وخلاصة الأمر أن أصول السبئية ومعتقداتها أصبحت فيما بعد أصولا للشيعة امامية كانوا أم باطنية .

يهودية ابن سبأ :

على ضوء ماثبت لنا من نصوص وأدلة سابقة عن صلة ابن سبأ بالتشيع وأثره فى تأصيل وتأسيس مذهب الشيعة يبقى لنا مايدلل على يهوديته سواء قبل تظاهره بالاسلام أو بعده لنصل بعد ذلك الى أثر العوامل الخارجية والجذور الأجنبية لمذهب الشيعة .

فالمصادر السنية أو الشيعية تثبت يهودية ابن سبأ وتكاد هذه المصادر تجمع عليها وهذه نماذج من تلك النصوص :

---

(١) فرق الشيعة للنوبختى ص ٢٠ .
(٢) فرق وطبقات المعتزلة لابن المرتضى ص ١٣ .
(٣) كتاب الشيعة والخوارج لفلهوزن ص ١٧٠-١٧١ .

روى الطبرى بسنده أنه قال : "كان عبد الله بن سبأ يهوديا من أهل صنعاء أمه سوداء فأسلم زمان عثمان ثم تنقل فى بلدان المسلمين يحاول ضلالتهم ..." (١) .

ويقول البغدادى : "ان ابن السوداء فى الأصل يهودى من أهل الحيرة فأظهر الاسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم أنه وجد فى التوراة أن لكل نبى وصى وأن عليا رضى الله عنه وصى محمد صلى الله عليه وسلم وأنه خير الأوصياء كما أن محمدا صلى الله عليه وسلم خير الأنبياء

ثم بعد ذلك ينقل البغدادى رأى محققى أهل السنة فى ابن سبأ بقوله : "وقال المحققون من أهل السنة : ان ابن السوداء كان على هوى دين اليهود وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتأويلاته فى على وأولاده كى يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى فى عيسى عليه السلام" (٢) .

ويتحدث الشهرستانى عن ابن سبأ فيقول : "انه كان يهوديا فأسلم وكان فى اليهودية يقول فى يوشع بن نون وصى موسى بن عمران عليهما السلام مثل ماقال فى على رضى الله عنه وهو أول من أظهر القول بالنص بامامة على رضى الله عنه ومنه انشعبت أصناف الغلاة" (٣) .

كما يوضح ابن حزم أثر اليهودية فى طائفة عبد الله بن سبأ بقوله : "وكان مبدأ فرق الرفض على يد طائفة تجرى مجرى اليهود والنصارى فى الكذب والكفر وهم القائلون بالهية على

---

(١) تاريخ الطبرى ٣٤٠/٤ .
(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٢٥ .
(٣) الملل والنحل للشهرستانى ١٧٤/٨ .

ابن أبى طالب رضى الله عنه والهية جماعة معه " .[١]

وكتب الشيعة - ولاسيما المتقدمين منهم - تثبت يهودية ابن سبأ وتؤكد عليها بما هو أكثر من ذلك . فمما ذكر النوبختى : "أن جماعة من أهل العلم من أصحاب على عليه السلام حكوا أن عبد الله بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا عليه السلام وكان يقول على يهوديته فى يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بمثل ذلك . وهو أول من أشهر القول بفرض امامة على عليه السلام وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه فمن هنا قال من خالف الشيعة : ان أصل الرفض مأخوذ من اليهود " .[٢]

وبنفس النص والعبارات نقل القمى مما يرجح القول بأن احدهما نقل من الآخر .[٣]

ويقول ابن أبى الحديد - وهو شيعى - : "ثم ظهر عبد الله بن سبأ وكان يهوديا يتستر بالاسلام بعد وفاة أمير المؤمنين عليه السلام فأظهر مقالته - تأليه على - واتبعه قوم فسموا بالسبأية " .[٤]

وبعد أن ينقل الأستاذ احسان الهى ظهير هذه النصوص الشيعية وغيرها يقول : "فهذه هى شهادات الشيعة أنفسهم يشهدون بها عليهم ويتلخص منها أشياء :[٥]

---

(١) الفصل لابن حزم ٢/٧٨ .
(٢) فرق الشيعة ص ٤٠-٤١ .
(٣) كتاب المقالات والفرق للقمى ص ٢٠-٢١ .
(٤) شرح نهج البلاغة ٢/٣٠٩ .
(٥) ذكر احسان ستة أمور تستخلص من النصوص التى نقلها عن علماء الشيعة المتقدمين فى ثبوت شخصية ابن سبأ وثبوت يهوديته نذكر منها أمرين لأنهما موضع الاستشهاد ومناسبتها للمقام أمر واضح .

(١) تكوين اليهود فئة باسم الاسلام تحت قيادة عبد الله بن سبأ يتظاهرون بالاسلام ويبطنون الكفر وينشرون بين المسلمين عقائد وآراء يهودية كافرة .

(٢) ترويج العقيدة اليهودية بين المسلمين ألا وهى عقيدة الوصاية والولاية التى لم يأت بها القرآن ولا السنة الصحيحة الثابتة بل اختلقتها اليهود من وصاية يوشع بن نون لموسى ونشروها بين المسلمين باسم وصاية على لرسول الله كذبا زورا كى يتمكنوا من زرع بذور الفساد فيهم وشب نيران الحروب والفتنة فيما بينهم حتى تنقلب مساعيهم عن الجهاد فى سبيل الله ضد الكفرة والمشركين من اليهود والمجوس الى القتال بين أنفسهم ، وهذا واضح من نص النوبختى الذى قال عن ابن سبأ :

"وكان يقول وهو على يهوديته فى يوشع بن نون بعد موسى عليه السلام بهذه المقالة قال فى اسلامه بعد وفاة النبى صلى الله عليه وسلم بمثل ذلك" (١) .

ويقرر ابن تيمية يهودية ابن سبأ حتى بعد اسلامه مستدلا على ذلك بمعتقداته وأفعاله يقول : "وقد ذكر أهل العلم أن مبدأ الرفض انما كان من الزنديق عبد الله بن سبأ فانه أظهر الاسلام وأبطن اليهودية وطلب أن يفسر الاسلام كما فعل بولس النصرانى الذى كان يهوديا فى افساد دين النصارى" (٢) .

وهكذا فان يهودية ابن سبأ لم تكن محل خلاف فى الروايات التاريخية أو لدى كتب الفرق وفى آراء المتقدمين

---

(١) انظر الشيعة والسنة لاحسان ظهير ص ٢٤-٢٧ .
(٢) الفتاوى ٢٨/٤٨٣ .

سنة كانوا أم شيعة ولذا يقول الدكتور بدوى عن يهودية ابن سبأ : "ان ذلك هو ماتكاد تجمع عليه المصادر العربية واعتمادا عليها وعلى غيرها ساق المستشرق فريد ليندر الحجج العديدة فى دراسته المشهورة بعنوان "عبد الله بن سبأ مؤسس الشيعة وأصله اليهودى" (١) .

ويزداد الأمر وضوحا ـ اضافة الى هذه المصادر المثبتة ليهودية ابن سبأ اذا مالحظنا أن ماظهر به ونادى عليه من أقوال ومعتقدات تفصح عن يهوديتها .

---

(١) مذاهب الاسلاميين ١٧/٢ .

(٣) المصادر الأجنبية لأصول التشيع .

على ضوء هذه النصوص وتلك المعلومات السابقة نصل الى حقائق مهمة تتصل بموضوعنا الأساسى أصول التشيع الأولى . وهذه الحقائق نجملها فى النقاط التالية :

(١) ان زعم الشيعة بأصالة مذهبهم وانه بذرة نبوية بدأ غرسها فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم زعم خال من الأدلة أو شبه الأدلة بل هو فرية عظيمة يتحمل وزرها من ابتدعها أو قال بها .

(٢) أن شخصية ابن سبأ شخصية حقيقية قامت باحداث معينة واشتهرت بآراء ومعتقدات كان لها ومازال أثر كبير فيما بعد على كثير من الفرق الشيعية .

(٣) ان معتقدات ابن سبأ وفرقة السبأية من بعده أصبحت أصولا للتشيع على تعدد فرقه وتشعبها .

(٤) واخيرا مع ثبوت يهودية ابن سبأ من مصادر شتى تصبح التعاليم اليهودية مصدرا من مصادر التشيع ورافدا من روافده الأساسية .

وقد تتبع ابن تيمية فى كتابه الفريد منهاج السنة بعضا من تعاليم ومعتقدات الشيعة وبين أصلها اليهودى .(١)

بل انه نقل عن الشعبى(٢) قوله : "ان محنة الرافضة محنة

---

(١) انظر على سبيل المثال منهاج السنة ٢/٢٢-٥٠٤،٤٥،٥٣ . وفى ص ١٤ ومابعدها من الجزء الأول تفصيل واسع لمشابهة الرافضة باليهود .

(٢) هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبى كوفى تابعى جليل القدر وافر العلم قال عنه ابن تيمية "هو من أخبر الناس بالرافضة" . انظر منهاج السنة لابن تيمية ١٣/١ والهامش رقم ٣ تحقيق محمد رشاد سالم .

اليهود قالت اليهود : لايصلح الملك الا فى آل داود وقالت الرافضة لاتصلح الامامة الا فى ولد على وقالت اليهود لاجهاد فى سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال وينزل سيد من السماء وقالت الرافضة لاجهاد فى سبيل الله حتى يخرج المهدى وينادى مناد من السماء واليهود يؤخرون الصلاة الى اشتباك النجوم وكذلك الرافضة يؤخرون المغرب الى اشتباك النجوم ... الخ" ماذكره رحمه الله من أوجه المشابهة الكثيرة ، الى أن قال "وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين : سئلت اليهود من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب موسى .

وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم ؟ قالوا : حوارى عيسى .

وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم ؟ قالوا : أصحاب محمد أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم" .

بل انه رحمه الله ذكر فى موضع آخر : "أن طائفة السامرة ـ وهم أخبث فرق اليهود ـ هم رافضة اليهود وهم فى اليهود كالرافضة فى المسلمين والرافضة تشابههم من وجوه كثيرة ثم ذكر أوجه المشابهة بين طائفة الرافضة وطائفة السامرة فى جوانب كثيرة ومتعددة" (١) .

كما أفرد الامام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله فى رسالته "الرد على الرافضة" مطلبا خاصا بعنوان "مشابهة الرافضة لليهود" وذكر كثيرا من قبائحهم التى شابهوا فيها

---

(١) انظر منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١/١٤-١٥-١٧ ، ٥/١٧٤،١٧٥ .

اليهود .(١)

كما تتبع أحد علماء أهل السنة المعاصرين مشابهتهم لليهود فى أمور كثيرة قارنا كل شبه بدليله وخلاصة هذه الأمور هى :

أولا : الغلو فأهل الكتاب بنص الآيات القرآنية غلاة(٢) سواء فى الأنبياء أو الدين كما أن الشيعة غلاة فى أئمتهم كاعتقادهم عصمتهم أو رجوعهم بعد موتهم أوعلمهم للغيب .

ثانيا : خذلان أئمتهم فاليهود خذلوا أنبيائهم كما ذكر الله تعالى عنهم(٣) . كذلك الرافضة خذلت على بن أبى طالب والحسن والحسين كما هو معروف وثابت فى كتب السير والتاريخ(٤) .

ثالثا : الافتراء على الله وعلى عباده المؤمنين وهذا واضح فى الآيات القرآنية بالنسبة لليهود(٥) . وبالنسبة للرافضة فحسبنا كتابهم فصل الخطاب فى اثبات تحريف كتاب رب الأرباب لأحد علمائهم(٦) . وأما الافتراء على عباده المؤمنين فاليهود رموا مريم عليها السلام بالفاحشة والرافضة رمت عائشة رضى الله عنها بالفاحشة وهذا يعتبر كفرا(٧) .

---

(١) انظر رسالة فى الرد على الرافضة تأليف الشيخ محمد بن عبد الوهاب تحقيق الدكتور ناصر الرشيد ص ٤٣-٤٦ .

(٢) من الآيات التى تنص على ذلك آية ٧٧ من سورة المائدة وآية ١٧١ من سورة النساء وآية ٣٠-٣١ من سورة التوبة .

(٣) سورة المائدة : ٢٠-٢٦

(٤) سبق أن ذكرنا هذه الأحداث التاريخية فى ص ٤٩-٥٠ من البحث .

(٥) من الآيات سورة آل عمران آية ٧٨

(٦) سوف ان شاء الله نتحدث عن هذا الكتاب ومؤلفه بالتفصيل فى الصفحات القادمة عند دعوى تحريف القرآن عند الشيعة .

(٧) انظر كتاب الالحاد الخمينى فى أرض الحرمين للشيخ مقبل ابن هادى الوادعى ص ١٥٥-١٧٨ .

ان ماتقدم من ادلة ونصوص كفيلة بثبوت حقيقة لها أهميتها عند الحديث عن أصول التشيع .

هذه الحقيقة نستخلصها بالآتى : لليهود وعقائدهم أثر واضح ملموس على أصول التشيع الأولى مهما نفى المتشيعون وكابر المكابرون أو أحسن الظّن واعتذر بعض العاطفيين .

ويبقى بعد ذلك سؤال خلاصته هل هناك مؤشرات وروافد أخرى على الفكر الشيعى غير ماتقدم ؟

وللاجابة على ذلك نقول :

ان مما لفت نظر بعض الكتاب ـ ولاسيما المعاصرين ـ الأثر الفارسى أوالمجوسى فى مذهب الشيعة سواء من خلال الأشخاص الذين تزعموا بعض الحركات الشيعية أو بعض الآراء والأفكار التى هى فى أصلها فكر مجوسى وأخذت عن طريق الفرس الذين اندمجوا فى المجتمع الاسلامى طوعا أو كرها .

وأول فكرة ـ اتقن الشيعة استغلالها كذبا وزورا ـ الدعوة لآل البيت فهى ورقة رابحة تجد رواجا لدى جميع الناس وخاصة عند العامة وأصحاب العواطف الهوجاء .

وفى التشيع لآل البيت احياء لفكرة مجوسية خلاصتها أنه لابد من عائلة مقدسة ـ وكانت فى الماضى تتمثل فى قبيلة من القبائل كالميديا والمغان (١) لهما الزعامة الدينية حتى ان الحاكم يجب أن يكون من هذه القبيلة وتتجسد فيه الذات الالهية وتتولى هذه العائلة شرف سدانة بيت النار . ان هذه الفكرة نقلت الى المجتمع الاسلامى حيث استبدل الشيعة آل

---

(١) قبيلتان فارسيتان من القبائل والأسر المقدسة عند الفرس وكانت لهما الزعامة الدينية والسياسية على الفرس قبل الاسلام .

البيت بهذه القبائل المقدسة عند الفرس قديما . وعمقوا هذه الفكرة بدرجة أكثر باستغلالهم زواج الحسين بن على رضى الله عنهما من شهر بانو ابنة يزدجرد الفارسى .

ومما قالوا عن ذلك : "ان الدم الذى يجرى فى عروق على ابن الحسين وفى أولاده دم ايرانى من قبل أمه "شهر بانو"ابنة يزدجرد ملك ايران من سلالة الساسانيين المقدسين عندهم . واذن ففى تشيعهم لآل البيت احياء لعقيدة المجوس ووقوفهم مع الحسين بن على بن أبى طالب نابع من عصبيتهم الفارسية لأولاد شهر بانو الساسانية " (١) .

ويستخلص كاتب معاصر رأى جمع من المستشرقين حول النزعة الفارسية لدى الشيعة فيقول :

"وقد أدى كلف الفرس بالتشيع الذى يضفى صفة قدسية على الامام الى ظهور الوهم القائل بأن التشيع فى منشئه ومراحل نموه يمثل الأثر التعديلى الذى أحدثته أفكار الفرس بعد اعتناقهم للاسلام فقد قال دوزى فى كتابه "مقالة فى تاريخ الاسلام" كانت الشيعة فى حقيقتها فرقة فارسية لقدكان مبدأ انتخاب خليفة للنبى أمرا غير معهود ولأنهم لم يعرفوا غير مبدأ الوراثة فى الحكم لهذا اعتقدوا أنه مادام محمد صلى الله عليه وسلم لم يترك ولدا يرثه فان عليا هو الذى كان يجب أن يخلفه . وان الخلافة يجب أن تكون وراثية فى آل على ومن هنا فان جميع الخلفاء ـ ماعدا عليا ـ كانوا فى نظرهم مغتصبين للحكم لاتجب لهم طاعة وقوى هذا الاعتقاد عندهم

---

(١) انظر كتاب وجاء دور المجوس ص ٣٢-٥٦-٥٧ بتصرف .

كراهيتهم للحكومة وللسيطرة العربية فكانوا فى الوقت نفسه يلقون بأنظارهم النهمة الى ثروات سادتهم وهم قد اعتادوا أيضا أن يروا فى ملوكهم أحفادا منحدرين من أصلاب الالهة الدنيا فنقلوا هذا التوقير الوثنى الى على وذريته .

فالطاعة المطلقة للامام الذى من نسل على كانت فى نظرتهم الواجب الأعلى حتى اذا ما أدى المرء هذا الواجب استطاع بغير لائمة ضمير أن يفسر سائر الواجبات والتكاليف تفسيرا رمزيا وأن يتجاوزها . ولقد كان الامام عندهم هو كل شىء انه الله قد صار بشرا فالخضوع الأعمى المقرون بانتهاك الحرمات ذلك هو الأساس فى مذهبهم (١) .

ويذهب براون (٢) الى أن العقيدة المتعلقة بالحق الالهى التى أودعت فى الأسرة الساسانية كانت ذات أثر عظيم فى تاريخ الفرس والتشيع فلقد جاءت فكرة انتخاب الخليفة متمشية مع ديمقراطية العرب غير انها لايمكن أن تظهر فى نظر الفرس الا بمظهر ثورى غير مطابق لطبيعة الأشياء .

ويعتقد الفرس أن الحسين بن على رضى الله عنهما وهو أصغر ولدى فاطمة رضى الله عنها قد تزوج شهر بانو ابنة يزدجرد الثالث آخر ملوك الساسانيين واستنادا الى هذا أصبح الأئمة من الشيعة بقسميها (الاثنى عشرية والاسماعيلية) لايمثلون حق أهل بيت النبوة وخصائصها فحسب بل يمثلون حق الملك وفضائله أيضا من حيث كونهم يتمتعون بانحدارهم من

---

(١) دولة الاسماعيلية فى ايران لمحمد جمال الدين ص ٩ .

(٢) مستشرق انجليزى سكن ايران مدة طويلة ودرس تاريخها دراسة وافية ضافية من أهم كتبه فى هذا المجال تاريخ الأدب فى ايران أو تاريخ أدبيات ايران ، طبع بالانجليزية والفارسية والأردية .

أصل مزدوج من بيت الرسالة ومن أسرة ساسان ومن هنا نشأت هذه العقيدة السياسية (١) .

بل ان هذا المستشرق يقول صراحة : "ان من أهم أسباب عداوة أهل ايران للخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه أنه فتح ايران وقضى على الأسرة الساسانية وليس لأنه - كما زعموا - غصب عليا وفاطمة حقوقهم غير أن الايرانيين أعطوا لعدائهم صبغة دينية مذهبية (٢) .

ويستخلص الأستاذ أحمد أمين فى كتابه فجر الاسلام أثر الفرس ومذاهبهم السابقة على الاسلام بقوله : "هذه مذاهب الفرس الدينية وقد ذابت فى المملكة الاسلامية بعد الفتح وكثير منهم أسلموا ولم يتجردوا من كل عقائدهم التى توارثوها أجيالا وبمرور الزمان صبغوا آراءهم القديمة بصبغة اسلامية فنظرة الشيعة فى على وأبنائه هى نظرة آبائهم الأولين من الملوك الساسانيين وثنوية الفرس كانت منبعا يستقى منه الرافضة فى الاسلام .

أضف الى ذلك أن تعاليم زردشت ومانى ومزدك (٣) كانت تظهر من حين لآخر من المسلمين فى أشكال شتى فى أواخر الدولة الأموية والدولة العباسية (٤) ، واضطر المسلمون أن يجادلوهم

---

(١) تاريخ الأدب فى ايران لبراون نقلا من كتاب دولة الاسماعيلية فى ايران ص ٨ .

(٢) تاريخ أدبيات ايران لبراون نقلا من كتاب الشيعة والسنة لاحسان الهى ظهير ص ٥٦ .

(٣) هؤلاء الأشخاص تنتسب لهم ديانات ومذاهب فارسية وجدت قبل الاسلام فرزدشت تنسب اليه الزرادشتية ومانى تنسب اليه المانوية القائلين بالأصلين ، ومزدك المزدكية القائلين بالاباحية والاشتراكية .

(٤) مثل الحركات الشيعية التى أقضت مضاجع الدولة العباسية كالخرمية وأصحاب الزنج وحركة القرامطة والراوندية وغيرهم .

ويدفعوا حججهم ويؤيدوا دينهم بالمنطق والبرهان" .[(١)]

وفي موضع آخر قال : "والحق أن التشيع كان مأوى يلجأ اليه كل من أراد هدم الاسلام بعداوة أو حقد ومن كان يريد ادخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته . كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارا يضعون وراءه كل ماشاءت أهواؤهم . فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة . والنصرانية ظهرت في التشيع في قول بعضهم : ان نسبة الامام الى الله كنسبة المسيح اليه وقالوا ان اللاهوت اتحد بالناسوت في الامام وان النبوة والرسالة لاتنقطع أبدا فمن اتحد به اللاهوت فهو نبي . وتحت التشيع ظهر القول بتناسخ الأرواح وتجسيم الله والحلول ونحو ذلك من الأقوال التي كانت معروفة عند البراهمة والفلاسفة والمجوس من قبل الاسلام .

وتستر بعض الفرس بالتشيع وحاربوا الدولة الأموية ومافي نفوسهم الا الكره للعرب ودولتهم والسعي لاستقلالهم " .[(٢)]

ويخلص الأستاذ أحمد أمين الى أن التشيع كان في أول أمره بسيطا ولكنه أخذ صبغة جديدة بمرور الزمن وبالمطاعن في عثمان رضي الله عنه حينما دخلت فيه عناصر أخرى من يهودية ونصرانية ومجوسية وكل قوم من هؤلاء يصبغون التشيع بصبغة دينهم فاليهود تصبغ الشيعة يهودية والنصارى نصرانية وهكذا واذا كان أكبر عنصر في الاسلام هو العنصر الفارسي كان أكبر الأثر في التشيع انما هو للفرس .[(٣)]

---

(١) انظر فجر الاسلام لأحمد أمين ص ١١٢ .
(٢) المرجع السابق انظر ص ٢٧٦-٢٧٧ .
(٣) انظر المرجع السابق ص ٢٧٨ .

ويقول عالم من أهل السنة له تجربته ومعرفته بمذهب الشيعة : "ان المسلم يقف مذهولا من هذه الجرأة البالغة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لولا أن يعلم أن هؤلاء الرافضة أكثرهم من الفرس الذين تستروا بالتشيع لينقضوا عرى الاسلام أو ممن أسلموا ولم يستطيعوا أن يتخلوا عن كل آثار دياناتهم القديمة فانتقلوا الى الاسلام بعقلية وثنية لايهمها أن تكذب على صاحب الرسالة لتؤيد حبا ثاويا فى أعماق افئدتها وهكذا يصنع الجهال والأطفال حين يحبون وحين يكرهون" (١) (٢) .

انه مع التأمل لهذه النصوص الدالة على تأثير الفرس على معتقدات الشيعة نجد أنها صدرت عن جمع من المعاصرين :

(أ) اما من العلماء والمفكرين الذين عايشوا الشيعة وعرفوا أسرار مذهبهم .

(ب) أومن المستشرقين الذين اهتموا بهذه الفرقة وعاشوا بين ظهرانيهم وكتبوا عما رأوا وسمعوا .

وأيا كان ذلك فهى نتيجة لها أهميتها واعتبارها واذا ماتصفحنا فى كتب العلماء المتقدمين فان هذه النتيجة تبدو من البيان والوضوح بمكان وحسبنا أن نشير الى بعض من هذه النصوص .

فأبو الحسين الملطى فى كتابه التنبيه والرد على أهل

---

(١) هو الشيخ مصطفى السباعى أحد العلماء الدعاة المعاصرين وهو واحد من علماء أهل السنة الذين سعوا الى التقريب بين السنة والشيعة ولكن لما تبين له الخلاف بيننا وبينهم من الأصول رجع عن ذلك وأدرك أن هذه الفكرة الهدف منها تنازل أهل السنة عن بعض أصولهم وبقاء الشيعة على معتقداتهم .

(٢) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٩٥ .

الأهـواء والبـدع حينما تحدث عن فرق الشيعة الامامية ذكر أن من فرقهم من يقول بمقالات اليهود الذين سماهم بأخوة القردة وذكـر بعـض هذه المعتقدات وترك البعض الآخر لأنه يقبح ذكرها مـن مـذاهبهم مـذاهب السفلة العمـى اخـوة القردة بل اخوة القردة أفضل منهم .(١)

أما ابن تيمية فى كتابه الفريد منهاج السنة فانه ذكر تـأثر الشيعة باليهودية والنصرانية وغيرهما وفصل القول فى مشابهة الشيعة لليهود .(٢)

كمـا أن المقريـزى ـ وهـو ممـن عاصر الدولة العبيدية وانتصـر لنسبهم ـ يقـول : "واعلـم أن السبب فى خروج أكثر الطـوائف عـن ديانـة الاسلام أن الفرس كانت فى سعة من الملك وعلو اليد على جميع الأمم وجلالة الخطر فى أنفسها بحيث انهم كـانوا يسمون أنفسـهم الاحـرار والأسياد وكـانوا يعدون سائر النـاس عبيدا لهم فلمـا امتحنوا بزوال الدولة عنهم على أيدى العرب . وكـان العرب عند الفرس أقل الأمم خطرا تعـاظمهم الأمر وتضـاعفت لـديهم المصيبـة ورامـوا كيد الاسلام بـالمحاربة فى أوقـات شـتى وفى كل ذلك يظهر الله الحق فرأوا أن كيده على الحيلـة انجـح فاظهر قوم منهم الاسلام واستمالوا أهل التشيع باظهـار محبـة أهـل البيـت واستبشاع ظلم على ثم سلكوا بهم مسالك شتى حتى أخرجوهم عن طريق الهدى .(٣)

---

(١) التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع للملطى ص ٣٣ .
(٢) انظر علـى سبيل المثـال منهـاج السـنة ١٤/١-١٦ ، ٤٥/٢، ٥٠٤ ، ١٧٣/٥-١٧٧ .
(٣) فجـر الاسـلام لأحمد أميـن مخـتصرا مـن الخطط للمقريزى ٣٦٢/١ .

وحينما يعرض الشهرستانى لمذاهب الشيعة وفرقها يسطر هذه النتيجة المهمة مرجعا كل فكرة وعقيدة الى أصلها يقول : "وانما نشأت شبهات الشيعة الغلاة من مذاهب الحلولية ومذاهب التناسخية ومذاهب اليهود والنصارى اذ اليهود شبهت الخالق بالخلق والنصارى شبهت الخلق بالخالق فسرت هذه الشبهات فى أذهان الشيعة الغلاة حتى حكمت باحكام الالهية فى حق بعض الأئمة " (١) .

ومما روى صاحب مختصر التحفة قوله : "ان بعض الأئمة قالوا عن مذهب الشيعة وفى حقهم : انهم مجوس هذه الأمة وذلك للتشابه بينهم وبين المجوس فى الالهيات" (٢) .

وحينما رد الشيخ محمد بن عبد الوهاب على الشيعة فى كتابه رسالة فى الرد على الرافضة عقد ثلاثة فصول هى :

الأول : فى مشابهة الشيعة لليهود .

الثانى : فى مشابهة الشيعة للنصارى .

الثالث : فى مشابهة الشيعة للمجوس .

وقال : "ان من مشابهتهم للمجوس انهم قالوا بالهين النور والظلمة وهؤلاء يقولون : الله خالق الخير والشيطان خالق الشر .

ومنها ان المجوس ينكحون المحارم كذلك غلاة الشيعة يفعلون ذلك .

ومنها المجوس تناسخيون وكذلك فى غلاة الشيعة

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١٧٣/١ .
(٢) مختصر التحفة الاثنى عشرية للألوسى ص ٣٠٠ .

تناسخيون" .[1]

ان ماتقدم من نصوص متعددة يؤكد ويدل على حقيقة لها وزنها واعتبارها وأثرها كذلك فى كشف أصول الشيعة وارجاعها الى منابعها الأساسية وبالتالى الحكم عليها هل هى فكر ناشىء من داخل المجتمع الاسلامى أم من خارجه ؟

والجواب على ذلك لايحتاج الى بيان وتحديد حيث الأثر الأجنبى فى الفكر الشيعى مما لاينكر ولايخفى على مطلع . ويبقى بعد ذلك مغالطة فاحشة من الشيعة أو ممن تجاهل أساس مذهبهم أو تعاطف معهم بجهل وهو الزعم بأصالة مذهبهم أو القول بأن الخلاف بينهم وبين أهل السنة خلاف فرعى اللهم الا اللافتة الكاذبة التى يتسترون بها ويرفعونها[2] بهدف نصرة مذهبهم وبقاءه داخل المجتمع الاسلامى .

وخلاصة القول أن أصول التشيع وروافده منها ماهو يهودى ومنها ماهو مجوسى ومنها ماهو نصرانى وان شاء الله ومن خلال عرض أصول التشيع الأولى سأشير الى الأثر الأجنبى ومصدره فى الفكر الشيعى حتى نصل بعد ذلك الى ارجاع كل عقيدة الى منبعها وأصلها .

---

(١) انظر رسالة الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبد الوهاب ص ٤٣-٤٦ .

(٢) المقصود منها محبة آل البيت والانتصار والمناصرة لهم .

(٤) أصول التشيع تفصيلا .

الأصل الأول من أصول التشيع : الامامة .

أصل من أصول الشيعة على اختلاف فرقها وتشعبها وأس من أسس دينها تشبث بها ودعا اليها وتبناها مؤسسو مذهب الشيعة ودعاتها على مختلف العصور والأزمان وأصبحت بعد ذلك معلما من معالم التشيع بل ان بعض كتاب الفرق والمقالات يعرف الشيعة بها دون سواها .(١)

وهي من بين أصول الشيعة ألف فيها الكثير وأفردت بمصنفات يصعب حصرها لكثرتها .(٢)

بل ان لقبا من ألقاب الشيعة يحمل لفظها فيسمون الامامية لاعتقاداتهم المتعددة عن الامامة وعن الامام علي والأئمة من بعده فهي نسبة الى معتقد وشخص في آن واحد .

يقول الامين : "سموا بالامامية لأنهم قالوا بأن الامام ليس من تمتع بأوصاف الامام كما قال الامام زيد بل الامام هو

---

(١) وذلك كالأشعري في مقالات الاسلاميين ٦٥/١ ، وابن حزم في الفصل ١٠٧/٢ ، ومن كتب الشيعة أوائل المقالات للمفيد ص ٣٩ ، وتلخيص الشافي للطوسي ٥٦/٢ ، والشيعة في الميزان لمغنيه ص ١٥ ، وتاريخ الامامية لعبد الله فياض ص ٣٤ .

(٢) ومن الأمثلة على ذلك منهاج الكرامة في اثبات الامامة لابن المطهر الحلي . الأصول المهمة في أصول الأئمة للعاملي . دلائل الامامة لابن رستم الطبري الشيعي . مسائل الامامة ومقتطفات من الكتاب الأوسط في المقالات للناشيء الأكبر . بحار الأنوار الجامع لدرر أخبار الأئمة الأطهار لمحمد باقر المجلسي . تلخيص الشافي في الامامة للطوسي المسمى عندهم بشيخ الطائفة . الامامة عند الجعفرية لعلي السالوس . أثر الامامة في الفقه الجعفري للسالوس أيضا . نظرية الامامة لأحمد صبحي . الامامة في الاسلام لعارف تامر . طوق الحمامة في مباحث الامامة ليحيى بن حمزة الزيدي ... الخ المؤلفات .

الامـــام عـــلـى بـــالذات لأنه عين بوصية من رسول الله صلى الله عليـــه وسلم وان الائمة من بعده هم أولاده من فاطمة رضى الله عنها " (١) .

والامامـــة لـــدى الشـيعة أول مـــن نادى بها وابتدعها هو اليهـــودى عبـــد الله بن سبأ الذى قال قولته المبتدعة التى لم تكن عرفت من قبل عند المسلمين .

فممـــا نقله الأشعرى القمى – وهو شيعى من القرن الثالث الهجرى – عـــن جماعة من أهل العلم قولهم عن ابن سبأ : "ان عبـــد اللـــه بن سبأ كان يهوديا فأسلم ووالى عليا وكان يقول وهـــو عـــلى يهوديتـــه فى يوشع بن نون وصى موسى بهذه المقالة فقـــال فى اسلامه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى عـــلى بمثل ذلك . وهو أول من شهد بالقول بفرض امامة على بن أبـــى طالب وأظهر البراءة من أعدائه وكاشف مخالفيه وأكفرهم فمـــن هاهنـــا قـــال مـــن خـــالف الشيعة ان أصل الرفض مأخوذ من اليهودية " (٢) .

وقـــال النوبختى – وهـــو مـــن مشـــاهير علماء الشيعة فى القرن الثالث – مثل هذا النص المتقدم وأسنده الى جماعة من أهل العلم من أصحاب على عليه السلام (٣) .

وهـــذان النصان صريحان فى أن أول من تفوه بالقول بفرض امامة على هو ابن سبأ اليهودى فكانت هذه المقولة أول بذرة للشيعة فـــى أمـــر الامامـــة لاسيما وصاحبـــا هذا النص شيعيان معتـــبران لـــدى الشـــيعة مـــع مايضاف الى تقدمهما وقربهما من

---

(١) دراسات فى الفرق والمذاهب لعبد الله الأمين ص ١١ .
(٢) المقالات والفرق للقمى ص ٢٠-٢١ .
(٣) فرق الشيعة للنوبختى ص ٤٠-٤١ .

أحداث وبدع ابن سبأ .

ويسوق لنا البغدادى نصا يبين فيه كيف أدخل ابن سبأ آرائه فى على وامامته لدى أصحابه متسترا بمحبة على والتشيع له بقوله : "ان ابن السوداء أظهر الاسلام وأراد أن يكون له عند أهل الكوفة سوق ورياسة فذكر لهم أنه وجد فى التوراة ان لكل نبى وصيا وان عليا رضى الله عنه وصى محمد صلى الله عليه وسلم وأنه خير الأوصياء كما أن محمدا خير الأنبياء . فلما سمع ذلك منه شيعة على قالوا لعلى انه من محبيك فرفع على قدره وأجلسه تحت درجة منبره ثم بلغه غلوه فيه فهم بقتله فنهاه ابن عباس رضى الله عنهما .... ثم نفاه الى المدائن فافتتن به الرعاع بعد قتل على رضى الله عنه ومما قال لهم : "والله لينبعن لعلى فى مسجد الكوفة عينان تفيض احداهما عسلا والأخرى سمنا ويغترف منها شيعته" (١) .

ثم يضيف البغدادى ان المحققين من أهل السنة قالوا عن ابن سبأ أنه كان على هوى دين اليهود وأراد أن يفسد على المسلمين دينهم بتاويلاته فى على وأولاده كى يعتقدوا فيه ما اعتقدت النصارى فى عيسى عليه السلام - وكان أسلوب ابن سبأ فى نشر ذلك كما يقول البغدادى - ان دلس ضلالته فى تأويلاته (٢) .

وينص الشهرستانى على أن ابن سبأ أول مبتدع لعقيدة الامامة فى على بقوله : "وهو أول من أظهر القول بالنص بامامة على رضى الله عنه ومنه انشعبت أصناف الغلاة" (٣) .

---

(١) انظر الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٢٣-٢٢٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٢٢٥ .
(٣) الملل والنحل للشهرستانى ١٧٤/١ .

ان هذه النصوص وغيرها تدل دلالة واضحة على أمرين :

<u>أولهما</u> : ان السبائية بزعامة ابن سبأ هى التى ابتدعت وجاهرت بهذه العقيدة الجديدة فى الامامة والوصاية .

<u>ثانيهما</u> : ان هذه العقيدة فى الامامة والوصاية لم تعرف البته فى البيئة الاسلامية آنذاك . وقد نص أحد الشيعة الباطنيين على ذلك بما لايدع مجالا لمتوهم أو متشكك حول سبأية هذه الفكرة ويهوديتها يقول : فباعتقادى أن أول بذرة وضعت فى حقل الامامة كانت البذرة التى غرسها عبد الله بن سبأ (١) . ويكفى الأمر بيانا أن ابن سبأ شبه فى معظم الروايات عنه وصاية النبى صلى الله عليه وسلم بعلى بوصاية موسى ليوشع بن نون مما يدل على أن أصل الوصاية بالامامة موجود فى الفكر اليهودى ومن نصوص العهد القديم نستنبط أصل هذه الفكرة من هذه القصة وخلاصتها : فدعا موسى يشوع وقال له امام أعين جميع اسرائيل تشدد وتشجع لأنك أنت تدخل مع هذا الشعب الأرض التى أقسم الرب لآبائهم أن يعطيهم اياها وأنت تقسمها لهم ... وقال الرب لموسى هو ذا أيامك قد قربت لكى تموت ادع يشوع وقفا فى خيمة الاجتماع لكى أوصيه (٢) .

ومما ورد كذلك فى العهد القديم مايأتى : "وفى تلك الليلة كان كلام الله الى ناثان قائلا اذهب وقل لداود عبدى هكذا قال الرب ويكون متى كملت أيامك لتذهب مع آبائك انى أقيم بعدك نسلك الذى يكون من بنيك وأثبت مملكته" (٣) .

---

(١) الامامة فى الاسلام لعارف تامر ص ٦٢ .
(٢) التوراة السامرية ص ٣٣٦ الاصحاح الحادى والثلاثون رقم سبعة ورقم أربعة عشر .
(٣) دور اليهود فى الفرق الباطنية ص ٢٣٥ .

ان وجود النص على يوشع بن نون أو ذرية داود بهذه الصورة الواضحة فى العهد القديم يحتم القول بأن أصل الوصاية مبدأ يهودى لاسيما وأنها ليس لها ذكر صريح أو مؤول فى مصادر المسلمين (الكتاب والسنة) بهذه الصورة لدى الشيعة فثبت بذلك أن أصل الفكرة ومنبعها من التراث اليهودى .

انتقلت عقيدة الامامة من السبائية الى الفرق الشيعية المتشعبة بعضها يحمل علوا واطراء يصل الى تأليه الأئمة كالفرق الباطنية وغلاة الرافضة وبعضها يصف الأئمة بأوصاف الأنبياء كالامامية والبعض الآخر أقل من ذلك كالزيدية لكن هناك أصول مشتركة بين فرق الشيعة حول معتقد الامامة وأهمها :

أولا : أن الامامة عندهم أحد أركان الدين بل هى الايمان بعينه .

يقول أحد دعاتهم : "ان الامامة أحد أركان الدين ودعائمه بل هى الايمان بعينه وهى أفضل الدعائم وأقواها لايقوم الدين الا بها كما أن الدائرة التى تدور عليها الفرائض لاتصح الا بوجودها" [1] .

ويقول آخر : "ان الامامة تعتبر أفضل دعائم الدين واقواها ولايستقيم الدين الا بها فهى مركز تدور عليه دائرة الفرائض فلايصح وجودها الا بوجوده وهى تستمر مدى الدهر وانه لو فقد الامام ساعة واحدة لماد الكون وتبدد" [2] .

---

(١) المصابيح فى اثبات الامامة للكرمانى ص ١٢ .
(٢) الامامة لعارف تامر ص ٦٥-٦٦ .

ولتعميق هذا المعتقد لديهم فان كتاباتهم كثيرة نقتصر على نصين منها :

أولهما : مارواه الكليني ونسبه كذبا الى أبي جعفر انه قال : بني الاسلام على خمس : على الصلاة والزكاة والصوم والحج والولاية ولم يناد بشيء كما نودي بالولاية - يعني الامامة - فاخذ الناس بأربع وتركوا هذه يعني الولاية (١) .

ثانيهما : ماقاله عميد كلية الفقه في النجف الأشرف في كتابه عقائد الامامية ونصه : "ونعتقد أن الامامة أصل من أصول الدين لايتم الايمان الا بالاعتقاد بها ولايجوز فيها تقليد الاباء والأهل والمربين بل يجب النظر فيها كما يجب النظر في التوحيد والنبوة " (٢) .

ومما انفردوا به عن سائر الفرق الاسلامية وغيرها من الامامة اعتقادهم :

ثانيا : أن الامامة منصب الهي كالنبوة فكما أن الله سبحانه وتعالى يختار من يشاء من عباده للنبوة والرسالة ويؤيده بالمعجزة التي هي كنص من الله عليه فكذلك يختار للامامة من يشاء ويأمر نبيه بالنص عليه وأن ينصبه اماما للناس من بعده (٣) .

وعند الرجوع الى نصوص القوم نجد التصريح بأن الامام كالنبي بل كالرسول فكلهم يوحى اليه ولااختلاف بينهم سوى الطريقة والوسيلة الى وصول الوحي لكل واحد منهم روى صاحب الكافي انه سئل امامهم الرضا ما الفرق بين الرسول والنبي

---

(١) الكافي للكليني ١٨/٢ في باب دعائم الاسلام .
(٢) عقائد الامامية لمحمد رضا المظفر ص ٤٩ .
(٣) أصل الشيعة وأصولها لمحمد حسين آل كاشف الغطاء ص ٥٨

والامـام ؟ فكتب أو قال : "الفرق بين الرسول والنبى والامام أن الرسول الذى ينزل عليه جبرائيل فيراه ويسمع كلامه وينزل عليه الوحى وربما رأى فى منامه نحو رؤيا ابراهيم عليه السلام .

والنبى ربما سمع الكلام وربما رأى الشخص ولم يسمع . والامام هو الذى يسمع الكلام ولايرى الشخص" (١) .

وهذا النص صريح فى تساوى الرسول والنبى والامام سوى أن الامام يوحى اليه سماعا مع عدم رؤيا الملك . ومع تتبع روايات القوم فى مصادر أخرى نجد أن هذا الاستثناء قد نفاه بعضهم واثبت أن الائمة يرون الملك . فالمجلس فى بحاره عقد بابا وعنوانه "باب ان الملائكة تأتيهم وتطأ فرشهم وانهم يرونهم" وذكر فى هذا الباب ستة وعشرين حديثا منها ماذكره عن الصادق قال :"ان الملائكة لتنزل علينا فى رحالنا وتتقلب على فرشنا وتحضر موائدنا وتأتينا فى وقت كل صلاة لتصليها معنا ومامن يوم يأتى الا وأخبار أهل الأرض عندنا ومايحدث فيها" (٢) .

وفى موضع آخر من كتابه بعد ذكر روايات عن الامامة وعظم منزلتها قال : "ولانعرف جهة لعدم اتصافهم بالنبوة الا رعاية خاتم الأنبياء ولايصل عقولنا فرق بين النبوة والامامة" (٣) .

ثالثا : ونتيجة للغلو عند الشيعة فى الامامة فانهم

---

(١) الكافى للكلينى كتاب الحجة باب الفرق بين النبى والرسول والمحدث ١٧٦/١ .
(٢) البحار للمجلس ٣٥٥/٢٦-٣٥٦ .
(٣) المرجع السابق ٨٢/٢٦ .

أحاطوا أئمتهم بهالة من التعظيم والتقديس حتى أصبحت مؤلفاتهم طافحة بالأحاديث والروايات المكذوبة على الرسول صلى الله عليه وسلم . وأحاديث الشيعة عن أئمتهم ومنزلتهم وأوصافهم لاسبيل البته الى حصرها لكثرتها وغثائها وسقمها .

وحسبنا أن نشير الى عناوين الأبواب الموجودة وعدد الأحاديث تحت كل باب وذلك من خلال مصدرين معتمدين لديهم وهما الكافى للكلينى والبحار للمجلس ليتبين بعد ذلك غرابة معتقد الامامة لديهم وانه فكر أجنبى ابتدعه ابن سبأ وغذته الشيعة فيما بعد على اختلاف فرقها وتعددها حتى أصبح هذا المعتقد أصلا من أصولهم وركنا من أركان الدين . فمن الأبواب فى هذين المصدرين مايأتى :

(١) باب أن الأئمة أعلم من الأنبياء عليهم السلام .

وفى هذا الباب ثلاثة عشر حديثا منها ماروى عن عبد الله التمار قال كنا مع ابى عبد الله عليه السلام فى الحجر فقال علينا عين فالتفتنا يمنة ويسرة وقلنا ليس علينا عين فقال ورب الكعبة ثلاث مرات ان لو كنت بين موسى والخضر لأخبرتهما انى أعلم منهما ولأنبأتهما بما ليس فى أيديهما (١) .

(٢) باب تفضيلهم – أى الأئمة – على الأنبياء وعلى جميع الخلق وأخذ ميثاقهم عنهم وعن الملائكة وعن سائر الخلق وان اولى العزم انما صاروا أولى العزم بحبهم صلوات الله عليهم .

وفيه ثمان وثمانون حديثا (٢) .

---

(١) البحار للمجلس ١٦٩/٢٦ ، الكافى للكلينى ٢٦٠/١-٢٦١ .
(٢) البحار للمجلس ٢٦٧/٢٦-٣١٨ .

(٣) باب أن دعاء الأنبياء استجيب بالتوسل والاستشفاع بالأئمة .

وفيه ستة عشر حديثا منها ماورواه المجلسي عن علي بن الحسن عن فضال عن أبيه عن الرضا قال : لما أشرف نوح عليه السلام على الغرق دعا الله بحقنا فدفع الله عنه الغرق ولما رمي ابراهيم في النار دعا الله بحقنا فجعل الله النار عليه بردا وسلاما وان موسى لما ضرب طريقا في البحر دعا الله بحقنا فجعله يبسا وان عيسى لما أراد اليهود قتله دعا الله بحقنا فنجي من القتل فرفعه اليه (١) .

(٤) باب انهم يقدرون على احياء الموتى وابراء الاكمه والأبرص وجميع معجزات الانبياء .

وفيه أربعة أحاديث (٢) .

(٥) باب انهم لايحجب عنهم علم السماء والأرض والجنة والنار وانه عرض عليهم ملكوت السموات والأرض ويعلمون علم ماكان ومايكون الى يوم القيامة .

وفيه ٢٢ حديثا (٣) .

وفي الكافي بعنوان باب أن الأئمة يعلمون علم ماكان ومايكون وانه لايخفى عليهم الشيء صلوات الله عليهم . وفيه ستة أحاديث ومنها ماورواه الكليني عن أبي عبد الله قال : اني لأعلم مافي السموات واعلم مافي الأرضين وأعلم مافي الجنة وأعلم مافي النار وأعلم ماكان ومايكون (٤) .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٢٥ .
(٢) المرجع السابق ٢٧/٢٩-٣١ .
(٣) المرجع السابق ٢٦٥/١٠٩-١١١ .
(٤) الكافي للكليني ١/٢٦٠-٢٦٣ .

(٦) باب انهم يعرفون الناس بحقيقة الايمان وبحقيقة النفاق وعندهم كتاب فيه أسماء أهل الجنة وأسماء شيعتهم وأعدائهم وأنه لايزيلهم خبر مخبر عما يعلمون من أحوالهم .

وفيه أربعون حديثا (١) .

وفي الكافي باب ان الأئمة لو ستر عليهم لاخبروا كل امرىء بما له وعليه . وفيه حديثان (٢) .

(٧) باب أن الأئمة اذا شاءوا أن يعلموا علموا .

وفيه ثلاثة أحاديث ومنها ماروواه الكليني عن أبي عبد الله قال ان الامام اذا شاء أن يعلم علم (٣) .

(٨) باب أن الأئمة يعلمون متى يموتون وانهم لايموتون الا باختيار منهم .

وفيه خمسة أحاديث منها حديث قتل ابن ملجم لعلي عليه السلام وانه علم بذلك (٤) .

(٩) باب انهم لايحجب عنهم شيء من أحوال شيعتهم وماتحتاج اليه الأمة من جميع العلوم وانهم يعلمون مايصيبهم من البلايا ويصبرون عليها ولو دعوا الله في دفعها لاجيبوا وانهم يعلمون مافي الضمائر وعلم المنايا والبلايا وفصل الخطاب والمواليد .

وفيه ثلاثة وأربعون حديثا (٥) .

---

(١) البحار للمجلسي ٢٦/١١٧-١٣٢ .
(٢) الكافي للكليني ١/٢٦٤-٢٦٨ .
(٣) المرجع السابق ١/٢٥
(٤) المرجع السابق ١/٢٥٨-٢٦٠ .
(٥) البحار للمجلسي ٢٦/١٣٧-١٥٣ .

(١٠) باب ان عندهم الاسم الأعظم وبه يظهر منهم الغرائب .

وفيه عشرة أحاديث منها ماارواه المجلسى عن جابر الجعفى عن أبى جعفر قال : ان اسم الله الأعظم على ثلاثة وسبعين حرفا وانما عند آصف منها حرف واحد فتكلم به فخسف بالأرض مابينه وبين سرير بلقيس ثم تناول السرير بيده ثم عادت الأرض كما كانت أسرع من طرفة عين وعندنا نحن من الاسم الأعظم اثنان وسبعون حرفا وحرف عندالله استأثر به فى علم الغيب عنده ولاحول ولاقوة الا بالله العلى العظيم (١) .

هذه أمثلة قليلة جدا من ذلك الغثاء والركام الهائل فى مصادرهم والتى ترفع الأئمة الى مراتب خيالية يستحيل الوصول اليها والوصف بها لأى مخلوق من المخلوقات . وهذا فى حقيقة الأمر فتح لباب الزندقة والالحاد حيث أتى الباطنيون فبنوا على هذه الروايات وغيرها تأليه الأئمة والغلو فيهم الى درجة لم تصلها فرقة من الفرق ولنا أن نسأل بعد ذلك ماذا بقى لله عز وجل عندهم من خصائص الألوهية حين يوردون عشرات الروايات عندهم تقول أن الأئمة يعلمون ماكان ومايكون وانهم لايخفى عليهم شىء وكيف يتجرأون على القول بأن الأئمة عندهم ٧٢ حرفا من الاسم الأعظم والله عنده حرف واحد ؟! سبحانك هذا بهتان عظيم (٢) .

ولتأكيد هذه الأوصاف والمقامات للأئمة كفروا من لم يؤمن بهم أو حتى بواحد منهم وشبهوا ذلك بمن يجحد أو يكفر

---

(١) البحار للمجلسى ٢٥/٢٧-٢٨ .

(٢) استفدت فى حصر الأبواب وترتيبها على رسالة فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة القسم الأول ص ٢٦٨-٢٧٥ .

بنبي واحد من الأنبياء فمما افتروا على جعفر الصادق أنه قال : "الجاحد لولاية على كعابد الوثن" (١) .

وقال ابن بابويه القمى فى رسالته فى الاعتقادات :

"واعتقادنا فيمن جحد امامة أمير المؤمنين والأئمة من بعده أنه بمنزلة من جحد نبوة الأنبياء .

واعتقادنا فيمن اقر بأمير المؤمنين وأنكر واحدا من بعده من الأئمة أنه بمنزلة من آمن بجميع الأنبياء ثم أنكر نبوة محمد صلى الله عليه وسلم" .

ثم استدل القمى افتراء وكذبا بأن النبى صلى الله عليه وسلم قال : الأئمة من بعدى اثنا عشر أولهم أمير المؤمنين على بن أبى طالب وآخرهم القائم طاعتهم طاعتى ومعصيتهم معصيتى فمن أنكر واحدا منهم فقد انكرنى (٢) .

وقال شيخهم الطوسى : "ودفع الامامة كفر كما أن دفع النبوة كفر لأن الجهل بهما على حد واحد" (٣) .

ومن أحكامهم الاتفاقية ماقاله مفيدهم : "بأن الامامية اتفقت على أن من أنكر امامة أحد من الأئمة وجحد ماأوجبه الله تعالى له من فرض الطاعة فهو كافر ضال مستحق للخلود فى النار" (٤) .

ومن أجمع نصوص الشيعة عن أصل الامامة ماورد فى الكافى منسوبا الى على الرضا أحد أئمة الشيعة ونصه :

"الامامة منزلة الأنبياء وارث الأوصياء . الامامة خلافة

---

(١) البحار للمجلسى ٢٧/١٩٧ .
(٢) الاعتقادات لابن بابويه القمى ص ١١١-١١٤ .
(٣) البحار للمجلسى ٨/٣٦٨ .
(٤) المرجع السابق ٨/٣٦٦ .

الله وخلافة الرسول . والامامة زمام الدين ونظام المسلمين وصلاح الدنيا وعز المؤمنين . الامامة أس الاسلام النامي وفرعه السامي وبالامامة تمام الصلاة والزكاة والصيام والحج وتوفير الفيء والصدقات وامضاء الحدود والأحكام ومنع الثغور والأطراف . الامام يحل حلال الله ويحرم حرام الله ويقيم حدود الله ويذب عن دين الله . الامام المطهر من الذنوب والمبرأ من العيوب المخصوص بالعلم المرسوم بالحلم الامام واحد دهره لايدانيه أحد ولايعادله عالم ولايوجد منه بدل ولاله مثل ولانظير مخصوص بالفضل كله من غير طلب منه ولااكتساب بل اختصاص من المتفضل الوهاب . لقد راموا صعبا وقالوا افكا اذ تركوا أهل بيته عن بصيرة ورغبوا عن اختيار الله ورسوله الى اختيارهم والقرآن ينادى {وربك يخلق مايشاء ويختار ماكان لهم الخيرةمن أمرهم} (١) .

فكيف لهم اختيار الامام ؟ عالم لايجهل وداع لاينكل مخصوص بدعوة الرسول . ان العبد اذا اختاره الله لأمور عباده شرح صدره وأودع قلبه ينابيع الحكمة وألهمه العلم الهاما فلم يعى بجواب ولايحيد فيه عن الصواب فهو معصوم قد أمن من الخطأ والزلل والعار يخصه الله بذلك ليكون حجته على عباده وشاهدا على خلقه والله أمر بطاعتهم ونهى عن معصيتهم وهم بمنزلة رسول الله الا انهم ليسوا بأنبياء ولايحل لهم من النساء مايحل للأنبياء فأما ماخلا ذلك فهم بمنزلة رسول الله" (٢) .

---

(١) سورة القصص : ٦٨

(٢) نظرية الامامة لأحمد صبحى ص ٢٥ .

ان هذه التصورات والمعتقدات للامامة والأئمة ظلت أصولا يتناقلها علماء الشيعة ويرسمون من خلالها وعلى ضوئها أصولهم الأخرى وماعقيدة التحريف ونقصان سورة الولاية الا لدعم هذا الأصل والتدليل عليه .

ان الشيعة المعاصرين لم يغيروا أو يتنازلوا عما ورد فى كتبهم القديمة عن هذا الأصل ـ كما يظن ـ رغم مافيه من غلو والحاد وشطط لأن قوام المذهب وبقاءه على هذا الغلو ويكفينا دليلا على ذلك ماثبت عن أحد أئمتهم المعاصرين يقول "وثبوت الولاية والحاكمية للامام لايعنى تجرده من منزلته التى هى له عند الله ولاتجعله مثل من عداه من الحكام فان للامام مقاما محمودا ودرجة سامية وخلافة تكوينية تخضع لولايتها وسيطرتها جميع ذرات هذا الكون . وان من ضروريات مذهبنا أن لأئمتنا مقاما لايبلغه ملك مقرب ولانبى مرسل وبموجب مالدينا من الروايات والأحاديث فان الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم والأئمة كانوا قبل هذا العالم أنوارا فجعلهم الله بعرشه محدقين وجعل لهم من المنزلية والزلفى مالايعلمه الا الله وقد قال جبرائيل كما ورد فى روايات المعراج لو دنوت انملة لاحترقت وقد ورد عنهم أن لنا مع الله حالات لايسعها ملك مقرب ولانبى مرسل" (١) .

وفى موضع آخر قال عن على : "انه الحاكم المهيمن الشرعى على شؤون البلاد والعباد وان الملائكة تخضع له ويخضع له الناس حتى الأعداء منهم لأنهم يخضعون للحق فى قيامه

---

(١) الحكومة الاسلامية للخمينى ص ٥٢ .

وقعوده وفى كلامه وصمته وفى خطبه وصلواته وحروبه " .[١]

بل يذهب هذا الشيعى المعاصر الى اعتبار أن الرسول صلى الله عليه وسلم غير مبلغ للرسالة لو لم يعين عليا خليفة من بعده يقول : "ان الرسول الكريم قد كلمه الله وحيا أن يبلغ ما أنزل اليه فيمن يخلفه فى الناس وبحكم هذا الأمر فقد اتبع ما أمر به وعين أمير المؤمنين عليا للخلافة "[٢]

وفى موضع آخر يقول : "وكان تعيين خليفة من بعده ينفذ القوانين ويحميها ويعدل بين الناس عاملا متمما ومكملا لرسالته " .[٣]

وبالرغم من أن هذا الكم الهائل من الروايات التى تصف الأئمة بالأوصاف الالهية لاسند لها ولاأساس البته فانها أصبحت محل التهكم والتندر من بعض مثقفى الشيعة المعاصرين الذى قال عنها : "ان المتتبع المنصف للروايات التى جاء بها رواة الشيعة فى الكتب التى ألفوها بين القرن الرابع والخامس الهجرى يصل الى نتيجة محزنة جدا وهى أن الجهد الذى بذله بعض رواة الشيعة فى الاساءة الى الاسلام لهو جهد يعادل السموات والأرض فى ثقله . ويخيل الى أن أولئك لم يقصدوا من رواياتهم ترسيخ عقائد الشيعة فى القلوب بل قصدوا منها الاساءة الى الاسلام وكل مايتصل بالاسلام وعندما نمعن النظر فى الروايات التى رووها عن أئمة الشيعة وفى الأبحاث التى نشروها فى الخلافة وفى تجريحهم لكل صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم ونسفهم لعصر الرسالة والمجتمع

---

(١) الحكومة الاسلامية للخمينى ص ١٤١ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٢-٤٣ .
(٣) المرجع السابق ص ١٩ .

الاسلامى الذى كان يعيش فى ظل النبوة لكى يثبتوا أحقية على وأهل بيته بالخلافة ويثبتوا علو شأنهم وعظيم مقامهم نرى أن هؤلاء الرواة أساءوا للامام على وأهل بيته بصورة هى أشد وأنكى مما قالوه ورووه فى الخلفاء والصحابة وهكذا تشويه كل شىء يتصل بالرسول الكريم صلى الله عليه وسلم وبعصره مبتدئا بأهل بيته ومنتهيا بالصحابة . وهنا تأخذنى القشعريرة وتمتلكنى الحيرة وأتساءل : أليس هؤلاء الرواة من الشيعة ومحدثيها قد أخذوا على عاتقهم هدم الاسلام تحت غطاء حبهم لأهل البيت ؟

ماذا تعنى هذه الروايات التى نسبها هؤلاء الى أئمة الشيعة وهم صناديد الاسلام (كذا) وفقهاء أهل البيت ؟ وماذا تعنى هذه الروايات التى نسبوها الى أئمة الشيعة وهى تتناقض مع سيرة الامام على وأولاده الأئمة وكثير منها يتناقض مع العقل المدرك والفطرة السليمة . وانني لاأشك أن بعضا من رواة الشيعة ومحدثيها ومن ورائهم بعض فقهاء الشيعة قد أمعنوا فى هذا التطاول على أئمة الشيعة وفى وضع روايات عنهم ..." الى أن يقول : "ولكى أكون واضحا أود أن أضع النقاط على الحروف وأبدأ بالخلافة لكى نرى أن ماورووه فى حق الخلفاء وصحابة الرسول صلى الله عليه وسلم يصطدم اصطداما كبيرا بسيرة الامام على وأهل بيته ونرى بعد ذلك كيف أن هؤلاء الرواة وبعض علماء الشيعة لتعزيز آرائهم ولتفنيد مواقف الامام الصريحة وأهل بيته التى تفند مانسبوه اليهم ناقضوا مواقف الامام على والأئمة من بعده بصورة ملتوية ظاهرها مليح وباطنها قبيح لكى يثبتوا آرائهم حسب

أهوائهم " .[1]

ان هذا النص مهم جدا وله مدلولاته واعتباراته لأنه :

(١) صدر من أحد علماء الشيعة ومفكريها في العصر الحاضر .[2] وهو مهتم - كما يظهر من كتابه هذا - بتصحيح بعض مفاهيم الشيعة الغلاة .

(٢) ان هذا النص يدل دلالة ظاهرة على الاقرار والاعتراف بعقائد الآباء والأجداد من واحد من تلاميذ الأئمة لديهم وكما دل عليه المثل رب الدار أعرف بها وأهل مكة أعرف بشعابها .

(٣) ان هذا المفكر الشيعي يثبت لنا حقيقة مهمة سبق لعلماء الجرح والتعديل من أهل السنة بيانها وكشفها وملخصها ان هذه الروايات الهائلة في علي بن أبي طالب رضي الله عنه وآل بيته تشينه وتؤذيه أكثر مما تذكر فضائله ومناقبه ومزاياه .

---

(١) الشيعة والتصحيح لموسى الموسوي ص ١٥-١٦ .

(٢) وهو الدكتور موسى الموسوي الأصبهاني المولود في النجف عام ١٩٣٠م جده من كبار أئمة الشيعة ويسمونه بالامام الأكبر أكمل دراسته التقليدية على مشايخ النجف حتى حصل منهم على رتبة الاجتهاد في الفقه .
وحصل على شهادة الدكتوراه من جامعة طهران عام ١٩٥٥م وعلى شهادة الدكتوراه في الفلسفة من جامعة السوربون في باريس عام ١٩٥٩م .
تقلد عدة مناصب في عدد من الجامعات كجامعة طهران وجامعة بغداد وجامعة طرابلس بليبيا وجامعة هارفارد بأمريكا وأخيرا انتخب رئيسا للمجلس الاسلامي الأعلى في غرب أمريكا منذ عام ١٩٧٩م الى يومنا هذا .
حضر العام الماضي ١٤٠٨هـ المؤتمر الاسلامي الذي عقد بمكة المكرمة وأشادت به بعض الصحف السعودية وكانت له عدة مقابلات فيها .
له مؤلفات مطبوعة تربو على الثمانية وكان من آخرها هذا الكتاب والذي عنون له بالشيعة والتصحيح وهو في ظاهره ثورة على كثير من معتقدات الشيعة ولاسيما الغالية منها .

يقول الامام ابن الجوزى : "ان غلو الرافضة حملهم على وضع الأحاديث الكثيرة فى فضائل على بن أبى طالب أكثرها تشينه وتؤذيه وقد ذكرت جملة منها فى كتاب الموضوعات" (١) .

وفى كتاب له آخر قال : "ان فضائل على الصحيحة كثيرة غير أن الرافضة لم تقنع فوضعت له مايضع ولايرفع" (٢) .

ويقول ابن القيم رحمه الله أن ماوضعه الرافضة فى فضائل على أكثر من أن تعد . ونقل عن الحافظ أبى يعلى قوله "ان الرافضة وضعت فى فضائل على رضى الله عنه وأهل البيت نحو ثلاث مئة ألف حديث . ويعلق ابن القيم على قول أبى يعلى بأن ذلك لايستبعد حيث لو تتبعنا ماعندهم من ذلك لوجدنا الأمر كما قال أبو يعلى" (٣) .

ولذا فان ضلالات الشيعة حول هذا الأصل كثيرة ومروياتهم فى أصل الامامة لاخطام لها ولازمام وعلى الرغم من رداءة الحجة وضعف الدليل وخطأ الاستدلال فى أدلة الشيعة فان لعلماء السنة قديما وحديثا تتبعا لحجج الشيعة وخطأ استنتاجهم وتكذيبهم فى كثير من رواياتهم ولا أدل على ذلك من السفر العظيم منهاج السنة لابن تيمية رحمه الله ومن بعده العلامة شاه عبد العزيز الدهلوى فى كتابه القيم التحفة الاثنى عشرية ومختصرها للعلامة الالوسى وغيرها من مؤلفات علماء أهل السنة فى عصرنا الحاضر (٤) .

---

(١) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ٩٩ .
(٢) المنار المنيف لابن القيم ص ١١٦ .
(٣) الموضوعات لابن الجوزى ٣٣٨/١ .
(٤) وذلك كرسالة الرد على الرافضة للامام محمد بن عبد الوهاب ، وبطلان عقائد الشيعة للتونسوى ، والخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ، والشيعة والسنة لاحسان الهى ظهير ، وتبديد الظلام للجبهان وغيرها مما تحفل به مكتبة أهل السنة والجماعة .

واجمالا فان الأدلة الصحيحة والوقائع الثابتة فى عهد الرسول صلى الله عليه وسلم وخلفائه الراشدين تدل على خلاف ماأورده الشيعة من مرويات حول وصاية على وامامته والنص عليه ومنها :

(١) النفى القاطع من أهل السنة على أن عليا رضى الله عنه لم يكتم حديثا أو أمرا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتعلق بوصايته والنص عليه ولو كان لديه دليل واحد لاستشهد به حين انتخاب الصديق رضى الله عنه وحاشاه أن يكتم علما علمه من رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(٢) ثبت أن عليا رضى الله عنه تقدم لانتخاب الصديق رضى الله عنه ومن بعده صاحبيه عمر وعثمان رضى الله عنهما فهل فعله ذلك مع وجود نص له بالامامة جائز شرعا ؟

ان ذلك لو ثبت دليل على النص عليه يعتبر مخالفة واضحة لقول الرسول صلى الله عليه وسلم وأمره وفى ذلك الهلكة وحاشا لعلى رضى الله عنه أن يفعل ذلك . بل كيف يكون هناك نص على امامة على وخلافته بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو القائل : "دعونى والتمسوا غيرى فانا مستقبلون أمرا له وجوه وألوان واعلموا انى ان أجبتكم ركبت بكم ماأعلم ولم أصغ الى قول القائل وعتب العاتب وان تركتمونى فأنا كأحدكم ولعلى أسمعكم وأطيعكم من وليتموه أمركم وأنا لكم وزيرا خير لكم منى أميرا" (١) .

(١) نهج البلاغة ١٨٢/١ .

(٣) حين مرض الرسول صلى الله عليه وسلم مرض الموت عرف ذلك على بن أبى طالب رضى الله عنه فى وجهه عليه الصلاة والسلام ونقل ذلك الى العباس رضى الله عنه فأشار عليه العباس أن يسأل الرسول صلى الله عليه وسلم أين يجعل هذا الأمر هل فى أقاربه أم فى غيرهم فأجابه على رضى الله عنه : "والله لو منعنا اياها لايعطينا الناس اياها أبدا فوالله لاأسأله "(١) .

فهذا نص يدل دلالة صريحة على عدم الوصاية له ولو كان الأمر كما زعم الشيعة لسارع على بن أبى طالب ومعه العباس رضى الله عنهما الى الرسول صلى الله عليه وسلم واشهده على الوصاية له .

كيف وقد ثبت بسند صحيح الى على بن أبى طالب رضى الله عنه أنه سئل هل خصكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء فقال : "ماخصنا رسول الله صلى الله عليه وسلم بشىء لم يعم الناس به كافة "(٢) .

واختم الحديث عن هذا الأصل من أصول الشيعة الأولى بكلمة موجزة جيدة للمؤرخ ابن خلدون مبينا فيه منهج الشيعة فى ذكر أدلتهم وطريقة استدلالهم يقول : "ان ما استدل به الشيعة من نصوص انما هى نصوص ينقلونها ويؤلونها على مقتضى مذهبهم لايعرفها جهابذة السنة ولانقلة الشريعة بل أكثرها موضوع أو مطعون فى طريقه أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة "(٣) .

---

(١) رواه الامام أحمد فى المسند ٢٦٣/١ ورواه البخارى ١٤٢/٨ من فتح البارى .
(٢) رواه الامام أحمد فى المسند .
(٣) مقدمة ابن خلدون ص ١٤٧-١٤٨ .

رابعا : ومن الأصول المشتركة بين فرق الشيعة في معتقد الامامة القول بعصمة الأئمة [(١)] . وهو رأي لجميع فرقهم [(٢)] . كما أنه يعد أحد المبادىء الأساسية والأصول الايمانية في الاسلام الشيعي . كما يقول شيخهم المفيد [(٣)] . ويقول الأمين في كتابه دراسات في الفرق : "ان علماء الشيعة أجمعوا على عصمة الأئمة وانهم مطهرون من كل دنس وانهم لايذنبون ذنبا كبيرا أو صغيرا موصوفون بالكمال والتمام والعلم في كل أمورهم ولايوصفون بنقص أو جهل ولم يشذ عن هذا الرأي سوى ابن بابويه القمي الذي قال بجواز صدور الخطأ عن الامام سهوا" [(٤)] .

وينقل الاجماع على ذلك أيضا أحد علمائهم بقوله : "اعلم أن اجماع علماء الامامية قد انعقد على أن الامام معصوم من جميع الذنوب صغيرة كانت أم كبيرة من أول العمر الى آخره فلايقع منهم ذنب أصلا لاعمدا ولانسيانا ولاسهوا ولاغير ذلك" [(٥)] .

وفكرة العصمة اختلف في نشأتها ومن ابتدعها على ثلاثة آراء :

الأول : ماذكره ابن تيمية رحمه الله من انها من آراء ومعتقدات ابن سبأ [(٦)] . وهذا الرأي - والله أعلم - من

---

(١) وتعريفها عند الشيعة كما يقول الحلي : "انها لطف يفعله الله تعالى بالمكلف لايكون له مع ذلك داع الى ترك الطاعة وارتكاب المعصية مع قدرته على ذلك" .
ويقول الطوسي : "العصمة هي مايمتنع المكلف معه من المعصية متمكنا فيها" .
نظرية الامامة لأحمد صبحي ص ١٠٧ .

(٢) في أدب مصر الفاطمية للدكتور محمد كامل حسين ص ٢٥ .

(٣) أوائل المقالات في المذاهب المختارات ص ٩٧ .

(٤) دراسات في الفرق والمذاهب القديمة المعاصرة لعبد الله الأمين ص ٢٢ .

(٥) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص ١٤٥ نقلا من حياة القلوب للمجلسي ٢٧/٧ .

(٦) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٥١٨/٤ .

ابـن تيميـة عـلـى اعتبار انها جزء من معتقد الامامة المتفق على ان أول من نادى بامامة على بن أبى طالب هو ابن سبأ .

الثانى : ماذكره الشيخ محب الدين الخطيب بقوله : "ان أول مـن اخـترع للشيعة هـذه العقيـدة الضالـة خبيث يسميه المسلمون شيطان الطاق وتسّميه الشيعة مؤمن آل محمد واسمه محمد بن على الأحول ويزعمون أنه من أصحاب جعفر الصادق توفى فى عام ١٦٠هـ" (١) .

الثالث : رأى الدكتـور كامل الشيبى الذى يقول : "ان أول شيعى قال بعصمة جعفر الصادق هو المتكلم الشيعى الكوفى هشام بن الحكم المتوفى عام ١٩٩هـ وانه رأى أن الامام أحوج الى العصمة من النبى لأنه ـ كما ذكر ـ ان الامام لايوحى اليه ولـذلك احتاج الى العصمة بخلاف النبى فانه يوحى اليه فيسدد الله خطاه" (٢) .

وعلى كل حال فان العصمة فكرة شيعية أصيلة لها ارتباط بالامامـة وماأسبغ على الأئمة من أوصاف فلذا لها أهمية كبرى أفردوا لها أبوابا فى كتبهم الحديثية (٣) .

ويبدو أن فكرة العصمة قد مرت بأطوار مختلفة .

ففـى الطـور الأول كـان علماء الشيعة السابقين يقولون بالعصمـة ولكنها ليست عصمة مطلقة حيث جوزوا السهو عليهم . وعـلـى ذلـك ابـن بابويـه القمى والطبرسى بل انهم نقلوا عن امامهم الثامن على الرضا قوله عمن يقول بالعصمة المطلقة :

---

(١) مجلة الفتح المجلد ٢٧٧/١٨ .
(٢) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبى ص ٣٨٥ .
(٣) انظر علـى سبيل المثال أصول الكافى للكلينى كتاب الحجة ص ١٦٥، ١٧٧ .

"كذبوا لعنهم الله ان الذى لايسهو هو الله لااله الا هو" [١] .

أمـا الطـور الثـانى : فهو يمثل الغلو فى هذه العقيدة حيث ان الامام يجب أن يكون معصوما حتى من السهو وهذه منزلة لـم يصل اليها الأنبياء والمرسلون وهى فى حقيقة الأمر تأليه للأئمـة لأن الـذى لايسـهو هـو الله الذى لاتأخذه سنة ولانوم . وهذه نصوصهم على ذلك :

يقـول المامقانى : "ان نفـى السـهو عن الأئمة أصبح من ضرورات المذهب الشيعى" . ويقر بأن هذا كان غلوا لدى علماء شيعته السابقين لكنه يقول : "ان مايعتبر غلوا فى الماضى أصبح اليوم من ضرورات المذهب الشيعى" [٢] .

ويقـرر هـذا الغلـو شـيخ شـيعى معاصر بقوله : "ان من عقـائد الاماميـة أن الامـام يجـب أن يكـون معصوما من السهو والخطأ والنسيان" [٣] .

بـل ان جماعـة مـن الشيعة يزعمون أن الرسول صلى الله عليه وسلم جائز عليه أن يعصى الله وأن النبى قد عصى فى أخذ الفداء يوم بدر أما الأئمة فلايجوز ذلك عليهم لأنه لايوحى اليهـم وهـم من أجل ذلك معصومون لايجوز أن يسهوا أو يغلطوا وان جاز على الرسول العصيان [٤] .

ولنـا بعـد ذلـك أن نسـأل القائلين بهذا الأصل الغريب مـاقولكم فيما ثبت عن على بن أبى طالب رضى الله عنه وغيره مـن الأئمـة مـن اعتراف بخطأ أو تقصير أو استغفار من ذنب .

---

(١) البحار للمجلسى ٣٥٠/٢٥ .
(٢) تنقيح المقال للمامقانى ٢٤٠/٣ .
(٣) عقائد الامامية لمحمد رضا المظفر ص ٦٧ .
(٤) الملل والنحل للشهرستانى ١/

ففي شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد أن عليا رضي الله عنه قال لأصحابه : "لاتكفوا عن مقالة بحق أو مشورة بعدل فاني لست آمن من أن أخطيء" (١) .

وجاء في الصحيفة السجادية أن من دعاء علي بن الحسين قوله :"اللهم لك الحمد على سترك بعد علمك فكلنا قد اقترف العائبة فلم تشهره ، وارتكب الفاحشة فلم تفضحه كم نهي لك قد أتيناه وأمر قد وقفتنا عليه فتعديناه وسيئة اكتسبناها وخطيئة ارتكبناها ... الخ الدعاء" (٢) .

وهذا أبو عبدالله جعفر الصادق رحمه الله يقول : "لما ذكر له السهو أو ينفلت من ذلك أحد ربما أقعدت الخادم خلفي يحفظ على صلاتي" (٣) .

وقد أقر المجلسي - أحد علماء الشيعة المعتبرين - في بحاره بوجود أخبار تناقض دعوى نفي السهو عن الائمة وقال بعد ذلك : "ان المسألة في غاية الاشكال لدلالة كثير من الأخبار والآيات على صدور السهو عنهم واطباق الأصحاب الا من شذ منهم على عدم الجواز" (٤) .

ولخطورة هذا المعتقد وكونه صيغ لهدف بعيد وأغراض شتى (٥)

---

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ١٠٢/١١ .
(٢) الصحيفة السجادية ص ١٨٤ .
(٣) البحار للمجلسي ٣٥١/٢٥ .
(٤) المرجع السابق نفس الجزء والصفحة .
(٥) فمن أخطر الآثار العملية لدعوى العصمة - كما يقول أحد الباحثين - اعتبارهم أن مايصدر عن أئمتهم الاثنى عشر هو كقول الله ورسوله ولذلك فان مصادرهم في الحديث تنتهي معظم أسانيدها الى أحد الأئمة ولاتصل الى رسول الله صلى الله عليه وسلم .
انظر رسالة فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة ص٢٩٨
ومن أغراض الشيعة في تقرير العصمة تقبل كل مايروى عن أئمتهم بلا تردد أو مناقشة لصدوره عن امام معصوم عن الخطأ حتى السهو والنسيان . =

نجد أن كتاب الشيعة فى العصر الحاضر - ولاسيما دعاة التقريب - يتنازلون ويتظاهرون بنفى ذلك عن الشيعة حتى قال أحدهم : "ان الاعتقاد بأن الأئمة يسهون هو مذهب جميع الشيعة" (١) .

واختم الحديث عن معتقد الشيعة بعصمة الأئمة بقول الأستاذ أحمد جلى : "ان العصمة بهذا المفهوم الشيعى غريبة على التصور الاسلامى بعيدة عن تعاليم القرآن الذى لم ينسب العصمة الا للأنبياء لأن العصمة المطلقة بعيدة عن الطبائع البشرية التى ركبت فيها الشهوات وركب فيها الخير والشر والذى يبدو (بل المؤكد) أن الأئمة الأولين كعلى والحسن والحسين لم تعرف لديهم العصمة التى ادعاها الشيعة ونسبوها لهم كما يتضح من أقوالهم التى سبق شىء منها" (٢) . ومما له صلة وارتباط بهذا الأصل عند الشيعة - ولاسيما الامامية منهم - غيبة الامام وانتظار رجوعه وهذا هو موضوع الأصل الثانى من أصول التشيع .

= ومن أغراضهم كذلك أن أفعال الامام وأقواله لايسأل عنها مهما ظهر فيها من أخطاء أمام أنظار الآخرين ويجب قبولها كما يجب تصديقه فى كل مايأتى ومايذر لأن عنده من العلم والمعرفة مالايصل اليه أحد من سائر البشر ... الخ الأهداف والأغراض التى يظهر بعضها ويخفى البعض تحت ستار التقية والباطنية .

(١) الشيعة فى الميزان لمحمد جواد مغنيه ص ٢٧٢ .

(٢) دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ١٤٨ ومابين القوسين عبارة للطالب .

الأصل الثانى من أصول التشيع : الغيبة .

تتميز كثير من أصول الشيعة عن غيرها من سائر الفرق بأنها وليدة الحاجة فكلما ضاقت بهم السبل فى ضلالتهم اخترعوا عقيدة تلم شعثهم وتجمع شتاتهم وتؤمن البقاء والاستمرار لدعاويهم الزائفة ومصالحهم الكثيرة كما قال المعرى واصفا كثرة الأئمة وادعاء كل واحد منهم الامامة . وحدثنى من سافر الى تلك الناحية (ويقصد به اليمن) أن به اليوم جماعة كلهم يزعم أنه القائم المنتظر فلايعدم جباية من مال يصل بها الى خسيس الآمال .(١)

ومن هذه الأصول المخترعة - بل من أشهرها لدى الشيعة - مايسمى عندهم بعقيدة الغيبة المرتبطة ارتباطا مباشرا بأصل الامامة فما دام أن الامام - حسب معتقدهم - لايجوز أن تخلو منه الأرض لأنه لو خلت منه الأرض - بزعمهم - لخربت وماجت وساخت . وحيث أن امامهم الحادى عشر مات عقيما سنة ٢٦٠هـ لاعقب له ولاولد (٢) فكيف يغطون هذه الثغرة ويسترون

---

(١) رسالة الغفران لأبى العلاء المعرى ٣٤/٢ .

(٢) أبلغ الأدلة على ذلك شهادة علماء الشيعة ولاسيما متقدموهم . يقول القمى أحد علماءهم المتقدمين : "توفى الحسن العسكرى ولم ير له خلف ولم يعرف له ولد ظاهر" .
المقالات والفرق للقمى ص ١٠٢ .
ويقول النوبختى من علمائهم فى القرن الثالث الهجرى : "وولد الحسن بن على سنة اثنتين وثلاثين ومائتين وتوفى بسر من رأى سنة ستين ومائتين ودفن فى داره وهو ابن ثمان وعشرين سنة وكانت امامته خمس سنين وأشهر وحين توفى لم ير له أثر ولم يعرف له ولد ظاهر فاقتسم ماظهر من ميراثه أخوه جعفر وأمه" .
الفرق للنوبختى ص ١٠٥ .
ويقول شيعى آخر : "ان الحسن العسكرى لما توفى قسم ميراثه بين أمه وأخيه جعفر وادعت أمه وصيته وثبت =

هذه العورة الا بأمل يبنون عليه بنيانهم السابق من القول بامامة أئمة معينين ورجعتهم بعد موتهم الذى أوشك على الانهيار فاستحدثوا ماسموه بعقيدة (الغيبة) ويعنون بها أن امامهم الثانى عشر وهو محمد القائم ابن الحسن العسكرى تغيب عن الأنظار ومازال حيا حتى اليوم وينتظرون رجعته وغاب غيبتين :

الصغرى : وذلك حينما كان يتصل به نواب الامام فيأخذون توقيعاته ويجتمعون معه فى مكان ما أو أماكن وكان ذلك من عام ٢٦٠هـ حتى عام ٣٢٩هـ حينما توفى آخر نواب الامام ومدتها تسع وستون سنة (١) .

أما الغيبة الكبرى : فانها ابتدأت من حين انتهت الصغرى ويعنون بها انقطاع الاتصال جملة وتفصيلا مع الامام مع انتظار خروجه وعودته منذ ذلك الوقت حتى يومنا هذا يقول الخمينى فى كتابه الحكومة الاسلامية : "وقد مر على الغيبة الكبرى لامامنا المهدى أكثر من ألف عام وقد تمر ألوف السنين قبل أن تقضى المصلحة قدوم الامام المنتظر" (٢) .

= ذلك عند القاضى والسلطان" .
اكمال الدين لابن بابويه القمى ص ٤٢ .
وكتب الشيعة التى تزعم وجود طفل للحسن العسكرى تعترف بأنه لم يظهر فى حياة أبيه ولاعرفه الجمهور بعد وفاته انظر الارشاد للمفيد ص ٣٤٥ .
وأما كتب النسابين فانها تؤكد انقطاع النسل بعد الحسن العسكرى الامام الحادى عشر . فذكر محمد بن جرير الطبرى وعبد الباقى بن قانع وغيرهما أن الحسن بن على العسكرى مات ولم يعقب .
المنتقى للذهبى ص ٣١ .

(١) انظر كتاب الشيعة والتصحيح للموسوى ص ٦١ .
(٢) الحكومة الاسلامية للخمينى ص ٤٦ .

اما مكان غيبته فان علماء الشيعة كتموا عنا ذلك ابان الغيبة الصغرى ويعللون ذلك بالخوف من القتل[١] . والقتل كما هو معروف لايقع الا على الموجودات أما المعدومات فلايتصور وقوعه ولو ذهنيا ومع فرض الوجود فان للائمة ـ عندهم ـ منزلة وكشف للمغيب يعرفون من سيقتلهم ومتى وأين فيتقون ذلك ولكن لله فى خلقه شؤون .

اما فى الغيبة الكبرى فانهم صرحوا بمكانه وحددوه بسرداب فى مدينة سامراء فى جامع من جوامعها الكبيرة ولازال الشيعة يجتمعون فى كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب السرداب يهتفون باسمه ويدعونه للخروج حتى تشتبك النجوم ثم ينفضون الى بيوتهم بعد طول الانتظار وهم يشعرون بخيبة الأمل والحزن[٢] . والحمد لله على نعمة العقل والتفكير السوى وقديما قال عنهم ابن حجر الهيثمى ساخرا من عقولهم :

ماآن للسرداب أن يلد الذى

كلمتموه بجهلكم ما آنا

فعلى عقولكم العفاء فانكم

ثلثتم العنقاء والغيلانا[٣]

وبداية هذه العقيدة أنه لماما مات الحسن العسكرى الامام الحادى عشر ولم يعقب أحدا تحيرت الشيعة بعده وافترقوا فمنهم من قال انقطعت الامامة ومنهم من قال ان الحسن بن على

---

(١) كتاب روح الاسلام للشيعى أمير على ص

(٢) فمن أكاذيبهم وطاماتهم أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال : "لابد للغلام من غيبة فقيل له ولم يارسول الله قال يخاف القتل" .
انظر دراسات فى الفرق والمذاهب للأمين نقلا من كتاب علل الشرائع ص ٢٤٣ .

(٣) الصواعق المحرقة لابن حجر الهيثمى ص ١٦٨ .

توفى ولاعقب له والامام بعده اخوه جعفر بن على ومنهم من قال ان الحسن لم يمت وهو القائم وله غيبتان . ومنهم من قال ان الحسن مات ولكنه يحيا وهو القائم ومنهم من قال صحت وفاة الحسن وصح أن لاولد له وبطل ما ادعى من الحيل فى سرية له فثبت أن الامام بعد الحسن غير موجود وهو جائز فى المعقولات ان يرفع الله الحجة عن أهل الأرض لمعاصيهم ...الخ الفرق التى حصرها الشهرستانى باحدى عشرة فرقة ثم قال عنهم انهم متحيرين تائهين أعاذنا الله من الحيرة .(١)

أمام هذه الحيرة وذلك الاضطراب الذى كاد أن ينسف مذهب الامامية من أساسه ظهر رجل بفكرة أنقذت الموقف فادعى بدعوى فى غاية الغرابة ملخصها :

ان للحسن العسكرى - الامام الحادى عشر - ولد فى الخامسة من عمره مختف عن الناس لايظهر لأحد غيره وهو الامام بعد أبيه الحسن وان هذا الطفل الامام قد اتخذه وكيلا عنه فى قبض الأموال ونائبا يجيب عنه فى المسائل الدينية وكان ذلك سنة ٢٦٠هـ ولما مات عثمان عام ٢٨٠هـ ادعى ابنه محمد بن عثمان نفس دعوى أبيه وبعد وفاته عام ٣٠٥هـ خلفه الحسين النوبختى فى نفس الدعوى ولما توفى عام ٣٢٦هـ خلفه أبى الحسن السمرى حتى توفى عام ٣٢٩هـ وكان آخرهم وبوفاته انقطع الاتصال بالطفل الامام ووقعت الغيبة الكبرى وكان هؤلاء الأربعة يسمون نواب الامام يتلقون أسئلة الناس وأموالهم ومن(٢)

---

(١) انظر الملل والنحل للشهرستانى ١٧٠/٢-١٧٢ .
(٢) لهؤلاء النواب منزلة عظيمة عند الشيعة لأنهم الواسطة بين الامام المختفى الغائب وعامة الناس ولذا تحدث عنهم جمع من علماء الشيعة كالطوسى فى كتابه الغيبة ص ٢١٤ ومابعدها ، والطبرسى فى كتابه الاحتجاج ٢٩٦/٢ ، ومحمد باقر الصدر شيعى معاصر فى كتابه تاريخ الغيبة الصغرى ص ٣٩٦ .

ثم يعرضونها على الامام فى مخبئه وغيبته ؟ ويأتون بأجوبتها وتوقيعاته ويسمونها بحكايات الرقاع والتوقيعات الصادرة من الامام وهى كثيرة ذكر الطوسى فى كتابه الغيبة طرفا منها (١) .

ولذا استماتت الشيعة وأجهدوا أنفسهم فى اثباتها فسقوطها وبطلانها نسف لمذهب الشيعة الامامية من أساسه فهى التى تبقى اصل التشيع وجوهره (الامام) ويقول أحد الباحثين "ان فكرة غيبة الامام كانت هى القاعدة التى جمعت كيان الشيعة من التصدع وأمسكت ببيانه عن الانهيار لهذا أصبح الايمان بغيبة ابن للحسن العسكرى هو المحور الذى تدور عليه العقائد الشيعية ولذا دان بها أكثر الشيعة بعد تخبط واضطراب فلم يكن لهم ملجأ الا ذلك (٢) .

أصبحت فكرة الغيبة بعد ذلك اصلا من أصول الشيعة افردوا لها مؤلفات كثيرة : ذكر مؤلف كتاب الذريعة الى تصانيف الشيعة انها تبلغ اربعة وخمسين كتابا لشيوخهم وذكر شيعى آخر انه الف فى الغيبة عندهم ستة وثلاثون كتابا (٣) .

ومن أهم هذه الكتب الغيبة لأبى جعفر محمد بن الحسن الطوسى والغيبة لمحمد بن ابراهيم النعمانى وتاريخ الغيبة الصغرى لشيعى معاصر هو محمد باقر الصدر .

وكتبهم الحديثية المعتبرة لم تغفل هذا الأصل بل ذكرت الأحاديث الدالة بزعمهم على الغيبة وعلى فضل انتظار قائمهم ففى الكافى عن أبى جعفر انه قال لمن سأله عن دينه الذى

---

(١) انظر رسالة فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة للدكتور ناصر القفارى ص ٢٤٣ .
(٢) المرجع السابق ص ٣٢٣ .
(٣) الذريعة الى تصانيف الشيعة .

يدين الله به فقال والله لأعطينك دينى ودين آبائى الذى ندين الله به شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله وانتظار قائمنا[(١)] .

ومما نسبوه الى جعفر الصادق كذبا أنه سئل عمن أقر بالأئمة جميعا وجحد الامام الغائب فقال : "كمن أقر بعيسى وجحد محمدا أو اقر بمحمد وجحد عيسى نعوذ بالله من جحد حجة من حججه"[(٢)] .

وذكروا أحاديث كثيرة عن جزاء انتظار المهدى فى غيبته حتى يخرج فهو فى أحاديثهم كالمجاهد فى سبيل الله بل انه يعتبر شهيدا ولكثرتها فان الشيعى المعاصر لطف الله الصافى جزم بتواترها يقول : "والأخبار الواردة فى فضيلة الانتظار كثيرة متواترة"[(٣)] . ووصل بهم الأمر فى تأصيل الغيبة أن زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عن منتظرهم : "من انكر القائم من ولدى فقد أنكرنى"[(٤)] .

وفى الكافى عن أبى عبد الله الصالحى قال سألت أصحابنا بعد مضى أبى محمد (الحسن العسكرى) أن أسأل عن الاسم والمكان فخرج الجواب : ان دللتهم على الاسم أذاعوه وان عرفوا المكان دلوا عليه بل ورد عندهم أن صاحب هذا الأمر لايسميه باسمه الا كافر[(٥)] .

---

(١) الكافى عن منتخب الأثر ص ٤٩٩ .
(٢) الغيبة للنعمانى ص ٥٥ .
(٣) حاشية منتخب الأثر للصافى ص ٤٩٩ .
(٤) اكمال الدين لابن بابويه القمى ص ٣٩٠ .
(٥) الكافى للكلينى ٣٣٣/١ . لكنهم يذكرونه بأحد ألقابه المتعددة ومنها المهدى والقائم والحجة والمنتظر وصاحب العصر وصاحب الزمان وصاحب الأمر والامام الثانى عشر .

وذكر صاحب الاحتجاج بسنده عن الكليني عن اسحاق بن يعقوب قال سألت محمد بن عثمان (النائب الثاني من نواب القائم في الغيبة الصغرى) أن يوصل لي كتابا قد سألت فيه عن مسائل اشكلت على فورد التوقيع بخط مولانا صاحب الزمان : أما ماسألت عنه أرشدك الله وثبتك ووقاك من أمر المنكرين لي من أهل بيتنا وبني عمنا . فاعلم انه ليس بين الله عز وجل وبين أحد قرابة ومن أنكرني فليس مني وسبيله سبيل ابن نوح وأما سبيل ابن عمي جعفر وولده سبيل اخوة يوسف وأما أموالكم فلانقبلها الا لتطهروا فمن شاء فليصل ومن شاء فليقطع ... الخ .(١)

ومن ثمرات الغيبة وفوائدها مايسمى لديهم (بالرقاع) والتي يدعون انها صادرة عن الامام وعليها توقيعه حال غيبته ووصلت اليهم عن طريق نوابه الأربعة . ومافيها يعتبرونه دينا يدينون الله به بل انها كقول الله تعالى وقول رسوله عليه الصلاة والسلام .

يقول الشيخ محمود الآلوسي عن تعبد الشيعة بهذه الرقاع "انهم اخذوا دينهم من الرقاع المزورة التي لايشك عاقل انها افتراء على الله تعالى ولايصدق بها الا من أعمى الله بصره وبصيرته وهذه الرقاع عند الرافضة من اقوى دلائلهم وأوثق حججهم فتبا لقوم اثبتوا احكام دينهم بمثل هذه الترهات واستنبطوا الحلال والحرام من نظائر هذه الخزعبلات ومع ذلك يقولون نحن اتباع أهل البيت كلا بل هم اتباع الشياطين وأهل البيت بريئون منهم" .(٢)

---

(١) الاحتجاج للطبرسي ٢٨٣/٢ .
(٢) كشف غياهب الجهالات للآلوسي رقم ١٢ مخطوط .

ومـن ثمـرات الغيبـة سـقوط كثير من التكاليف الشرعية فلاجمعـة ولاجماعـة ولاجهـاد فـى سبيل الله ولابيعة شرعية حتى يخـرج القـائم وواضـح كمـا ذكـر أحـد الكتـاب أن وراء هذه العقيدة هدف ماكر يتلخص فى تجميد نشاط المسلمين فى كل شىء حـتى تنحسـر دعـوتهم فيتوقف جهادهم وأخيرا يجعلهم فـى موقف الانتظار ريثما يحضر الامام المنتظر فيملأ الأرض عدلا (١).

ان هذا الأصل من أصول الشيعة مثار حيرة واضطراب وتشكك حـتى مـن الشـيعة أنفسهم الذين بحثوا عن أخبار امامهم فلم يجـدوا مايشـفى الغلـة ويـروى الظمأ وانتظروا خروجه فطالت الغيبـة وتوالت الأعوام ثم القرون ولم يروا بشرا أو يسمعوا بخـبر اللهـم الا الروايـات التـى تـدنس البياض ويضحك منها الجهال .

يقول ابن بويه القمى : "رجعت الى نيسابور وأقمت فيها فوجـدت أكـثر المخـتلفين عـلى من الشيعة قد حيرتهم الغيبة ودخلت عليهم فى أمر القائم عليه السلام الشبهة" (٢).

ومـن الملاحظ أن هذه الحقيقة التى اعترف بها القمى فى أواخـر القـرن الرابع الهجرى فكيف يكون الأمر بعده بقرون . فهـاهو الامام الشهرستانى ينعى عليهم عقولهم وأفكارهم التى تصدق بالأقـاصيص والأساطير بعد ذكره لاختلافاتهم يقول : "ومن العجـب أن القـائلين بامامة المنتظر مع هذا الاختلاف العظيم الذى بينت لايستحيون فيدعون فيه أحكام الهية ويتأولون قوله تعـالى عليـه : {وقـل اعملـوا فسـيرى اللـه عملكـم ورسوله

---

(١) دراسات فى الفرق والمذاهب ص ١٩ .
(٢) اكمال الدين لابن بابويه القمى ص ٢ .

والمؤمنون وستردون الى عالم الغيب والشهادة } .(١)

. قالوا هو الامام المنتظر الذى يرد اليه علم الساعة ويدعون فيه انه لايغيب عنا وسيخبرنا بأحوال الناجين يحاسب الخلق الى تحكمات باردة وكلمات عن العقول شاردة :

لقد طفت فى تلك المعاهد كلها
وسيرت طرفى بين تلك المعالم
فلم أر الا واضعا كف حائر
على ذقن قارعاش نادم (٢)

ومن بعده الامام ابن تيمية رحمه الله حيث يذكر سفاهة عقولهم واختلافهم فى أمر غائبهم فهم يقولون بامام منتظر موجود غائب لايعرف له عين ولا اثر ولايعلم بحس ولاخبر لايتم الايمان الا به . وفى معرض التهكم بعقولهم ومعتقدهم السخيف يقول أيضا : "ومنتهى الامام عندهم الايمان بأنه معصوم غائب عن الأبصار كائن فى الأمصار سيخرج الدينار من قعر البحار يطبع الحصى ويورق العصا دخل سرداب سامرا سنة ستين ومائتين وله من العمر اما سنتان واما ثلاث واما خمس أو نحو ذلك فانهم مختلفون فى قدر عمره (٣) ثم الى الآن لم يعرف له خبر ودين الخلق مسلم اليه فالحلال ماحلله والحرام ماحرمه والدين ماشرعه ولم ينتفع به أحد من عباد الله (٤) .

---

(١) سورة التوبة : ١٠٥
(٢) الملل والنحل للشهرستانى ٢/١٧٢-١٧٣ .
(٣) يقصد ابن تيمية عصره الذى عاش فيه وهو القرن السابع الهجرى ومن حقنا نحن أيضا بعد ابن تيمية بثمانية قرون أن نقول وحتى الآن لم نعرف له خبر ولا أثر .
(٤) منهاج السنة النبوية ١٧٦/٥ .

ويتبجح عالم من علماء الشيعة فى العصر الحاضر بعقيدة الغيبة ويمر عليها رغم محاولة بعض آيات الشيعة المعاصرين انقاذ الموقف مرة أخرى بالقول بأن الفقيه يحل محل الامام .(١)

ففى كتاب الموسوى الزنجانى "عقائد الامامية الاثنى عشرية " يتحدث عن طول عمر المهدى وأن غيبته مما قام عليها البرهان ودلت عليها الأدلة القطعية من العقل والنقل ! كما عنون لمن رأى المهدى فى أيام أبيه وعددهم أربعون رجلا .

وفى عنوان آخر ذكر من فاز برؤيته فى الغيبة الصغرى ثم بعد ذلك ذكر عدد من رأى الحجة وأوصلهم الى مائتين وخمسة وستين شخصا وأخيرا وبلاحياء ولاخجل ذكر علامات ظهور الحجة صاحب الزمان ومنها :

تخريب قبور الأئمة وتمايل الناس الى مذهب مزدك . وتخريب سد النيل وهو المعروف فى عصرنا بسد أسوان ومنها اختراع الطيارة . ومنها اختراع الراديو ومنها اختراع التلفزيون . ومنها تقسيم الصين ومنها هجوم السوفيات على

---

(١) وذلك هو مافعله الخمينى فى كتابه الحكومة الاسلامية والذى يدور على نظرية ان الفقهاء كالأئمة ولذا فان الفقيه يحل محل الامام ويقوم مقامه حتى فى الأمور الشرعية التى ربطوها بظهور القائم من غيبته وخروجه من سردابه ومن أسماء هذا الكتاب أيضا ولاية الفقيه وهو عنوان له مدلوله .
ومما قال فى هذا الكتاب : "فالفقهاء العدول هم وحدهم المؤهلون لتنفيذ أحكام الاسلام واقرار نظمه واقامة حدود الله وحراسة ثغور المسلمين وعلى كل فقد فوض اليهم الأنبياء ـ أى الفقهاء ـ جميع مافوض اليهم وائتمنوهم على ماائتمنوهم عليه " .
ص ٧٠ من الحكومة الاسلامية .
وفى ص ٧٦ قال : "وقد حصر الامام على القضاء بمن كان نبيا أو وصى نبى وبما أن الفقيه ليس نبيا فهو اذن وصى نبى وفى عصر الغيبة يكون هو امام المسلمين وقائدهم والقاضى بينهم بالقسط دون سواه " .

المسلمين . ومنها جرى الماء فى النجف والنار فى الحجاز . ومنها اخبار الصادق عن أوضاع طهران ومنها قراءة القرآن فى الراديو .... الخ العلامات التى أوصلها الى واحد وخمسين علامة (١) .

وبالجملة فان الشيعة ـ كما قال الامام ابن حزم ـ ذوو أديان فاسدة وعقول مدخولة وعديموا الحياء (٢) .

والى هنا تنتهى قصة الأئمة الاثنى عشر وهى نهاية اسطورية تثير العجب والسخرية لاسيما أنه وجد مجموعة من البشر يدافعون عنها وينافحون فى سبيل بقائها على اعتبار انها عقيدة حتى فى عصرنا الحاضر عصر العلم والاكتشاف والذرة وويل للمضللين والمشعوذين والدجالين .

---

(١) انظر كتاب عقائد الامامية الاثنى عشرية للرافضى المعاصر ابراهيم الموسوى الزنجانى ص ٢٣٤-٢٧٠ .
(٢) الفصل فى الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١٨١/٤ .

الأصل الثالث من أصول التشيع : الرجعة .

يفسرها الأشعري بقوله : "ان الأموات يرجعون الى الدنيا " .(١)

ويعرفها المفيد : "احد شيوخ الشيعة ـ بأنها رجعة كثير من الأموات الى الدنيا قبل يوم القيامة " .(٢)

وهي عقيدة شيعية ابتدعها ابن سبأ وجذورها ترجع الى اليهودية والنصرانية فلارجعة في الاسلام سوى البعث والنشور يوم القيامة يوم الجزاء والحساب في الدار الآخرة .

ويشير الشهرستاني عند حديثه عن اليهود الى أن من مسائلهم تجويز الرجعة واستمالتها يقول : "وأما جواز الرجعة فانما وقع لهم من أمرين :

أحدهما : حديث عزير عليه السلام اذ أماته الله مائة عام ثم بعثه .

والثاني : حديث هارون عليه السلام اذ مات في التيه وقد نسبوا موسى الى قتله بألواحه قالوا حسده لأن اليهود كانوا أميل اليهم منهم الى موسى واختلفوا في حال موته فمنهم من قال انه مات وسيرجع ومنهم من قال غاب وسيرجع .(٣)

والرجعة عند النصارى نشأت من قولهم بصلب المسيح وقتله المزعوم فانهم زعموا ان الصلب والقتل انما وقع على جزئه الناسوتي دون اللاهوتي وانه قام بعد ثلاثة أيام من صلبه وصعد الى السماء وانه سيعود مرة ثانية للقضاء بين

---

(١) مقالات الاسلاميين لأبي الحسن الأشعري ٨٦/١ .
(٢) أوائل المقالات للمفيد ص ٥١ .
(٣) الملل والنحل للشهرستاني ١٦/٢-١٧ .

الأموات والأحياء [١] .

ويذهب الى ذلك أيضا أحمد أمين فهو يرى أن الفكرة أجنبية تسربت الى المجتمع الاسلامى عن طريق ابن سبأ يقول : "وفكرة الرجعة هذه أخذها ابن سبأ من اليهودية فعندهم ان النبى (الياس) صعد الى السماء وسيعود فيعيد الدين والقانون ووجدت الفكرة في النصرانية أيضا فى عصورها الأولى وتطورت هذه الفكرة عند الشيعة الى العقيدة باختفاء الأئمة وان الامام المختفى سيعود فيملأ الأرض عدلا ومنها نبعت فكرة المهدى المنتظر [٢] والى ذلك ذهب أيضا المستشرق اليهودى جولد تسيهر حيث اعتبرها عقيدة دينية تسربت الى المجتمع الاسلامى عن طريق المؤثرات اليهودية والمسيحية لأنهم يرون ان النبى ايليا قد رفع الى السماء وانه سيعود الى الأرض" [٣] .

ظهرت فكرة الرجعة لأول مرة فى المجتمع الاسلامى عن طريق التشيع على يد ابن سبأ الذى نادى برجعة النبى صلى الله عليه وسلم ثم زعم رجعة على قائلا انه لم يقتل بل رفع الى السماء كما رفع عيسى وانه سيعود الى الأرض مرة أخرى .

ويوضح الطبرى طريقة ابن سبأ وأسلوبه فى عرضها وتقريرها بقوله : "ان ابن سبأ قال لعجب ممن يزعم ان عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع وقد قال الله عز وجل : {ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد} [٤] فمحمد أحق بالرجوع من عيسى قال فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها" [٥]

---

(١) محاضرات فىالنصرانية لمحمد أبو زهرة ص ١٠٦-١١٩ .
(٢) فجر الاسلام لأحمد أمين ص ٢٧٠ .
(٣) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص ٢١٥ .
(٤) سورة القصص : ٨٥
(٥) تاريخ الطبرى ٣٤٠/٤ .

وفـى البرهـان يقـول السكسكى : "ان ابـن سبأ وفرقته يقولـون بالرجعـة الـى الدنيـا بعـد الموت وهو أول من قال ذلك" (١) .

وفـى عقـد الجمان للعينى قوله : "ان ابن سبأ دخل مصر وطـاف فـى كورهـا وأظهـر الأمـر بالمعـروف وتكلم فى الرجعة وقررها فى قلوب المصريين" (٢) .

ومـن مقتضيـات عقيدة الرجعة عندهم القول بأن عليا حى لـم يمـت والسبئية يعتقدون هذا ويقولون بأن عليا لم يقتل ولم يمت ولايموت حتى يملك الأرض ويسوق العرب بعصاه (٣) .

وحينمـا بلغهـم خبر موته قالوا للذى نعاه اليهم كذبت يـاعدو الله لو جئتنا بدماغه فى صرة وأقمت على قتله سبعين عدلا ماصدقناك ولايموت حتى يسوق العرب بعصاه ويملك الأرض (٤) .

ويقـارن ابن سبأ بيـن اليهود والنصارى وبين الخوارج والنواصب ووجه المقارنة كذب كل منهما سواء فى قتل عيسى أو فـى قتـل عـلى وذلـك لـدعم عقيدة رجوع على مرة أخرى ليحكم النـاس ويملـك الأرض (٥) . انتقلـت هذه العقيدة أولا الى تلامذته وفرقتـه السبأية . نستوضح ذلك من حادثة الهجرى الذى دخل على على بعد موته وهو مسجى فيسلم عليه ويقول لأصحابه : انه ليفهم الكلام ويرد السلام ويتنفس نفس الحى ويعرق تحت الدثار الوثير وأنه الامام الذى يملأ الأرض عدلا وقسطا كما ملئت ظلما وجورا (٦) .

---

(١) البرهـان فى معرفة عقائد أهل الأديان للسكسكى ص ٥٠ .
(٢) عقد الجمان للعينى ١٦٨/٩ القسم الأول .
(٣) المقالات والفرق لسعد القمى ص ١٩ .
(٤) المرجع السابق ص ٢١ .
(٥) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٢٣-٢٢٤ .
(٦) مسائل الامامة للناشىء الأكبر ص ٢٣ .

ثم انتقلت ثانيا الى الشيعة وفرقها سوى الزيدية [(١)] .

وبمراجعة كتب الفرق نجد أن كثيرا من فرق الشيعة تزعم رجعة امامها بعد موته أو اختفاءه فالكيسانية ينتظرون رجعة محمد بن الحنفية والمحمدية ينتظرون محمد بن عبد الله بن الحسن بن علي والرافضة ينتظرون مهديهم والفرق الشيعية الباطنية على ذلك المنهج . ومن ضل الطريق لم يبال الله به فى أى واد هلك .

ويؤكد الشهرستانى أن من خصائص مذاهب الرافضة وحماقاتهم القول بالرجعة وهى مما تبرأ منه الامام جعفر الصادق رحمه الله .

وفى موضع آخر يقول : "ان العودة بعد الغيبة حكم به الشيعة حتى اعتقدوه دينا وركنا من أركان التشيع" [(٢)] .

ولأهمية هذا الأصل لدى الشيعة تلقب به فرقة من فرقهم فقد ذكر ابن الجوزى والآلوسى أن من فرق الشيعة من تسمى بالرجعية [(٣)] .

كما أنها خصت هذه العقيدة بمؤلفات كثيرة منها كتاب اكمال الدين واتمام النعمة فى اثبات الرجعة للقمى وكتاب الايقاظ من الهجعة بالبرهان على الرجعة للحر العاملى والشيعة والرجعة لمحمد رضا النجفى وهو كتاب لأحد مشايخ الشيعة فى العصر الحاضر ، وفحوى هذا الكتاب اثبات رجوع

---

(١) يذكر ذلك صاحب مختصر التحفة بقوله : "والزيدية كافة ينكرون الرجعة انكارا شديدا وقد ذكر فى كتبهم رد هذه العقيدة بروايات الأئمة " .
انظر مختصر التحفة للآلوسى ص ٢٠٢ .

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستانى ١/١٦٦،١٥٠ .

(٣) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ٢٢ ، مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٢٠ .

الأئمة الى هذه الدنيا (١) .

ويذكر صاحب كتاب الذريعة الى تصانيف الشيعة أنه ألف في هذه العقيدة تسعة وعشرون كتابا .

كما أحصى بعض مؤلفيهم رواياتهم في الرجعة وانها أكثر من مائتي حديث في أكثر من خمسين كتابا من كتبهم المعتبرة (٢) .

ومن هذه الروايات قولهم : "ليس منا من لم يؤمن بكرتنا" وفي رواية أخرى : "ليس منا من لم يؤمن برجعتنا" (٣) .

ونقل علماؤهم المعتبرون الاجماع على الاعتقاد بها وانها من ضروريات مذهبهم .

يقول المفيد : "واتفقت الامامية على وجوب رجعة كثير من الأموات" (٤) .

كما يقول العاملي انها موضع اجماع جميع الشيعة الامامية .

وفي موضع آخر يقول : "اننا مأمورون بالاقرار بالرجعة واعتقادها وتجديد الاعتراف بها في الأدعية والزيارات ويوم الجمعة وكل وقت كما أننا مأمورون بالاقرار في كثير من الأوقات بالتوحيد والنبوة والامامة والقيامة" (٥) .

ومن فقرات زيارة الجامعة الكبيرة - والتي قال عنها الموسوي انها من أهم الزيارات وتعتبر موثوقة عند الشيعة

---

(١) انظر عن هذا الكتاب الأخير كتاب الشيعة والتصحيح لموسى الموسوي ص ١٤٣ ، وفيه محاورة لطيفة مفحمة لمؤلف كتاب الرجعة من الموسوي .
(٢) حق اليقين لعبد الله شبر ٢/٢ .
(٣) من لايحضره الفقيه لابن بابويه القمي ١٢٨/٢ ، الوسائل للحر العاملي ٤٣٨/٧ .
(٤) أوائل المقالات للمفيد ص ٥١ .
(٥) الايقاظ من الهجعة للحر العاملي ص ٣٣-٦٤ .

وفيها عبارات صريحة في الرجعة ـ هذه العبارة : "مؤمن بابكم مصدق برجعتكم منتظر لأمركم مرتقب لدولتكم" (١) .

ومن عبارات الشيعة في نداء امامهم الغائب والتوسل اليه بالظهور قولهم : "اللهم أرنا وجه امامك في حياتنا وبعد المنون اللهم انى أدين لك بالرجعة بين يدى صاحب هذه البقعة الغوث الغوث الغوث" (٢) .

ويروون عن امامهم محمد الباقر كما ذكره القمى والعياش في تفسيريهما أن المراد من الآخرة في بعض الآيات هي الرجعة ومعناها أنه يأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم والأئمة عليهم السلام وخاصة من المؤمنين وخاصة من الكفار قبل قيام الساعة الى الدنيا لكى يعلى الخير والايمان ويقضى على الكفر والعصيان (٣) .

ويقسم الشيعة الراجعون الى الدنيا قسمين : قسم علت درجته في الايمان . وقسم بلغ الغاية في الفساد . وزمن الرجعة عند قيام مهدى آل محمد عليهم السلام (٤) .

أما الهدف منها فيوضحه الموسوى بقوله : "ان الرجعة تعنى في المذهب الشيعى أن أئمتهم ابتداء بعلى بن أبى طالب وانتهاء بالحسن العسكرى الذى هو الامام الحادى عشر عند الامامية سيرجعون الى هذه الدنيا ليحكموا المجتمع الذى أرسى قواعده بالعدل والقسط الامام المهدى الذى يظهر قبل رجعة الأئمة ويملأ الأرض قسطا وعدلا ويمهد الطريق لرجعة

---

(١) الشيعة والتصحيح لموسى الموسوى ص ١٤٤ .
(٢) نشأة الفكر الفلسفى في الاسلام للنشار ٣٠٥/٢ .
(٣) بطلان عقائد الشيعة للتونسوى ص ١٠١ .
(٤) انظر أوائل المقالات للمفيد ص ٩٥ .

أجـداده وتسـلمهم الـحكم وان كل واحد من الأئمة حسب الـتسلسل الـموجـود فـى امـامتهم سيحكم الأرض ردحا من الزمن ثم يتوفى مـرة أخرى لـيخلفـه ابنـه فـى الـحكم حتى ينتهى الى الحسن العسكرى وسيكون بعد ذلك يوم القيامة . (هذا بـالـنسبة للقسم الأول مـن الـراجـعين الى الـدنيـا أما القسم الـثانى فعبر عنه بقوله) وتشمل الـرجعة كذلـك أسماء نفر قـليل من صحابة الـرسول صـلى الـلـه عليـه وسـلم زعموا أنهم من أعداء الأئمة والـذين منعـوهم مـن الـوصـول الـى حقهم فى الـحكم كل هذا حتى يتسنى للأئمة الانتقام منهم فى هذه الـدنيا" . (١)

ثـم يرجح الـموسوى ان الـهدف منهـا أكثر رجعة أهل الـقسم الـثانى لـتفجير الـمجازر الـدموية والانتقام من الأعداء يقول : "ويخـيل الـى أن الـذين كـانوا وراء فكـرة الـرجعـة ووضعوا الـروايات لاثباتهـا لم يقصدوا منهـا رجعة الأئمة بقدر ماكانوا يقصدون رجعة الأعداء حسب زعمهم وذلك للانتقام منهم" . (٢)

ومـن أساطيرهم الـتى يعتبرونهـا روايات ماورد بسنده عن أبى عبد الـلـه قـال : اذا قـام الـقـائم من آل محمد صلوات الـلـه عليهم أقـام خمسمائة من قريش فضرب أعناقهم ثم خمسمائة أخرى حتى يفعل ذلك ست مرات قلت (أى الـراوى) ويبلـغ عدد هؤلاء هذا قـال نعم منهم ومن مواليهم . (٣)

ولـحـقدهم الـدفين على صاحبى رسول الـلـه صلى الـلـه عليه وسـلم وخليفتيـه مـن بعده فانهمـا يعتبران من الـراجعين الى

---

(١) الـشيعة والـتصحيح ص ١٤١-١٤٢ ومـابين الـقوسين عبارة للطالب .
(٢) الـمرجع الـسابق ص ١٤٢ .
(٣) الارشاد للمفيد ص ٤١١ ، الـغيبة للنعمانى ص ١٢٣ .

الدنيا لينالا جزاءهما يقول رافضي مجوسي يدعى عبد الحسين الرشتي في كتاب له سماه كشف الاشتباه : "وأما مسألة نبش القبر لصاحبي رسول الله واخراجهما حيين وهما طريان وصلبهما على خشبة واحراقهما لأن جميع ما ارتكبه البشر من المظالم والجنايات والآثام من آدم الى يوم القيامة منهما فأوزارها عليهما فمسألة عويصة جدا وليس عندي شيء يرفع هذا الاشكال وقد صح عن أئمتنا أن أحاديثنا صعب مستصعب" (١) .

وذكر المجلسي في كتاب له سماه (حق اليقين) فيه مثل هذا الافتراء بل أشد منه أنزه القلم والورق أن يسود بها (٢) وكما قال تعالى : {إنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور} (٣) .

ولرداءة هذه العقيدة ومخالفتها لما هو معلوم من الدين بالضرورة فان بعض الشيعة المعاصرين يحاول تبرئة بني قومه منها وتخليهم عنها فزعم أن الشيعة المعاصرين عدلوا عنها وتراجعوا عن القول بها . ولكن يدحض هذا الزعم ماذكره أحد مؤلفيهم في كتاب له صدر أخيرا عن الرجعة وانها من العقائد التي تذهب الامامية اليها أخذا بالروايات الواردة عن آل البيت فيها ومما قال : "ان الله تعالى يعيد قوما من الأموات الى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها فيعز فريقا ويذل فريقا آخر ... الخ ماذكر (٤) .

---

(١) كشف الاشتباه للرشتي ص ١٣١ .
(٢) بطلان عقائد الشيعة للتونسوي ص ١٠٢ .
(٣) سورة
(٤) عقائد الامامية لمحمد رضا المظفر ص ٨٠ .

ويذكر الموسوى حوارا طريفا جرى بينه وبين أحد مشايخ الشيعة المعاصرين ألف كتابا عن الرجعة وسماه (الشيعة والرجعة) لاثبات رجوع الأئمة الى هذه الدنيا [(١)].

وهذا دليل واضح ملموس على بقاء الشيعة وتمسكها بهذه الخرافة المزعومة الى يومنا هذا ومما قاله الموسوى ناعيا بنى قومه مثل هذه الأساطير : "وعندما تمتزج الأسطورة بالعقيدة والأوهام بالحقائق تظهر البدع التى تضحك وتبكى فى آن واحد" [(٢)].

---

(١) الشيعة والتصحيح لموسى الموسوى ص ١٤٣-١٤٤ .
(٢) المرجع السابق ص ١٤٠ .

الأصل الرابع من أصول التشيع : التقيه .

تعريفها :

التقيه في المعنى اللغوى مصدر توقى واتقى وتوقيت الشىء أى حذرته وفى معجم الرائد : التقيه هى التستر فى الدين عند بعض المذاهب .

وأما معناها الاصطلاحى فهى مجاملة المخالفين فى العقيدة وايهامهم بموافقتهم فى عقائدهم باظهار غير الحقيقة سواء كان ذلك بالكذب أم بغيره اتقاء الأذى وخوف الضرر .(١)

وتعريفها عند الشيعة كما يقول المفيد : "كتمان الحق وستر الاعتقاد فيه ومكاتمة المخالفين وترك مظاهرتهم بما يعقب ضررا فى الدين أو الدنيا" .(٢)

كما يعرفها أحد علمائهم المعاصرين بقوله : "التقية هى أن تقول أو تفعل غير ماتعتقد لتدفع الضرر عن نفسك أو مالك أو لتحتفظ بكرامتك" .(٣)

ولكن أحد كتاب الشيعة المعاصرين يعارض هذا التعريف الأخير ويدلل على أن التقية عند بنى قومه ليست لحاجة طارئة أو أمر اضطرارى بل هى دين وعقيدة فى السراء والضراء وحال القوة والضعف يقول : "ان التقية التى يتحدث عنها علماء الشيعة واملتها عليها بعض زعاماتها ليست بهذا المعنى

(١) دراسات فى الفرق والمذاهب للأمين ص ٣٠-٣١ .
(٢) شرح عقائد الصدوق ص ٦٦ .
(٣) الشيعة فى الميزان لمحمد جواد مغنيه ص ٤٨ .

اطلاقا (أى التقية للضرورة) انها تعنى أن تقول شيئا وتضمر شيئا آخر أو تقوم بعمل عبادى أمام سائر الفرق الاسلامية وأنت لاتعتقد به ثم تؤديه بالصورة التى تعتقد به فى بيتك (١) .

وسوف يتضح لنا ان شاء الله من خلال نصوصهم ومروياتهم عن التقية مايؤكد على أن تقيتهم أصل من أصولهم يلتزمون بها فى جميع الحالات حتى مع أتباعهم ومع بعضهم البعض .

نصوصهم عن التقية :

اهتم الشيعة بهذا الأصل فرووا فيها الأحاديث المكذوبة والروايات المنسوبة مالايحصى كثرة حتى ان مؤلف كتاب الذريعة الى تصانيف الشيعة ذكر ستة عشر كتابا لهم باسم التقيه (٢) .

فمن مروياتهم المنسوبة الى جعفر الصادق مانقله الكلينى عن ابن عمير الأعجمى قال : قال أبو عبد الله عليه السلام ياأبا عمر ان تسعة أعشار الدين فى التقية ولادين لمن لاتقية له والتقية فى كل شىء الا فى النبيذ والمسح على الخفين وفى رواية لهم أخرى عن أبى عبد الله أنه قال : اتقوا على دينكم واحجبوه بالتقية فانه لاايمان لمن لاتقية له (٣)

ونسب الكلينى الى أبى جعفر أنه قال : التقية من دينى ودين آبائى ولاايمان لمن لاتقية له .

كما نسب الى أبى عبد الله جعفر أنه قال : ان تسعة أعشار الدين فى التقية ولادين لمن لاتقية له (٤) .

---

(١) الشيعة والتصحيح للموسوى ص ٥٢ .
(٢) الذريعة الى تصانيف الشيعة للطهرانى ٤/٤٠٣-٤٠٥ .
(٣) بطلان عقائد الشيعة للتونسوى ص ٧٧ .
(٤) الكافى للكلينى ٢/٢١٧ .

وفى سبيل تأصيل التقيه فى الفكر الشيعى أولوا الآيات القرآنية وفسروها حسب معتقدهم عن التقيه ، ففى تفسيرهم لقوله تعالى : {ولاتستوى الحسنة ولاالسيئة}(١) نسب الكلينى الى أبى عبد الله أنه قال : "ان الحسنة هى التقية وان السيئة هى الاذاعة وان قوله عز وجل فى آخر الآية {ادفع بالتى هى أحسن} قال : التى هى أحسن هى التقية . وقالوا عن أصحاب الكهف الذين فروا بدينهم وجاهروا بعداوة قومهم الضالين انهم أصحاب تقية فمما نقله الكلينى عن درست الواسطى قال : قال أبو عبد الله عليه السلام : مابلغت تقية أحد تقية أصحاب الكهف ان كانوا يشهرون الاعياد ويشدون الزنانير فاعطاهم الله أجرهم مرتين"(٢) .

وللتقية منزلة عظيمة لدى الشيعة حتى قرنوها بالصلاة يقول شيخهم الصدوق فى رسالة الاعتقادات : "التقية واجبة من تركها كان بمنزلة من ترك الصلاة" . وقال : "التقية واجبة لايجوز رفعها الى أن يخرج القائم فمن تركها قبل خروجه فقد خرج عن دين الله تعالى وعن دين الامامية وخالف الله ورسوله والأئمة" ثم نقل : "وسئل الصادق عن معنى قوله تعالى : {ان أكرمكم عند الله أتقاكم} قال أعملكم بالتقية"(٣) .

ومن نصوصهم عن التقية ماكذبوا به على الأئمة حيث انهم نسبوا الى كل امام نصا أو نصين أو مجموعة نصوص لتأصيل هذا المبدأ واعتقاده دينا ملازما لهم فى كل مكان وزمان وهذه

---

(١) سورة فصلت : ٣٤

(٢) أصول الكافى للكلينى نقلا من كتاب بطلان عقائد الشيعة للتونسوى ص ٧٧-٧٨ .

(٣) الاعتقادات للصدوق فصل التقية نقلا من كتاب الشيعة والسنة لاحسان الهى ظهير ص ١٥٧ . الآية ١٣ من سورة الحجرات .

امثلة لما الصقوا به كل امام .

فنسبوا الى على بن أبى طالب أنه قال : "التقية من افضل أعمال المؤمن يصون بها نفسه واخوانه من الفاجرين" .

ونسبوا الى ابنه الحسين أنه قال : "لولا التقية ماعرف ولينا من عدونا فهى المعيار لمعرفة الشيعة " .

ونسبوا الى على بن الحسين انه قال : "يغفر الله للمؤمن كل ذنب ويطهره منه فى الدنيا والآخرة ماخلا ذنبين ترك التقية وترك حقوق الاخوان" (١) .

ونسبوا الى محمد بن على بن الحسين الباقر أنه قال : "وأى شىء اقر لعينى من التقية ان التقية جنة المؤمن" .

ومن مضحكاتهم التى نسبوها للباقر أنه قال : "خالطوهم بالبرانية وخالفهم بالجوانية اذا كانت الامرة صبيانية " .

وعن الامام السادس جعفر الصادق ـ الذى كما يقول ابن تيمية ماكذب على أحد مثل ماكذب عليه ـ أنه قال : "لاوالله ماعلى وجه الأرض شىء أحب الى من التقية . انه من كانت له تقية رفعه الله ومن لم تكن له تقية وضعه الله".

ونسبوا الى موسى بن جعفر الامام السابع لهم أنه كتب الى أحد مريديه على بن سويد قائلا : "ولاتقل لما بلغك عنا أو نسب الينا هذا باطل وان كنت تعرف خلافه فانك لاتدرى لم قلناه وعلى أى وجه وضعناه آمن بما أخبرتك ولاتفش ما استكتمتك" .

ونسبوا الى الامام الثامن على بن موسى أنه قال :

---

(١) تفسير العسكرى ص ١٦٢-١٦٤ نقلا من كتاب الشيعة والسنة لاحسان الهى ظهير ص ١٥٧-١٥٨ .

"لادين لمن لاورع له ولا ايمان لمن لاتقية له وان أكرمكم عند الله أتقاكم فقيل له يا ابن رسول الله الى متى ؟ قال الى يوم الوقت المعلوم وهو يوم خروج قائمنا فمن ترك التقية قبل خروج قائمنا فليس منا " (١) .

وحينما نتتبع نصوصهم فى التقية نجد الاهتمام البالغ وتكثير النصوص والروايات عنها حتى ان الكلينى عقد بابا خاصا بعنوان باب التقية ووضعه ضمن كتاب الايمان والكفر . والدافع له الى ذلك الوصول الى الحكم التالى : ان ترك التقية كفر كما أن فعلها ايمان . وعدد الأحاديث التى ذكرها ضمن هذا الباب ثلاثة وعشرين حديثا . وبعد باب التقية عنون بباب آخر كالمكمل لما قبله وهو باب الكتمان وذكر فيه ستة عشر حديثا ومن أحاديثه مانسب كذبا وافتراء الى أبى عبد الله انه قال لسليمان بن خالد : ياسليمان انكم على دين من كتمه أعزه الله ومن اذاعه أذله الله . ومن أحاديثه كذلك هذه الوصية ونصها : "قال أبو عبد الله يامعلى اكتم أمرنا ولاتذعه فانه من كتم أمرنا ولم يذعه أعزه الله به فى الدنيا وجعله نورا بين عينيه فى الآخرة يقوده الى الجنة . يامعلى من اذاع أمرنا ولم يكتمه اذله الله به فى الدنيا ونزع النور من بين عينيه فى الآخرة وجعله ظلمة تقوده الى النار . يامعلى ان التقية من دينى ودين آبائى ولادين لمن لاتقية له . يامعلى ان المذيع لأمرنا كالجاحد له .

ثم عقد بابا ثالثا فى موضوع التقية فى موضع آخر من

---

(١) الشيعة والسنة لاحسان الهى ظهير ص ١٥٩-١٦١ نقلا من كتب الشيعة التالية : الكافى فى الأصول ورجال الكشى وكشف الغمة .

كتابه الكافى بعنوان باب الاذاعة وضمنه اثنى عشر حديثا من احاديثهم وتدور حول التحذير من اذاعة أمرهم ووجوب الكتمان والتقية ، ومن هذه الأحاديث مانسبوه الى أبيعبد الله أنه قال : "من أذاع علينا حديثنا سلبه الله الايمان" (١) .

وفى سبيل تأصيل عقيدة التقية فسروا مواقف الأئمة التى تختلف مع أصولهم بأنها ليست على ظاهرها وانها مخرجة مخرج التقية فمما افتروا على على بن أبى طالب أن فسروا بيعته لاخوانه الخلفاء الثلاثة قبله بأنها كانت على سبيل التقية . يقول مفيدهم : "وكانت امامة أمير المؤمنين بعد النبى صلى الله عليه وسلم ثلاثين سنة منها أربع وعشرون سنة وستة أشهر كان ممنوعا من التصرف فى أحكامها مستعملا للتقية والمداراة .... كما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ثلاث عشرة سنة من نبوته ممنوعا من أحكامها خائفا ومحبوسا وهاربا ومطرودا " (٢) .

ومن دقة الامام الشهرستانى فى حديثه عن الشيعة أن أشار الى مثل هذا النص وغيره بقوله : "ان الشيعة قالوا بامامة على وخلافته نصا ووصيه وولده من بعده وان خروجها منهم ظلم من الغير وتقية منه أو من الأئمة من نسله" . كما ذكر أن من الأصول التى تجتمع عليها الشيعة على تعدد فرقها "القول بالتبرى والتولى قولا وفعلا وعقدا الا فى حال التقية " (٣) .

---

(١) الكافى للكلينى ٢/٢١٧-٢٢٦ وفى آخر الجزء الثانى ص ٣٦٩-٣٧٢ ، وانظر رسالة فكرة التقريب بين السنة والشيعة للقفارى ص ٣٠٥-٣٠٦ .

(٢) الارشاد للمفيد ص ١٢ .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى ١٤٦/١ .

ويزداد افتراءهم على علي بن أبي طالب رضي الله عنه أن نسبوا اليه العمل بالتقية والمداراة حتى في خلافته . يقول الرافضي الجزائري : "ولما جلس أمير المؤمنين على عليه السلام على كرسي الخلافة لم يتمكن من اظهار ذلك القرآن (١) واخفاء هذا لما فيه من اظهار الشنعة على من سبقه كما لم يقدر على النهي عن صلاة الضحى وكما لم يقدر على اجراء متعة النساء وكما لم يقدر على عزل شريح عن القضاء ومعاوية عن الامارة " (٢) .

كما قالوا عن تنازل الحسن بن علي رضي الله عنهما عن الخلافة لمعاوية رضي الله عنه ان ذلك لم يكن على ظاهره بل تقية (٣) .

ومما افتروه على جعفر الصادق - كما نقل علماؤهم عن أحد ثقاتهم - انه قال : ان جعفر نام ليلة عندنا في خلوته الخاصة ولم يكن عنده الا من لم نشك في تشيعه فقام للتهجد فتوضأ ماسحا اذنيه غاسلا رجليه وصلى ساجدا على اللبد عاقدا يديه فكنا نقول لعل الحق ذلك حتى سمعنا صيحة فرأينا رجلا القى بنفسه على قدميه يقبلهما ويبكي ويعتذر فسئل عن حاله فقال : كان الخليفة وأركان دولته يشكون فيك وانا كنت من جملتهم فتعمدت بالفحص عن مذهبك وقد انتهزت الفرصة مدة مديدة حتى ظفرت هذه الليلة بان دخلت الدار واختفيت ولم

---

(١) المقصود من القرآن هنا هو القرآن المزعوم والمنسوب لعلي بن أبي طالب وحاشاه ذلك وان شاء الله سنتحدث عن ذلك في الأصل الأخير من أصولهم وهو بعنوان دعوى تحريف القرآن .

(٢) الأنوار النعمانية للجزائري ٣٦٢/٢ .

(٣) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص ١٥٤ .

يطلع على أحد فالحمد لله الذى أذهب ذلك عنى وحسن اعتقادى يا ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يبقنى على سوء ظنى . قال الشيخ : فعلمنا أن الله لايخفى عن المعصوم شيئا وعلمنا ان هذه كانت تقية منه (١) .

بل نقل الكلينى فرية على جعفر الصادق أعظم من ذلك ونصها : "عن موسى بن اشيم قال كنت عند أبى عبد الله عليه السلام فسأله رجل عن آية من كتاب الله عز وجل فأخبره بها ثم دخل عليه داخل فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبر الأول فدخلنى من ذلك ماشاء الله حتى كأن قلبى يشرح بالسكاكين فقلت فى نفسى : تركت أبا قتادة بالشام لايخطىء فى الواو وشبهه وجئت الى هذا يخطىء هذا الخطأ كله فبينا انا كذلك اذ دخل آخر فسأله عن تلك الآية فأخبره بخلاف ما أخبرنى وأخبر صاحبى فسكنت وعلمت ان ذلك منه تقية (٢) " .

ان هذه النصوص والوقائع تدل على أن التقية عند الشيعة ليست للحاجة والضرورة وانما هى دين واصل تلازم القوم فى سرائهم وضرائهم وقوتهم وضعفهم ومع التتبع لمروياتهم نجد انها عمل من الأعمال الفاضلة التى يؤجر عليها بل انها من المناقب والمزايا .

يقول التونسوى عن التقية وفضلها وآثارها عندهم : "ان الأئمة عند الشيعة معصومون وهم أولوا الأمر أيضا من قبل الله يجب طاعتهم فى كل صغيرة وكبيرة عندهم فما دام ان التقية لها هذه المناقب عندهم فانه سيشتبه فى كل قول من

---

(١) رسالة فى الرد على الرافضة للشيخ محمد بن عبد الوهاب
(٢) الكافى للكلينى ١٦٣/١ ، الشيعة والسنة لاحسان ظهير ص ١٦٥-١٦٦ .

اقوالهم أو فعل من أفعالهم أن يكون صدرعنهم على سبيل التقية ومن الذى سيفصل حتما ان هذا القول من أقوال الامام كان تقية وذلك بدون تقية ومايدرينا لعل هذه الأقوال والروايات الموجودة فى كتب الشيعة هى أيضا على سبيل التقية ؟

وبما أن كل قول أو فعل منهم يحتمل التقية لذا لزم أن لايكون أى أمر من أوامرهم يجب العمل بمقتضاها فتسقط نتيجة لذلك جميع الأقوال والأفعال الصادرة منهم بسبب احتمال التقية (١) .

ونقل الامام الشهرستانى عن سليمان بن جرير - زعيم فرقة السليمانية من فرق الزيدية - قوله : "ان أئمة الرافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم لايظهر احد قط عليهم .

أحدهما : القول بالبراء فاذا أظهروا قولا انه سيكون لهم قوة وشوكة وظهور ثم لايكون الأمر على ماأظهروه قالوا : بدا لله تعالى فى ذلك .

والثانية : التقية فكل ماأرادوا تكلموا به فاذا قيل لهم فى ذلك انه ليس بحق وظهر لهم البطلان قالوا : انما قلناه تقية وفعلناه تقية (٢) .

ولذا لايستطيع المسلم الذى يعيش مع الشيعة أو يحتك معهم أن يطمئن الى أى عهد عاهدوه أو الى أى وعد قطعوه على أنفسهم أو الى أى رأى أيدوه لاحتمال أن تكون موافقتهم من

---

(١) بطلان عقائد الشيعة للتونسوى ص ٧٩ .

(٢) الملل والنحل للشهرستانى ١٦٠/١ وهذه المقالة مفصلة فى مرجع سابق على الشهرستانى وهو النوبختى فى كتابه الفرق ص ٧٦-٧٧ .

قبيل التقية وحقا ان هذه العقيدة تعتبر من أخطر أصولهم واشدها أثرا على سائر المعتقدات الأخرى . حتى ان مستشرقا يهوديا حينما ذكر مذهب الشيعة ندد بهذه الخصلة المدمرة والصفة الدنيئة بقوله : "لقد انفرد الشيعة بالقول بالتقية وانها صارت نظرة خلقية خاصة بهم أفردتهم بصفة بارزة وطبعت روحهم بطابع خاص معين وغدت عندهم مدرسة للمخاتلة والغدر ووسيلة لانشاء الجمعيات السرية والتبشير الباطنى الهدام" (١) .

ويقول أحد كتاب الشيعة المعاصرين : "اننى أعتقد جازما أنه لاتوجد أمة فى العالم أذلت نفسها وأهانتها بقدر ماأذلت الشيعة نفسها فى قبولها لفكرة التقية والعمل بها وهاأنا أدعو الله مخلصا وأتطلع الى ذلك اليوم الذى تربأ الشيعة حتى عن التفكير بالتقية ناهيك عن العمل بها" (٢) .

كما يقول أحد علماء أهل السنة ممن خبر مذهب الشيعة وعرفهم : "وأول موانع التجاوب الصادق باخلاص بيننا وبينهم مايسمونه التقية فانها عقيدة دينية تبيح لهم التظاهر لنا بغير مايبطنون فينخدع سليم القلب منا بما يتظاهرون له به من رغبتهم فى التفاهم والتقارب وهم لايريدون ذلك ولايرضون به ولايعملون به" (٣) .

هذا وللتقية آثار وأخطار عملية فى حياة الشيعة لازالت تؤدى دورها حتى عصرنا الحاضر وقد قام أحد الباحثين من أهل السنة باستقراء هذه الآثار ونستخلص من ذلك الآثار الآتية :

---

(١) العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص ٢٠٣ .
(٢) الشيعة والتصحيح للموسوى ص ٥١ .
(٣) الخطوط العريضة للشيخ محب الدين الخطيب ص ٩-١٠ .

الأثـر الأول : ان عقيدة التقيـة استغلها دعاة التفرقة بيـن الأمـة والزنادقـة المتسـترون بالتشيع استغلوها لابقاء الخـلاف بيـن المسلمين وذلك برد الأحاديث الصحيحة فى معناها التـى وردت عن الأئمة ووافقت ماعند الأمة وروتها كتب الشيعة نفسـها ردوها بحجة انها تقية لموافقتها لما عند أهل السنة فـاذا جـاء حـديث يثنـى على الصحابـة قالوا ان هذا تقية . واقـرار أئمتهم بـالخلافة القـائمة فى عصرهم يقولون انه تقية وصلح الحسن بن على رضى الله عنهما يعتبر تقية وهكذا .

ومـن الامثلـة لتـأثير التقية العملى عندهم انهم قالوا عن تزويج على رضى الله عنه ابنته أم كلثوم لعمر بن الخطاب رضـى اللـه عنـه والتـى هـى من أقوى الدلائل على كمال الحب والـولاء بين المحب والآل قالوا ان هذا من باب التقية . وفى كتـاب وسـائل الشيعة للعاملى باب بعنوان "باب جواز مناكحة النـاصب عنـد الضـرورة والتقيـة" ومما جاء فيه عن أبى عبد اللـه عليـه السلام فـى تزويج أم كلثوم قال : "ان ذلك فرج غصبناه" .

كمـا أورد أيضـا فـى هـذا البـاب تزويج رسول الله صلى اللـه عليـه وسـلم ابنتيـه لعثمـان بـن عفان رضى الله عنه واعتبرها من باب التقية .(١)

وهكذا جعلوا عقيدة التقية منفذا للغلو والغلاة ووسيلة وضعها أعداء الأمة للنأى بالشيعة عن جماعة المسلمين . واذا قدر أن ظهر بينهم صوت معتدل يبتعد عن هذا الغلو فى أصولهم

---

(١) وسائل الشيعة للعاملى ٤٣٣/٧-٤٣٤ وانظر الشيعة والسنة لاحسان الهى ظهير ص ١٩٥ .

فسروا ذلك بأنه من باب التقية . ومثال ذلك ماصدر من بعض شيوخهم كالمرتضى والطبرسى والصدوق من انكار على بنى قومهم حول فرية القول بتحريف القرآن وهنا انبرى الرافضى الجزائرى بالقول بأن هذا الانكار من هؤلاء ليس على ظاهره بل هو من باب التقية .

الأثر الثاني : ان عقيدة التقية جعلوها هى المخرج من الاختلاف والتناقض فى أخبارهم وأحاديثهم . وهذه الظاهرة من أقوى الدلائل على البطلان حتى ان ذلك صار سببا فى ترك بعض الشيعة للتشيع كما اعترف بذلك الطوسى بقوله : "ذاكرنى بعض الأصدقاء ... بأحاديث أصحابنا وماوقع فيها من الاختلاف والتباين والمنافاة والتضاد حتى لايكاد يوجد خبر الا وبازائه مايضاده ولايسلم حديث الا وفى مقابلته ماينافيه حتى جعل مخالفونا ذلك من أعظم الطعون على مذهبنا وتطرقوا بذلك الى ابطال معتقدنا ولم يجد تخريجا لذلك سوى القول بأن ذلك التضاد والتناقض انما ورد على سبيل التقية .

الأثر الثالث : انهم قالوا بعصمة الأئمة وانهم لاينسون ولايسهون ولايخطئون مع أن الناس حفظوا عنهم مايخالف ذلك وينافى عصمتهم فقالوا بالتقية للمحافظة على دعوى عصمة الأئمة والتى بسقوطها تسقط قيمة أقوالهم وبالتالى يسقط مذهب الشيعة وهذا هو الذى جعل سليمان بن جرير - كما ذكرنا قبل قليل - يقول : ان أئمة الرافضة وضعوا مقالتين لشيعتهم لايظهر احد قط عليهم وهما القول بالبداء والتقية .

الأثر الرابع : جعلت التقية وسيلة للكذب على الأئمة فنجد مثلا كلام الامام محمد الباقر أو جعفر الصادق الذى سمعه

مجموعــة مــن النـاس بحجة أنه قد حضره بعض السنة يعتبر تقية أمــا ماينقلــه الكذبة أمثال جابر الجعفى بحجة أنه لم يحضر مجلســه أحــد يتقيــه فهو مقبول عندهم فما ينقله الرافضة عن أئمــة أهل البيت مقبول عندهم وماينقله العدول من المسلمين مردود بدعوى التقية .

فمثلا الامام زيد بن على وهو من أهل البيت يروى عن على رضى اللــه عنــه ـ كما تذكــره كــتب الشيعة نفسها ـ انه غسل رجليه فى الوضوء ولكن عالم الشيعة الطوسى يرد هذه الرواية ويزعم انها من باب التقية فعن زيد بن على عن آبائه عن على عليــه الســلام قــال : جلست أتوضأ فأقبل رسول اللــه صلى اللــه عليه وسلم حين ابتدأت الوضوء فقال لى تمضمض واستنشق واستن ثم غسلت ثلاثا فقال قد يجزيك من ذلك المرتان فغسلت ذراعى ومسحت برأسى مرتين فقال قد يجزيك من ذلك المرة وغسلت قدمى فقال لى ياعلى خلل بين الأصابع لاتخلل بالنار .

قــال الطوســى : هــذا الخــبر مــوافق للعامة (يعنى أهل السنة لأن مذهبهم غسل الرجلين) وقــد ورد مــورد التقية لأن المعلــوم الــذى لايتخــالج منــه الشك من مذاهب أئمتنا عليهم السلام القول بالمسح على الرجلين ثم قال ان رواة هذا الخبر كلهم عامة ورجال الزيدية ومايختصون بروايته لايعمل به .

الأثــر الخــامس : انبثــق من خلال عقيدة التقية مبدأ ان ماخــالف العامــة ـ أى أهل السنة ـ هو الحق حتى أنهم جعلوا مــن معــالم التعــرف الى الحق فى نظرهم عند اختلاف رواياتهم معرفــة ماعليه أهل السنة وأن يكون مجتهدهم على دراية بذلك ليتســنى لــه الأخــذ بخلافــه فــاذا اختلفت أحاديثهم فالحق هو

مافيه خلاف العامة واذا أفتى عالم أهل السنة بفتوى فالحق في خلافها .

ففي البحار عن على بن أسباط قال قلت للرضا يحدث الأمر لاأجد بدا من معرفته وليس في البلد الذى أنا فيه أحد أستفتيه من مواليك قال فقال عليه السلام ائت فقيه البلد (يعني من أهل السنة) فاستفته في أمرك فان أفتاك بشيء فخذ بخلافه فان الحق فيه . وفي البحار أيضا قال أبو عبد الله : "اذا ورد عندكم حديثان مختلفان فخذوا بما خالف القوم" (١) .

وبالجملة فان تقية الشيعة كما أكدتها نصوصهم هى عين النفاق والكذب (٢) . كما انها كتمان للحق واظهار للباطل من غير مبرر شرعي والآيات القرآنية والأحاديث النبوية بينت بيانا شافيا كافيا حكم من يتصف بهذه الأوصاف أو يتخلق بهذه الأخلاق فكيف بمن يتدين بها ويعتبرها أصلا من أصول معتقداته لاشك أن الأمر أشد وأنكى .

ومع الاختلاف الشديد والفرق الشاسع بين تقية الشيعة والتقية التى رخص الله بها عند الضرورة في المجتمع الكافر

---

(١) انظر رسالة فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة للدكتور القفارى ص ٣٠٨-٣١١ وكذلك ص ٤٦٥-٤٦٦ . وانظر الشيعة والسنة لاحسان الهى ظهير فمل لم قالوا بالتقية ص ١٧٩-١٨٩ ففى هذه الصفحات اشارات واستنباطات لأغلب هذه الأمور الخمسة .

(٢) يقول ابن تيمية عن الرافضة : "أن أصل بدعتهم عن زندقة والحاد وتعمد الكذب فيهم كثير وهم يقرون بذلك حيث يقولون ديننا التقية وهو أن يقول أحدهم بلسانه خلاف مافى قلبه وهذا هو الكذب والنفاق ويدعون مع هذا أنهم هم المؤمنون دون غيرهم من أهل الملة ويصفون السابقين الأولين بالردة والنفاق فهم فى ذلك كما قيل "رمتني بدائها وانسلت" اذ ليس فى المظهرين للاسلام أقرب الى النفاق والردة منهم ولايوجد المرتدون والمنافقون فى طائفة أكثر مما يوجد فيهم" .
منهاج السنة ٤٣/١-٤٤ .

خوفا على النفس الا أن التمسك بالعزيمة افضل لما فى ذلك من اعزاز لدين الله وغيظ للكافرين لذلك امتنع عنها أولو العزيمة من المسلمين وعدوها من النفاق .

أما تقية الشيعة فانها - كما قال الشيخ موسى جار الله - روحها النفاق وثمرتها كفر التهود (١) {قالوا سمعنا وعصينا} اذا تقررت التقية أدبا دينيا فقلب كل شيعى فى غلاف التشيع يكون مستورا وراء التقية لايبقى لقوله قيمة ولايبقى لعمله صدق ولالوعده وعهده وفاء {ويحلفون بالله انهم لمنكم وماهم منكم ولكنهم قوم يفرقون} (٢) .

---

(١) فى كتابه الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة ص ٨٥ .
(٢) سورة التوبة : ٥٦

الأصل الخامس من أصول التشيع :

الوقيعة فى الصحابة رضوان الله عليهم وسبهم[(١)] .

من نافلة القول ومن المعلوم من الدين بالضرورة أن للصحابة رضوان الله عليهم منزلة عظيمة بينها الله فى كتابه وفى سنة نبيه عليه الصلاة والسلام شهد الله لهم بحقيقة الايمان وبشرهم برحمته وجنته ورضوانه وتوفى عليه الصلاة والسلام وهو عنهم راض . والعلم بهذه القضية من الانتشار والذيوع يعرفها علماء المسلمين وعامتهم ويدينون الله عز وجل بحبهم واحترامهم وذكرهم فى معرض الخير والثناء ولايتعرضون لما شجر بينهم لأنهم جميعا وبلا استثناء لايخرجون عن القاعدة الاسلامية دائرة الاجتهاد فمن اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد .

---

(١) من الملاحظ أن هذا الأصل من أصول الشيعة انحراف ناتج عن الانحراف فى الأصل الأول وهو : معتقدهم فى الامامة فانهم حينما استماتوا فى الاعتقاد بامامة على رضى الله عنه بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم وانه الأحق بها انتقلوا بعد ذلك الى الوقيعة بالخلفاء الثلاثة وسبهم لابطال امامتهم وأحقية على بذلك - على حد زعمهم - فلم يكتفوا بالقول بامامة على والسكوت عن الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم . وقد تنبه الشهرستانى الى مراحل الانحراف هذه لديهم فقال : "ثم ان الامامية تخطت عن هذه الدرجة (أى القول بتعيين امامة على بعد الرسول صلى الله عليه وسلم) الى الوقيعة فى كبار الصحابة طعنا وتكفيرا وأقله ظلما وعدوانا وقد شهدت نصوص القرآن على عدالتهم والرضا عن جملتهم ثم ذكر بعضا من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى فضلهم والشهادة لهم بالرضى والجنة ..." الى أن قال : "فليت شعرى كيف يستجيز ذو دين الطعن فيهم ونسبة الكفر اليهم !!" .
انظر كتاب الملل والنحل للشهرستانى ١٦٤/١ .

هذا ماكان معلوما وواجبا حتى نبتت نابتة خرجت عن اجماع الأمة فبدأت تتعرض للصحابة وتذكرهم فى معرض الذم والطعن حتى وصل بهم الأمر الى التفوه بما يتحرج منه المسلم من حكم على أخيه المسلم فضلا عن أفاضل الأمة وخير قرن عاش على ظهر الأرض .

ان المصادر التى بين أيدينا سنية (١) وشيعية (٢) تجمع على القول بأن أول من أظهر الطعن فى أبى بكر وعمر وعثمان وسائر الصحابة رضى الله عنهم الا قليلا منهم هو عبد الله بن سبأ وان من أساليبه المدسوسة أن أخذ يتنقل فى الأمصار ذاكرا مثالب عثمان رضى الله عنه ومؤججا نار الفتنة حتى وصلت المؤامرة ذروتها بقتل الخليفة عثمان رضى الله عنه فى بيته على يد جمع من الهمج والرعاع .

وتدين السبأية بهذه العقيدة فمما ذكره ابن حجر أن سويد بن غفلة دخل على على فى امارته فقال : انى مررت بنفر يذكرون أبا بكر وعمر يرون أنك تضمر لهما مثل ذلك منهم عبد الله بن سبأ وهو أول من أظهر ذلك . فقال على : مالى ولهذا الخبيث الأسود ثم قال معاذ الله أن أضمر لهما الا الحسن الجميل ثم أرسل الى ابن سبأ فسيره الى المدائن ونهض الى المنبر حتى اذا اجتمع الناس أثنى عليهما خيرا ثم قال : ألا ولايبلغنى عن أحد يفضلنى عليهما الا جلدته حد المفترى (٣) .

---

(١) وذلك كمنهاج السنة ومجموع الفتاوى كلاهما لابن تيمية فى مواضع متعددة وكثيرة ولسان الميزان لابن حجر ٢٩٠/٣ والمنتقى للذهبى وغيرها كثير ومن المتأخرين الشيعة والسنة لاحسان الهى ظهير .

(٢) وذلك كالمقالات والفرق للقمى ص ٢٠ وفرق الشيعة للنوبختى ص ٤٤ ومن المتأخرين محمد جابر عبد العال فى كتابه حركات الشيعة المتطرفين ص ٢٢ .

(٣) لسان الميزان لابن حجر ٢٩٠/٣ .

وروى المؤيد - أحد أئمة الزيدية - مثل هذه القصة (١) .

ومن أساليبه فى الطعن دخوله الى الناس بمحبة على وتعظيمه - فيما يزعم - مع الدس ومما كان يقول : "ان محمدا خاتم الأنبياء وعلى خاتم الأوصياء (وبعد أن يقرر ذلك) يقول ومن أظلم ممن لم يجز وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم ويثب على وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم وتناول أمر الأمة " (٢) .

وذكر القاضى عبد الجبار المعتزلى أيضا مثل هذا الأسلوب فى الطعن على الخلفاء الثلاثة حيث لم يجاهر بذلك فى أول الأمر بل كان كما قال القاضى : "يظهر تعظيم أمير المؤمنين بما لايرضاه ويستغوى بذلك من ليست له صحبة ولافقه فى الدين وكالبوادى وأهل السواد ويتحدث بينهم وربما استقصر عندهم فعل أبى بكر وعمر وعثمان ويقدم أمير المؤمنين عليهم فى الفضل" (٣) .

كانت هذه هى البداية التى سلكها ابن سبأ فى سب الصحابة - ولاسيما أفضلهم - ولكنه لما جاهر بذلك وعلم به على بن أبى طالب طلبه ليقتله فهرب منه (٤) .

ولمجاهرة السبئية بهذه العقيدة واتصافهم بها دون

---

(١) فى كتابه طوق الحمامة فى مباحث الامامة فى آخره نقلا من مختصر التحفة الاثنى عشرية ص ٦ . وفى آخر القصة أن عليا رضى الله عنه تعوذ بالله من شر مقالة ابن سبأ هذه وجمع الناس ثم خطب فقال : مابال أقوام يذكرون أخوى رسول الله صلى الله عليه وسلم ووزيريه وصاحبيه وسيدى قريش وأبوى المسلمين وأنا برىء مما يذكرون وعليه معاقب ... الخ .

(٢) تاريخ الطبرى ٣٤٠/٤ .

(٣) تثبيت دلائل النبوة للقاضى عبد الجبار ص ٥٤٦ .

(٤) الفتاوى لابن تيمية ٤٧٥/٢٨ .

سواهم يطلق عليهم أحيانا بالسابة لسبهم أبى بكر وعمر . يقول ابن تيمية ان الشيعة فى زمن على رضى الله عنه ثلاث طوائف : الأولى : المؤلهة . والطائفة الثانية : السابة . وكان قد بلغه عن ابن السوداء أنه كان يسب أبا بكر وعمر فطلبه ليقتله فهرب منه (١) .

كما يطلق عليهم أحيانا (بالتبرئية) يقول ابن حجر الهيثمى : "ان السبئية كانوا يسبون أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الا قليلا وينسبونهم الى الكفر والنفاق ويتبرأون منهم ولذا سموا أيضا (بالتبرئية)" (٢) .

انتقلت هذه العقيدة من السبئية الى كثير من فرق الشيعة ولاسيما الرافضة الذين اشتهروا بهذا اللقب لرفضهم امامة الشيخين رضى الله عنهما . يقول أبو موسى الأشعرى عن الشيعة الامامية : "وانما سموا رافضة لرفضهم امامة أبى بكر وعمر" (٣) .

ويقول الشهرستانى : "ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه (أى الترضى على أبى بكر وعمر من الامام زيد) وعرفوا أنه لايتبرأ من الشيخين رفضوه حتى أتى قدره عليه فسميت رافضة" (٤) .

وحينما نقلب النظر فى تراث الشيعة فاننا - مع شديد الأسف - نجد اقبح الأوصاف وأقذع الألفاظ فى حق أفضل الأجيال

---

(١) المرجع السابق ٣٣/١٣ .
(٢) الصواعق المحرقة للهيثمى ص ٦ .
(٣) مقالات الاسلاميين لأبى الحسن الأشعرى ٨٩/١ .
(٤) الملل والنحل للشهرستانى ١٥٥/١ .

وأنزهها فلم يقتصروا على مانقل عن ابن سبأ فقط[1] بل زادوا على ذلك وتجنوا أعظم التجنى وهذا ماجعل أئمة الاسلام وجهابذته يحكمون بكفر الرافضة استنباطا من قوله تعالى : {ليغيظ بهم الكفار}[2] .

وهذه أمثلة لهذه العقيدة - وهى سب الصحابة - من كتبهم ومصادرهم الأساسية المعتمدة :

<u>أولا : كتب التفسير</u> :

ومن أشهرها تفسير العياشى وتفسير القمى وتفسير البرهان ومما رووا فيها عن زرارة عن أبى جعفر فى قول الله تعالى : {وقال الشيطان لما قضى الأمر}[3] أن المراد من الشيطان هو الثانى (ويعنون به نعوذ بالله عمر بن الخطاب) وليس فى القرآن لفظ وقال الشيطان الا والمقصود به هو الثانى[4] . وعن زرارة عن أبى جعفر فى قوله تعالى : {لتركبن طبقا عن طبق}[5] قال يازرارة أو لم تركب هذه الأمة بعد نبيها طبقا عن طبق فى أمر فلان وفلان وفلان (يعنون الخلفاء الثلاثة رضى الله عنهم) وركوب طبقاتهم كناية عن نصبهم اياهم

---

(١) مافعله ابن سبأ وماتفوه به فى حق الصحابة رضوان الله عليهم هو القاعدة والبداية للشيعة ولكنه لم يتمكن من التصريح بكل شىء وهذا ماصرح به تلامذته من بعده امامية كانوا أو باطنية .

(٢) يقول ابن كثير فى تفسيره لهذه الآية من سورة الفتح : "ان الامام مالك انتزع منها فى رواية عنه تكفير الروافض الذين يبغضون الصحابة قال : لأنهم يغيظونهم ومن غاظ الصحابة فهو كافر لهذه الآية" ووافقه طائفة من العلماء على ذلك . تفسير ابن كثير ٣٤٣/٧ .

(٣) سورة ابراهيم : ٢٢

(٤) انظر التفاسير الآتية : تفسير العياشى ٢٢٣/٢ ، البرهان فى تفسير القرآن للبحرانى ٣٠٩/٢ ، تفسير القمى عن الصافى ٨٨٥/١ .

(٥) سورة الانشقاق : ١٩

للخلافة واحدا بعد واحد .[1]

وتحت قول الله عز وجل : {ويوم يعض الظالم على يديه يقول ياليتني اتخذت مع الرسول سبيلا}[2] يروى القمي في تفسيرها عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر قال : يبعث الله يوم القيامة قوما بين أيديهم نور كالقباطي ثم يقال له كن هبئ منثورا ثم قال أما والله ياأبا حمزة كانوا ليعرفون ويعلمون ولكن كانوا اذا عرض لهم شيء من الحرام أخذوه واذا عرض لهم شيء من فضل أمير المؤمنين أنكروه وقوله {يوم يعض الظالم على يديه} هو الأول - يعني أبا بكر - يقول ياليتني اتخذت مع الرسول عليا وليا . وقوله {ياليتني لم أتخذ فلانا خليلا} يعني الثاني - أي عمر رضي الله عنه -[3] ويذكر القمي في تفسيره أن معنى قوله تعالى : {فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم}[4] ان معنى النقض هو نقض عهد أمير المؤمنين {وجعلنا قلوبهم قاسية} هم من نحى أمير المؤمنين عن موضعه . ويدلل على ذلك بأن الكلمة في قوله تعالى : {وجعلها كلمة باقية} انما هي امامة أمير المؤمنين .[5]

ومن تفاسيرهم الالحادية ماذكره العياشي في تفسيره والبحراني في برهانه والصافي في تفسيره من أن الجبت والطاغوت في قوله تعالى : {ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت}[6] انما هما صاحبي رسول

---

(١) الوافي للفيض الكاشاني كتاب الحجة باب مانزل في الأئمة وفي أعدائهم ٣١٤/١ .
(٢) سورة الفرقان : ٢٧
(٣) تفسير القمي ١١٣/٥ .
(٤) سورة المائدة : ١٣
(٥) تفسير القمي ١٦٤/١ .
(٦) سورة النساء : ٥١

الله صلى الله عليه وسلم وخليفتيه أبي بكر وعمر رضى الله عنهما .(١)

وعند قوله تعالى عن النار : {لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم}(٢) بأن معنى ذلك كما روى العياشي عن أبي بصير عن جعفر بن محمد قال : يؤتى بجهنم لها سبعة أبواب بابها الأول للظالم وهو زريق وبابها الثاني لحبتر والباب الثالث للثالث والرابع لمعاوية والباب الخامس لعبد الملك والباب السادس لعسكر بن هو سر والباب السابع لأبي سلامة فهم أبواب لمن اتبعهم .(٣)

وفسر المجلسي هذه الرموز والمصطلحات في بحاره بأن زريق هو أبو بكر وحبتر هو عمر والثالث هو عثمان وعسكر بن هوسر كناية عن عائشة وسائر أهل الجمل اذ كان اسم جمل عائشة عسكرا .(٤)

ومن بهت الشيعة وافتراءاتهم على أبي عبد الله جعفر زعمهم بأنه قال في قوله تعالى : {ان الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفرا}(٥) انها نزلت في فلان وفلان (أبي بكر وعمر) آمنوا برسول الله صلى الله عليه وسلم في أول الأمر ثم كفروا حين عرضت عليهم الولاية حيث قال من كنت مولاه فعلي مولاه . ثم آمنوا بالبيعة لأمير المؤمنين عليه السلام حيث قالوا له بأمر الله وأمر رسوله فبايعوه ثم

---

(١) انظر تفسير العياشي ٢/٧٧-٧٨ ، تفسير البرهان ٢/١٠٧ ، تفسير الصافي ١/٦٨٥ .
(٢) سورة الحجر : ٤٤
(٣) تفسير العياشي ٢/٢٤٣ ، البرهان ٢/٣٤٥ .
(٤) البحار للمجلسي ٤/٣٧٨ ، ٨/٢٢٠ .
(٥) سورة النساء : ١٣٧

كفروا حيث مضى رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يقروا بالبيعة ثم ازدادوا كفرا بأخذهم من بايعوه بالبيعة لهم فهؤلاء لم يبق منهم من الايمان شيء (١) .

ويفسرون الفحشاء والمنكر والبغي في قوله تعالى : {وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي} بأن المقصود من ذلك ولاية أبي بكر وعمر وعثمان رضوان الله عليهم فالفحشاء ولاية الأول والمنكر ولاية الثاني والبغي ولاية الثالث (٢) .

وهذه التأويلات الساقطة كشف لعوراتهم واظهار لحقدهم الدفين في ماتكنه نفوسهم من سوء قصد وخبث طوية لأفضل الأجيال جيل الصحابة الكرام أولي الأحلام والنهى .

والمتأمل حقا في تعسفهم وتأويلهم للآيات وتنزيلها على الصحابة يجزم جزما قاطعا بأن سب الصحابة ورميهم بالكفر احيانا وبالنفاق أحيانا انما هو عقيدة ودين لدى الشيعة .

فأغلب الآيات الواردة في الكفار والمنافقين ينزلونها على الصحابة ويركبونها عليهم .

<u>ثانيا : كتب الحديث</u> :

ومن أشهرها الكافي للكليني والبحار للمجلسي والاختصاص للمفيد ورجال الكشي . ان هذه الكتب الحديثية المعتبرة لديهم طافحة بالروايات المشتملة على السب والطعن والتكفير والردة للصحابة جميعا سوى سبعة منهم وللخلفاء الثلاثة الراشدين النصيب الأوفى في ذلك . فمن أكاذيبهم مايروونه عن

---

(١) تفسير العياشي ٥٨١/١ ، تفسير الصافي ٤٠٤/١ ، تفسير البرهان ٤٢٢/١ ، البحار ٢١٨/٨ .

(٢) تفسير العياشي ٢٦٨/٤ ، البرهان ٣٨١/٢ ، البحار ١٣٠/٧ .

أبى عبد الله أنه قال ثلاثة لاينظر الله اليهم يوم القيامة ولايزكيهم ولهم عذاب اليم من ادعى امامة من الله ليست له ومن جحد اماما من الله ومن زعم أن لهما (أى أبى بكر وعمر رضى الله عنهما) فى الاسلام نصيبا (١) .

وفى رواية أخرى للكلينى عن حمران بن أعين قال قلت لأبى جعفر جعلت فداك ماأقلنا لو اجتمعنا على شاة ماأفنيناها فقال الا أحدثك بأعجب من ذلك . المهاجرون والأنصار ذهبوا الا - وأشار بيده - ثلاثة (٢) .

وفى رواية أخرى تعيين هؤلاء الثلاثة بما نسبوه كذبا الى أبى جعفر أنه قال : "كان الناس أهل ردة بعد النبى صلى الله عليه وسلم الا ثلاثة فقلت ومن الثلاثة فقال : المقداد ابن الأسود وأبو ذر الغفارى وسلمان الفارسى رحمة الله وبركاته عليهم ثم عرف أناس بعد يسير" (٣) .

وفى روضة الكافى : "ان الشيخين فارقا الدنيا ولم يتوبا ولم يتذكرا ماصنعا بأمير المؤمنين فعليهما لعنة الله والملائكة والناس أجمعين" (٤) .

وفى روايات خاصة - كما يسميها الرافضى نعمة الله الجزائرى - أحكام يحار المسلم من قراءتها فضلا عن تسطيرها وكتابتها وكلها صب لجام غضبهم تجاه الخليفتين الراشدين اللذين ملآ الدنيا عدلا ونورا وأطفأ نار المجوسية فى بلاد

---

(١) الكافى للكلينى باب من ادعى الامامة وليس لها بأهل ٣٧٣/١ .
(٢) الكافى باب فى قلة عدد المؤمنين ٢٤٤/٢ .
(٣) المرجع السابق كتاب الروضة ٣٢١/١٢-٣٢٢ .
(٤) المرجع السابق ٣٢٣/١٢ .

فارس وطردا اليهود من جزيرة العرب . (١)

واذا كانت هذه النصوص من مصادرهم المعتبرة تركز على الخليفتين الراشدين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما فان بقية الصحابة رضى الله عنهم لم يسلموا من سب الشيعة وقدحهم ومع التتبع لمروياتهم عن بقية الصحابة فانهم يذكرون معظمهم بعبارات شنيعة والفاظ مبتذلة وأحكام سيئة وحسبنا مراجعة كتبهم وتفاسيرهم وقد تتبع جمع من علماء أهل السنة ضلالاتهم فى هذا الأصل بالنقل حرفيا من مصادرهم مكتفين بذكرها من غير مناقشة أو رد لأنها من التهافت والسقوط والظلم بما لاتحتاج معه الى بيان أو رد ومناقشة . (٢)

ولنا بعد ذلك أن نتساءل هل لازال الشيعة متمسكين بهذا الأصل أم انهم خففوا من غلوائهم وحقدهم تجاه الصحب الكرام ؟ وللاجابة على ذلك ننقل ماسطره بعض آياتهم فى العصر الحاضر . يقول أحدهم ويدعى بحسين الخراسانى فى كتاب له سماه الاسلام على ضوء التشيع : ان تجويز الشيعة لعن الشيخين أبى بكر وعمر وأتباعهما اسوة لرسول الله واقتفاء

---

(١) انظر لمثل هذه الروايات كتاب الأنوار النعمانية للنقمة الجزائرى ١/٨١-٨٢ ، ٢/١١١ وغيرهما من المواضع ولاسيما مافيه حديث عن الشيخين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما .
وكتاب رجال الكشى ٤/١٣٥ ترجمة كميت بن زيد الأسدى ، ص ٦٠-٦١ عند قصة مبايعة محمد بن أبى بكر لعلى بن أبى طالب .

(٢) انظر على سبيل المثال كتاب الشيعة والسنة لاحسان الهى ظهير ص ٣٢-٥٠ .
وبطلان عقائد الشيعة للتونسوى ص ٤٧-٧١ وكتاب مختصر التحفة الاثنى عشرية وقد أفرد له بابا خاصا بعنوان الباب الثامن مطاعنهم فى الخلفاء الراشدين والصحابة وأم المؤمنين عائشة ص ٢٣٧-٢٧٤ وكذلك فى آخر الكتاب ص ٢٨٥-٢٩٧ .

لاثره ؟ فانهم ولاشك قد أصبحوا مطرودين من الحضرة النبوية وملعونين من الله تعالى بواسطة سفيره صلى الله عليه وسلم .

ثم يضيف قائلا : "انا لانعهد لهؤلاء الخلفاء الثلاثة ابى بكر وعمر وعثمان اى نبوغ فى العلم أو تقدم فى جهاد أو تبرز فى الأخلاق أو ثبات على مبدأ أو تهالك فى العبادة أو تفان فى العمل أو اخلاص فى سبيل الدعوة الاسلامية " (١) .

ورافضى آخر يقول عن الخلفاء الثلاثة ومن بعدهم من خلفاء المسلمين : "فما صدر عن الخلفاء من الظلم والفواحش تجاوز عن حد الاحصاء فما بقى حق الا وقد اشاعوه ولاموبقة الا وفعلوها " (٢) .

ومن أشهر مؤلفى الشيعة فى العصر الحاضر محمد رضا المظفر صاحب كتاب عقائد الامامية . يقول فى كتابه السقيفة عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه : "لايستطيع الباحث أن ينكر من عمر بن الخطاب تمالؤه على على بن أبى طالب وكذلك جماعته الذين شاهدنا منهم التعاضد والتكاتف فى أكثر الحوادث كأبى بكر وأبى عبيدة وسالم مولى حذيفة ومعاذ بن جبل وأضرابهم " (٣) .

ويقول معرضا بجميع الصحابة : "مات النبى صلى الله عليه وسلم ولابد أن يكون المسلمون كلهم قد انقلبوا على أعقابهم " (٤) .

---

(١) الاسلام على ضوء التشيع للخراسانى ص ٨٨ .
(٢) تعليقات النجفىعلى احقاق الحق للتسترى ٢٩١/٢ .
(٣) السقيفة ص ٨٥ .
(٤) المرجع السابق ص ١٩ .

ومن آياتهم في العصر الحاضر مؤلف كتاب الحكومة الاسلامية فانه باسلوب ماكر عرض لقيام الخلافة الاسلامية في عهد النبي صلى الله عليه وسلم ومباشرة انتقل الى خلافة على ابن أبي طالب متجاهلا خلافة الخلفاء الثلاثة ويرمز من بعد الى اعتبار أن خلافتهم غير شرعية ثم يعرض بمعاوية رضي الله عنه ويصفه بالظلم حينا وبالجور حينا آخر (١) .

ومن عجيب المفارقات أنه في آخر كتابه الحكومة الاسلامية - مع موقفه هذا من صحابة رسول الله - يثني على على نصير الدين الطوسي ويترحم عليه ويدافع عنه ويعتبره من الدعاة المكافحين المجاهدين (٢) مع العلم أن علماء السلف يلقبونه بنصير الشرك والكفر والالحاد (٣) . بل أفرد بعض علمائهم مصنفا خاصا لأبي هريرة رضي الله عنه ملىء بالسب والشتم وخلاصة مافيه : أن أبا هريرة كان منافقا كافرا وأن الرسول قد أخبر عنه بأنه من أهل النار .

يقول السباعي رحمه الله عن هذا الكتاب مع الاشارة الى دعوة التقريب : "ولكن كتابا ككتاب عبد الحسين شرف الدين الموسوي في الطعن بأكبر صحابي موثوق في روايته للأحاديث في نظر أهل السنة لايراه أولئك العاتبون أو الغاضبون عملا معرقلا لجهود الساعين الى التقريب" .

ثم يقول : "ولست أحصر المثال بكتاب أبي هريرة المذكور فهنالك كتب تطبع في ايران والعراق فيها من

---

(١) انظر كتابه دروس في الجهاد والرفض في مواضع متعددة وكتاب الحكومة الاسلامية في صفحاته الأولى .
(٢) انظر الحكومة الاسلامية ص ١٢٨ .
(٣) انظر اغاثة اللهفان لابن القيم ٢/٢٦٣ .

التشنيع على جمهور الصحابة مالايحتمل سماعه انسان ذو وجدان وضمير مما يؤجج نيران التفرقة من جديد" .(١)

ويبقى أن نشير الى أن الشيعة قديما وحديثا لهم تأصيل وتعميق لهذا المبدأ فى نفوس أتباعهم ليتربى على ذلك الصغير ويقلد العامى من غير بصيرة وذلك عن طريق الأدعية والمختارات التى نسجوها لأتباعهم يرددونها كالببغاوات ولايفهمون مافيها من دس وكفر وضلال ومن أشهر هذه الأدعية مايسمونه (بدعاء صنمى قريش) والذى طبع ضمن كتاب تحفة العوام بلاهور وعليه توقيعات مجموعة من آياتهم كالخمينى وشريعتمدارى ص ٤٢٢-٤٢٣ .(٢)

كما جمع بعض معاصريهم من أمهات كتبهم أدعية مليئة باللعن والسب والتكفير للصحابة ومن ذلك :

كتاب ضياء الصالحين للشيعى محمد الجوهرى وكتاب مفاتيح الجنات للشيعى عباس القمى وغيرهما من كتب الأدعية التى تزخر بها مكتباتهم ومزاراتهم .

ان هذا الأصل من أصول الشيعة له مخاطره وأبعاده فهو :

(١) تشكيك فى مصادر الاسلام الأساسية فمما نقل لنا القرآن الا الصحابة الكرام ولاروى لنا الأحاديث الا الصحابة العدول فاذا جرح أى واحد من الصحابة فهو تجريح لمصادرنا الأساسية لأنهم رضى الله عنهم نقلتها وحفاظها .

---

(١) السنة ومكانتها فى التشريع الاسلامى ص ٩-١٠ .
(٢) انظر كتاب الشيعة لعبد المنعم النمر ص ١٢٩-١٣٠ .

(٢) ان الطعن فى الصحابة رضى الله عنهم طعن فى الرسول صلى الله عليه وسلم القائل فيهم : "لاتسبوا أصحابى فوالذى نفسى بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ماأدرك مد أحدهم ولانصيفه" متفق عليه من حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه (١) .

والقائل فيهم كما أخرجه الترمذى عن عبد الله بن مغفل رضى الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول "يبلغ الحاضر الغائب الله الله فى أصحابى لاتتخذوهم غرضا بعدى فمن أحبهم فبحبى أحبهم ومن أبغضهم فببغضى أبغضهم ومن آذاهم فقد أذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه ومن يأخذه الله فيوشك أن لايفلته" . رواه الترمذى (٢) .

وخير وصف لهم بعد كتاب الله (٣) وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم (٤) مارواه الامام أحمد بسنده الى ابن مسعود رضى الله عنه قال : من كان متاسيا فليتاسى بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فانهم ابر هذه الأمة قلوبا وأعمقها علما واقلها تكلفا واقومهم هديا وأحسنهم حالا قوم اختارهم الله لصحبة نبيه واقامة دينه فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوا آثارهم فانهم كانوا على الهدى المستقيم (٥) .

---

(١) فتح البارى ٢١/٧ ، صحيح مسلم بشرح النووى ٩٢/١٦-٩٣ .

(٢) سنن الترمذى بشرحه تحفة الاحوذى ٣٦٥/١٠ ، وأخرجه الامام أحمد فى المسند ٥٤/٥-٥٥ .

(٣) جمع أحد الفضلاء الآيات الواردة فى الصحابة رضوان الله عليهم فى كتاب بعنوان "منزلة الصحابة فى القرآن" لمحمد صلاح الصاوى .

(٤) الاحاديث الواردة والثابتة فى فضائل الصحابة ومناقبهم كثيرة جدا وحسبنا فى ذلك الصحيحان والسنن والمسانيد فما منها الا وفيه أبواب وفصول عن فضائل الصحابة ومناقبهم فرادى ومجتمعين .

(٥) المسند للامام أحمد وأخرجه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٣٠٥/١-٣٠٦ .

(٣) ومن بين المقاصد والمآرب لهذا الأصل فتح باب الطعن والدس من جانب الكفار والمشركين فى الصحابة فكم وجد المستشرقون من هذه النصوص الشيعية مادة غزيرة للدس والتشويه وماسطره المستشرق اليهودى كولد زيهر وغيره فى أبى هريرة رضى الله عنه الا مثال واضح لهذا الهدف الخطير .

(٤) كما أن من بين أهداف الطعن فى الصحابة لدى الشيعة رد كثير من الأحاديث الثابتة للطعن فى رواتها ، فمنهج الشيعة المعتبر عدم قبول الأحاديث الواردة سوى طريق الائمة من آل البيت أو ممن نسبوهم كذبا وزورا الى التشيع كسلمان الفارسى وعمار بن ياسر والمقداد بن الأسود رضى الله عنهم .

وهكذا - وكما يقول الأستاذ أحمد جلى - ان الشيعة وضعوا صورة قاتمة لحياة الصحابة فيها كثير من التجنى والتجريح لشخصياتهم واستخدموا فى ذلك اقبح الأوصاف واقذع الالفاظ مما يعف اللسان عن ذكره . فاتهموا الصحابة بأنهم تآمروا على ابعاد على عن الخلافة بل وتآمروا على قتله والتخلص منه وانهم حاربوا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وكادوا يحرقون عليها منزلها . وهموا بنبش قبرها بعد وفاتها ودفنها الى غير ذلك من الترهات والأباطيل . ولاشك أن هذا كله من نسج خيال مرض سيطرت عليه فكرة معينة فاعمته عن كل حق وحقيقة وان هذه القصص والأساطير التى يرددها بعض الشيعة فى هذا الصدد وليدة الصراع الذى دار بين الشيعة وخصومهم فى عصور متأخرة وعملت بعض الأيدى

المتآمرة على الاسلام عملها سعيا الى هدم الاسلام وتشويه صورة من حملوه الى الدنيا بأسرها (١) .

ولايضاح الصورة المشوهة التى عرضها الشيعة لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه تجاه اخوانه السابقين له فى الخلافة فانى أنقل بعض ماثبت عنه من كتاب معتمد لدى القوم ينسف جميع أقاصيصهم وترهاتهم التى يطلقون عليها روايات وأحاديث .

يقول الامام على رضى الله عنه عن أخيه وصاحبه عمر بن الخطاب رضى الله عنه : "لله بلاء عمر فقد قوم الأمد وداوى العمد خلف الفتنة واقام السنة ذهب نقى الثوب قليل العيب أصاب خيرها وسبق شرها أدى الى الله طاعته واتقاها بحقه رحل وتركهم فى طرق متشعبة لايهتدى فيها الضال ولايستيقن المهتدى" (٢) .

ولأهمية هذا النص وقوة الاستدلال به فى الرد على مزاعم الشيعة عمدوا الى تحريفه من نهج البلاغة فحذفوا الاسم سواء أبى بكر أم عمر وأثبتوا بدله فلانا فصار النص هكذا "لله بلاء فلان" وزعموا أن فلانا هذا رجل من الصحابة مات فى عهد النبى صلى الله عليه وسلم (٣) .

واللعب من الشيعة بألفاظ هذا النص واضح ومع ذلك لاننسى أن لهم أصلا وهو الاعتقاد بتحريف القرآن سنتحدث عنه

---

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ١٧٥-١٧٦ .
(٢) نهج البلاغة ٢٢٢/٢ وفى مختصر التحفة الاثنى عشرية ان هذا النص فى الثناء على أبى بكر . انظر مختصر التحفة ص ١٣٢ ولافرق فالنتيجة واحدة والاستدلال بهذا النص قائم سواء كان أبى بكر أم عمر .
(٣) انظر مختصر التحفة الاثنى عشرية للألوسى ص ١٣٢-١٣٣ .

ان شاء الله بعد هذا الأمل . ونقل شراح نهج البلاغة أن على ابن أبى طالب رضى الله عنه كتب كتابا الى معاوية رضى الله عنه فى الثناء على الشيخين رضى الله عنهما فقال بعد الدعاء لهما : "لعمرى ان مكانهما لعظيم وان المصاب بهما لجرح فى الاسلام شديد رحمهما الله تعالى وجزاهما بأحسن ماعملا " (١) .

وفى كتاب لعلى بن ابى طالب رضى الله عنه بعثه الى الأمصار يقص فيه ماجرى بينه وبين أخيه معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهما يقول : "وكان بدء أمرنا انا التقينا بالقوم من أهل الشام والظاهر ان ربنا واحد ونبينا واحد ودعوتنا فى الاسلام واحدة لانستزيدهم فى الايمان بالله والتصديق برسوله ولايستزيدوننا والأمر واحد الا ما اختلفنا فيه من دم عثمان ونحن منه براء " (٢) .

يقول الأستاذ أحمد جلى معلقا على هذا النص وغيره من كلام الامام على رضى الله عنه : "فأين هذه الروح العالية والنظرة السامية التى يمثلها على رضى الله عنه تجاه الصحابة رضوان الله عليهم من تلك النظرة الضيقة والروح الخبيثة التى شاعت فيما بعد بين من ادعوا التشيع لعلى وتلبسوا به واتخذوه ساترا للهجوم على أئمة الاسلام وصالحى المسلمين " (٣) .

واختم الحديث عن هذا الأمل لدى الشيعة بتوجيه ونصح من احد كتاب الشيعة الحاملين لواء التصحيح لمذهبهم ينعى فيه

---

(١) المرجع السابق ص ١٣٧ .
(٢) شرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ١٤١/١٧ .
(٣) دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ١٧٧ .

علي بني قومه الاسفاف في الروايات في قذع الصحابة ومنهم الامام علي يقول : "ولايجوز تجريح الخلفاء وذمهم بالكلام البذيء الذي نجده في أكثر كتب الشيعة . الكلام الذي يغاير كل الموازين الاسلامية والأخلاقية ويناقض حتى كلام الامام علي ومدحه وتمجيده في حقهم .

ويجب على الشيعة أن تحترم الخلفاء الراشدين وتقدر منزلتهم من الرسول فالنبي صلى الله عليه وسلم صاهر ابا بكر وعمرا وعثمان صاهر النبي مرتين وعمر بن الخطاب صاهر عليا وتزوج من ابنته أم كلثوم ولاأطلب من الشيعة أن تقول وتعتقد في الخلفاء الثلاثة الذين سبقوا الامام عليا أكثر مما قاله الامام في حقهم فلو التزمت الشيعة بعمل الامام علي لانتهى الخلاف وساد الأمة الاسلامية سلام فكري عميق فيه ضمان الوحدة الاسلامية الكبرى" (١) .

وفي موضع آخر قال : "اني أعتقد جازما أن بين هؤلاء الأكثرية توجد فئة غير قليلة ساهمت في تغيير مسار الفكر الاسلامي الموحد الى طريق الشقاق والنفاق ولضرب الاسلام والمسلمين بما فيهم علي وعمر مع انهم في ظاهر الأمر كانوا يظهرون بمظهر حماة المذهب الشيعي الا أن الغرض كان هدم المذاهب كلها وان شئت فقل الطعن في الاسلام" .

ثم بين هذا الكاتب : أن مسلك الشيعة في تجريح الخلفاء وذمهم انما كان مستندا على الروايات التي وضعها الشيعة الرواة على لسان أئمة الشيعة مخلفة وراءها من

---

(١) الشيعة والتصحيح للموسوي ص ٤٨ .

الخراب والدمار مالايحصيه الا الله (١) .

أما أثر هذه العقيدة على نفوس أصحابها فيلخصه لنا الشيخ موسى جار الله بقوله : "ولاريب أن لعن الشيعة على العصر الأول لايزيد فى قلب اللاعن الا مرضا على مرض وعداء على عداء واللاعن فى قلبه على المؤمنين مرض كلما لعن زاده اللعن مرضا على مرض لادواء له ولازوال" (٢) .

---

(١) المرجع السابق ص ٣٨ .
(٢) الوشيعة فى نقد عقائد الشيعة ص ٢٢ .

الأصل السادس من أصول التشيع : دعوى تحريف القرآن .

من أوائل النصوص عن هذه العقيدة لدى الشيعة ماجاهر به مؤسس مذهب الشيعة ابن سبأ ونقله لنا الحسن بن محمد بن الحنفية المتوفى سنة ١٠٠ للهجرة في رسالته الارجاء ومما جاء فيها : "ومن خصومة هذه السبئية التي أدركنا اذ يقولوا هدينا لوحي ضل عنه الناس وعلم خفي ويزعمون أن نبي الله كتم تسعة أعشار القرآن" (١) .

وسرت هذه العقيدة الى فرق الشيعة ولاسيما الغلاة منهم وأول كتاب للشيعة يسجل فيه هذا الافتراء هو كتاب سليم بن قيس الذي يعتبرونه أول كتاب ظهر للشيعة (٢) .

ومن نصوصه : "انه زعم أن عليا ألف القرآن كما أنزل وأن أبا بكر وعمر ردوه وقالوا لاحاجة لنا فيه وانهما حرفا

(١) انظر كتاب الايمان مخطوط ورقة ٢٤٩ لمحمد بن يحيى العدني ، نهج البلاغة ص ٣٠٩ .

(٢) يسمى هذا الكتاب كتاب سليم بن قيس وللكتاب قيمة عند الشيعة الامامية فيذكر الطهراني في كتابه الذريعة بأن علماء الشيعة القدامى يروون عن أبي عبد الله أنه قال فيه : "من لم يكن عنده من شيعتنا ومحبينا كتاب سليم ابن قيس الهلالي فليس عنده من أمرنا شيء ولايعلم من أسبابنا شيئا وهو أبجد الشيعة وهو سر من أسرار آل محمد صلى الله عليه وسلم" .
انظر الذريعة الى تصانيف الشيعة لآغا بزرك الطهراني ١٥٢/٢ .
وقال المجلسي عنه : "وهو أصل من أصول الشيعة وأقدم كتاب صنف في الاسلام" .
انظر البحار ١٥٨/١ .
أما سليم بن قيس مؤلف الكتاب فيزعم الشيعة أنه مصنف أول كتاب في الاسلام وأنه أدرك عليا والحسن والحسين وعلى بن الحسين والباقر وأنه توفي في أيام على بن الحسين مستترا عن الحجاج أيام ولايته سنة ٩٠هـ" .
انظر الفهرست للطوسي ص ١٠٧ .

القرآن" .[1]

ومما روى الكلينى فى كتابه الكافى - والذى يعتبر لدى القوم كالبخارى لدى أهل السنة - عن هشام بن سالم عن أبى عبد الله عليه السلام "ان القرآن الذى جاء به جبرائيل عليه السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم سبعة عشر الف آية"[2] وآيات القرآن - كما هو معروف - لاتتجاوز ستة آلاف آية الا قليلا . فالنتيجة ان مازاد على ذلك انما سقط بالتحريف .

وقد حكم جمع من علماء الشيعة المعتبرين المتقدمين على صحة هذه الرواية لدى الكلينى .

فقال المجلسى : "ان هذا الخبر صحيح ثم أكد على ان كثيرا من الأخبار الصحيحة صريحة فى نقص القرآن وتغييره"[3] .

وقال المازندرانى : "ان آى القرآن ستة آلاف وخمسمائة والزائد على ذلك مما سقط بالتحريف"[4] .

وترد روايات كثيرة عندهم تتحدث عن مصحف لعلى يغاير المصحف الموجود جمعه بنفسه ومن أبواب كتاب الكلينى ماسماه بباب انه لم يجمع القرآن كله الا الأئمة عليهم السلام ويذكر ست روايات من رواياتهم منها مايرويه أحمد بن جابر الجعفى أنه سمع أبا جعفر يقول : "ما ادعى أحد من الناس أنه جمع القرآن كله كما أنزل الاكذاب وماجمعه وحفظه كما نزله تعالى الا على بن أبى طالب والأئمة من بعده"[5] .

---

(١) انظر كتاب سليم بن قيس ص ٦٦ .
(٢) أصول الكافى للكلينى ١٣٤/٢ .
(٣) مرآة العقول شرح الأصول والفروع ٥٣٦/٢ .
(٤) شرح جامع على الكافى ٧٦/١١ .
(٥) الكافى للكلينى ٢٣٨/١ .

وهنـــاك روايـة ـ سـاقطة متهافتـة ـ لكـن لهـا عنـد القوم اعتبـار ومدلـول ونصهـا كما سطرها وتفوه بها عالمهم الطبرسى فى كتابه الاحتجاج يقول زاعما : "وفى رواية أبى ذر الغفـارى أنـه قال لما توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم جمع على عليه السلام القرآن وجاء به الى المهاجرين والأنصار وعرضه عليهم لما قد أوصاه بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله فلمـا فتحه أبـو بكـر خرج فى أول صفحة فتحها فضائح القـوم فـوثب عمر وقال ياعلى اردده فلاحاجة لنا فيه فـأخذه عليـه السـلام وانصرف ثم أحضروا زيد بن ثابت ـ وكان قارئـا للقـرآن ـ فقـال لـه عمر ان عليا جاء بالقرآن وفيه فضائح المهاجرين والأنصار وقد رأينا ان نؤلف القرآن ونسقط ماكـان فيـه فضيحة وهتك للمهاجرين والانصار فأجابه زيد الى ذلـك ثم قال : فان أنا فرغت من القرآن على ماسألتم وأظهر على القرآن الذى ألفه اليس قد بطل كل ماعملتم قال عمر فما الحيلـة ؟ قال زيد أنتم أعلم بالحيلة فقال عمر : وماحيلته دون أن نقتلـه ونستريح منـه فدبر فى قتله على يد خالد بن الوليـد فلـم يقدر على ذلك فلما استخلف عمر سأل عليا عليه السلام أن يدفع اليهـم القـرآن فيحـرفوه فيما بينهم فقال ياأبا الحسن : ان جئت بالقرآن الذى قد كنت جئت به الى أبى بكـر حتى نجتمع عليه فقال عليه السلام هيهات ليس الى ذلك سبيل انمـا جئت به الى أبى بكر حتى نجتمع عليه فقال عليه السلام هيهـات ليس الـى ذلك سبيل انما جئت به الى أبى بكر لتقـوم الحجـة عليكم ولاتقولوا يوم القيامة انا كنا عن هذا غافلين أوتقولوا ماجئتنا به ان القرآن الذى عندى لايمسه الا

المطهرون والأوصياء من ولدى .

قال عمر : فهل لاظهاره وقت معلوم فقال عليه السلام نعم اذا قام القائم من ولدى يظهره ويحمل الناس عليه فتجرى الألسنة به صلوات الله عليه .(١)

ولاحاجة الى التعليق على هذا النص الثابت لديهم فمدلولاته ناطقة بنفسها كما انه لاحاجة الى استنباط الكفريات الواردة فيه ورضى الله عنه الامام على القائل : "أعظم الناس اجرا فى المصحف أبو بكر رحمة الله على أبى بكر هو أول من جمع بين اللوحين" .(٢)

ورضى الله عن على الثابت عنه كما فى صحيح البخارى عن أبى جحيفة رضى الله عنه قال : "قلت لعلى رضى الله عنه هل عندكم شىء من الوحى الا مافى كتاب الله ؟ قال : لاوالذى فلق الحبة وبرأ النسمة ماأعلمه الا فهما يعطيه الله رجلا فى القرآن ومافى هذه الصحيفة قلت : ومافى الصحيفة ؟ قال : العقل وفكاك الأسير وان لايقتل مسلم بكافر" .(٣)

وتدعوا أساطيرهم - التى تركز على عقيدة التحريف لديهم - الى اهمال حفظ القرآن لأنه محرف فى زعمهم ومن حفظه على تحريفه يصعب عليه حفظه اذا جاء به منتظرهم غير محرف فروى مفيدهم باسنادهم الى جابر الجعفى عن أبى جعفر انه

---

(١) الاحتجاج للطبرسى ٢٢٥/١-٢٢٨ ، ونقلها كذلك المجلسى فى بحار أنواره محتجا بها على التحريف ٤٦٣/٨ .
ونقل النص أيضا احسان الهى ظهير عن طبعة طهران لكتاب الاحتجاج ص ٧٠-٧٧ ، وانظر الشيعة والسنة لظهير ص ٨٤-٨٥ .

(٢) كتاب المصاحف للسجستانى ٥/١ نقلا من كتاب دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ١٦٧ .

(٣) فتح البارى باب فكاك الأسير ٤٧/٨ .

قال : اذا قام قائم آل محمد صلى الله عليه وسلم وآله ضرب فساطيط ويعلم الناس القرآن على ما أنزل الله عز وجل فأصعب مايكون على من حفظه اليوم لأنه يخالف فيه التأليف .

ولهذه النصوص والروايات - بزعمهم - أثر عملي في حياة الشيعة واهتمامهم بالقرآن حفظا وتلاوة وأداء . وقد تجول أحد علماء أهل السنة في العصر الحاضر في بلاد الشيعة وعاش بينهم وسجل هذه الحقيقة قائلا تحت عنوان لاحافظ ولاقارىء بين الشيعة : لم أر بين علماء الشيعة ولابين أولاد الشيعة لافي العراق ولافي ايران من يحفظ القرآن ولامن يقيم القرآن بعض الاقامة بلسانه ولامن يعرف وجوه القرآن الأدائية .

ثم تساءل المؤلف ما السبب في ذلك ؟ هل هذا أثر من آثار عقيدة الشيعة في القرآن الكريم اثر انتظار الشيعة مصحف على الذى غاب بيد قائم آل محمد .

ثم يعقب قائلا : "وأخف مارأيته للشيعة في القرآن الكريم أن جميع مابين الدفتين في المصحف كلام الله الا أنه بعض ماانزل والباقي مما نزل عند المستحفظ لم يضع منه شيء واذا قام القائم يقرئه الناس كما أنزله الله على ماجمعه أمير المؤمنين على بن أبي طالب رضي الله عنه" (١) .

ومن الأحداث التاريخية التي لها مساس بهذه العقيدة لدى الشيعة ماذكره ابن الجوزي في كتابه المنتظم في أحداث سنة ٣٩٨هـ وكذلك السبكي في طبقات الشافعية قالا : "ان الشيعة أخرجوا مصحفا وقالوا عنه انه مصحف ابن مسعود وهو

---

(١) كتاب الوشيعة في نقد عقائد الشيعة لموسى جار الله ص ٣٧ .

يخالف المصاحف كلها فحكمت المحكمة الاسلامية التى تألفت من جمع من العلماء والقضاة برئاسة الشيخ أبى حامد الاسفراييني وحكمت بتحريقه وتم ذلك" (١) .

ومما يؤيد عقيدة التحريف لدى الشيعة مانقل عن امامهم فى الحديث (الكليني) ومدلول روايته العمل بالمصحف الموجود حتى يخرج قرآنهم وذلك ابان ظهور امامهم المنتظر ونص الرواية بهذا اللفظ : يروى الكليني باسناده الى محمد بن سليمان عن بعض أصحابه عن أبى الحسن عليه السلام قال : قلت له جعلت فداك انا نسمع الآيات فى القرآن ليس هى عندنا كما نسمعها ولانحسن أن نقرأها كما بلغنا عنكم فهل نأثم فقال : لا اقرأووا كما تعلمتم فسيجيئكم من يعلمكم (٢) .

ويبين أحد شراح الكافى بأن المقصود من الذى سيأتى ليعلمهم هو المهدى المنتظر (٣) .

ولعظم هذه الفرية وفداحتها فان الشيعة انقسموا حولها الى فئتين :

فئة آثروا عدم البوح بها واظهارها للملأ بل انهم لشدة تسترهم أظهروا موافقة أهل السنة بالقطع بعدم تحريف القرآن وهذه الفئة تشمل بعض علماء الشيعة المتقدمين وذلك كابن بابويه القمى الملقب عندهم بالصدوق ت ٣٨١هـ ومما نقل عنه انه أنكر نسبة الاعتقاد بالتحريف الى الشيعة وتبعه على ذلك المرتضى ت ٤٣٦هـ والطوسى ت ٤٥٠هـ والطبرسى من القرن

---

(١) المنتظم بن الجوزى ٢٣٧/٧ ، طبقات الشافعية للسبكى ٥٦٣/٤ .
(٢) الكافى للكلينى كتاب فضل القرآن باب أن القرآن يرفع كما أنزل ٦١٩/٢ .
(٣) المرجع السابق فى الحاشية بنفس الصفحة السابقة .

السادس الهجرى .[1]

كما تشمل بعضا من المتأخرين وذلك كالموسوى الزنجانى الذى قال فى كتابه عقائد الامامية : "ان علماءهم أجمعوا طرا على عدم وقوع التحريف فى القرآن وان الموجود بأيدينا هو جميع القرآن المنزل على النبى الأعظم ثم ذكر بعضا من اعلامهم المتقدمين الذين قالوا بعدم التحريف".[2]

ولكنه لما عدد هؤلاء الأعلام ـ كما يزعم ـ قال عبارتين تفصحان عن عدم الجزم بنفى ذلك عن علماء الشيعة كلهم وهما

العبارة الأولى : قوله وقد نسب جماعة القول بعدم التحريف الى كثير من الأعاظم منهم شيخ المشايخ المفيد ... الخ

العبارة الثانية : قوله : وممن يظهر منه القول بعدم التحريف كل من كتب فى الامامة من علماء الشيعة وذكر فيه المثالب ولم يتعرض للتحريف فلو كان هؤلاء قائلين بالتحريف لكان ذلك أولى بالذكر من احراق المصحف وغيره .[3]

ومن المتأخرين أيضا لطف الله الصافى الذى رد على محب الدين الخطيب بحماس وشدة وأنكر اعتقاد الشيعة بتحريف القرآن وتغييره وذلك فى كتابه مع الخطيب فى خطوطه العريضة وقد رد الأستاذ احسان الهى ظهير على الصافى وبين أن انكاره لايستند الى دليل وبرهان وذكر أربعة أوجه فى الرد عليه .[4]

كذلك من المتأخرين الدكتور موسى الموسوى الذى ظهر فى

---

(١) انظر الشيعة لمحسن الأمين ص ١٦١ .
(٢) عقائد الامامية الاثنى عشرية للموسوى ص ٥٤ .
(٣) المرجع السابق ص ٥٥ .
(٤) حاشية الشيعة والسنة لاحسان الهى ظهير ص ٧٨-٧٩ .

العصر الحاضر بفكرة الشيعة والتصحيح ومما قال : "ان القول بتحريف القرآن يناقض الايمان به "[(١)] .

أما الفئة الثانية : فهم الذين صرحوا وجاهروا بعقيدة التحريف وكان أول من تفوه بذلك ابن سبأ وأتباعه من الشيعة السبأية وسرى ذلك فى فرق الشيعة وسطره بعض مؤلفيهم ومن أشهرهم سليم بن قيس الذى جاهر بهذه العقيدة وأهمية الكتاب ومنزلته لدى الشيعة يلخصها لنا المجلسى بقوله : "ان هذا الكتاب أصل من أصول الشيعة وأقدم كتاب صنف فى الاسلام "[(٢)] .

ثم جاء من بعده امامهم فى الحديث (الكلينى ت ٣٢٨هـ) والملقب عندهم بثقة الاسلام وقد جاهر بهذه العقيدة فى كتابه الكافى وسبق أن نقلنا نصوصا منه واضحة الدلالة على اعتقاده واعتقاد شيعته بهذه الفرية العظيمة . ولذا يقول الشيخ أبو زهرة معلقا على الروايات القادحة فى القرآن وحفظه من الكلينى وغيره : "ولنا أن نقول ان رأينا فيمن ينقل هذا ويؤمن به انه لايعد من أهل القبلة "[(٣)] .

وممن جاهر بهذه الفرية أيضا مفسر الشيعة المشهور على ابن ابراهيم القمى الذى يقول عنه الخوئى . ونحكم بوثاقة جميع مشايخ على بن ابراهيم الذين روى عنهم فى تفسيره مع انتهاء السند الى أحد المعصومين[(٤)] ففى تفسيره تصريح بهذا المعتقد وله غلو فى القول بالتحريف[(٥)] .

---

(١) الصراع بين الشيعة والتشيع ص ١٣٠ .
(٢) البحار للمجلسى ١٥٨/١ .
(٣) جعفر الصادق لمحمد أبى زهرة ص ٤٤٠ .
(٤) معجم رجال الحديث للخوئى ص ٦٣ .
(٥) انظر على سبيل المثال روايات القمى فى الطعن فى كتاب الله فى تفسيره فى المواضع التالية : ٣٦٠/١، ٣٨٩، ٢١١، ٢١٧ وغيرها .

ومن مشاهير مفسريهم الذين جاهروا بهذه الفرية أيضا محمد بن الحسن العياشي صاحب التفسير المشهور لديهم بتفسير العياشي[(١)] . فذكر روايات عديدة تطعن في كتاب الله المحفوظ وتدل على تحريفه وذلك في مواضع متعددة من تفسيره[(٢)] .

ولتأكيد هذه العقيدة وأصالتها لديهم أفرد متقدموهم كتب خاصة عنها وتدور عناوينها على هذه العبارات (التغيير التحريف . التبديل . التنزيل . قراءة أمير المؤمنين . قراءة أهل البيت) وقد قام بحصرها - مشكورا - أحد طلبة العلم من أهل السنة في رسالته القيمة فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة وعدد هذه الكتب تصل الى عشرة[(٣)] .

ظلت هذه العقيدة في كتب الشيعة جيلا بعد جيل يعرضها علماؤهم تصريحا حينا وتلميحا أحيانا حتى تجرؤ رافضي مجوسي وسطر هذه العقيدة مفردا لها مؤلفه الخاص وسماه "فصل الخطاب في تحريف كتاب رب الأرباب" ولابد من وقفة متأنية عند هذا الكتاب ليتبين لنا عمق هذه العقيدةلدى الشيعة فمن هذا المؤلف ؟ ومامنزلته عند الشيعة ؟ ثم بعد ذلك ما الغرض من

---

(١) ومنزلة هذا التفسير لديهم يلخصها الطباطبائي بقوله : "احسن كتاب ألف قديما في بابه وأوثق ماورثناه من قدماء مشايخنا من كتب التفسير بالمأثور فقد تلقاه علماء هذا الشأن منذ ألف الى يومنا هذا بالقبول من غير أن يذكر بقدح أو يغمض فيه بطرف" .
انظر مقدمة التفسير للطباطبائي ص ٤٠ .
وأما المؤلف فيقول عنه الطوسي : "جليل القدر واسع الأخبار بصير بالروايات" .
انظر الفهرست للطوسي ص ١٦٣-١٦٥ .
هذه هي منزلة صاحب هذا المعتقد الباطل وكتابه عند القوم وفي ذلك عبرة وكفاية ودلالة .

(٢) انظر على سبيل المثال تفسير العياشي ١/١٣،٢٠٦،١٦٨، ١٦٩ وغيرها .

(٣) فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة للطالب ناصر بن عبد الله القفاري القسم الأول ص ١٧١ .

هذا الكتاب ؟ ثم ماذا يحوى هذا الكتاب ؟ وأخيرا ماهو موقف الشيعة من هذا الكتاب ؟

(١) للاجابة على السؤال الأول فان مؤلف هذا الكتاب يدعى حسين النورى الطبرسى من علماء القرن الرابع عشر لدى الشيعة ويصفه أحدهم بقوله :

"امام أئمة الحديث والرجال فى الأعصار المتأخرة ومن أعاظم علماء الشيعة فى هذا القرن توفى عام ١٣٢٠هـ ويحظى المؤلف بتعظيم الشيعة له حتى اعتبروا كتابه مستدرك الوسائل مرجعا من مراجعهم فى الحديث وقالوا عن هذا الكتاب : وأصبح فى الاعتبار كسائر المجاميع الحديثية المتأخرة . وبعد أن مات هذا الطبرسى وضعوه فى أشرف بقعة عندهم بين العترة والكتاب يعنى فى الايوان الثالث عن يمين الداخل الى الصحن الشريف – كما زعموا – من باب القبلة فى النجف" (١) .

وقد طبع هذا الكتاب على الحجر فى ايران وعليه خاتم الدولة الايرانية الرسمى .

(٢) أما الغرض من هذا الكتاب :

فيتبين من مقدمة الكتاب التى سطرها مؤلفه يقول عن نفسه بأسلوب وقح خبيث : "وبعد فيقول العبد المذنب المسىء حسين بن محمد تقى الدين الطبرسى جعله الله من الواقفين ببابه المتمسكين بكتابه !! هذا كتاب لطيف وسفر شريف عملته فى اثبات تحريف القرآن وفضائح أهل الجور والعدوان وسميته فصل الخطاب فى تحريف كتاب رب الأرباب وأودعت فيه من بدائع

---

(١) اعلام الشيعة لآغا بزرك الطهرانى ص ٥٥٣ وانظر أيضا رسالة فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة ص ١٦٥، ١٧٢ وانظر أيضا الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص ١٠ .

الحكمة ماتقر به كل عين وأرجو ممن ينتظر رحمته المسيئون أن ينفعني يوم لاينفع مال ولابنون" (١) فهو الفه كما يقول ليثبت من كتب الشيعة أن القرآن محرف وهذا هو الغرض الأساسى للكتاب ولكى يدلل على غرضه هذا نقل فيه مجموعة كبيرة من أخبارهم التى تطعن فى القرآن وجمعها كما يقول : "من الكتب المعتبرة التى عليها المعول واليها المرجع عند الأصحاب" وقال فى موضع آخر : "واعلم أن تلك الأخبار منقولة عن الكتب المعتبرة التى عليها معول أصحابنا فى اثبات الأحكام الشرعية والآثار النبوية" (٢) .

كما أن من أغراض الكتاب الطعن فى امامة الصحابة رضوان الله عليهم ورميهم بالبهتان فهم - أى الشيعة - نعوذ بالله يصرحون على لسان صاحب هذا الكتاب بأن الذى قام بتحريف القرآن أبو بكر وعمر وزيد بن ثابت وهذا نص عالمهم الطبرسى ناطق بنفسه دال على غرض من أغراضه المجوسية يقول "والذين باشروا هذا الأمر الجسيم هم أصحاب الصحيفة أبو بكر وعمر وعثمان وأبو عبيدة وسعد بن أبى وقاص وعبد الرحمن بن عوف واستعانوا بزيد بن ثابت" (٣) .

وهكذا فالغرض من تأليف هذا الكتاب واضح وهو الطعن فى كتاب الله عز وجل والطعن فى الجيل الأول من الصحابة .

(٣) أما ماذا يحوى هذا الكتاب ؟

فانه يشتمل على نصوص كثيرة نقلها عن أئمة الشيعة قديما وحديثا تدل - كما يزعم - على أن القرآن زيد فيه

---

(١) فصل الخطاب الورقة أ .
(٢) المرجع السابق ورقة ١١٧ وورقة ١٢٦ .
(٣) المرجع السابق ورقة ٧٣ .

ونقص منه حتى انه يورد فى كتابه سورة كاملة يسميها سورة الولاية حذفت بكاملها من القرآن - تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا - وأول عباراتها قوله : ياأيها الذين آمنوا آمنوا بالنبى والولى اللذين بعثناهما يهديانكم الى الصراط المستقيم (١) .

ولم يقف المؤلف عند حد الاحتجاج على عقيدة التحريف بكلام علمائهم فحسب بل تعدى ذلك الى الزعم كذبا وبهتانا بأن لديه أحاديث صريحة بهذه العقيدة يقول وهو يعدد من قال بالتحريف من علمائهم : "والشيخ أحمد بن أبى طالب الطبرسى فى كتاب الاحتجاج وقد ضمن ألا ينقل فيه الا ماوافق الاجماع واشتهر بين المخالف والمؤالف ودلت عليه العقول وقد روى فى التحريف ازيد من عشرة أحاديث صريحة فى ذلك" (٢) .

كما أن الكتاب يشتمل على حصر من خالف من الشيعة حول التسليم بهذه العقيدة والرد عليه أو تخريج كلامه وتأويله ليصل بعد ذلك المؤلف الى أن عقيدة التحريف عقيدة اجماعية لم يخالف فيها أحد من علمائهم سوى ماأظهره بعضهم من باب التقية .

فبعد أن يذكر رواياته وأحاديثه فى التحريف يقول :"ان اجماع الشيعة قائم على هذا - أى التحريف - الى أن جاء ابن بابويه القمى فخالف ذلك وهو أول من أحدث هذا القول فى الشيعة فى عقائده وتبعه الثلاثة الآخرون" (٣) .

---

(١) المرجع السابق ورقة ١٨٠ .
(٢) فصل الخطاب ورقة ٣٢ .
(٣) المقصود بهم المرتضى المتوفى ٤٣٦هـ والطوسى المتوفى سنة ٤٥٠هـ والطبرسى من علمائهم فى القرن السادس وقبلهم شيخهم القمى الملقب بالصدوق المتوفى سنة ٣٨١هـ .

ويذكر النورى الطبرسى صاحب هذا الكتاب : "انه لايوجد فى القرون المتقدمة من القرن الرابع الى السادس خافض لهؤلاء أنكر التحريف وان جميع الشيعة فى هاتيك القرون متسالمون على القول بالتحريف ويؤكد أنه لم يعرف الخلاف صريحا الا من هؤلاء الأربعة" (١) .

ويفسر أحد علماء الشيعة المتأخرين (٢) انكار هؤلاء الأربعة للتحريف انما هو من باب التقية . فبعد تأكيده أن أصحابه قد أطبقوا على صحة أخبار التحريف والتصديق بها يقول : "نعم قد خالف فيها المرتضى والصدوق والشيخ الطبرسى وحكموا بأن مابين دفتى هذا المصحف هو القرآن المنزل لاغير ولم يقع فيه تحريف ولاتبديل .. والظاهر ان هذا القول انما صدر منهم لأجل مصالح كثيرة منها سد باب الطعن عليها بانه اذا جاز هذا فى القرآن فكيف جاز العمل بقواعده وأحكامه مع جواز لحوق التحريف لها . وكيف وهؤلاء الأعلام رووا فى مؤلفاتهم أخبارا كثيرة تشتمل على وقوع تلك الأمور فى القرآن وأن الآية هكذا أنزلت ثم غيرت الى هذا" (٣) .

فالخلاصة ان هذا الكتاب المجوسى يشتمل على مئات النصوص عن علماء الشيعة ومجتهديهم فى مختلف العصور على ان القرآن محرف وزيد فيه ونقص منه على يد أفاضل الخلق بعد الأنبياء وهم صحابة رسول الله رضوان الله عليهم ؟

---

(١) انظر فصل الخطاب ص ١١١،١٥٠ .

(٢) وهو نعمة الله بن عبدالله الحسينى الجزائرى المتوفى سنة ١١١٢هـ قال عنه الخوانسارى كان من أعاظم علمائنا المتأخرين وأفاضل فضلائنا المتبحرين ومن كتبه الأنوار النعمانية .

(٣) الأنوار النعمانية ٢/٣٥٧-٣٥٨ .

وبالنظر الى صفحات الكتاب فانه يشتمل على مايقرب من اربعمائة صفحة مقسمة على ثلاث مقدمات وبابين :

المقدمة الأولى : من أول الكتاب الى ص ٢٤ فى الأخبار الواردة عن الشيعة فى جمع القرآن وجامعه وسبب جمعه وكونه فى معرض النقص بالنظر الى كيفية الجمع .

المقدمة الثانية : من ص ٢٤ الى ٢٦ فى أقسام التغيير الممكن حصوله والممتنع دخوله فى القرآن .

المقدمة الثالثة : فى ذكر أقوال علماء الشيعة فى تغيير القرآن وعدمه من ص ٢٦ الى ٣٦ .

أما الباب الأول : من ص ٣٦ الى ٣٦٠ فأدلة هذا المجوسى وأهل ملته على وقوع التغيير والنقص فى القرآن .

أما الباب الثانى : ففى ذكر أدلة القائلين بعدم تطرق التغيير الى القرآن وجوابه عنها واشتمل ذلك من ص ٣٦٠ الى ٣٩٨ آخر الكتاب . (١)

(٤) أما الاجابة على السؤال الرابع وهو موقف الشيعة من هذا الكتاب :

فان هذا الكتاب له قيمة واعتبار عند الشيعة سواء فيما يتعلق بالأكاذيب والمزاعم التى بين دفتى الكتاب فهى فى أصلها نصوص مبعثرة بين كتب الشيعة ومؤلفيها فى مختلف الأعصار والأماكن .

وفيما يتعلق بالمؤلف الذى يحظى بتعظيم الشيعة له وتقديرهم الذى دفعهم الى دفنه فى بناء المشهد المرتضوى

---

(١) رسالة فكرة التقريب بين أهل السنة والشيعة القسم الثانى ص ٣٦٩ .

بالنجف الأشرف والذى يعتبر من الأماكن المقدسة لديهم حيث لايدفن فيه الا خاصة القوم (١).

ولخطورة الكتاب واثره على المذهب الشيعى فقد حصل - كما يذكر الخطيب - ضجة حوله عند طبعه فى ايران عام ١٢٩٨هـ لأنهم - أى الشيعة - يريدون أن يبقى التشكيك فى صحة القرآن محصورا بين خاصتهم ومتفرقا فى مئات الكتب المعتبرة عندهم وأن لايجمع ذلك كله فى كتاب واحد تطبع منه الوف من النسخ ويطلع عليه خصومهم فيكون حجة عليهم ماثلة أمام أنظار الجميع . ولما أبدى عقلاؤهم هذه الملاحظات خالفهم فيها مؤلفه والف كتابا آخر سماه (رد بعض الشبهات عن فصل الخطاب فى اثبات تحريف كتاب رب الأرباب) وقد كتب هذا الدفاع فى أواخر حياته قبل موته بنحو سنتين وكافئوه على مجهوده فى اثبات تحريف القرآن أن دفنوه فى بناء المشهد العلوى فى النجف والذى لايدفن فيه الا خاصة القوم (٢).

ومما يدل على مكانته وعدم النكير عليه لدى شيعة اليوم أن الخمينى يتلقى معلوماته عن بعض كتبه ويترحم عليه فيقول مثلا عن بعض الأحاديث التى ينقلها عنه : "وقد رواه المرحوم النورى فى مستدرك الوسائل" . ويجمع عموم الشيعة على الثناء عليه ومما قالوا عنه : "انه من أعظم علماء الشيعة وكبار رجال هذا القرن" (٣).

والخلاصة ان هذا الكتاب وثيقة مهمة مشتملة على عقيدة الشيعة فى المصدر الأول من مصادر المسلمين قاطبة على اختلاف

---

(١) انظر الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب ص ١٠ .
(٢) المرجع السابق ص ١١ .
(٣) وجاء دور المجوس للدكتور عبد الله الغريب ص ١٦٢ .

آرائهم وتعدد فرقهم . وقديما كان الامام ابن حزم يناظر بعض النصارى فى نصوص كتبهم ويقيم لهم الحجج على تحريفها بل ضياع أصولها فكان أولئك القسس من النصارى يحتجون عليه بأن الشيعة قرروا أن القرآن أيضا محرف فأجابهم بأن دعوى الشيعة ليست حجة على القرآن ولاعلى المسلمين لأن الشيعة غير مسلمين .(١)

وقد قام أحد الكتاب المعاصرين بجهد مشكور حيث وضع جدولا خاصا للآيات المحرفة عند الشيعة وتتبعهم سورة سورة وآية آية وأمام كل سورة وآية المرجع أو المراجع من كتب الشيعة الأصيلة والتى تنص صراحة على القول بالتحريف ومن الجدير بالذكر أن المراجع التى أوردها هى الاصول المعتبرة لدى الشيعة وذلك على سبيل المثال :

(١) تفسير القمى

(٢) الأصول من الكافى

(٣) تفسير البرهان للعياشى

(٤) مجمع البيان للطبرسى

(٥) فصل الخطاب

مبينا ذلك بالنقل من هذه الكتب بأجزائها وأرقام صفحاتها مما لايدع مجالا للشك أو الجدل فى نسبة هذه العقيدة الى الشيعة .(٢)

وهذه العقيدة الباطلة أصبحت لدى الشيعة من العقائد التى ترتبط بالمعتقدات الأخرى مثل الامامة والمهدى المنتظر

---

(١) الفصل فى الملل والنحل لابن حزم

(٢) انظر كتاب الشيعة تاريخ ووثائق للدكتور عبد المنعم النمر ص ٣٣٣-٣٤٨ .

والغيبة ، فالامام المنتظر والذى طالت غيبته هو الذى سيظهر القرآن الكامل وهو الذى سيحمل الناس على حفظ هذا القرآن والاهتمام به لأنه كامل غير محرف ؟؟

ان هذه العقيدة الباطلة الفادحة الخطورة قد يتوهم متوهم أو يظن ظان انها من تراث الشيعة القديم وقد انتهت فى عصر العلم والاكتشافات الا أن احد علماء الشيعة ومثقفيهم فى العصر الحاضر يسوق لنا هذا الخبر ونصه :

"لقد سمع العالم قبل أكثر من عام (١) زعيما من زعماء المذهب الشيعى يخطب أمام الجماهير الشيعية فى طهران وينقل كلامه عبر الأثير وهو يقول : ان جبرائيل كان ينزل على السيدة فاطمة الزهراء بعد وفاة أبيها ويحدثها عن قضايا كثيرة ويعلق المؤلف على هذا الخبر قال : والأدهى من ذلك ان كلاما كهذا لم يلق مجابهة من قبل نظراء ذلك الفقيه وأقرانه بل أذعنوا بصحة هذه الرواية بالسكوت الذى هو من علائم الرضى" (٢) .

كما يذكر الأستاذ احسان الهى ظهير أن المتأخرين من علماء الشيعة صنفوا فى هذه العقيدة الباطلة كتبا كثيرة بلغات متعددة فألف شخص يدعى ميرزا سلطان أحمد الدهلوى كتابا بعنوان "تصحيف كاتبين ونقص آيات كتاب مبين" كما ألف شخص آخر يدعى محمد مجتهد اللكنوى كتابا آخر بعنوان "ضربة حيدرية" وغير ذلك من الكتب الكثيرة التى ألفت فى اللغة الفارسية والعربية والأردية (٣) .

---

(١) طبع هذا الكتاب عام ١٩٨٧م أى ١٤٠٧هـ .
(٢) الصراع بين الشيعة والتشيع للدكتور موسى الموسوى .
(٣) الشيعة والسنة لاحسان الهى ظهير ص ١٤٩-١٥٠ .

ويقول الدكتور عبد المنعم النمر : "ان الخمينى لايذكر هذه العقيدة صراحة كغيره من علماء الشيعة وانما يراوغ ويستعمل التقية لكنه فى دعاء صنمى قريش المعروف عنه يذكر عن أبى بكر وعمر أنهما وغيرهما حرفوا الكتاب وان القرآن المعتمد هو الذى جمعه الامام على حيث جاء فى حيثيات اللعن وصفهما أنهما "قلبا دينك وحرفا كتابك" ويريد بالصنمين أبا بكر وعمر" (١) .

وهكذا ومن خلال هذه النصوص الموثقة المنقولة من مصادرهم فى القديم والحديث نجزم بأن هذه العقيدة لديهم أصل يعول عليه ويرتبط ارتباطا مباشرا بأصولهم وفروعهم وبذلك تكون فرقة الشيعة هى التى اشتهرت بهذه المقالة والفرية العظيمة أكثر وأظهر من غيرها من الفرق الضالة المنحرفة .

ان هذه العقيدة لدى الشيعة ليست نبتة اسلامية سواء فى مظهرها أو منبتها بل هى عقيدة أجنبية لها جذور غريبة تسللت على حين غفلة - تحت ستار التشيع على يد اليهودى عبد الله بن سبأ والذى ثبت عنه قولته "هدينا لوحى ضل عنه الناس وعلم خفى وان نبى الله كتم تسعة أعشار القرآن" (٢) .

ومن خصال اليهود وطباعهم انهم فرسان التحريف والتبديل والتغيير استحفظهم الله على كتابه المنزل عليهم فحرفوه وبدلوه واخفوا منه مالايلائم رغباتهم وشهواتهم قال تعالى مخاطبا المؤمنين : {أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان

---

(١) الشيعة تاريخ ووثائق لعبد المنعم النمر ص ١٢١ .
(٢) سبق أن نقلنا هذا النص ومصدره عند الحديث عن ابن سبأ واثبات وجوده ص

فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ماعقلوه وهم يعلمون}[(١)] والضمير في يحرفونه . كما نقل ابن كثير عن السدى هي التوراة حرفها اليهود . وعن ابن زيد في قوله تعالى : {يسمعون كلام الله ثم يحرفونه} قال : "التوراة التي أنزلها الله عليهم يحرفونها يجعلون الحلال فيها حراما والحرام فيها حلالا والحق فيها باطلا والباطل فيها حقا"[(٢)] .

وقال تعالى محذرا من أعمال اليهودوأخلاقهم : {من الذين هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير مسمع وراعنا ليا بالسنتهم وطعنا في الدين ...}[(٣)].

كما اخبر الله تعالى انه أنزل التوراة على الذين هادوا واستحفظهم عليها اى وكل حفظها اليهم ولكنهم حرفوا وبدلوا قال تعالى : {انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء}[(٤)] .

ففي هذه الآية ثناء ومدح على الذين أسلموا والربانيون والأحبار حيث انهم كما قال ابن كثير في تفسير هذه الآية : "لايخرجون عن حكم التوراة ولايبدلونها ولايحرفونها حيث ان الله عز وجل استودعهم كتابا من كتبه (التوراة) أمروا أن يظهروه ويعملوا به"[(٥)] .

ولكنهم خانوا الأمانة التي ائتمنهم الله عليها فحرفوها مابين تبديل أو نقص أو زيادة . قال تعالى عنهم :

---

(١) سورة البقرة : ٧٥
(٢) انظر تفسير ابن كثير ١٦٥/١ .
(٣) سورة النساء : ٤٦
(٤) سورة المائدة : ٤٤
(٥) انظر تفسير ابن كثير ١٠٩/٣ .

{فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ...} الخ (١) .

وقال تعالى عنهم أيضا : {ياأهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين} (٢) .

يقول ابن كثير رحمه الله على هذه الآية : "ان الله أرسل رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق الى جميع أهل الأرض عربهم وعجمهم أميهم وكتابيهم وانه بعثه بالبينات والفرق بين الحق والباطل كما أمره الله عز وجل أن يبين مابدله اليهود فى التوراة وماحرفوه وأولوه وافتروا على الله فيه ويسكت عن كثير مما غيروه ولافائدة فى بيانه" (٣) .

وثبت فى السنة النبوية من صحيح البخارى حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما : ان اليهود جاءوا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكروا له أن رجلا منهم وامرأة زنيا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ماتجدون فى التوراة فى شأن الرجم فقالوا نفضحهم ويجلدون . قال عبد الله بن سلام رضى الله عنه كذبتم ان فيها الرجم فأتوا بالتوراة فأتوا بالتوارة فنشروها فوضع أحدهم يده على آية الرجم فقرأ ماقبلها ومابعدها فقال له عبد الله بن سلام ارفع يدك فرفع يده فاذا آية الرجم ... الخ الحديث (٤) .

---

(١) سورة المائدة : ١٣
(٢) سورة المائدة : ١٥
(٣) تفسير ابن كثير ٦٣/٣ .
(٤) فتح البارى ٢٢٤/٨ .

وفي رواية أخرى للبخاري قول أحد اليهود للنبي صلى الله عليه وسلم يامحمد ان فيها آية الرجم ولكنا نتكاتمه بيننا فأمر بهما ورجما (١) . ثم بعد ذلك نزل قوله تعالى : {يا أيها الرسول لايحزنك الذين يسارعون في الكفر من الذين قالوا آمنا بأفواههم ولم تؤمن قلوبهم ومن الذين هادوا سماعون للكذب سماعون لقوم آخرين لم يأتوك يحرفون الكلم من بعد مواضعه يقولون ان أوتيتم هذا فخذوه وان لم تؤتوه فاحذروا ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا} (٢) .

وفي هذه الآيات التي تقدمت دلالة على أن اليهود هم أول من حرف وبدل في الكتب الالهية ومن فعل ذلك فانه لابد متأثر بهم وعلى نهجهم أومتشبه بأفكارهم وتعاليمهم ولامناص للشيعة القائلين بتحريف القرآن من أحدهما ان لم يكن الأمران جميعا .

وأخيرا فهذه الأصول الستة هي أهم أصول التشيع وأسسه التي دانت بها الشيعة وأصبحت علائم مميزة لمذهبهم مع مالهم من معتقدات أخرى مع خلاف بينهم وليست في حجم هذه الأصول وأهميتها وذلك كالقول في البداء والمتعة والحلول والتناسخ والتشبيه . وجميع فرق الشيعة سواء كانوا امامية أو باطنية أو غلاة استمدوا هذه الأصول اما بكاملها أو بعضها أو أخذوا بأصولها وأضافوا لها آراء ومعتقدات جديدة لكنها مرتبطة بها .

---

(١) فتح الباري ٥١٦/١٣ .

(٢) سورة المائدة : ٤١

وأختم هذا الفصل بنصوص لبعض علماء الفرق والمقالات موجزة ولكنها جامعة تتضمن معالم عامة لأصول التشيع .

يقول الشهرستانى عن الشيعة عامة : "ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيص وثبوت عصمة الأنبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر والقول بالتولى والتبرى قولا وفعلا وعقدا الا فى حال التقية " .

أما عن تأثر الشيعة بالفرق الأخرى فيقول : "ان أصول الشيعة بعضها يميل الى الاعتزال وذلك كمذهب الامامية وبعضها يميل الى التشبيه كالغلاة وبعضها يميل الى السنة كالزيدية " (١) .

ويقول ابن تيمية رحمه الله : "ان مذهب الرافضة - ولاسيما متأخروهم - جمعوا أخس المذاهب . مذهب الجهمية فى الصفات ومذهب القدرية فى أفعال العباد . ومذهب الرافضة فى الامامة والتفضيل" (٢) .

ان عمدة الرافضة فى الشرعيات على مانقل لهم عن بعض أهل البيت وذلك النقل منه ماهو صدق ومنه ماهو كذب عمدا أو خطأ ولايعتمدون على القرآن ولاعلى الحديث ولاعلى الاجماع الا لكون المعصوم منهم . وأما عمدتهم فى النظر والعقليات فقد اعتمد متأخروهم على كتب المعتزلة ووافقوهم فى مسائل الصفات والقدر بل ان متكلمى الشيعة ابتدعوا الغلو فى الاثبات والتجسيم والتبعيض والتمثيل فأول من عرف عنه فى الاسلام أنه قال : ان الله جسم هو هشام بن الحكم الشيعى الامامى .

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١/١٤٦-١٤٧ .
(٢) المنتقى للذهبى ص ٥٠٣ .

بـل نقل ابن تيمية عن الجاحظ أنه قال فى كتابه الحجج فى النبوة :

"ليس على ظهرها رافضى الا ويزعم أن ربه مثله وان البداوات تعرض له وانه لايعلم الشىء قبل كونه الا بعلم يخلقه لنفسه" (١) .

(١) منهاج السنة لابن تيمية ١/١٤٤-١٤٧ .

الفصل الثالث

أثر التشيع فى الاسماعيلية نشأة وعقيدة

مما لاشك فيه أن حركة التشيع تضم فرقا عدة منها الغالى ومنها المنحرف المخالف لطريق الحق ومنها خفيف البدعة بالنسبة للفرق الأخرى ولما حدث بعد ذلك (١).

واذا تأملنا نشوء حركة الاسماعيلية فانها انبثقت وظهرت تحت لواء التشيع وانتشر دعاتها وكثر نشاطها تحت شعار محبة آل البيت ودعوى امامتهم كسائر الفرق الشيعية الأخرى. ومن المغالطة اعتبار فرق الغلاة مقطوعة الصلة بالفرق الشيعية الأخرى فكتاب الفرق والمقالات صنفوا الغلاة واعتبروهم من فرق الشيعة المتشعبة على اختلاف بينهم فى فرقها الكبرى (٢).

ومن أشهر الغلاة فرقة الاسماعيلية خاصة والفرق الباطنية الأخرى عامة.

---

(١) وذلك كتشيع شريك بن عبد الله الذى قيل له : أنت من شيعة على وأنت تفضل أبا بكر وعمر فقال : كل شيعة على على هذا هو يقول على أعواد هذا المنبر : خير هذه الامة بعد نبيها أبو بكر ثم عمرا فكنا نكذبه والله ماكان كذابا . كتاب النبوات لابن تيمية ص ١٣٢ .
وكذلك كتشيع الذين يقدمون عليا على عثمان كما حكى الجاحظ : انه كان فى الصدر الأول لايسمى شيعيا الا من قدم عليا على عثمان ولذلك قيل شيعى وعثمانى فالشيعى من قدم عليا على عثمان والعثمانى من قدم عثمان على على . انظر الحور العين للحميرى ص ١٨٠-١٨١ .فهذا هو التشيع الخفيف ويدخل فى ذلك أيضا تشيع الزيدية سوى فرقة الجارودية منهم .

(٢) سبق الحديث عن ذلك بالتفصيل فى الفصل الأول من الباب الأول عند الحديث عن فرق الشيعة .

وهكذا فمذهب الشيعة يندرج تحت لوائه فرق كثيرة بعضها ظهر فى عهد على رضى الله عنه كالسبأية وبعضها بعده كالمختارية والكيسانية . وبعضها فى عهد جعفر الصادق كالخطابية وبعضها بعد وفاته كالاسماعيلية والامامية الاثنا عشرية وبعضها بعد ذلك كالنصيرية والقرامطة والدروز وجميع هذه الفرق تندرج تحت مسمى التشيع والشيعة .

ويصف الأستاذ أحمد جلى هذه الظاهرة فى فرق الشيعة بقوله : "ان التشيع لم يكن مذهبا واحدا بل انه اتخذ أطوارا مختلفة ومر بمراحل عديدة فقد كان لكل عصر نوع من التشيع ولكل طائفة شيعية لون من التشيع . فقد وجد المعاصرون لعلى الذين أبرزوا فضائله وكفاءته كما ظهر فى عهده من فضل عليا على عثمان فقط وظهر بعد ذلك الرافضة الذين رفضوا ولايتى أبى بكر وعمر ثم ظهر الغلاة الذين كفروا الصحابة وتعددت الطوائف من امامية اثنى عشرية وزيدية واسماعيلية واتصل التشيع الاسماعيلى ببعض الفلسفات الغنوصية والأديان والمذاهب واتخذ أشكالا وتبنى عقائد تنوعت بتنوع المصادر التى استقت منها هذه الجماعة أو تلك" (١) .

أما ارتباط التشيع الاسماعيلى بالتشيع الامامى فهذا ماكان واقعا وملموسا فى تاريخ التشيع حتى وفاة الامام جعفر عام ١٤٨هـ وانشق الشيعة الى فرقتين كبيرتين لكل فرقة امام معتبر فالأئمة قبل ذلك عند الاسماعيلية والامامية سواء هذا على اعتبار ان الاسماعيلية نشأت ووجدت قبل هذا الاختلاف .

---

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ١٠١ .

أما على القول بنشأتها وظهورها بعد هذا الاختلاف فهى لاتعدو أن تكون ثمرة من ثمرات التشيع الامامى وغصن من أغصانها .

ومع النظر والتأمل لأصول الفرقتين ومعتقداتهما فان أصول الامامية التى سبق عرضها فى الفصل الثانى هى فى الحقيقة أساس وبداية أصول الاسماعيلية فمنها انطلق دعاة الاسماعيلية وعليها بنوا أساسيات مذهبهم ولاخلاف بينهم حول الأصول والمعتقدات سوى شخصيات الأئمة بعد وفاة جعفر رحمه الله فالغلو الثابت فى كتب الامامية لايقل عن الغلو الظاهر فى كتب الاسماعيلية . ولنأخذ بعض أصول الفرقتين كأمثلة على هذه الحقيقة . فمن أصول الاسماعيلية الايمان بأن لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل يقابله عند الامامية التأويل وتعسف النصوص الشرعية . وبنظرة سريعة الى أدلة الامامية من القرآن والسنة على امامة على والنص عليه يتبين التشابه بل والاتفاق بين الامامية والاسماعيلية حول أصل الظاهر والباطن أو التأويل .

ومن أصول الاسماعيلية الغلو فى شخصيات الأئمة ورفعهم فوق منزلتهم البشرية الى القول بالهيتهم أو تشبيههم بالاله ويقابله عند الامامية الأوصاف العظيمة والمنازل الرفيعة التى أحاطوا بها الأئمة فنفوا عنهم السهو والنسيان وادعوا علمهم للغيب والمكنون ثم القول بعصمتهم . وعند التأمل حقا فى تراث الفئتين نجدهما فى هذا الأصل سواء ومن أصول الاسماعيلية الاستتار والسرية للأئمة أو فى المعتقدات ويقابل ذلك عند الامامية عقيدة التقية . أما الرجعة والوصية فهما عقيدتان معتبرتان فى الفكر الامامى والاسماعيلى ورثوهما عن

مؤسس مذهبهم وداعيتهم الأول ابن سبأ اليهودى . ولافرق بينهما فى أصل هاتين العقيدتين ووجوب الايمان بهما .

وأما عقيدة الغيبة عند الامامية فيقابلها عند الباطنية استتار الأئمة ودور سترهم عدا عن أن بعض الاسماعيليين يقولون بغيبة بعض أئمتهم ورجوعهم مرة أخرى الى الدنيا فى صورة مايسمونه بقائم القيامة ويعنون به امامهم السابع محمد بن اسماعيل بن جعفر (١) .

ان حقيقة التأثر والتشابه بين الامامية والاسماعيلية لم تعد مجال جدال أو نقاش منها هى نصوص أئمة من علماء الاسلام تؤكد هذه الحقيقة وتعرض هاتين الفرقتين على اعتبار أن أصلهما سواء .

يقول ابن تيمية ـ وهو من أكثر علماء أهل السنة معرفة بالشيعة اسماعيلية كانوا أم امامية (٢) ـ ان من أعظم مادخل به القرامطة والاسماعيلية على المسلمين من افساد الدين هو طريق الشيعة لفرط جهلهم وأهوائهم وبعدهم عن دين الاسلام ولهذا وصوا دعاتهم أن يدخلوا على المسلمين من باب التشيع .

---

(١) سوف ان شاء الله نتحدث بالتفصيل عن هذا المعتقد وغيره من المعتقدات فى الباب الثالث من البحث .

(٢) ومع التتبع لمؤلفاته نجد أنه أفرد الامامية بكتابه النفيس منهاج السنة النبوية الذى يبلغ عشر مجلدات بطبعته الأخيرة المحققة وأفرد الباطنية بكتابه تحفة المرتاد فى الرد على الباطنية والقرامطة والجهمية أهل الحلول والاتحاد وقد طبع بمجلدين وكذلك رسالته فى الظاهر والباطن ضمن مجموعة الرسائل المنيرية وتحدث عنهما أيضا فى سائر كتبه الأخرى كالفتاوى ولاسيما الجزء الخامس والثلاثين وفى الرسالة التدمرية والرسالة العرشية وجهود ابن تيمية فى الرد على الامامية وجهوده كذلك فى الرد على الباطنية تحتاج الى بحث مستقل ولعل الله أن يقيض طالب علم من أهل السنة بكتابة ذلك .

وصاروا يستعينون بما عند الشيعة من الأكاذيب والأهواء ويزيدون هم على ذلك ماناسبهم من الافتراء وأول دعوتهم التشيع وآخرها الانسلاخ من الاسلام بل من الملل كلها ومن عرف أحوال الاسلام وتقلب الناس فيه فلابد أنه قد عرف شيئا من هذا (١).

ويقول أيضا : "وقد دخل من الرافضة على الدين من الفساد مالايحصيه الا رب العباد . والنميرية والاسماعيلية والباطنية من بابهم دخلوا والكفار والمرتدة بطريقتهم وصلوا فاستولوا على بلاد الاسلام وسبوا الحريم وسفكوا الدم الحرام" (٢).

وفي موضع آخر يوضح لنا الامام ابن تيمية العلاقة بين الباطنية والرافضة وأوجه الشبه بينهما قوله :"ان بينهم اقتران واشتباه ويجمعهم أمور منها : الطعن في خيار هذه الأمة وفيما عليه أهل السنة والجماعة وفيما استقر من أصول الملة وقواعد الدين ويدعون باطنا امتازوا به واختصوا به عمن سواهم . كما أن لكثرة كذب الرافضة وادعاءهم علوم الأسرار والحقائق انتسبت اليهم الباطنية والقرامطة" (٣).

كما أن ابن تيمية رحمه الله في موضع آخر يبين أثر الشيعة الامامية وتشيعهم في دخول مذهب الاسماعيلية على المسلمين وانتشاره بينهم بدعوى التشيع ودخول غيرهم من الزنادقة والكفار يقول عن ذلك : ومن وصايا الاسماعيليين في الناموس الأكبر والبلاغ الأعظم انهم يدخلون على المسلمين من

---

(١) منهاج السنة النبوية لابن تيمية ١٤٧/٤ .
(٢) المنتقى من منهاج الاعتدال للذهبي ص ١٩ .
(٣) انظر الفتاوى لابن تيمية ٧٧/٤، ١٠٣-١٠٤ .

باب التشيع وذلك لعلمهم بأن الشيعة من أجهل الطوائف وأضعفها عقلا وعلما وأبعدها عن دين الاسلام علما وعملا . ولهذا دخلت الزنادقة على الاسلام من باب المتشيعة قديما وحديثا كما دخل الكفار المحاربون مدائن الاسلام بغداد بمعاونة الشيعة فهم يظهرون التشيع لمن يدعونه واذا استجاب لهم نقلوه الى الرفض والقدح فى الصحابة فان رأوه قابلا نقلوه الى الطعن فى على وغيره ثم نقلوه الى القدح فى نبينا وسائر الأنبياء وقالوا : ان الأنبياء لهم بواطن وأسرار تخالف ماعليه أمتهم .(١)

ويقول الديلمى ـ وهو ممن فضح الباطنية وكشف أستارهم ـ ان أصول مذهب الغلاة والباطنية والاسماعيلية والامامية الاثنى عشرية مختلطة بعضها ببعض فى كثير من المسائل ولذلك قيل الامامية دهليز الباطنية لأن الكل دخلوا فى الشيعة من جهتهم وكلهم يدعون التشيع ويغلون فى الدين ويخرجون من طريق المسلمين .(٢)

وكتاب الفرق الاسلامية جميعا وبلا استثناء كالملطى وأبو الحسن الأشعرى والبغدادى وابن حزم والشهرستانى والرازى يثبتون علاقة وطيدة بين الاسماعيلية وسائر فرق الغلاة من جهة وبين التشيع الامامى من جهة أخرى وماتحدث واحد من هؤلاء عن الغلاة الا واعتبر انهم فرقة من فرق الشيعة الامامية أو الرافضة .

ومن علماء أهل السنة المعاصرين محب الدين الخطيب حيث

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الاسلام ١٣٦/٣٥ .
(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى ص ٢ .

بين هذه الحقيقة بقوله : "ان الاسماعيلية مثل الامامية فى مخالفتهم المسلمين فى الأصول ولافرق بينهما الا فى تعيين بعض أسماء آل البيت الذين يوالونهم . فالامامية توالى كل الذين يواليهم الاسماعيليون الى جعفر الصادق ويفترقون بعده . فالامامية توالى موسى بن جعفر ومن تسلسلوا عنه . والاسماعيلية توالى اسماعيل بن جعفر فمن تسلسل عنه . والغلو الذى جنحت اليه الاسماعيلية من اسماعيل فمن بعده قد حسدتها عليه الامامية من أيام الدولة الصفوية فانحدرت فى هوته بأيدى المجلسى وأعوانه والمسولين لهم . فبعد أن كان غلاتهم فى العصور السالفة أقلية صاروا بعد ذلك الى هذا اليوم كلهم غلاة بلا استثناء وقد اعترف بذلك أكبر علمائهم فى الجرح والتعديل آية الله المامقانى (١) فى كل ترجمة كتبها للغلاة الأقدمين منهم فأعلن فى كل موضع تناول فيه هذا البحث من كتابه . بأن ماكان به الغلاة الاقدمون غلاة أصبح الآن عند جميع الشيعة الامامية من ضروريات المذهب اذن فالغلو الذى كانت تفترق به الاسماعيلية عن الشيعة الامامية صاروا به سواء لافرق بينهما الا فى الشخصيات التى يؤلهها كل منهم ويرفعها فوق منزلة النبى صلى الله عليه وسلم (٢) .

ومع شهادة المامقانى هذه نجد عالما من علماء الشيعة المعاصرين المعتبرين لديهم يعترف بالصلة بين الاسماعيلية والامامية بقوله : ان الاثنى عشرية والاسماعيلية وان اختلفوا

---

(١) من كبار شيوخ الشيعة الامامية المعاصرين ولد فى النجف عام ١٢٩٠هـ وتوفى بها سنة ١٣٥١هـ واسمه عبد الله بن محمد بن حسن المامقانى ومن أشهر كتبه تنقيح المقال فى علم الرجال طبع فى ثلاثة مجلدات .

(٢) تنقيح المقال للمامقانى ٢٤٠/٣ .

من جهات فانهم يلتقون فى هذه الشعائر وخاصة فى تدريس علوم آل البيت وللثقة فيها وحمل الناس عليها (١).

كما يقول أحد الكتاب المعاصرين عن تقسيم الشيعة الى فرقتين كبريين امامية وباطنية : بأن هذه التفرقة لاوجه لها فكلهم امامية حيث يجمعهم القول بالامام وكلهم باطنية حيث لاتسلم طائفة منهم من الايمان بالباطن وكلهم روافض لأنهم رافضون لما كان عليه النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه وماعليه أهل السنة والجماعة (٢).

ومع تلك الصلة والاندماج بين الفرقتين فان المتتبع لمدونات وكتب الاسماعيلية والامامية يجد تشابها واستقاء لاحداهما عن الأخرى فكتاب الاسماعيلية ومرجعها كتاب دعائم الاسلام وتأويله لقاضيهم النعمان لايبعد عن كتاب الامامية ومرجعها الكافى للكلينى فى موضوعاته وأسانيده ورجاله ومنتهى معظم هذه الأسانيد الى الامام جعفر كما زعم الفريقان.

وليس من قبيل المصادفة أن يرجع عالم الشيعة وآيتها الخمينى الى كتاب دعائم الاسلام ويحيل اليه فى تقرير بعض عقائد الامامية (٣).

ومما جاء فى دائرة المعارف الاسلامية هذا القول : على أن الحدود للشيعة الامامية لم تقفل أمام الغلاة يدل على ذلك التقدير الذى دام طويلا للكتاب الأكبر للاسماعيلية وهو كتاب

---

(١) الشيعة فى الميزان لمحمد جواد مغنية
(٢) مجلة التوحيد مقالة لعبد الرحمن عبد السلام يعقوب ، العدد السادس ١٣٩٩هـ .
(٣) انظر كتاب الحكومة الاسلامية للخمينى ص ٦٧ .

دعائم الاسلام[1] .

ان هذه الصلة والتأثر بين الطائفتين سبب حرجا شديدا لبعض علماء الشيعة الامامية قديما[2] وحديثا[3] فحاولوا جاهدين اخفاء هذه الصلة سواء بالتبرأ منهم أو فضحهم ولعنهم أو اسقاط دعواهم الامامة بحجة أنهم - أى الغلاة - خالفوا النص وادعوا امامة من ليس بامام أو لايستحق ذلك كما حصل من الامامية حينما قالوا ببطلان امامة اسماعيل لموته فى حياة

---

(١) انظر دائرة المعارف الاسلامية للمجموعة ٧٢/١٤ .

(٢) وذلك كالقمي الذى قال فى كتابه المقالات والفرق عن فرق الغلاة : "فهذه فرق أهل الغلو ممن انتحل التشيع والى الخرمدينية والمزدكية والزنديقية والدهرية مرجعهم جميعا لعنهم الله وكلهم متفقون على نفى الربوبية عن الله الجليل الخالق تبارك وتعالى عما يصفون علوا كبيرا واثباتها فى بدن مخلوق" . المقالات والفرق ص ٦٤ .
وبمثل ذلك قال النوبختى من علماء الامامية فى القرن الثالث فى كتابه فرق الشيعة ص ٦٠-٦١ .

(٣) وذلك كمحمد صادق بحر العلوم محقق كتاب فرق الشيعة الذى قال فى آخر الكتاب تحت عنوان تنبيه أن فرق الغلاة وجدت فى كتب لااعتبار لها وان الموجود منها انقرض وتطابقت كلمات علمائنا - ويقصد علماء الامامية - ومعهم التأريخ على انقراضها وتسالموا على الرد عليها وتفنيدها وعلى تقدير وجود شيء من هذه الفرق فالامامية لاتشك فى بطلانها وكفر كثير منها .
ولكنه فى آخر تنبيهه أقر بوجود ثلاث فرق الامامية وزعم انهم منتشرون فى أرجاء العالم والزيدية والاسماعيلية ثم قال وأما الغلاة فهم عندنا كفار فهو بهذه العبارة الأخيرة يخرج الامامية والاسماعيلية من الغلاة . فرق الشيعة للنوبختى تعليق بحر العلوم ص ١٢١ .
وكمحمد جواد مغنية فى كتابه الشيعة فى الميزان ص ٢٩١-٢٩٤ وكذلك محمد حسين آل كاشف الغطا الذى حكم على جميع فرق الشيعة الموجودة اليوم بعدم الغلو وزعم أن جميع الفرق الغالية قد بادت ولايوجد منها اليوم نافخ ضرمه . انظر أصل الشيعة وأصولها ص ٣٨ . وهذا مغالطة مكشوفة فالنصيرية والدروز والاسماعيلية موجودة قائمة على أرض الواقع . وقد علق الدكتور سليمان دنيا على هذا الزعم بقوله : فما يكون الأغاخانية اليسوا قائلين بالحلول أم ليسوا مع قولهم هذا ملاحدة أم ليسوا منتسبين الى الشيعة ثم اليسوا على رقعة الأرض اليوم . مقدمة بين السنة والشيعة ص ٣٧ .

أبيه وببطلان امامة ابنه محمد بن اسماعيل من بعده وانتقلت بذلك الامامة الى موسى الكاظم أحد أبناء جعفر (١) .

والحقيقة ان كان ذلك خلافا أو تبرؤا فهو لايعدو أن يكون أمرا ظاهريا غير ذى بال أمام الأمور التالية التى نستخلصها من النصوص السابقة :

أولا : الاتفاق فى كثير من المعتقدات فما هو موجود فى كتب الامامية موجود مثله فى كتب الاسماعيلية كالقول بالتحريف والاعتقاد بالرجعة والايمان بالتقية والغلو فى الامامة والأئمة .

ثانيا : أئمة الامامية وأئمة الاسماعيلية - كما زعموا - متفقين حول شخصياتهم وأعيانهم حتى الامام السادس جعفر الصادق .

ثالثا : أساس مذهب الطائفتين ومظلته واحدة وهو دعوى محبة آل البيت والتشيع لهم فما انتشر وظهر مذهب أى طائفة منهما الا من خلال التستر والتترس بهذه الدعوى .

رابعا : اعتراف بعض أئمتهم وعلمائهم بأن الغلو الذى يفصل الامامية عن غيرها من الغلاة أصبح من ضروريات مذهب الامامية واصبح لافرق بينهم وبين تلك الفرق سوى الاختلاف فى الأسماء والمسميات ومن أهم النصوص الشيعية التى وقعت عليها لدعم هذه الحقيقة المهمة ماسطره أحد علماء الامامية المعاصرين بقوله : ويجب أن نشير قبل أن نضع القلم بأن مامر بنا من أفكار الشيعة مما كان خاصا بفرقة بعينها لم

---

(١) سوف ان شاء الله نتحدث عن اختلاف الامامية والاسماعيلية بالتفصيل عن الامام بعد جعفر الصادق فى الباب القادم .

يلبث أن دخل كله فى التشيع الاثنا عشرى ودعم بالحجج العقلية وبالنصوص والتشيع الحالى انما هو زبدة الحركات الشيعية كلها من عمار الى حجر ابن عدى الى المختار وكيسان الى محمد بن الحنفية وأبى هاشم الى بيان بن سمعان والغلاة الكوفيين الى الغلاة من أنصار عبد الله بن الحارث الى الزيديين والاسماعيليين ثم الامامية التى صارت اثنا عشرية وقد قام بعملية المزج متكلموا الشيعة ومصنفوهم (١) .

هذه شهادة شيعى امامى معاصر وبالمقابل يعترف شيعى باطنى معاصر بأن الشيعة الفاطميين والشيعة الاثنا عشريين يتفقون فيما بينهم على المسائل العامة فى الفقه لانهم يروون جميعا عن طريق آل البيت واستثنى مما تختلف فيه الطائفتان مسألتين فقهيتين فقط هما مواقيت الصيام والفطر وجواز نكاح المتعة .

وعند حديث هذا الباطنى عن انتشار الشيعة حاول جاهدا اثبات أكثرية الشيعة وزيادة عددها مدمجا الشيعة الامامية مع الشيعة الاسماعيلية لأنهم جميعا شيعة ولانهم ينهلون من منهل واحد ومما خلص اليه أنهم يمثلون الآن خمس المسلمين أو اكثر على الكرة الأرضية (٢) .

خامسا : واخيرا وكما قال الأستاذ أحمد جلى فان كتاب الفرق الاسلامية جميعا يثبتون علاقة وطيدة بين هذه الفرق الغالية وبين التيار الشيعى العام واذا لم يكن لهؤلاء

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل الشيبى ص ٢٣٥ .
(٢) الحقائق الخفية للأعظمى ص ٢٠٢،١٦-٢٠٣ .

الغلاة ملة بالتشيع فى صورته المعتدلة فانهم ولاشك اتخذوا من التشيع ستارا ومن حب آل البيت وسيلة الى نشر أفكارهم المنحرفة وعقائدهم الباطلة ومن ثم أصبح التشيع كما يقول أحمد أمين مأوى يلجأ اليه كل من اراد هدم الاسلام لعداوة أو حقد ومن كان يريد ادخال تعاليم آبائه من يهودية ونصرانية وزردشتية وهندية ومن كان يريد استقلال بلاده والخروج على مملكته كل هؤلاء كانوا يتخذون حب أهل البيت ستارا يضعون وراءه كل ماشاءت أهواؤهم (١) .

فى ختام هذا الباب أجمل النتائج التى تحدثت عنها تفصيليا مع ربط الباب السابق بالباب اللاحق فأقول :

(١) ان بذور التشيع كلها بذور أجنبية نمت وظهرت على يد من تظاهر بالاسلام نفاقا ولاصلة لها البته بآل البيت فهم بريئون منها ومن مدعيها .

(٢) أن الصحابة رضوان الله عليهم ـ ولاسيما الأربعة (٢) ـ بريئون مما نسبه اليهم الكذابون من مدعى التشيع بأنهم النواة الأولى لهذه الفرقة الضالة ومشايعة الصحابة لعلى بن أبى طالب باعتبار أنه خليفة شرعى بعد عثمان بن عفان رضى الله عنه ولاصلة لذلك بمبادىء ومعتقدات الشيعة واذا ماأطلقت عبارة شيعة على مناصرى على بن أبى طالب فلاتخرج فى مضمونها ودلالتها عن المعنى اللغوى فقط الذى يدل على المناصرة والمصاحبة .

---

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ١٠١-١٠٢ ، ونص أحمد أمين من كتابه فجر الاسلام ص ٢٧٦ .

(٢) وهم ـ كما يدعى الشيعة ـ سلمان الفارسى وأبو ذر الغفارى والمقداد بن الأسود وعمار بن ياسر رضوان الله عليهم . وسبق أن ذكرت ذلك فى الفصل الأول من الباب الأول .

(٣) ان فرقة الشيعة مناطة ومربوطة بشخصية يهودية حقيقية ثابتة وهو عبد الله بن سبأ الذى ادعى التشيع وأثار الفتن وفى ظل هذه الأجواء نبتت نابتة الشيعة وظهرت بمظاهر متعددة .

(٤) ان معظم معتقدات الشيعة وأصولهم تتصل اتصالا واضحا بأفكار ومعتقدات أجنبية سواء كانت يهودية أو نصرانية أو مجوسية وكل ذلك مما نقله ابن سبأ تحت مظلة التشيع لآل البيت .

(٥) ان فرق الشيعة تمثل سلسلة وحلقة متصلة بعضها ببعض تلتقى هذه الفرق بأصول واحدة مشتركة وقد تختلف فى بعض مسائل وجوانب جزئية ولكن تبقى هذه الفرق على تعددها يجمعها أصل واحد أو جملة أصول مشتركة .

(٦) وأخيرا فان فرق الباطنية - والاسماعيلية واحدة منها - ماهى الا أثر من آثار التشيع السبأى وامتداد للسبأية وسير على أصولها .

الباب الثانى

الجانب التاريخى لفرقة الاسماعيلية

الباب الثانى

الجانب التاريخى لفرقة الاسماعيلية

الفصل الأول

تعريف الاسماعيلية ونشأتها

تعتبر طائفة الاسماعيلية فرقة من الفرق الكبرى التى انتسبت الى التشيع وانتشرت بدعواه وأصبحت فيما بعد فرقة كبرى تنافس الشيعة الامامية الاثنى عشرية بل تتخطاهم فى بعض الفترات التاريخية انتشارا وكثرة وقوة .

وهى كبرى الفرق الشيعية التى تمثل الغلو الباطنى فى التشيع وتمثل كذلك فرق الغلاة الخارجة عن فرق الأمة الاسلامية وسميت بالاسماعيلية لانتسابها الى امامها الأول على اختلاف بين علماء الفرق فى تعيين هذا الامام على قولين :

أولهما : قول ابن الأثير وابن الجوزى والرازى والشهرستانى أن اطلاق لفظ الاسماعيلية لانتسابهم الى اسماعيل ابن جعفر الصادق وتوليهم له والقول بامامته بعد أبيه سواء مات فى حياة أبيه أو بعده (١) .

الثانى : قول الغزالى وابن الجوزى فى رأى له غير ماتقدم أن ذلك نسبة الى الامام السابع محمد بن اسماعيل الذى يقول الاسماعيلية ان أدوار الامامة انتهت به ولذا يقول الغزالى : "ان هذه التسمية - أى الاسماعيلية - نسبة الى

---

(١) اللباب لابن الأثير ٥٩/١ ، القرامطة لابن الجوزى ص ٣٦ ، الزينة للرازى ص ٢٨٧ ضمن كتاب الغلو والفرق الغالية للسامرائى ، الملل والنحل للشهرستانى ١٩١/١ .

زعيمهم محمد بن اسماعيل بن جعفر الذى يزعمون أن أدوار الامامة انتهت به "[١] .

كما يقول ابن الجوزى : "انهم نسبوا الى زعيم لهم يقال له محمد بن اسماعيل بن جعفر ويزعمون أن دور الامامة انتهى اليه "[٢] .

وحينما ننظر الى هذين القولين نجد أن لكل منهما سببا فهما مبنيان على خلاف الاسماعيليين انفسهم . فمنهم من قطع بموت اسماعيل فى حياة أبيه ولكنهم قالوا ان جعفرا نص عليه فى حياته لأنه ابنه الأكبر وفائدة النص انتقال الامامة منه الى أولاده خاصة كما نص موسى على هارون عليهما السلام ثم مات هارون فى حال حياة أخيه وانما فائدة النص انتقال الامامة منه الى أولاده فان النص لايرجع القهقرى والقول بالبداء محال ولاينص الامام على واحد من أولاده الا بعد السماع من آبائه .

ومنهم من قال : انه لم يمت فى حياة أبيه جعفر ولكنه أظهر موته تقية عليه حتى لايقصد بالقتل[٣] .

فالقائلون بموت اسماعيل فى حياة أبيه نسبوا الاسماعيلية الى امامهم محمد بن اسماعيل . والنافون لذلك نسبوا الاسماعيلية الى اسماعيل بن جعفر امامهم الأول . وعلى كل حال فان تسمية الفرق غالبا ماتشتق من أسماء أصحابها وزعمائها . فالاسماعيلية نسبة الى اسماعيل بن جعفر حتى على رأى القائلين بموته فى حياة أبيه لأن امامة ابنه محمد بن

---

(١) فضائح الباطنية للغزالى ص ١٦ .
(٢) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١٠٢ .
(٣) انظر الملل والنحل للشهرستانى ١٩١/١ .

اسماعيل ثابتة عن طريق ثبوت امامة اسماعيل والنص عليه من قبل أبيه جعفر الصادق ولذا يقول الاسماعيلية عن أنفسهم - كما نقل الشهرستانى - نحن الاسماعيلية لأنا تميزنا عن فرق الشيعة بهذا الاسم وهذا الشخص - أى اسماعيل بن جعفر - كما يعلل تسميتهم بالاسماعيلية بقوله : "ان الاسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الاثنى عشرية باثبات الامامة لاسماعيل بن جعفر وهو ابنه الأكبر المنصوص عليه فى بدء الأمر" (١) .

وللاسماعيلية القاب كثيرة حصرها بعض العلماء المتقدمين فى ثمانية وحصرها بعضهم فى عشرة وبعضهم فى خمسة عشر وزاد عليها بعض المتاخرين القابا جديدة وفرقا حديثة وسنذكر هذه الأقوال ثم نبين ماتدل عليه :

فالغزالى ذكر أن لهم القابا عشرة هى :

(١) الباطنية (٢) القرامطة

(٣) القرمطية (٤) الخرمية

(٥) الخرمدينية (٦) الاسماعيلية

(٧) السبعية (٨) البابكية

(٩) المحمرة (١٠) التعليمية

ولكل لقب سبب (٢) .

وجاء بعده ابن الجوزى فذكر أن لهم القابا ثمانية هى (٣) التى ذكرها الغزالى بعد أن أسقط منها لقبين هما القرمطية والخرمدينية وعلل محقق الكتاب ترك ابن الجوزى لهذين

---

(١) المرجع السابق ١٩١/١-١٩٢ .
(٢) فضائح الباطنية للغزالى ص ١١-١٧ .
(٣) تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١٠٦ ، وكذلك كتاب القرامطة لابن الجوزى أيضا ص ٣٥ .

اللقبين بأنه اعتبرهما لهجة فى نطق الخرمية والقرامطة (١) .

وجاء بعدهما الديلمى فذكر أن للاسماعيلية خمسة عشر لقبا منها العشرة الماضية وخمسة هى : المباركية والاباحية والملاحدة والزنادقة والمزدكية (٢) .

أما الشهرستانى فذكر لهم ألقابا ستة لاتخرج عما ذكر فى الأقوال السابقة الا أنه اعتبر أشهر ألقابهم الباطنية معللا ذلك بقوله : "وانما لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا" (٣) .

ومن العلماء المعاصرين من ذكر ألقابا جديدة للاسماعيلية اضافة الى ماذكره المتقدمون قال : "ومن أسمائهم فى خراسان الميمونية نسبة الى ميمون أخى قرمط . ويدعون فى مصر بالعبيدية نسبة الى عبيد الله المعروف (٤) وفى الشام بالنصيرية والدروز والتيامنة . وفى فلسطين بالبهائية وفى الهند بالبهرة وفى اليمن باليامية نسبة الى القبيلة المعروفة . وفى بلاد الأكراد بالبكداشية والقزلباشية على اختلاف منازعهم . وفى بلاد العجم بالبابية ولهم فروع الى يومنا هذا تلبس لكل قرن لبوسه وتظهر لكل قوم بمظهر تقضى به البيئة وقدماؤهم كانوا يسمون أنفسهم بالاسماعيلية باعتبار تميزهم عن فرق الشيعة بهذا الاسم" (٥) .

---

(١) المرجع السابق هامش ص ٣٥ من رسالة القرامطة تحقيق محمد الصباغ .

(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى ص ٣٤ .

(٣) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٢/١ .

(٤) وهو عبيد الله المهدى مؤسس دولة العبيديين وأول أئمة دور الظهور . وستأتى ترجمته بالتفصيل فى الفصل الثالث من هذا الباب .

(٥) مقدمة كتاب كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ٨ وصاحب المقدمة هو محمد زاهد الكوثرى .

ومع التأمل لهذه الألقاب العديدة أو الأسماء الكثيرة فانها لاتخرج عن أمور أربعة كلها ترجع الى طائفة الاسماعيلية بزعمائها وفرقها ومعتقداتها .

فالأمر الأول : ان بعض هذه الألقاب مستمدة من معتقدات للاسماعيلية اشتهروا بها دون سواهم وذلك كالباطنية والسبعية والتعليمية والخرمية . فالباطنية لاعتقادهم فى جميع النصوص ان لها ظاهرا وباطنا والمراد باطنها والسبعية لأهمية العدد السابع وارتباطه بمعتقدات للاسماعيلية عن الكون والأئمة .

والتعليمية بناء على أصلهم القائل بابطال الرأى واغلاق باب الاجتهاد اكتفاء بالتعلم من الامام المعصوم . والخرمية نسبة الى حاصل المذهب الخرمى وزبدت نهايته وهو التحلل من الواجبات واباحة المحرمات .

الأمر الثاني : ان بعض هذه الألقاب ترجع الى أشخاص برزوا فى نشر المذهب والدعوة اليه سواء كانوا أئمة أو زعماء أو قادة وذلك كالاسماعيلية نسبة الى اسماعيل بن جعفر أو القرامطة والقرمطية نسبة الى زعيمهم حمدان قرمط أو المباركية نسبة الى مولى من موالى اسماعيل بن جعفر يسمى المبارك أو المزدكية نسبة الى مزدك الذى دعا الى شيوعية الأموال والنساء وأصبحت تعاليمه جزءا من مذهب الاسماعيلية أو البابكية نسبة الى بابك الذى مهد بثورته وهيأ المجتمع لقيام وظهور الطائفة الاسماعيلية . أو الميمونية نسبة الى زعيم من زعماء الحركة القرمطية المتفرعة من الحركة الاسماعيلية ويدعى بميمون . أو العبيدية نسبة الى مؤسسة

دولة العبيديين (الفاطميين) وهو من أئمة الاسماعيلية ويسمى بعبيد الله المهدى .

الأمر الثالث : أن بعض هذه الألقاب ترجع الى فرق انشقت من الاسماعيلية وأصبحت فيما بعد فرقا قائمة بذاتها مع الاحتفاظ بالأصول الاسماعيلية وذلك كالقرامطة والنصيرية والدروز والبهرة والبابية والبهائية .

الأمر الرابع :أن بعض هذه الألقاب يرجع الى وصف المذهب وخلاصته أو الحكم على أصحابه وذلك كالخرمدينية والاباحية والملحدة أوالملاحدة والزنادقة . وبقى من هذه الألقاب لقبا المحمرة واليامية وهما لقبان يرجع الأول منهما الى لون من الثياب اشتهروا بلبسها حيث كانوا يلبسون ثيابا مصبوغة بحمرة أما اللقب الثانى فهو نسبة الى قبيلة يام اليمنية المشتهرة بباطنيتها .

ومن الملاحظ أن هناك تداخلا واشتراكا بين هذه الفرق سواء من ناحية المعتقدات أو الأئمة فهذه الألقاب والأسماء فى حقيقتها مذهب واحد تلتقى عليه جميعا وهو مذهب الباطنية الذى يندرج تحت لوائه طوائف متعددة ومذاهب متشعبة (١) .

ومن دقة علماء السلف عرضهم لهذه الفرق على اعتبار أن عقائدها متماثلة وأفكارها متقاربة وأهدافها ومصادرها واحدة (٢) .

---

(١) سوف ان شاء الله نتحدث عن الباطنية وزعمائها فى آخر هذا الفصل باعتبار انها من اصول وجذور الطائفة الاسماعيلية .

(٢) وذلك كالامام ابن تيمية رحمه الله فانه كثيرا مايعبر عن هذه الفرق بألقاب ومسميات كثيرة مع اعتبار أن مذهبها واحد وأصلها واحد وعلى سبيل المثال فتوى الشيخ المشهورة فى النصيرية . الفتاوى ١٣١/٣٥،١٥٢ =

نشأة الاسماعيلية :

تعددت الآراء واختلفت الأقوال حول نشأة هذه الفرقة وظهورها بعد ذلك . فالمصادر الباطنية تتحدث عن ظهورها بأسلوب متناقض غامض ملفق ومرد ذلك - والله أعلم - الى اختلافهم وتناقضهم فى امامهم اسماعيل فمن قائل انه مات فى حياة ابيه ومن قائل انه اشهد على موته تقيه وبقى حيا بعد والده (١) .

كما أن من أسباب ذلك أيضا غموض الدعوة وباطنيتها مما جعلهم يدعون دعاوى يحيطونها بهالة من التعظيم والتقديس وليس لها خطام أو زمام . ومن الأمثلة على ذلك ماذكره الباطنى (غالب) :

(١) بأن علماء الحركة الاسماعيلية يرون فى كتبهم الباطنية الفلسفية أن دعوتهم قديمة قدم هذا الوجود . ويضيف قائلا : انهم دعموا هذا القول بنظريات علمية وتأويلات باطنية فلسفية وفى نفس هذه الصفحة فى كتاب هذا الباطنى يقول :

(٢) ويذهب قسم آخر منهم الى القول بأن حركتهم بدأت فى عهد اسماعيل بن ابراهيم الخليل عليهما الصلاة والسلام ويستدلون على ذلك بآراء تأويلية عقائدية (٢) .

= الفتاوى ٧٧/٤ ، وكتابه بغية المرتاد فى الرد على القرامطة والباطنية فى مواضع متعددة من الكتاب ، وكالامام الذهبى فى كتابه المنتقى من منهاج الاعتدال ص ١٩ ، وكالامام ابن القيم فى كتابه اغاثة اللهفان ٢٤٧/٢-٢٤٨ .

(١) هذه المزاعم والمقولات نتحدث عنها ان شاء الله فى الفصل الثالث الخاص بأئمة الاسماعيلية .

(٢) الحركات الباطنية لمصطفى غالب ص ٧١ .

وحينما نقلب النظر فى كتب الحقيقة عندهم والتى تتحدث عن المعتقدات فان فيها بالنسبة للامامة والأئمة مايسمى بالاكوار والادوار والنطقاء والصامتين بدءا بآدم أبو البشر وانتهاء بقائمهم محمد بن اسماعيل مما يدل على زعمهم قدم دعوتهم وانها ابتدأت مع آدم عليه الصلاة والسلام (١).

ومع غرابة هذين الرأيين وبعدهما عن الواقع والأحداث التاريخية :

(٣) فان لبعض من كتب عن الاسماعيلية رأيا ثالثا يقابلهما فيؤجر ظهور الاسماعيلية ويؤخرها الى حين دخول آخر امام من أئمة الشيعة الموسوية السرداب عام ٢٦٠هـ أى

---

(١) انظر لمثل هذه المعتقدات اثبات النبوات للسجستانى ص ١٨٣-١٩٣ ، الرياض للكرمانى ص ١٧٦-١٧٩ .
وهناك قصة باطنية لابنى آدم قابيل وهابيل يرددونها فى كتبهم الباطنية يستنبط منها زعمهم وخرافتهم قدم دعوتهم ونص هذه القصة قولهم : أنزل الله على آدم كتابا وأنطقه بشريعة فكان ناطقا أول النطقاء ثم أمره تعالى باختيار حجته ووصيه من ولده فكان ولده هابيل كثير الخير والاجتهاد فى السعى فى طاعة الله فنظر اليه آدم وأشار اليه بحجته ووصيه ثم قرب هو وأخوه قابيل فقبل الله قربان هابيل ولم يقبل قربان قابيل فعلم قابيل أن الاشارة تصح الى هابيل فقتله فى الظاهر فخرج من الدنيا وقتله بالباطن بالطعن عليه والكسر لمقامه ونسب الأمر الى نفسه وادعى على آدم مالم يسنده اليه واختار الله لآدم من ولده غيره وهو شيث بن آدم فكان حجته وموضع اختياره فكتم أمره شفقة عليه من أخيه ودعا اليه سرا بالعهد والميثاق وكان ذلك أول ماسنه الله من ستر الحق وصاحب الحق بالدعوة اليه سرا بالعهود والمواثيق فى أوقات غلبة الظلمة .
مخطوطة الشواهد والبيان لجعفر بن منصور اليمن ورقة ٢٥-٢٦ ، الأنوار اللطيفة للداعى طاهر الحارثى ضمن كتاب الحقائق الخفية ص ١٢١ ، وقد أسهب فى القصة حيث استعرض جميع الأنبياء واحد منهم ناطق والآخر صامت . فالناطق للتنزيل والصامت للتأويل حتى وصلوا الى محمد صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب وكنوا عنهما ـ قبحهم الله ـ أن محمدا صلى الله عليه وسلم امام التنزيل وعلى امام التأويل .
انظر ص ١٢١-١٢٥ من الكتاب المذكور .

بعد وفاة جعفر الصادق بأكثر من قرن كامل .

يقول محمد حسين فى كتابه طائفة الاسماعيلية : "لم نسمع شيئا عن الاسماعيلية الا بعد دخول آخر امام من أئمة الفرقة الموسوية وهو الامام محمد بن الحسن العسكرى السرداب ثم يتسائل قائلا فأين كانت طائفة الاسماعيلية طوال هذه المدة ؟ ويجيب بقوله : هذا مالانستطيع الاجابة عنه لأننالم نجد مانستطيع الاعتماد عليه أو الوثوق به فى الكتب التاريخية أو كتب الدعوة الاسماعيلية نفسها . ويخيل الى أن بعض الشيعة من الاثنى عشرية صدموا لاختفاء الامام الثانى عشر فى السرداب ولم يكن له أولاد فتطلعوا الى الفرع الآخر من أبناء جعفر الصادق المتسلسل من محمد بن اسماعيل فقاموا بالاعتراف بامامهم والدعوة لهم بعد أن ظل أبناء محمد بن اسماعيل بعيدين كل البعد عن أى نشاط للدعوة لأنفسهم بالامامة طوال هذه المدة . هذا مانرجحه الى أن نطمئن الى نصوص نثق بها تفسر لنا هذا الغموض الشديد الذى يحيط بالاسماعيلية قبل سنة ٢٦٠هـ ولاسيما أن كتب التاريخ بين أيدينا لاتشير من قريب ولامن بعيد الى أى نشاط من فرقة الاسماعيلية قبل هذه السنة أى سنة ٢٦٠هـ (١) .

وهذا رأى يخالف الحقيقة والواقع لأن الاسماعيلية نسبة الى اسماعيل بن جعفر الذى عاش فى منتصف القرن الثانى الهجرى كما أنه يلغى أحداثا جساما وفرقا كثيرة وجدت وظهرت من طائفة الاسماعيلية قبل هذا الوقت .

---

(١) طائفة الاسماعيلية للدكتور محمد كامل حسين ص ٢١-٢٢ .

(٤) ويذهب اسماعيلى معاصر الى القول بأن الاسماعيلية نشأت نشأتها الأولى سنة ١٢٨هـ وذلك فى مدينة الكوفة بالعراق وأن جعفر الصادق هو الذى خطط لها ونظمها[1] .

وهذا الرأى ظاهر البطلان من وجوه أربعة :

أولها : ما اشتهر عن جعفر الصادق رحمه الله من الصدق والفضل فهو من أجلاء التابعين وله منزلة رفيعة فى العلم حتى ان بعض الائمة الكبار من علماء السلف أخذوا عنه كأبى حنيفة ومالك ولقب بالصادق لأنه لم يعرف عنه الكذب قط وكان جريئا على الخلفاء صداعا بالحق[2] . ووصفه الشهرستانى بأوصاف دقيقة تعتبر ردا ضمنيا على جميع مزاعم فرق الشيعة ودعاويهم فيه . يقول : "وهو ذو علم غزير فى الدين وأدب كامل فى الحكمة وزهد بالغ فى الدنيا وورع تام عن الشهوات ماتعرض للامامة قط ولانازع أحدا فى الخلافة قط"[3] .

كما وصفه الامام أبو حنيفة بقوله : مارأيت أفقه من جعفر بن محمد . وجعله الامام مالك فى صف واحد مع نفسه وابن جريج[4] .

ومن هذه أوصافه وثناء علماء السلف عليه كيف ينسب اليه التخطيط والتنظيم لحركة من حركات الغلو المنتسبة الى الاسلام انتسابا ولذا يقول ابن تيمية رحمه الله مبرئا جعفر من هذه المزاعم والأكاذيب : "وأما الكذب والاسرار التى يدعونها عن جعفر الصادق فمن أكبر الأشياء كذبا حتى يقال

---

(١) الحركات الباطنية لغالب ص ٧١ .
(٢) الاعلام للزركلى ١٢١/٢ .
(٣) الملل والنحل للشهرستانى ١٦٦/١ .
(٤) انظر كتاب الصلة بين التصوف والتشيع للدكتور كامل الشيبى ص ١٧٨ .

ماكذب على أحد مثل ماكذب على جعفر رضى الله عنه " .(١)

ومما روى عن جعفر الصادق أنه قال : "انا أهل بيت صادقون لانخلو من كذاب يكذب علينا عند الناس يريد أن يسقط صدقنا بكذبه علينا ثم ذكر المغيرة وبزيغ الحائك والسرى وابا الخطاب ومعمر وبشار الأشعرى وحمزة اليزيدى وصاير النهدى وغيرهم . فقال لعنهم الله أجمع وكفانا مئونة كل كذاب" .(٢)

وعلل أحد علماء الشيعة الامامية تضعيف بعض أحاديث جعفر بقوله : "كان جعفر رجلا صالحا مسلما ورعا فاكتنفه قوم جهال يدخلون عليه ويخرجون من عنده ويقولون : حدثنا جعفر ابن محمد ويحدثون بأحاديث كلها منكرات كذب موضوعة على جعفر يستأكلون الناس بذلك ويأخذون منهم الدراهم ...الخ" النص .(٣)

<u>الوجه الثاني</u> : ان الشيعة عموما كانوا مجتمعين على امامة جعفر الصادق ولم يقع بينهم أى اختلاف أو فرقة الا بعد موته حيث ظهرت بعض الأسماء التى تشعر بالاختلاف ومن أبرز هذه الأسماء الاسماعيلية وهم الذين تمسكوا بامامة اسماعيل وأبنائه من بعده ولذلك نسبوا اليه وعن ذلك يقول الرازى : "ان الشيعة كانوا مجتمعين على القول بامامة على ثم الحسن ثم الحسين ثم على بن الحسين ثم محمد بن على ثم جعفر بن

---

(١) الفتاوى لابن تيمية ٧٨/٤ .
(٢) كتاب الاسماعيلية تاريخ وعقائد لاحسان الهى ص ٧٥ نقلا من كتاب منهج المقال للاسترابادى ص ٦٧ .
(٣) معرفة أخبار الرجال للكشى ص ٢٠٨ .

محمد فهذا ما اجتمعت عليه الرافضة وهو أصل لجميعهم ثم بعد مضى جعفر تفرقوا فرقا كثيرة وسموا بألقاب شتى .(١)

الوجه الثالث : أن الألقاب والأسماء للفرق والطوائف تستمد وتستنبط ـ غالبا ـ من أسماء أصحابها وتنسب اليهم وهذا واضح جدا فى فرق الشيعة التى تتسمى بأسماء أئمتها وزعمائها ومن الأمثلة على ذلك الموسوية نسبة الى موسى الكاظم والزيدية نسبة الى زيد بن على والكيسانية نسبة الى كيسان والقرامطة نسبة الى حمدان قرمط والخطابية نسبة الى أبى الخطاب والمختارية نسبة الى المختار الثقفى وهكذا . وانه على زعم من قال أن مؤسس مذهب الاسماعيلية هو جعفر ينبغى أن نسمى الاسماعيلية بالجعفرية وهذا لم يقله أحد البتة سواء من علماء الفرق أو من أصحاب التاريخ . ومن المجمع عليه بين العلماء أن الاسماعيلية علم على فرقة من غلاة الشيعة تنتسب الى اسماعيل بن جعفر امامها وزعيمها والمخطط لها مع دعاته الآخرين .

الوجه الرابع : ان فرقة الاسماعيلية من الغلاة وقد ثبت عن جعفر الصادق رحمه الله تبرأه من الغلاه وطرده بعض أشخاصهم من مجلسه بل وغضبه على ابنه اسماعيل وعزله عن الامامة فى بعض الروايات حينما علم باتصاله معهم . يقول الشهرستانى عن أبى الخطاب : "فلما وقف الصادق على غلوه الباطل فى حقه تبرأ منه ولعنه وأمر أصحابه بالبراءة منه وشدد القول فى ذلك وبالغ فى التبرى منه واللعن عليه فلما اعتزل عنه ادعى الامامة لنفسه" .(٢)

---

(١) الزينة للرازى الاسماعيلى ضمن كتاب الغلو للسامرائى ص ٢٨٦ .

(٢) الملل والنحل للشهرستانى ١٧٩/١ .

وفي نص مهم للكشي قال : "ان جعفر الصادق قال للمفضل ابن عمر الجعفي ـ وهو من الغلاة الخطابية ـ ياكافر يامشرك مالك ولابني أتريد أن تقتله " (١) .

وهذا ماجعل مؤلف كتاب أصول الاسماعيلية يجزم بأن جعفر خلع امامة ابنه اسماعيل بسبب هذه الصلة (٢) .

ويقول النشار استنادا الى رواية الكشي : "وكان جعفر يكره صلات ابنه اسماعيل بالغلاة مما جعله يفكر في عزله عن إمامة الشيعة بعده وحينما مات اسماعيل وقتل أبي الخطاب سرعان ما انضم الخطابية الى محمد بن اسماعيل" (٣) .

واذا كان هذا ثابتا في حق جعفر رحمة الله فكيف ينسب اليه القول بانه مؤسس هذه الفرقة الباطنية وهي نتاج وأثر من غلو الخطابية كما سنبين ذلك ان شاء الله في الفصل القادم .

وهكذا فان بطلان هذا الرأي وخطله واضح في كل وجه من هذه الوجوه التي أشرنا اليها . وصاحب هذا الرأي قد رد على نفسه وتناقض شعرا ولم يشعر حينما قال بعبارات محددة وصريحة : "اننا نذهب مع أكثر الباحثين والمؤرخين فنبدأ ببحث حركة الاسماعيلية منذ وفاة جعفر الصادق وانشقاق شيعته الى قسمين" (٤) .

(٥) ويذهب معظم المؤرخين وكتاب الفرق والمقالات من سنة وشيعة اثني عشرية الى أن فرقة الاسماعيلية انما نشأت

---

(١) كتاب الرجال للكشي انظر دولة الاسماعيلية في ايران لمحمد السعيد ص ٢٢ .
(٢) انظر أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١١١ .
(٣) نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام للنشار ٣١٧/٢ .
(٤) الحركات الباطنية لمصطفى غالب ص ٧١ .

ثم ظهرت وانتشرت بعد وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٨هـ وان روافدها وجذورها الفكرية سبقت هذا التاريخ من غير تحديد لسنة بعينها لأن تلك الروافد والجذور ترجع الى الحركة الباطنية والى فرقة الخطابية الغامضتين تاريخا ودعوة وفكرا وأصحاب هذا الرأى يقولون ان الشيعة امامية كانوا أو باطنية مجتمعون على القول بامامة جعفر الصادق وحينما توفى عام ١٤٨هـ حصل التفرق وتعددت السبل بالشيعة الى فرق عديدة أوصلها الشهرستانى الى سبع فرق وهى بمجملها ترجع الى فرق أربع هى :

(أ) فرقة تسمى بالجعفرية الواقفة وهم الذين وقفوا على امامة جعفر وماساقوا الامامة فى أحد من أولاده وزعموا رجعته بعد موته ولذا سموا بالجعفرية نسبة اليه وبالواقفة نسبة الى توقفهم فى امامة من بعده .

(ب) وفرقة يسيرة قالوا بامامة أسن أولاد جعفر وهو عبدالله الملقب بالافطح وسموا "بالافطحية" نسبة اليه وزعموا عن جعفر أنه قال : "الامامة فى أكبر أولاد الامام" .
وقال : الامام من يجلس مجلسى وهو الذى جلس مجلسه .
ولكن هذه الفرقة تلاشت واضمحلت نتيجة امتحان لعبد الله فى بعض مسائل علمية لم يجدوا لديه علما بها فانصرفوا الى أخيه موسى الكاظم ومع ذلك ماعاش بعد أبيه الا سبعين يوما ومات ولم يعقب ولدا ذكرا .[1]

---

(١) المقالات والفرق للقمى ص ٨٧ ، فرق الشيعة للنوبختى ص ٨٨ ، كتاب الزينة للرازى ضمن كتاب الغلو للسامرائى ص ٢٨٧ .

(ج) وفرقة قالوا ان الامام بعد جعفر ابنه اسماعيل وانه نص عليه فى حياته باتفاق من أولاده وان الامامة ظلت فى أبنائه من بعده على اختلاف بينهم فى موته فى حياة ابيه أو بعده (١) .

ومن هؤلاء بقى القائلون بامامة اسماعيل وبعد موته انتقلت لابنه محمد بن اسماعيل وبعدهما انتقلت الامامة الى الائمة المستورين ثم فى الظاهرين القائمين بعدهم وهم الباطنية بفرقهم المتعددة .

(د) وفرقة قالوا أن الامام بعد جعفر ابنه موسى الكاظم وساقوا الامامة بعده فى أولاده حتى الحسن العسكرى الحادى عشر ثم ابنه محمد القائم المنتظر الذى اختفى فى السرداب بسر من رأى وهو الامام الثانى عشر وهؤلاء يسمون الامامية الاثنى عشرية (٢) .

أما الفرقتان الأوليان فقد انتهتا وانضم أتباعهما اما الى الامامية الاثنى عشرية واما الى الشيعة الاسماعيلية وهكذا فلم يبق من الفرق بعد جعفر الصادق سوى هاتين الفرقتين الكبريين اللتين تمثلان الشيعة حتى يومنا هذا وماظهر من الفرق بعد ذلك يندرج تحت احداهما سوى الزيدية الذين لهم كيان مستقل وهم أخف غلوا من هاتين الفرقتين .

---

(١) سوف ان شاء الله نتحدث بالتفصيل عن موت اسماعيل فى حياة أبيه أو بعده فى الفصل الثالث (أئمة الاسماعيلية) .

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستانى ١/١٦٥-١٦٩ مختصرا ، الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٤٦ ، فرق الشيعة للنوبختى ص ٧٨-٨٩ .

وعلى هذا فلم تظهر فرقة الاسماعيلية ويصبح لها أتباع متميزون وامام يخصهم الا بعد موت جعفر الصادق وانتقال الامامة الى اسماعيل وعقبه من بعده والذى تنسب الحركة الاسماعيلية اليه . ولذا يقول باطنى معاصر : "اننا نذهب مع أكثر الباحثين والمؤرخين فنبدأ ببحث حركة الاسماعيلية منذ وفاة الامام جعفر الصادق وانشقاق شيعته الى قسمين امامية واسماعيلية " (١) .

كما يقول أحد المستشرقين المهتمين بالدراسات الاسماعيلية : "ان الحركة الاسماعيلية ابتدأت بجماعة اسماعيل بن جعفر بمؤازرة فعالة من اسماعيل نفسه وابنه محمد وكان بين جماعة اسماعيل ومحمد منظموا الفرقة الأولون أبو الخطاب وميمون القداح وعبد الله بن ميمون" (٢) .

ولما لهؤلاء الثلاثة من اثر فى تأسيس مذهب الاسماعيلية والدعوة اليه وتحديد البداية الحقيقية لنشأة الاسماعيلية كان لابد من عرض آرائهم ودعوتهم متمثلا ذلك فى فرقتين اشتهرتا بالغلو والباطنية وهما :

(١) الخطابية

(٢) الباطنية

وذلك فى الفصل الآتى .

---

(١) الحركات الباطنية لمصطفى غالب ص ٧١ ويقصد بالامامية الاثنى عشرية .
(٢) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ٨٢ .

الفصل الثانى

جذور الاسماعيلية (الخطابية و الباطنية)

(١) الخطابية .

فرقة من فرق الغلاه[1] ادعت التشيع وانتشرت بدعواه ويرجع تاسيسها الى شخص يدعى بأبى الخطاب واسمه محمد بن أبى زينب مقلاص الاجدع الأسدى الكوفى أو محمد بن أبى ثور ويكنى بأبى الظبيان وبأبى اسماعيل وبأبى الخطاب وهى أشهر القابه[2] . وقد نشأ بالكوفة وعاصر الامام جعفر الصادق وقبله محمد الباقر وكان يتردد عليهما ويأخذ عنهما على اعتبار انه أحد الشيعة ومن دعاويه فى أول أمره أن أبا عبد الله جعفر جعله قيمه ووصيه من بعده وانه علمه اسم الله الأعظم[3] .

---

(١) الغلاة هم الذين تجاوزوا حد العقل والايمان بالقول بألوهية الائمة اما على انهم بشر اتصفوا بالصفات الخاصة بالاله أو ان الاله حل فى ذاتهم البشرية . مقدمة ابن خلدون ص ١٤٨-١٤٩ .
وعرفهم الشهرستانى بقوله : هم الذين غلوا فى حق أئمتهم حتى أخرجوهم من حدود الخليقية وحكموا فيهم باحكام الالهية فربما شبهوا واحدا من الائمة بالاله وربما شبهوا الاله بالخلق وهم على طرفى الغلو والتقصير . الملل والنحل للشهرستانى ١٧٣/١ .
وورد لفظ الغلو فى القرآن مرتين فى سورة النساء آية (١٧١) وفى سورة المائدة آية (٧٧) وكلا الآيتين تنهيان عن تجاوز الحد اما بالافراط أو التفريط . فمن الافراط غلو النصارى فى عيسى عليه الصلاة والسلام حتى جعلوه ربا . ومن التفريط غلو اليهود فى عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام حتى جعلوه لغير رشده . فتح القدير للشوكانى ٥٤٠/١ .

(٢) فرق الشيعة للنوبختى ص ٥٧ ، الملل والنحل للشهرستانى ١٧٩/١ . وانظر الاسماعيلية تاريخ وعقائد لاحسان الهى ظهير ص ٤٦ .

(٣) المقالات والفرق للقمى ص ٥١ ، فرق الشيعة للنوبختى ص ٥٧ .

وتتحدث عنه مصادر الشيعة الاثنا عشرية بأنه من رواة جعفر حتى انهم يصفونه بالاستقامة في أول أمره ؟ ومما قال المامقاني عنه وعن مروياته : "واعتمدوا على مروياته حال استقامته ولأجل ذلك عملت الطائفة بما رواه أبو الخطاب في حالة استقامته وتركوا ماروواه في حال تخليطه" (١) .

وقد جاهر أبو الخطاب بمعتقدات الغلاة مما حمل الصادق على التبرا منه وطرده من مجلسه . ومما قال الشهرستاني عن الخطابية وأبي الخطاب : "فلما وقف الصادق على غلوه الباطل في حقه تبرا منه ولعنه وأمر أصحابه بالبراءة منه وشدد القول بذلك وبالغ في التبرى منه واللعن عليه فلما اعتزل عنه ادعى الامامة لنفسه" (٢) .

وتذكر كتب الشيعة عددا من الروايات عن معتقدات أبي الخطاب وتبرا جعفر منها ومن ذلك ماروواه الكشي عن بشير الدهان أنه قال : "كتب أبو عبد الله عليه السلام الى أبي الخطاب : بلغني انك تزعم ان الزنا رجل وان الخمر رجل وان الصلاة رجل والصيام رجل والفواحش رجل وليس هو كما تقول" . وفي رواية فقال : "ماقام الله عز وجل ليخاطب خلقه بما لايعلمون" (٣) .

وعن عنبسة بن مصعب قال : قال لي أبو عبد الله عليه السلام أي شيء سمعت من أبي الخطاب ؟ قال سمعته يقول انك وضعت يدك على صدره وقلت له : رعه ولاتنس وانك تعلم الغيب

---

(١) تنقيح المقال للمامقاني ١٨٩/٣ .
(٢) الملل والنحل للشهرستاني ١٧٩/١ .
(٣) انظر كتاب الاسماعيلية تاريخ وعقائد لاحسان ص ٤٩ ، نقلا من كتاب رجال الكشي .

وانك قلت له : هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا قال لاوالله مامس شيء من جسدى جسده الا يده .

وأما قوله انى قلت "اعلم الغيب" فوالله الذى لا اله الا هو ما أعلم الغيب ولاآجرنى الله فى أمواتى ولابارك لى فى أحيائى ان كنت قلت له ... ولقد قاسمت مع عبد الله بن الحسن حائطا بينى وبينه فأصابه السهل والشرب وأصابنى الجبل فلو كنت أعلم الغيب لأصابنى السهل والشرب واصابه الجبل .

وأما قوله انى قلت "هو عيبة علمنا وموضع سرنا أمين على أحيائنا وأمواتنا" فلاآجرنى الله فى أمواتى ولابارك لى فى أحيائى ان كنت قلت له شيئا من هذا قط .

ولكثرة ادعاءات أبى الخطاب الباطلة ونسبتها الى جعفر الصادق - وهو منها براء - فاننا نجد كتب الشيعة الاثنى عشرية طافحة بالروايات فى ذمه والبراءة منه ولعنه . ومما نقلوا عن جعفر أنه قال : "اللهم العن أبا الخطاب فانه خوفنى قائما وقاعدا وعلى فراشى اللهم أذقه حر الحديد" (١) .

وقد أورد الكشى فى رجاله روايات كثيرة غير هذه صريحة فى ذمه بل وطرده ولعنه والبراءة منه من قبل جعفر الصادق . وبعد طرده والبراءة منه تجمع أتباعه الخطابية فى الكوفة بزعامته وكثر عددهم بها حتى تجاوزوا الألوف وأخذوا ينشرون آراءهم ويجاهرون بها . فلما بلغ أمرهم والى الكوفة عيسى ابن موسى حاربهم وقتل منهم سبعين رجلا وأخيرا قبض على

---

(١) المرجع السابق ص ٤٩ ، معرفة الرجال للكشى ص ١٨٧-١٨٩.

زعيمهم أبى الخطاب وقتله ثم صلبه فى سبخة الكوفة وكان ذلك سنة ١٣٨هـ (١) .

ولما مات أبو الخطاب تحول الباقى من أتباعه الى محمد ابن اسماعيل وأعلنوا ولاءهم له وكانت فرقة الاسماعيلية هى الخطابية نفسها .

أما آراء الخطابية ومزاعمهم فنستخلصها من كتب الفرق عند أهل السنة (٢) والشيعة (٣) وغيرهم من المؤرخين (٤) .

آراء الخطابية :

مرت آراء الخطابية كما تتمثل فى أقوال أبى الخطاب بثلاثة أدوار هى :

(١) الدور الأول :

ادعاء النبوة للأئمة حيث يزعم أن الأئمة أنبياء محدثون ورسل الله وحججه على خلقه لايزال منهم رسولان واحد ناطق

---

(١) الفصل لابن حزم ١٨٧/٤ ، أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ٩٩ .

(٢) ذكر الخطابية وأفكارها أبو الحسن الأشعرى فى كتابه مقالات الاسلاميين ٧٦/١-٧٧ ، والملطى فى كتابه التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ص ١٦٢ ، والبغدادى فى كتابه الفرق بين الفرق ص ٢٣٩-٢٤٢-٢٥٥ ، وابن حزم فى كتابه الفصل ١٨٧/٤،١٨٣ ، والشهرستانى فى كتابه الملل والنحل ١٧٩/١-١٨١ ، والاسفراايينى فى كتابه التبصير فى الدين ص ٧٣ ، والرازى فى كتابه اعتقادات فرق المسلمين ص ٥٨ .

(٣) وذلك فى كتابى الفرق المشهورين المقالات والفرق للقمى ص ٥١-٥٦ وفرق الشيعة للنوبختى ص ٥٧-٦٠ .
وكذلك كتاب دعائم الاسلام لقاضى الاسماعيلية النعمان بن محمد ٤٩/١-٥٠ .

(٤) كالنويرى فى نهاية الارب ، والمقريزى فى كتابه الخطط والآثار ، والجوينى فى كتابه تاريخ جهانكشاى ص ١٥٩ ، وقد أفاض محقق الكتاب فى الحديث عن أبى الخطاب فى مقدمته ص ٢٠-٢٤ .

والآخر صامت . فالناطق محمد صلى الله عليه وسلم والصامت علي بن أبي طالب وأن رسل الله تترى أي اثنان في كل وقت . ورسولا زمن الخطابية جعفر الصادق وأبو الخطاب الأسدي .(١)

وقد ادعى أبو الخطاب النبوة أولا ثم ادعى الرسالة ثم ادعى أنه من الملائكة وأنه رسول الله الى أهل الأرض والحجة عليهم .(٢)

(٢) الدور الثاني :

تدرج أبو الخطاب صعدا في الكذب والمخرقة فادعى أن روح الله عز وجل حلت في جعفر الصادق وبعده في نفسه(٣) . ومن منطلق هذه الحلولية زعم أن جعفر ليس هو المحسوس الذي يرونه ولكن لما نزل الى هذا العالم لبس تلك الصورة فرآه الناس فيها وادعى مع ذلك أن جعفرا يتصور في أي صورة شاء .(٤)

ومما قال الخطابية عن الحسن والحسين وأولادهما وشيعتهم أنهم أبناء الله وأحباؤه ثم قالوا ذلك في أنفسهم ويقولون انهم لايموتون ولكنهم يرفعون الى السماء .(٥)

---

(١) مقالات الاسلاميين للأشعري ص ٧٦-٧٧ ، الحور العين للحميري ص ١٦٦ ، المقالات للقمي ص ٥١ .
(٢) فرق الشيعة للنوبختي ص ٥٧ ، المقالات والفرق للقمي ص ٥١ .
(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٤٢ .
(٤) الملل والنحل للشهرستاني ١/١٨٠ ، المقالات والفرق لسعد القمي ص ٥١ .
(٥) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٢٤٢ ، مقالات الاسلاميين لأبي الحسن الأشعري ص ٧٧ ، الحور العين للحميري ص ١٦٦ الفصل لابن حزم ٤/١٨٧ .

(٣) الدور الثالث :

ويمثل المرتبة الأخيرة فى غلو أبى الخطاب حيث ادعى الهيته والهية الأئمة . أما أتباعه فقد عبدوه وقالوا انه الههم وان جعفر بن محمد الههم أيضا الا أن أبا الخطاب أعظم من جعفر ومن على بن أبى طالب (١) .

ومع عظم هذه الفرية وخطورة دعواها فقد تأولوا آيات قرآنية فى دعواهم الهابطة وقالوا ان قوله تعالى : {فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين} (٢) دليل على دعوى الالوهية للأئمة حيث ان هذه الآية فى آدم ونحن ولده (٣) .

ويوضح الشهرستانى مسلكه الذى سلكه حول دعواه الوهية الأئمة بأنه قال : "والالهية نور فى النبوة والنبوة نور فى الامامة ولايخلو العالم من هذه الآثار والأنوار" (٤) .

وكان لهذا التأليه أثر بالغ على أتباعه حيث انتهى الأمر بهم الى التحلل من الشريعة ومما قالوا : خفف الله عنا بأبى الخطاب ووضع عنا الأغلال والاصار ويعنون بذلك الصلاة والزكاة والصوم والحج . وكان أصحابه كلما ثقل عليهم أداء فريضة أتوه وقالوا : يا أبا الخطاب خفف علينا فيأمرهم بتركها حتى تركوا جميع الفرائض واستحلوا جميع المحارم وارتكبوا المحظورات وأباح لهم أن يشهد بعضهم لبعض بالزور وقال : من عرف الامام فقد حل له كل شىء كان حرم عليه . ومن

---

(١) مقالات الاسلاميين للأشعرى ص ٧٧-٧٨ ، الحور العين ص ١٦٦.
(٢) سورة ص : ٧٢
(٣) انظر مقالات الاسلاميين ص ٧٧ .
(٤) الملل والنحل للشهرستانى ١٨٠/١ .

عرف الرسول النبى الامام - أى أبا الخطاب - فليمنع ما أحب .(١)

ومما اشتهرت به فرقة الخطابية خصلة ذميمة اعتبروها عقيدة يتدينون بها ويزاولونها فى حياتهم وهى الكذب على مخالفيهم واستحلال شهادة الزور لمن وافقهم فى دينهم على من خالفهم فى الأموال والدماء والفروج وتجاوزوا فى ذلك حتى قالوا : ان دماء مخالفيهم وأموالهم ونساءهم لهم حلال .(٢)

ومن أصولهم أيضا انكار الجزاء والجنة والنار وتأويلهم لها تأويلات باطنية فمما زعموا : ان الجنة هى ماينالهم من خير فى الدنيا ونعيم فيها وان النار هى مايصيبهم فيها من المشاق والهدم واستباحوا المحرمات وترك الفرائض .(٣)

ولاشك أن خبث دعوة أبى الخطاب وغلوه المتناهى دفع بالشيعة الامامية الى التبرؤ منه والحكم عليه بالمروق والزندقة على الرغم من ادعاءه التشيع . يقول النوبختى عن الخطابية وغيرها من فرق الغلاة : "فهذه فرق أهل الغلو ممن انتحل التشيع والى الخرمدينية والمزدكية والزنديقية والدهرية مرجعهم جميعا لعنهم الله وكلهم متفقون على نفى الربوبية عن الجليل الخالق تبارك وتعالى عن ذلك علوا كبيرا واثباتها فى بدن مخلوق وان الله تعالى نور وروح ينتقل فى هذه الأبدان" .(٤)

---

(١) فرق الشيعة للنوبختى ص ٥٨ ، دعائم الاسلام للقاضى النعمان الاسماعيلى ١/٤٩-٥٠ .
(٢) الحور العين للحميرى ص ١٦٦-١٦٧ .
(٣) مختصر التحفة للآلوسى ص ١٢ .
(٤) فرق الشيعة للنوبختى ص ٦٠-٦١ .

وبعبارات جامعة مختصرة ، يحكم عليهم الشهرستانى بقوله : "ان القوم كلهم حيارى ضالون جاهلون بحال الأئمة تائهون" (١) .

دور الخطابية فى حركة الاسماعيلية :

مما يميز حركات الغلو عن غيرها من الحركات والفرق الأخرى التداخل والتشابه فى العقيدة والأهداف هذا من جانب ومن الجانب الآخر ظاهرة التسلسل الزمنى لتلك الحركات الغالية حيث ان كل حركة تأخذ بزمام الأخرى فما تكاد تختفى حركة الا وتظهر أخرى تجمع فلول أتباع من قبلها مع التغيير فى العناوين والأسماء والألقاب . وان حركتى الخطابية والاسماعيلية من أبرز الأمثلة على ذلك . فالتشابه بينهما حقيقة ملموسة لايسع القارئ والمطلع على فكر هاتين الحركتين وتاريخهما الا الجزم بذلك بل ان قولنا بوحدة الحركتين هو الأقرب والأمثل وأدلة ذلك كثيرة جدا نقتصر منها على جانبين :

الجانب الأول :

التشابه التام بين العقائد والأفكار لكل منهما . فالخطابية ابتدعوا عقيدة الامام الصامت والامام الناطق وقالوا ان الناطق هو محمد صلى الله عليه وسلم والصامت على ابن أبى طالب (٢) . وهى عقيدة اختصت بها الاسماعيلية .

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١٨١/١ .
(٢) مقالات الاسلاميين لأبى الحسن الأشعرى ص ٧٧ ، أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١٠١ ، دولة الاسماعيلية فى ايران لمحمد السعيد ص ٢٢ .

كما أن من آراء الخطابية التى جهروا بها دعوى النبوة للأئمة وهى عقيدة ثابتة عند الاسماعيليين لاسيما فى امامهم محمد بن اسماعيل الذى يعتبرونه بمنزلة أولى العزم من الرسل كما هو مدون فى كتب الحقيقة لديهم (١) .

أما دعوى الالوهية لأئمتهم وزعمائهم فان الخطابية فى مرحلتها الأخيرة - كما بينا - ادعوا الوهية جعفر والوهية أبى الخطاب والاسماعيلية كانوا يعتقدون فى امامهم محمد بن اسماعيل مثل هذه العقيدة . ويوضح الامام ابن حزم اتفاق الخطابية والاسماعيلية فى ذلك بقوله : "ان غلاة الشيعة قسمان قسم أوجب النبوة بعد النبى صلى الله عليه وسلم لغيره . وقسم أوجب الالهية لغير الله ومن القسم الثانى الاسماعيلية الذين ألهوا محمد بن اسماعيل والخطابية الذين ألهوا أبا الخطاب" (٢) .

كما أن أسلوب التأويل الاسماعيلى لآيات القرآن من المبادىء التى استخدمتها الخطابية للتدليل على بعض مزاعمهم وأكاذيبهم (٣) .

---

(١) انظر كتاب الحقائق الخفية للأعظمى ص ١٢٦ .
(٢) الفصل لابن حزم ٤/١٨٣-١٨٧ .
(٣) ومن الأمثلة على ذلك تأويلهم الباطنى لقوله تعالى عن أصحاب الكهف {أما السفينة فكانت لمساكين يعملون فى البحر فأردت أن أعيبها} فانهم يقولون ان السفينة أبو الخطاب وان المساكين أصحابه وان الملك الذى وراءهم عيسى بن موسى وهو الذى قتل أبا الخطاب وان أبا عبد الله أراد أن يصيبنا بلعنه ايانا فى الظاهر وفى الباطن عنا - بمعنى أراد - أضدادنا ومن خالفنا . المقالات والفرق للقمى ص ٥٤-٥٥ .
وذكر القمى نماذج كثيرة من تأويلهم الباطنى كالاسماعيلية تماما . انظر ص ٥٦-٥٩ المقالات والفرق .

وقد بين ذلك ابن حزم والأشعرى والشهرستانى [(١)] .

ولذا يقول النشار : "ولاشك أن الكثير من أصول الخطابية قد دخلت فى عقائد الاسماعيلية فيما بعد ولكن تم هذا بعد مقتل ابى الخطاب واعتناق كثير من أتباعه للاسماعيلية فى عهد عبد الله بن ميمون القداح" [(٢)] .

كما يقول برنارد لويس : "ان ماذكره أهل السنة من عقائد الخطابية يؤيد ماذهب اليه النوبختى فى وحدة هاتين الحركتين ومن ذلك عقيدة الامام الصامت والناطق التى اختصت بها الاسماعيلية وكذلك طريقة التأويل الاسماعيلى الذى استخدمته الخطابية لنشر مبادئها وعقيدتها" [(٣)] .

كما يقول احسان ظهير بعد نقله لمجموعة من معتقدات الخطابية : "وهذه كلها نصوص خطيرة تنبىء وتخبر عن علاقة الاسماعيلية بأبى الخطاب بوساطة ميمون القداح وابنه عبد الله كما تزيل اللثام عن العقائد التى بثتها الخطابية بفروعها المختلفة وهى عين العقائد التى اعتنقها الاسماعيلية وتولت نشرها بين الناس" [(٤)] .

بل ان بعض الكتاب المعاصرين يرى أن أبا الخطاب ودعوته اصل جميع الفرق الباطنية يقول الأمين : "سار أبو الخطاب شوطا كبيرا ورئيسيا فى أفكار الغلو فقد كان أستاذا لكل أصحاب الفرق الباطنية بعد ذلك فهو أستاذ المفضل الجعفى الذى كان وراء محمد بن نصير فى أفكاره الضالة

---

(١) الفصل لابن حزم ١٨٧/٤ ، مقالات الاسلاميين لأبى الحسن الأشعرى ص ٧٧-٧٨ ، الملل والنحل للشهرستانى ١٨٠/١ .
(٢) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام للنشار ٣٧٦/٢ .
(٣) انظر أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١٠٠-١٠١ .
(٤) الاسماعيلية تاريخ وعقائد لاحسان الهى ظهير ص ٥٤ .

والتى أسس عليها فرقته النميرية . وكان أيضا أستاذا لاسماعيل بن جعفر ولابنه محمد وزميلا مخلصا لميمون القداح وابنه الذين بلوروا بشكل فعال الحركة الباطنية بثوبها الاسماعيلى التى انبعثت عنها الحركات الباطنية الأخرى كالقرامطة والدروز واخوان الصفا والحشاشين وعندما يتحدث النوبختى عن الاسماعيلية لايمفهم الا بالخطابية لارتباطهما معا فى الأفكار والأهداف .(١)

الجانب الثانى :

الروايات التاريخية التى تنص أو تشير الى علاقة قوية بين الحركتين وزعمائهما . فمما أورده الكشى فى كتابه معرفة الرجال رواية ملخصها نهى جعفر الصادق لأحد زعماء الخطابية عن مخالطة ابنه والتأثير عليه وعبارة الكشى هى : "قال جعفر للمفضل بن عمر الجعفى وهو من الخطابية ياكافر يامشرك مالك ولابنى أتريد أن تقتله " .(٢)

ويرى النشار استنادا الى الخلاف بين جعفر وأبى الخطاب حول ملته بابنه اسماعيل الى أن أبا الخطاب كان من محبى اسماعيل بن جعفر وكان جعفر يكره صلات ابنه اسماعيل بالغلاة مما جعله يفكر فى عزله عن امامة الشيعة بعده وحينما مات اسماعيل وقتل أبو الخطاب وحدث الانقسام سرعان ما انضم

(١) دراسات فى الفرق والمذاهب لعبد الله الأمين ص ٧٣-٧٤ وانظر كتاب الحركات الباطنية فى العالم الاسلامى للخطيب ص ٢٥-٢٦، ومن الجدير بالذكر أن أحدهما نقل من الآخر ولعل الأمين هو الناقل كما يستنبط من سنوات الطبع لكتابيهما فيحسن والحالة هذه من الأمين ذكر ذلك

(٢) انظر دولة الاسماعيلية فى ايران لمحمد السعيد ص ٢٢ .

الخطابية الى محمد بن اسماعيل .(١)

ويستنبط برنارد لويس من هذه الرواية ومن كنية أبى الخطاب بأبى اسماعيل أن هذا ينبىء عن صلة وثيقة بين اسماعيل والخطابيين وتبين كذلك حنق جعفر على أولئك الذين أضلوا ولده وزجوه فى المروق والأخطار . ومن هذا كله نستطيع أن نستنتج مؤيدات قوية للفرضية القائلة بأن اسماعيل كان ذا صلة وثيقة بالأوساط المتطرفة والثورية التى أوجدت الفرقة المسماة باسمه وبأن عزل جعفر له كان لهذه الصلة (٢) .

والمصادر التاريخية التى تحدثت عن أبى الخطاب تثبت أن جميع دعاة المذهب الاسماعيلى المشهورين هم فى حقيقتهم تلاميذ لأبى الخطاب فابن رزام يقول : "ان الميمونية أتباع ميمون القداح كانوا تلاميذ لأبى الخطاب وحوارييه" (٣) .

ويذكر عطا الجوينى دعاة الاسماعيلية المشهورين الذين ظهروا وعرفوا وهم ميمون القداح وابنه عبد الله بن ميمون الذى يعد من كبار علماء هذه الطائفة (٤) وعبدان الكاتب وظهر منهم فى زمن جعفر الصادق أبو الخطاب الذى ادعى ألوهية جعفر وقد قال جعفر عنه "ملعون هو وأصحابه" وأمثال هؤلاء كثيرون (٥) .

---

(١) نشأة الفكر الفلسفى للنشار ٣١٧/٢ .
(٢) انظر أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١١٠-١١١ .
(٣) المرجع السابق ص ١٠٢ .
(٤) ميمون وعبد الله سنتحدث عنهما بالتفصيل عند الحديث عن الباطنية وأما عبدان الكاتب فهو من كبار دعاة المذهب القرمطى بل انه صاحب التاليف والتصنيف فيه وقد ذكر له ابن النديم جمعا من الكتب كان آخرها البلاغ السابع وفيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر . وعبدان صهر حمدان قرمط زعيم القرامطة .
(٥) تاريخ جهانكشاى لعطا ملك الجوينى ص ١٥٩ .

كمـا يذكـر ابـن الأثير فى تاريخه عند حديثه عن ميمون القداح انه من اتباع وتلاميذ أبى الخطاب[(١)] مع العلم أن ميمون القداح من كبار الدعاة الى مذهب الاسماعيلية ووصل الى درجة الحجة والامام المستودع .

أما النويرى فيقول : "ان ميمون القداح من أصحاب أبى الخطاب وكانوا يقولون بالتأويل والباطن وبأن الحركة التى بثها ميمون وابنه كانت فى جوهرها حركة أبى الخطاب نفسه[(٢)] " .

اضافة الى مامضى فان بعض كتب الفرق والمقالات تنص على أن الاسماعيلية هم الخطابية وان فرقة أبى الخطاب بعد القضاء عليه أقرت بموت اسماعيل فى حياة أبيه وساقوا الامامة فى ابنه محمد بن اسماعيل وولده من بعده[(٣)] .

كما ينص الكشى على ذلك بقوله : "ان فرقة الاسماعيلية هى الخطابية نفسها[(٤)] " .

ويقول القمى : "ان اتباع أبى الخطاب لما قتل معظمهم خرج الجماعة الباقون ممن قال بمقالة أبى الخطاب الى محمد ابن اسماعيل فقالوا بامامته وأقاموا عليها[(٥)] " .

ويؤكد كاتب شيعى معاصر هذه الحقيقة ببراعة واستنباط جيد من نصوص سلفه ـ كالقمى والنوبختى ـ قائلا : "وباضافة

---

(١) الكامل فى التاريخ لابن الأثير
(٢) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١٠٢ .
(٣) انظر كتاب المقالات والفرق للقمى ص ٨١-٨٣ ، فرق الشيعة للنوبختى ص ٨٠ وينص الدكتور محمد السعيد فى كتابه دولة الاسماعيلية فى ايران ص ٢٠ الى أن النوبختى يذهب الى القول بوحدة الحركتين الخطابية والاسماعيلية .
(٤) معرفة الرجال للكشى ص ١٨٩ .
(٥) المقالات والفرق للقمى ص ٨٣ .

الامامة الى محمد بن اسماعيل بدأت الاسماعيلية الباطنية وليست هذه التسمية الا اصطلاحا جديدا وهى - فى الواقع - تنطبق على فرق الغلاة الذين شتتهم المنصور أولا ثم المهدى بعده فانصب انصار أبى الخطاب وأتباعه فى هذه الفرقة الجديدة التى دبت فيها الحياة فقالت فرقة منهم : ان روح جعفر ابن محمد حلت فى أبى الخطاب ثم تحولت بعد غيبة أبى الخطاب فى محمد بن اسماعيل بن جعفر ثم ساقوا الامامة فى ولد محمد بن اسماعيل .(١)

وحينما نقلب النظر فى مصادر الاسماعيلية فاننا نجد ذكرا لأبى الخطاب ومنزلته عندهم فى كتاب سرى مقدس عند الاسماعيليين واسمه "أم الكتاب" وهذا الكتاب يجعل لأبى الخطاب مقاما خطيرا فى هذه الحركة فيعتبره مؤسس المذهب الاسماعيلى ويقرنه بالصحابى سلمان رضى الله عنه فى عظيم اهميته وعبارته فى ذلك واضحة صريحة اذ يقول : "ان المذهب الاسماعيلى هو ماأوجدته ذرية أبى الخطاب - أى اتباعه - الذين شروا انفسهم بحب أحفاد جعفر الصادق واسماعيل لكى يبقى مذهبهم ويدوم" .(٢)

كذلك ذكر الداعى الاسماعيلى أبو حاتم الرازى : "أن أبا الخطاب كان يقول بامامة اسماعيل بن جعفر" .(٣)

ومن خلال ماقدمنا من نصوص وأدلة ومقارنة بين معتقدات الفرقتين الخطابية والاسماعيلية نصل الى النتائج التالية :

---

(١) الصلة بين التصوف والتشيع للشيبى ص ١٩٦ .
(٢) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١٠٤ ، الاسماعيلية لاحسان الهى ص ٥٤-٥٥ .
(٣) الزينة للرازى ضمن كتاب الغلو للسامرائى ص ٢٨٩ .

(١) ان الحركة الخطابية فرقة من فرق الشيعة جاهرت بالغلو وسلكت مسلكا ذا طابع باطنى خاص ولاسيما فى تأويل الآيات القرآنية .

(٢) نتج من ذلك ظهور الاسماعيلية بعدها بالغلو والنهج الباطنى وهى بذلك تعتبر قاعدة أساسية للحركة الاسماعيلية بعدها .

(٣) ان الاسماعيلية استوعبت واستفادت من الخطابية أمرين أساسيين كان لهما الأثر فى ظهور وانتشار طائفة الاسماعيلية :

أولهما : مبادىء ومعتقدات الخطابية التى جاهروا بها ومن ثم قضى عليهم بسببها فتلقفها الاسماعيليون ودعوا اليها بأسلوب السرية والباطن وظهرت بعد ذلك فى فترة تمكنهم وقوتهم .

ثانيهما : اتباع أبى الخطاب وتلاميذه الذين انضموا الى اسماعيل ودعوا الى امامته بعد وفاة أبى الخطاب وأصبحوا بعد ذلك المؤسسين الحقيقيين لمذهب الاسماعيلية بزعامة اسماعيل .

فالاسماعيلية بهذين الأمرين تكون قد استوعبت جميع مبادىء الخطابية وبالتالى ضمت جميع اتباع أبى الخطاب اليها وأصبحوا بعد ذلك اسماعيليون دعوة وعقيدة واتباعا .

(٤) واخيرا أرى بل أجزم ــ بحكم المصادر التى قدمنا ــ بأن المؤسس الأول لمذهب الاسماعيلية هو أبو الخطاب واسماعيل متعاونين لكن غلو الأول وافتضاحه أمام الملأ سرعان ماقضى عليه وحل محله صاحبه اسماعيل بن جعفر

وبالتالى توجه الاتباع والتلاميذ من الخطابية الى القول بامامة اسماعيل فأصبح الخطابية هم الاسماعيلية الخالصة (١) .

وأما ميمون القداح فانه ـ كما يقول احسان الهى ـ أحد الخطابيين أو ممن هضم آراء الخطابية وتبناها كاملة مع دهائه ومكره ويقظته وبعد نظره ومحافظته على سره حيث استطاع أن يبقى نفسه فى حاشية جعفر بن الباقر تلميذا مجتهدا وخادما مخلصا كما كان لأبيه محمد الباقر أيامه حتى استطاع أن يكون هو وابنه عبد الله بن ميمون كفلين لابن جعفر اسماعيل وابنه محمد بن اسماعيل عكس أبى الخطاب فانه تجاهر بالقول حتى تبرأ منه جعفر ولعنه على رؤوس الأشهاد (٢) .

وخلاصة القول فان حركة أبى الخطاب فى ظاهرها فرقة شيعية غالية تتسمى بالخطابية وفى حقيقتها وباطنها فرقة باطنية اسماعيلية غذت الحركة الاسماعيلية وأسستها فى الستر والخفاء ومن ثم ساعدتها ودفعتها للظهور الى عالم الأحداث فيما بعد تحت اسم جديد هو الاسماعيلية وزعيم آخر هو اسماعيل بن جعفر .

---

(١) يطلق بعض علماء الفرق على فرع من فروع الاسماعيلية بالاسماعيلية الخالصة وهذا تمييزا لهم عن القائلين بموت اسماعيل فى حياة أبيه من الاسماعيليين أنفسهم . فان الاسماعيلية الخالصة هم الذين لم يقروا بموت اسماعيل فى حياة أبيه وماحصل من اشهاد والده جعفر على موت ابنه اسماعيل انما كان على جهة التلبيس لأنه خاف عليه فغيبه عنهم وزعموا أن اسماعيل لايموت حتى يملك الأرض وهؤلاء هم الاسماعيلية الخالصة . انظر فرق الشيعة للنوبختى ص ٧٩ ، المقالات والفرق للقمى ص ٨٠ .

(٢) الاسماعيلية تاريخ وعقائد لاحسان الهى ظهير ص ٥٥ .

(٢) حركة الباطنية .

(أ) تعريفها وبدايتها :

لفظ الباطنية مأخوذ من بطن خفى فهو باطن جمعه بواطن واستبطن أمره وقف على دخلته والبطانة بالكسر السريرة والباطن داخل كل شيء ومن الأرض ماغمض (١) .

وسمى الباطنية بذلك الاسم لأنهم يدعون ان لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى فى الظواهر مجرى اللب من القشر (٢) .

ومما قال الشهرستانى عن سبب تلقيب الباطنية بهذا اللقب : "انه لزمهم هذا اللقب لحكمهم بأن لكل ظاهر باطنا ولكل تنزيل تأويلا" (٣) .

والباطنية اصطلاح عام يطلق على جمع من الطوائف المتعددة والمذاهب المتشعبة وبينها قاسم مشترك هو الاعتقاد بالظاهر والباطن وتأويل النصوص الظاهرة الى معان باطنية اختصوا بها وزعموا معرفتها دون سواهم . وبهذا فالباطنية ليست فرقة واحدة معينة وانما هى وصف مشترك لكل من يعتقد بالظاهر والباطن ويندرج تحت هذا فرق متعددة .

أما بدايتها : فيزعم أحد الباطنيين المعاصرين أنها ابتدأت مع الرسالة الاسلامية ومع بعثة الرسول صلى الله عليه وسلم وعن ذلك يقول : "ولعل الحدث التاريخى الهام الذى بلغت فيه الفكرة الباطنية حد الوضوح الكامل من حيث الشكل

---

(١) القاموس المحيط للفيروز ابادى ٢٠٢/٤ .
(٢) فضائح الباطنية للغزالى ص ١١-١٢ .
(٣) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٢/١ .

والمبنى يعود الى بعث النبى الهادى محمد صلى الله عليه وسلم رسولا الى العالمين" .

ويرى عطا ملك الجوينى أن ظهور الباطنية انما كان فى صدر الاسلام وبعد أيام الخلفاء الراشدين رضى الله عنهم يقول "وفى صدر الاسلام بعد أيام الخلفاء الراشدين صلوات الله عليهم أجمعين (١) ظهر من بين المسلمين جماعة لم تأتلف ضمائرهم مع دين الاسلام فقد رسخت عصبية المجوس فى قلوب هذه الطائفة ولكى يشيعوا بين الناس الشك والضلال أذاعوا أقوالا مؤداها ان لظاهر الشريعة باطنا ستر على أكثر الناس ودعموا هذه الاباطيل بالأقوال التى وصلت اليهم عن فلاسفة اليونان كما اقتبسوا بعض المبادىء من مذاهب المجوس ولكن لايشنع عليهم أهل الاسلام بل لكى يشيعوهم كانوا ينكرون على طوائف فرق المؤمنين انهم لم ينصروا آل بيت الرسول صلوات الله عليهم خاصة عندما جهر بظلمهم يزيد وأتباعه (٢) .

أما الديلمى فيرى أن ابتداء وضع مذهب الباطنية فى سنة خمسين ومائتين من الهجرة النبوية وضعه قوم من الفلاسفة والملحدة والمجوس واليهود تطابق هؤلاء على بغض الاسلام وبغض نبيه صلى الله عليه وسلم (٣) .

ويرى البغدادى والاسفرايينى والسمعانى أن دعوة

---

(١) كذا ورد فى الأصل والأولى بالنسبة للصحابة هو الترضى أما الصلاة والسلام فهو دعاء خاص بالانبياء والمرسلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

(٢) تاريخ جهانكشاى للجوينى ضمن كتاب دولة الاسماعيلية فى ايران لمحمد السعيد جمال الدين ص ١٥٠ .

(٣) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى ص ٣ .

الباطنية ظهرت في أيام المأمون[1] على يد حمدان قرمط وعبد الله بن ميمون القداح وان هذه الدعوة انتشرت في زمان المعتصم[2] . أما نشأتها وتنظيم مبادئها فعلى يد جماعة من الشوريين الملاحده وانهم اجتمعوا في سجن المهدي[3] . وفي داخله نظموا الدعوة وقسموا الدنيا الى أربعة أقاليم واختاروا أربعة من الرجال وبعثوا كل واحد منهم الى اقليم وهؤلاء الأربعة هم أحمد بن الحسين وعبد الله بن ميمون القداح والدنداني وحمدان قرمط[4] .

وهكذا ومن خلال تعدد هذه الآراء نجد انه من المستحيل تحديد سنة بعينها لظهور حركة الباطنية لاسيما وانها ليست فرقة واحدة بعينها وانما هي فرق ومذاهب شتى يجمعها منطلق الاعتقاد بالظاهر والباطن كما انها مع ذلك مذهب خفي اتخذ مؤسسوه السرية والكتمان وسيلة من وسائل الحفاظ على حياة

---

(١) هو الخليفة السابع من خلفاء بني العباس تولى الخلافة سنة ١٩٨هـ وبقي خليفة لمدة عشرين عاما حيث توفي عام ٢١٨هـ وفي فترة خلافته قويت حركة الترجمة للكتب الفلسفية من يونانية وهندية وغيرهما كما حصل في عهده محن ومصائب كثيرة لأهل السنة والجماعة ومن أشهرها محنة وتعذيب امام أهل السنة أحمد بن حنبل رحمه الله وبدعة المعتزلة "القول بخلق القرآن" وغيرها من البدع .

(٢) المعتصم هو الخليفة الثامن من خلفاء بني العباس ولي الخلافة بعد وفاة أخيه المأمون عام ٢١٨هـ وبقي خليفة ثمان سنوات حيث توفي عام ٢٢٧هـ .

(٣) الخليفة الثالث من خلفاء بني العباس تولى الخلافة بعد وفاة والده أبو جعفر المنصور عام ١٥٨هـ وكان المهدي رحمه الله قويا في حرب الزنادقة وتتبعهم حتى أنه أنشأ هيئة مهمتها تتبع الحركات السرية والباطنية ورؤوس الزنادقة والقضاء عليهم . ومن حرصه رحمه الله على محاربة الزندقة والبدع أن أوصى ابنه الهادي من بعده بتتبع الزنادقة والبطش بهم .

(٤) مخطوطة الأنساب للسمعاني ورقة ٤٤٨ ، والبغدادي في كتابه الفرق بين الفرق ص ١٦، ٢٦٦، ٢٦٨ ، والاسفرايني في كتابه التبصير في الدين ص ٨٣ .

دعاتها ومايدعون اليه وغاية مايمكن أن نقوله : ان نشاط هذه الفئة لم يظهر بشكل منظم ومرسوم الا على يد ميمون القداح الذى كان له دور التنظيم لهذه الفرقة وتعليم الدعاة وارسالهم الى اقطار متعددة .(١)

(ب) فرق الباطنية :

يشترك الغزالى وابن الجوزى فى ذكر ألقاب الباطنية الثمانية وهى : الباطنية والتعليمية والسبعية والقرامطة والاسماعيلية والخرمية والبابكية والمحمرة .(٢)

والملاحظ على هذه الألقاب أن بعضها يدل على فرق الباطنية وبعضها يدل على أصولهم ومعتقداتهم ، والبعض الآخر يدل على الحركات الثورية التى تعتبر كالممهد والبداية لظهور التيار الباطنى فى العالم الاسلامى وتفصيل ذلك كالآتى :

فالباطنية لقب عام تشترك فيه عدة فرق وينضوى تحت لوائه طوائف متعددة القاسم المشترك بينها تأويل النصوص الشرعية عن معناها الظاهر الى معان باطنية غير معهودة ومعروفة لدى المسلمين شرعا أو لغة أو عقلا ومن أشهر هذه الفرق طائفتا الاسماعيلية والقرامطة وقد اقتصر ابن الجوزى والغزالى عليهما ولم يتعرضا لبقية الفرق الأخرى والسبب فى ذلك - والله أعلم - أن الفرق الأخرى عندهما كالنميرية أو الدروز اما انها فى أصلها ترجع الى الشيعة الامامية

---

(١) مقدمة مشكاة الأنوار لمحمد الجنيد ص ٧ .
(٢) انظر فضائح الباطنية للغزالى ص ١١-١٧ ، تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١٠٢-١٠٦ .

كالنصيرية أو انها تعتبر فرعا من فروع احدى الفرق[١] الباطنية التى ذكروها كالاسماعيلية فان الدروز من الفرق التى انشعبت من الاسماعيلية[٢] .

وأما لقب التعليمية فيعبر عن أصل من أصول الباطنية والمراد منه ـ كما ذكر الغزالى ـ ابطال الرأى واغلاق باب الاجتهاد والتعلم من الامام المعصوم[٣] .

ولقب السبعية يدل على بعض معتقداتهم عن الكون والأئمة مع تقديس هذا العدد لديهم حتى ان بعض علماء الفرق لقب بعض الاسماعيلية بالسبعية[٤] .

أما لقب الخرمية والبابكية والمحمرة فانها جميعا

---

(١) تعتبر النصيرية فرقة من فرق الشيعة الغلاة ولكن فى أصلها ومعتقداتها ماجعل الخلاف قائم بين علماء الفرق حول ضمها الى فرق الشيعة الاثنى عشرية أو الفرق الباطنية فمن نظر الى مؤسسها وهو أبو شعيب محمد بن نصير النميرى اعتبرها من فرق الشيعة الاثنى عشرية لأن هذا الرجل من أصحاب الحسن العسكرى الامام الحادى عشر للشيعة الامامية بل ادعى بعد موت الحسن انه وكيل لابن الحسن الامام الثانى عشر أو باب له وهم يدعون الانتماء الى الشيعة الامامية الاثنى عشرية ومن نظر الى باطنية هذه الفرقة ومعتقداتها واعتبارهم التأويل الباطنى اعتبرها ولاشك من فرق الباطنية الكبرى والحقيقة انهم فى واقع الأمر ونهايته يعدون من غلاة الشيعة الباطنية الذين تبنوا آراء ومعتقدات منحرفة باطلة انتهت بهم الى الخروج من الاسلام .
انظر كتاب دراسة عن الفرق لأحمد محمد جلى ص ٢٤٣-٢٤٤ .

(٢) فرقة الدروز طائفة من طوائف الباطنية فى أصلها ترجع الى الاسماعيلية وقد تكونت هذه الفرقة بعد موت الحاكم العبيدى سنة ٤١١هـ أما بدايتها وأساسها فهو اعتقاد الوهية الحاكم عام ٤٠٨هـ ومعظم أصولهم ومعتقداتهم فى حقيقتها اسماعيلية فمنهم نشأوا وبأئمتهم اعتقدوا ولذا فان الدروز بهذا الاعتبار يرجعون الى فرقة الاسماعيلية .

(٣) فضائح الباطنية للغزالى ص ١٧ .

(٤) اللباب لابن الأثير ٥٣١/١ وانظر نشأة الفكر الفلسفى ٤٠٦/٢ ، الصلة بين التصوف والتشيع للشيبى ص ٢٠٠ .

ترجع الى حركة ثورية قامت فى العصر العباسى وكان قيامها سنة ٢٠١هـ ومن آثارها وأهدافها فى آن واحد انهاك واضعاف الدولة العباسية وذلك من خلال المعارك الدامية ليتسنى للحركات الباطنية الأخرى الظهور والمقاومة وأخيرا تم القضاء عليها عام ٢٢٣هـ ولكل لقب سبب فالخرمية نسبة الى حامل المذهب وزبدته ، والبابكية نسبة الى بابك والمحمرة نسبة الى لبسهم ثيابا مصبوغة بحمرة (١) .

وبقى من هذه الألقاب لقبا القرامطة والاسماعيلية وهما فرقتان من أكبر الفرق الباطنية وأقدمها ظهورا ونشأ بعدهما الفرقتان الأخريان وهما :

(١) النميرية نسبة الى ابن نصير مؤسس الفرقة وظهروا فى جبال الشام وسواحله وكان لابن تيمية رحمه الله مواقف جهادية معهم بالسيف والقلم ولازالت الفرقة موجودة الى يومنا هذا حيث دعمهم وقواهم الاستعمار الفرنسى وبالتالى صار لهم قوة وسلطة وسماهم بالعلويين (٢) .

(٢) الدروز . نسبة الى محمد بن اسماعيل الدرزى أحد المؤلهين للحاكم العبيدى وهى طائفة من طوائف الباطنية انشقت عن الاسماعيلية فى عهد الحاكم واتخذت لها مبادىء فى ظاهرها مخالفة لمبادىء الاسماعيلية وفى حقيقتها وجوهرها موافقة ومؤيدة لها (٣) .

---

(١) فضائح الباطنية للغزالى ص ١٤ ، تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١٠٥-١٠٦ ، القرامطة لابن الجوزى ص ٤٨ .

(٢) هامش المنتقى لمحب الدين الخطيب ص ٩٩ ، كتاب دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ٢٥٨ .

(٣) الحركات الباطنية فى العالم الاسلامى لمحمد الخطيب ص ١٩٩ .

ولذا فان فرق الباطنية الكبرى أربع فرق هى :

(١) الاسماعيلية

(٢) القرامطة

(٣) النصيرية

(٤) الدروز

وجميع هذه الفرق تندرج تحت ستار التشيع لآل البيت ويعمها القول بالباطن[١] . ويضيف بعض الكتاب المعاصرين فرقا أخرى للباطنية لاتزال منتشرة بين المسلمين الى يومنا هذا ولكل فرقة رأى ونصيب من التأويل الباطنى وذلك كالبابية والبهائية والقاديانية . والحقيقة أن فرق الباطنية كثيرة ومتجددة ومن الصعب حصرها واعتبارها محددة ومعدودة لأن لهم – كما يقول الشهرستانى – دعوة فى كل زمان ومقالة جديدة بكل لسان[٢] . كما ان لهم فروعا فى عصرنا الحاضر تظهر لكل قوم بمظهر تقضى به البيئة التى يعيشون فيها ومافرقة القرآنيين فى الباكستان أو الجمهوريين فى السودان أو البلاليين فى الولايات المتحدة الا نماذج واقعية على استمرار التيار الباطنى على خلاف الأزمان والأمصار[٣] .

---

(١) كالدكتور محمد حسين الذهبى فى كتابه التفسير والمفسرون ٢٥٣/٢ وكالشيخ الكوثرى فى مقدمته على كتاب كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ٨ ، وكالأستاذ محمد الجليند فى مقدمته لكتاب مشكاة الأنوار ص ٧ ويقول الدكتور الذهبى عن القاديانية : "انها فرقة من الباطنية وهى أحدث فرقهم عهدا وأقربها ظهورا".

(٢) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٢/١ .

(٣) كتب عن هذه الفرق الثلاث كتابات مبسوطة حيث أفردت كل فرقة بكتاب فالفرقة الأولى رسالة بعنوان فرقة أهل القرآن بالباكستان رسالة ماجستير فى جامعة أم القرى اعداد الطالب خادم حسين الهى بخش عام ١٤٠٠هـ ، والفرقة الثانية أيضا رسالة بعنوان فرقة الجمهوريين بالسودان رسالة دكتوراه فى جامعة أم القرى اعداد =

وحسبنا في حصر فرق الباطنية القاعدة المشهورة عند علماء الفرق والمقالات وخلاصتها : ان القائل لكل ظاهر باطن ولكل تنزيل تأويل . وان الظاهر بمنزلة القشر والباطن بمنزلة اللب كل قائل لذلك يعتبر باطنيا .(١)

وهناك منهج آخر لتقسيم فرق الباطنية انفرد به العلوى - حسب اطلاعي - وذلك بناء على اعتقادهم عن الظاهر والباطن يقول يحيى العلوى : ان الباطنية فرق كثيرة ولكنهم بالاضافة الى اعتقاد الباطن فريقان :

الفريق الأول : يذهبون الى بطلان الظواهر وانه لاعبرة بها ولاتعويل عليها وانما المعتمد عندهم الأمور الباطنية التي تضمنتها ظواهر الشريعة .

وأما الفريق الثاني : فلايرون ابطال ظواهر الشريعة بالكلية ويأنفون من مقالة الفريق الأول ويقولون ان ظواهر الشريعة معمول بها في ظاهرها ولها أيضا بواطن هي سرها ولبابها فيعملون بزعمهم عليهما جميعا .(٢)

= الطالب شوقي بشير عبد المجيد عام ١٤٠٣/١٤٠٤هـ ، والفرقة الثالثة كتاب للدكتور عبد الوهاب أبو سليمان بعنوان منظمة الايجا محمد الأمريكية دراسة وتحليل . وهذه الرسائل أو الكتب ذكرت لكل فرقة طريقة في التأويل الباطني وصرف النصوص الشرعية عن معناها الظاهر مما يدل على انها فرق باطنية أو متأثرة بالباطنية .

(١) كالشهرستاني انظر الملل والنحل ١٩٢/١ ، والغزالي في كتابه فضائح الباطنية ص ١١-١٢ ، والحمادى في كتابه كشف أسرار الباطنية ص ١٧ ، وابن الجوزى في كتابه تلبيس ابليس ص ١٠٢ ، والديلمي في كتابه بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٢١ ، والعلوى في كتابيه مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار ص ٦٥-٦٦ ، والافحام لأفئدة الباطنية الطغام ص ٢٢ ... الخ الكتب التي تتحدث عن تأويل الفرق الباطنية .

(٢) مشكاة الأنوار ليحيى العلوى ص ٦٥-٦٦ .

ولأهمية التأويل الباطنى عند فرق الباطنية جميعا بل انه هو السمة البارزة والقاسم المشترك لها جميعا فلابد والحالة هذه من افراده بالحديث مفصلا ببيان معناه وأصله وكيف دخل على المسلمين .

(ج) التأويل الباطنى :

مع تعدد الفرق الباطنية وانشقاقاتها - فى الظاهر - الى شيع وأحزاب الا انه يجمعها هذا التأويل الذى يكاد أن يكون مرجع العقائد الباطنية وأصولها فما من فرقة من فرقها الا وتتكئ عليه وتستحدث أصولها ومعتقداتها من خلاله وعن طريقه ولذا أصبح فيصلا ودلالة على فرق الباطنية ومميزا لها من سائر الفرق الضالة الأخرى . وقد تقدم قبل قليل القاعدة التى تدل على ذلك عند علماء الفرق والمقالات .

وتعريف التأويل هو : صرف اللفظ عن المعنى الراجح الى المعنى المرجوح لدليل يقترن به (١) واذا لم يكن اللفظ محتملا للمعنى الذى حمل عليه ولم يبين المتأول الدليل الذى حمله على ذلك كان تأويلا فاسدا بل تلاعبا بالنصوص (٢) .

وعرف صاحب كتاب المعجم التأويل الباطنى بأنه : مشتق من الأول وهو الرجوع يقال آل اليه أى رجع . وعند علماء اللاهوت هو : تفسير الكتب المقدسة تفسيرا رمزيا أو مجازيا يكشف عن معانيها . وعند الباطنيين : اخراج النص من دلالته

---

(١) وهذا الشق من التعريف قاصر على مجرد تعريف التأويل بدون اعتبار كونه تأويلا باطنيا . أما الشق الثانى من التعريف فالمقصود منه هو التأويل الباطنى .

(٢) التفسير والمفسرون للذهبى ١٨/١ .

الظاهرية الى دلالته الباطنية بطريق التأويل . فالظاهر عندهم هو الصور والأمثال المضروبة والباطن هو المعانى الخفية التى لاتتجلى الا لأهل البرهان .(١)

فتأويل الباطنية يختلف عن تأويل غيرهم بأمرين :

أولهما : عدم وجود دليل يقتضى صرف اللفظ عن ظاهره .

وثانيهما : عدم وجود رابطة بين اللفظ والمعنى التأويلى الذى قصدوه مما يشعر بالتعسف والهوى والهدف الباطل ومما يمس هذا الأصل عندهم ويبينه على حقيقته الخطيرة بيان منشأ التأويل وأصله وهل هو فكر اسلامى أصيل أم فكر دخيل مستورد تسلل على حين غفلة ؟ وللاجابة على ذلك فان احد المهتمين بالفرق والمذاهب بحثه بحثا مؤصلا مع تأييد ذلك بالأدلة والنصوص . يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى : ان التأويل مر بمراحل عديدة من حين استحداثه لحين دخوله الى المسلمين وكان ذلك على النحو الآتى :

(١) ان أول من فكر بالتأويل الرمزى المفكرون اليونانيون للتخلص من شعر هوميروس الذى أصبح نصا ذا سلطة وكان ذلك فى القرن الخامس قبل الميلاد ووسيلتهم فى ذلك التفريق بين الظن والحقيقة .

(٢) انتقل التأويل الرمزى الى اليهودية على يد فيلون(٢)

---

(١) انظر المعجم الفلسفى لجميل صليبا ٢٣٤/١ .

(٢) فيلسوف يهودى عاش فى مملكة مصر القديمة (الاسكندرية) وفى سنة ٤٠ بعد المسيح كان زعيما لبعثة يهودية أرسلت الى جاليجولا وكانت مهمة هذه البعثة التوقف عن ملاحقة الدين اليهودى واليهود وقد تعلم التوراة المترجمة الى اليونانية حيث انه لم يكن على اطلاع على اللغة العبرية . وكان شديد الاطلاع على كتب الفلاسفة الكلاسيكيين كما كانت لديه معرفة كافية فى الحساب وعلم الطبيعة . =

اليهودى فى القرن الأول الميلادى الذى يعد من أكبر ممثلى النزعة الى التأويل فى العصر القديم حيث جعل من التأويل مذهبا قائما برأسه ومنهجا فى الفهم .

وقد دفعه ال استحداث هذا المذهب فى اليهودية الحملة التى قام بها المفكرون اليونانيون على التوراة ومافيها من أساطير وقصص ساذجة وغير معقولة (١) . فاضطر فيلون الى الدفاع عن التوراة بتأويل هذه المواضع تأويلا باطنيا ورأى أن ذلك التأويل هو روح النص المقدس وان التفسير بالمعنى الحرفى سيؤدى الى الكفر والاحالة ومن أمثلة تأويلاته الباطنية لمواضع من التوراة : الجنة أولها بملكوت الروح . وشجرة الحياة بأنها خوف الله . وشجرة المعرفة بالحكمة . والأنهار الأربعة فى الجنة بأنها الفضائل الأربع الأصيلة . وهابيل التقوى الخالصة من الثقافة العقلية . وقابيل هو الانانى وشيث هو الفضيلة المزودة بالحكمة وهكذا ... الخ تأويلاته الباطنية (٢) .

= انظر رسالة الباحث أحمد مغربى عن دور اليهود فى الفرق الباطنية ص ١٨٣-١٨٤ نقلا من دائرة المعارف اليهودية . ومما يستنبط من هذا التعريف بفيلون . أثر الفكر اليونانى وتأثره الشديد به حتى انه ـ كما ذكر من ترجم له ـ لايقرأ التوراة بلغتها الأصلية انما يقراها بترجمتها اليونانية ومن الطبيعى ـ والحالة هذه ـ ان التأويل الرمزى الموجود عند اليونان انتقل مباشرة الى اليهودية عن طريق فيلون اليهودى دينا واسما اليونانى لغة وأدبا .

(١) مما نعتقده ونجزم به أن التوراة المنزلة من الله عز وجل على نبيه موسى عليه الصلاة والسلام فى أصلها وبدايتها خالية من الأساطير والقصص الساذجة ولكن لما لم يحفظوها تسللت اليها هذه الأساطير والخرافات التى هى حتما من آثار التحريف والتبديل .

(٢) انظر مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوى ٢/١٠-١٢ .

وبسبب هذه الفلسفة ظهر عند اليهود طائفة تسمى القبالية نسبة الى القبالة . وهو كتاب فيه التأويل الخفى للتوراة وأهم مسائله هى سرية التعاليم وامكان فك رموز التوراة وكذلك رمزية الأعداد والحروف .(١)

(٣) من فيلون اليهودى انتقلت طريقة التأويل الباطنى الى المسيحية ضد هجمات رجال الافلاطونية المحدثة والفلسفة اليونانية . ومن أبرز المدافعين المسيحيين أوريجانس الذى تأثر بفيلون تأثرا خاصا وقال ان الكتاب المقدس يفسر على ثلاثة أوجه :

الأول : الرجل البسيط فهذا يكفيه جسد الكتاب المقدس .

الثاني : الرجل المتقدم فى الفهم فهذا يدرك روح الكتاب المقدس .

الثالث : الكامل من الرجال وهو الذى يفهمه بالناموس النفسانى الذى يطلع على الغيب .

وتحت وطأة هجمات المنكرين اليونانيين أقر بأن فى التوراة استحالات وأقر أن فى الانجيل كثيرا من القواعد الأخلاقية التى لايمكن اتباعها حرفيا وازاء ذلك رأى أوريجانس التفريق فى نصوص الكتاب المقدس بين نوعين من الأقوال : أقوال يمكن أن تفسر حرفيا وأخرى يجب أن تؤول باطنيا .

وهذه النزعة الى التأويل لاقت معارضة شديدة بين المسيحيين حتى ان أحدهم ألف كتابا فى خمسة مجلدات ضد الداعين الى التأويل ورغم ذلك استمر أنصار التأويل فى نمو وازدهار وانتشروا فى الغرب المسيحى وقعدوا له القواعد

---

(١) الحركات الباطنية فى العالم الاسلامى للخطيب ص ٢١ .

وعلى رأسهم هيرونيموس الذى وضع قاعدة التأويل الشهيرة[1] ومن هذا العرض لنشوء فكرة التأويل وانتقالها من دين الى دين نصل الى الحقيقة الناصعة وهى أن الفكرة فى أصلها ومنشئها وبدايتها فكرة يونانية ابتدعها فلاسفة اليونان والاغريق وحاولوا جاهدين نقل هذه الفكرة الى اليهود والنصارى عن طريق فيلون اليهودى أو اوريجانس النصرانى اللذين قبلاها ودعيا اليها بحكم مافى التوراة المحرفة والانجيل المحرف من أقاصيص خيالية وأساطير ساذجة .

ان كشف أصل التأويل الباطنى وانه من مخلفات الفلسفة الاغريقية لم يغب عن علمائنا الاجلاء حيث أرجعوا كل فكرة الى أصحابها وكل قول الى قائله وكل بدعة الى مبتدعها وهذا هو العدل فى القول . يقول ابن تيمية رحمه الله بعد ماعرض لمزاعم الباطنية والاسماعيلية عن علم الباطن وانهم أصحابه يقول : ان أخبارهم هذه التى يتبعونها انما هى اتباع للمتفلسفة المشائين التابعين لأرسطو ويريدون أن يجمعوا بين ما أخبر به الرسل ومايقوله هؤلاء كما فعل أصحاب رسائل اخوان الصفا[2] .

وفى موضع آخر يقول : "ان الملاحدة الباطنية ركبوا مذهبهم من قول المجوس واليونان مع ما أظهروه من التشيع"[3] .

وفى موضع آخر يقول : "ان رسائل اخوان الصفا صنفت عند ظهور مذهب الاسماعيلية العبيديين الذين بنوا القاهرة وصنفت

---

(١) انظر مذاهب الاسلاميين ٢/١٠-١٤ .
(٢) سيأتى التعريف بهم ان شاء الله فى التمهيد لأصول الاسماعيلية . والنص هنا من مجموع الفتاوى ٣٥/١٣٣-١٣٤
(٣) بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ١/٣٧٥ .

على مذهبهم الذى ركبوه من قول الفلاسفة اليونان ومجوس الفرس والشيعة من اهل القبلة ولهذا قال العلماء : ان ظاهر مذهبهم الرفض وباطنه الكفر المحض" .(١)

ويقول الشهرستانى : "ان الباطنية القديمة(٢) قد خلطوا كلامهم ببعض كلام الفلاسفة وصنفوا كتبهم على هذا المنهاج" .(٣)

ويقول عطا ملك الجوينى تحت عنوان تقرير مذاهب الباطنية والاسماعيلية انه ظهر بعد الخلفاء الراشدين جماعة لم تأتلف ضمائرهم مع دين الاسلام فقد رسخت عصبية المجوس فى قلوب هذه الطائفة ولكى يشيعوا بين الناس الشك والضلال اذاعوا أقوالا مؤداها ان لظاهر الشريعة باطنا ستر على أكثر الناس ودعموا هذه الأباطيل بالأقوال التى وصلت اليهم عن فلاسفة اليونان كما اقتبسوا بعض المبادىء من مذاهب المجوس"(٤) ولكى تكون هذه الحقيقة التى أثبتها وتوصل اليها علماء أهل السنة عن أصل التأويل الباطنى مسلمة ونتائجها أكثر دقة ننقل نصوصا باطنية من انتاج علمائهم ومفكريهم وكما قيل من فمك أدينك . يقول أحد الباطنية عن التعريف بها : انها مذهب خفى اتخذه أصحابه وقاء من نقمة الحانقين والغوغاء وطوروه على معان خصت بها فئة مختارة من العارفين شرعه اليونانيون القدماء وحصروا أسراره بالمطلعين من النبهاء

---

(١) مجموع الفتاوى ٥٨١/١١ .
(٢) مصطلح يستخدمه الشهرستانى للتمييز بين الباطنية الاسماعيلية فى أول أمرهم وبين دعوة اسماعيلية فارس التى يرأسها الحسن الصباح ويسميها بالدعوة الجديدة . انظر الملل والنحل ١٩٥/١ .
(٣) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٢/١-١٩٣ .
(٤) تاريخ جهانكشاى لعطا ملك الجوينى ص ١٥٠ ضمن كتاب دولة الاسماعيلية فى ايران لمحمد السعيد .

فهو منسوب الى ارسطو وافلاطون واتباع فيثاغورس ...... الى أن يقول : وبعد أن طبقوا هذه المصادر الثلاثة على التعاليم الاسلامية أحاطوه بالحذر والكتمان حتى اليوم ووسيلتهم فى ذلك استعمال ألفاظ واصطلاحات خاصة لايفهم مؤداها الا المؤتمنون على الأسرار حفاظاً على سلامتهم من أهل السنة فيما يذهبون اليه وتسهيلا لبثه دون استثاره . (١)

وفى مقام التبجح والفخر يؤكد باطنى آخر أصل التأويل الباطنى عن طريق المدرسة اليونانية يقول عن ذلك : ان الاسماعيليين من أنجب التلاميذ الذين درسوا الفلسفة اليونانية دراسة واقعية وأخذوا منها الأفكار والنظريات وطبقوها وحوروها فى مجتمعهم وليست جمهورية أفلاطون الا أحد الكتب المفضلة القيمة التى درسوها بعناية وطبقوها بامعان . (٢)

وأخيرا ومما له مدلول أعمق أن الرسالة الباطنية المشهورة بالرسالة الجامعة - وهى من تأليف أحد أئمة الباطنيين - تحيل التأويل الباطنى الى أساسه ومصدره بصراحة واضحة وهم الحكماء والفلاسفة مع تجنب نسبته الى أهل الديانات . (٣)

وبعد ماتقدم من ثبوت التأويل الباطنى وأن مصدره وأساسه فكر يونانى ومن ثم يهودى ونصرانى فهم الذين ابتدعوه وأصلوه ومن ثم نشروه عند سائر الأمم وفى مختلف

---

(١) مذهب الدروز والتوحيد لعبد الله النجار ص ٢٨ .
(٢) كتاب القرامطة لعارف تامر ص ٨٠ .
(٣) انظر الرسالة الجامعة لرسائل اخوان الصفا تحقيق مصطفى غالب ص ١٨،٢٧،٣٦،٣٧،٥١ .

الديانات . يبقى بعد ذلك أن نعلم ونستكشف كيف انتقل هذا الداء والمرض العضال الى جسم الأمة الاسلامية وفكرها مع الجزم واليقين بخلوها منه البتة ابتداء ؟

وللاجابة على ذلك نقول : ان معتقدات السبأية ـ والتى فصلنا القول فيها فى الباب الأول ـ فيها مايثبت هذا الأصل ويدل عليه ويعتبر بداية لتأويل الآيات القرآنية تأويلا باطنيا وهو زعمه برجوع محمد صلى الله عليه وسلم وتقريره لعقيدة الرجعة من خلال تأويله قوله تعالى : {إن الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد}(١) حيث أولها وفسرها برجوع محمد صلى الله عليه وسلم الى الدنيا مرة أخرى . يقول الطبرى بعد ذكره هذه العقيدة واستدلال ابن سبأ عليها : فقبل ذلك عنه ووضع لهم الرجعة فتكلموا فيها(٢) . وعن تبنى ابن سبأ للتأويل يقول البغدادى ودلس ضلالته فى تأويلاته(٣) . ومن جانب آخر فى معتقدات السبأية ما ادعاه ابن سبأ أن عنده وعند اتباعه علم خفى لايعرفه الناس ولم يهتدوا اليه بل انه نسب هذا العلم الباطنى الى على بن أبى طالب فى بعض الأحيان(٤) .

وذكر القاضى عبد الجبار : ان من دعاوى ابن سبأ تظاهره أمام مدعويه بأن أمير المؤمنين يستخصه ويخرج اليه بأسرار ولايخرج بها الى غيره وأمير المؤمنين لايعلم(٥) .

ويقول المستشرق اليهودى جولد تسيهر : وهكذا استطاع

---

(١) سورة القصص : ٨٥

(٢) تاريخ الطبرى ٣٤٠/٤ .

(٣) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٢٥ .

(٤) انظر كتاب عبد الله بن سبأ وأثره فى احداث الفتنة ص ٢٠٦-٢٠٧ .

(٥) تثبيت دلائل النبوة للهمذانى ص ٥٤٦-٥٤٧ .

عبد الله بن سبأ وتلاميذه أن يورثوا الاسلام تركة فيلون اليهودى وذلك فى محاولتهم تفسير القرآن تفسيرا رمزيا بعيدا كل البعد عن معناه الحقيقى .(١)

كما يقول أحد الكتاب المعاصرين عن محاولة ابن سبأ هذه : انها أول تأويل لمعانى القرآن الكريم وبذلك يكون أول واضع هذا المذهب الباطنى بما فيه من قول بالرجعة والذى نشأ عليه مذهب التناسخ وقالت به باقى حركات الغلو الأخرى . ثم يضيف قائلا : ونستطيع أن نقول بعد ذكر هذه العوامل ان الذين جاءوا بعد ابن سبأ ابتداء من المختار(٢) وانتهاء بأبى الخطاب كانوا يسيرون على نفس الدرب الذى وضعه لهم ابن سبأ فى تحريف وتأويل شرائع الاسلام وليس مستغربا بعد ذلك أن تسير الباطنية الاسماعيلية على نفس هذه الطريقة المؤدية الى تطبيق الفلسفة الأفلاطونية الحديثة على من يريد الاندماج بها .(٣)

ولنا بعد هذه النصوص أن نقول بجزم ويقين أن التأويل الباطنى كان بدايته وانتشاره ومن ثم تغلغله الى مجتمع المسلمين على النحو التالى :

(١) ابتدعه فلاسفة اليونان القدامى للتحرر من قيد النصوص لديهم .

(٢) انتقل بعد ذلك الى اليهود عن طريق فيلون اليهودى

---

(١) كتاب العقيدة والشريعة لجولد تسيهر ص ١٥٦ .
(٢) هو المختار بن أبى عبيد الثقفى كان فى أول أمره خارجيا . ثم صار زبيريا . ثم صار شيعيا وكيسانيا قال بامامة محمد بن الحنفية ولما وقف محمد بن الحنفية على ترهاته وأباطيله تبرأ منه .
انظر الملل والنحل للشهرستانى ١٤٧/١-١٤٨ .
(٣) الحركات الباطنية فى العالم الاسلامى للخطيب ص ٣٢-٣٣ .

المتأثر بالفلسفة اليونانية مبررا ذلك ـ حسب زعمه ـ بالدفاع عن نصوص التوراة .

(٣) سرى هذا الداء الى النصرانية عن طريق اوريجانس الذى تأثر خصوصا بفيلون وأول نصوص الانجيل للدفاع عنها زاعما نفس الحجة التى ادعاها فيلون من قبله .

ومن الملاحظ أن مزاعمهما ـ ان صدقا فى ذلك ـ مبنية على انحراف سابق من أنفسهم وهو تحريفهم للتوراة والانجيل بحيث وضعوا فيهما القصص والأساطير الساذجة التى بررت لليونانيين التهجم عليهما ومحاولة تأويل بعض نصوصهما . أما كتاب الله عز وجل الذى أنزله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فلامجال فيه لشىء من تلك الدعاوى والتبريرات الزائفة البته حيث تكفل الله بحفظه وصيانته من عبث العابثين وتحريف المحرفين كما قال تعالى : {انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون}(١) فلامكان مع ذلك ولله الحمد عند المسلمين لطاعن أو متهجم أو مؤول . ومن هنا نجد ونلمس ان دخول التأويل الباطنى الى المجتمع الاسلامى يختلف عن دخوله لدى الديانات السابقة .

(٤) حيث ينفذ فى ظروف مريبة ويتدسس بخفية تحت شعارات متعددة تارة بالعلم الخفى وتارة بخصوصيات آل البيت وتارة بالتدليل على رجعة النبى صلى الله عليه وسلم وعلى بن أبى طالب وكان ذلك على يد اليهودى ابن سبأ المتظاهر نفاقا بالاسلام وحب آل البيت .

---

(١) سورة الحجر : ٩

(٥) ثم بعد ذلك انتقل هذا الداء من السبأية الى الفرق الغالية التى تتظاهر بالتشيع وموالاة آل البيت فما من فرقة من فرق الغلاة الا كان التأويل الباطنى وسيلة مهمة من وسائل انتشارها وذيوعها ومحاولة تبرير باطلها والتدليل عليه (١).

---

(١) ان فرق الغلاة كلهم مجمعون على القول بالتأويل الباطنى وهذا ليس مصادفة بل منهج ووسيلة من وسائل هذه الفرق لنشر باطلها وتأصيل معتقداتها ومع التتبع لكتب المقالات والفرق نجد أن التأويل الباطن سمة بارزة وأصل متفق عليه عند فرق الغلو بلااستثناء وللتدليل على هذه الحقيقة نشير الى نماذج من هذه الفرق .
فالسبأية أولوا الآيات القرآنية حسب أهوائهم ومعتقداتهم . وكما نقل عن زعيمهم ابن سبأ تأويله لقوله تعالى : {ان الذى فرض عليك القرآن لرادك الى معاد} . القصص : ٨٥ بأن هذه الآية تدل على أن محمدا سيرجع الى الحياة الدنيا وكان يقول لعجب ممن يزعم أن عيسى يرجع ويكذب بأن محمدا يرجع ويستدل بهذه الآية .
والبيانية قالوا بالتأويل الباطنى فأول زعيمهم بيان ابن سمعان قوله تعالى : {هذا بيان للناس وهدى وموعظة للمتقين} آل عمران : ١٣٨ بأنه هو البيان وهو الهدى والموعظة وقال ان الله رجل من نور يفنى كله الا وجهه مؤولا قوله تعالى : {كل شىء هالك الا وجهه} آخر سورة القصص .
وقال بالتأويل الباطنى بعد ذلك فرقتا الهاشمية والكيسانية وهما من فرق الغلاة واشتهرا بادعاء علم الباطن والأسرار . يقول الشهرستانى عن الأولى : انهم قالوا ان لكل ظاهر باطن ولكل شخص روح ولكل تنزيل تأويل ولكل مقال فى هذا العالم حقيقة فى ذلك العالم والمنتشر فى الافاق من الحكم والأسرار يجتمع فى الشخص الانسانى وهو العلم الذى استأثر على رضى الله عنه به ابنه محمد بن الحنفية وأفضى بذلك السر من بعده الى ابنه أبى هاشم وكل من اجتمع فيه هذا العلم فهو الامام حقا . الملل والنحل ١/١٥٠-١٥١ .
وعن الثانية يقول : انهم أصحاب كيسان يعتقدون فيه اعتقادا فوق حده ودرجته من احاطته بالعلوم كلها واقتباسه من السيدين الأسرار بجملتها من علم التأويل والباطن وعلم الافاق والأنفس . المرجع السابق ص ١٤٧ .
سرى هذا المرض مسلسلا فى فرق الغلاة حتى ظهر أبو الخطاب وجاهر به ولذا اشتهرت فرقة الخطابية فيه ومن تأويلاتهم مازعموا بأن المراد من قوله تعالى :{يريد الله أن يخفف عنكم} النساء : ٢٨ بأنه أبو الخطاب =

(٦) كان من نتائج غلو الغلاة وآثارهم الخطيرة أن تبلورت حركة كبيرة جمعت شتاتهم وحاولت توحيد هدفهم تحت مسمى الباطنية وهي التي أصلت هذا الفكر الدخيل الوافد ووضعت له منهجا ولذا أصبح علما عليها ولقبا من ألقابها المشهورة .

يقول الامام الغزالي عن سبب تلقيبهم بالباطنية :
"وأما الباطنية فانما لقبوا بها لدعواهم ان لظواهر القرآن والأخبار بواطن تجرى مجرى اللب من القشر وانها بصورها توهم عند الجهال الأغبياء صورا جلية وهى عند العقلاء والأذكياء رموز واشارات الى حقائق معينة " (١) .

(د) زعماء الباطنية :

ان دعوة الباطنية لم تكن عملا فرديا قام به شخص واحد وانتهى بنهايته وانما كانت دعوة جماعية نشأت وظهرت بعد أن نظمت مبادؤها ونشاطها على يد جماعة من الشوريين الملاحدة (٢) .

= خفف عنهم التكاليف الشرعية حيث دانو بترك الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها .
ومن بعد الخطابية انتقل التاويل الى فرق الباطنية التى اشتهرت به وأكثروا منه حتى لقبوا به .
وللتفصيل عن سريان هذا المرض وانتقاله من فرقة الى أخرى ابتداء من السبأية الى الاسماعيلية يرجع الى كتاب الغلو والفرق الغالية ص ١٥٢-١٥٥ ومن كتب المتقدمين مقالات الاسلاميين للأشعرى ١/٧٨-٧٩ ، الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٢٧ ، الملل والنحل للشهرستانى ١/١٨٠ وغيرها من كتب المقالات والفرق .

(١) فضائح الباطنية للغزالى ص ١١ .

(٢) وهم ميمون القداح وابنه عبد الله وأحمد بن الحسين والدندانى . وسبق تفصيل ذلك عند الحديث عن بداية الباطنية .

وقد اشتهر من هؤلاء شخصيتان باطنيتان - دارت حولهما معظم الروايات التى تتحدث عن ظهور الحركة الباطنية وانتشار مبادئها - وهما ميمون القداح وابنه عبد الله بن ميمون ولذا فان الحديث عن زعماء الباطنية انما يكون متعلقا بهاتين الشخصيتين لأنهما من أهم شخصيات الدعوة وأبرزها كما انهما من ألمق الأشخاص بزعماء الاسماعيلية وأئمتها . ومن خلال مانقله لنا علماء الفرق والمقالات عن هاتين الشخصيتين وبيان حقيقتهما (١) نصل الى نتائج تعطى صورة واضحة وكاشفة لحياة ميمون وابنه ومايحملانه من حقد وكراهية بل وتدمير للاسلام وأهله .

ومن أقدم الروايات ماذكره ابن رزام ونقلها عنه ابن النديم فى الفهرست قال : ان عبد الله بن ميمون ويعرف بالقداح كان من أهل قرية قريبة من الأهواز وأبوه ميمون الذى تنسب اليه الفرقة الميمونية التى اتبعت أبا الخطاب مدعى الهية على بن أبى طالب وكان ميمون وابنه عبد الله ديصانيين (٢) وادعى الابن أنه نبى وكان يظهر الشعابيذ ويذكر أن الأرض تطوى له ويدعى علم الغيب حيث يخبر بالأحداث الكائنات فى البلدان الشاسعة وكان له مرتبون فى مواضع يرغبهم ويحسن اليهم ويعاونون على نواميسه وقد تنقل عبد الله فنزل عسكرمكرم ثم طرد منها فهرب الى موضع يعرف

---

(١) يلاحظ على روايات أهل الفرق والمقالات من علماء المسلمين أنها تتحدث عن الشخصيتين معا لما بينهما من تداخل واشتراك فى المعتقدات والأهداف وسرت على هذا المنهج .

(٢) نسبة الى فرقة مجوسية تسمى الديصانية وهى من فرق الثنوية القائلين بأصلين وسميت بذلك نسبة الى مؤسسها ديصان .

بساباط أبى نوح وبنى له فيها دارين ولكنه افتضح أمره وفر هاربا وصار الى البصرة ولكنه كبس هنالك ثم هرب أخيرا الى سلميه وبث الدعاة الى سواد الكوفة وكان ممن أجابه الى دعوته حمدان بن الاشعث الملقب بقرمط ونصب له عبد الله بن ميمون رجلا من ولده يكاتبه من الطالقان وذلك سنة ٢٦١هـ ثم مات عبد الله وخلفه أبناؤه حتى جاء سعيد الذى أسس الدولة الفاطمية ونشر الدعوة ولم يزل عبد الله وولده من بعده يدعون انهم من ولد عقيل .(١)

ويزيد المقريزى على ابن النديم قوله عن عبد الله بن ميمون : انه كان أخبث من أبيه وأعلم بالحيل حيث عمل أبوابا عظيمة من المكر والخديعة على بطلان الاسلام وكان عارفا وعالما بجميع الشرائع والسنن وجميع علوم المذاهب كلها فرتب ماجعله من المكر فى سبع دعوات يتدرج الانسان من واحدة الى أخرى حتى ينتهى الى الأخيرة فيبقى معرا من جميع الأديان لايعتقد غير التعطيل والاباحة ولايرجو ثوابا ولايخشى عقابا .

ويزعم انه بهذا على هدى هو وأهل مذهبه وغيرهم ضال مغفل . وكان عبد الله بن ميمون يريد بهذا فى الباطن أن يجعل المخدوعين أمة له يستمد من أموالهم بالمكر والخديعة وأما فى الظاهر فانه يدعو الى الامام من آل البيت ليجمع الناس بهذه الحيلة . وكان يتستر بالتشيع والعلم وصار له دعاة وظهر ماهو عليه من التعطيل والاباحة والمكر والخديعة

---

(١) الفهرست لابن النديم ص ٢٣٨ .

فثارت به الشيعة والمعتزلة وكبسوا داره ففر الى البصرة ومعه رجل من أصحابه يعرف بالحسين الأهوازى فادعى أنه من ولد عقيل بن أبى طالب وأنه يدعو الى محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق ثم اشتهر خبره فطلبه العسكريون فهرب هو والحسين الأهوازى الى سلمية من أرض الشام ليخفى أمره بها فولد له بها ابن يقال له أحمد (١) .

ويشير المؤرخ ابن الأثير الى الاتفاق بين ميمون القداح وأبو الخطاب على وضع الأحاديث الكاذبة وتشكيك المسلمين فى دينهم ويلقب ميمون بأبى شاكر ويثبت أن له كتابا فى نصرة الزندقة واسمه الميزان ثم يذكر بعضا من معتقدات الباطنية التى تولى نشرها أبو الخطاب وميمون القداح . أما ابنه عبد الله فيقول عنه : ان أباه علمه الحيل وأطلعه على أسرار هذه النحلة فحذق وتقدم واتصل برجل من أصبهان يلقب بدندان وكان هذا الرجل يبغض العرب ويجمع مساويهم وقد أصبح من الدعاة الى المذهب حيث سيره عبد الله بن ميمون الى الأهواز والبصرة والكوفة لبث الدعوة ونشرها هنالك (٢) .

أما أصل أسرة القداح التى ينتمى اليها ميمون بن ديصان وابنه عبد الله فهذا مما أوضحه الباقلانى بقوله : "ان القداح جد عبيد الله كان مجوسيا ودخل عبيد الله المغرب وادعى انه علوى ولم يعرفه أحد من علماء النسب وكان باطنيا خبيثا حريصا على ازالة ملة الاسلام وكان القداح

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزى ١/٢٤-٢٥ .
(٢) الكامل فى التاريخ لابن الأثير ١٢٦/٦ .

كاذبا ممخرقا وهو أصل دعاة القرامطة " (١) .

كما يؤكد البغدادى مجوسية ميمون القداح أيضا ويقول : "ان غرض الباطنية الدعوة الى دين المجوس بالتأويلات التى يتأولون عليها القرآن والسنة والدليل على ذلك أن زعيمهم الأول ميمون بن ديصان كان مجوسيا من سبى الأهواز ودعا ابنه عبد الله بن ميمون الناس الى دين أبيه " (٢) .

ومما أكده أهل السنة أيضا صلة القداحيين باليهود نسبا ودينا . يقول الحمادى : "ان عبد الله بن ميمون يعتقد اليهودية ويظهر الاسلام وهو من اليهود من ولد الشلعلع بل انه من أحبارهم وأهل الفلسفة الذين عرفوا جميع المذاهب وكان صائغا يخدم شيعة اسماعيل بن جعفر الصادق" (٣) .

وحتى علماء المعتزلة يؤكدون هذه الصلة فمما قاله الهمذانى : "ان جد القداحيين يهودى حداد كان يقيم فى سلمية من أرض الشام" . ثم يذكر الهمذانى مدخلا عجيبا تمكن هذا اليهودى من خلاله الادعاء الى آل البيت وهو : ان والدة هذا اليهودى مات عنها زوجها وتزوجت بعده برجل اسمه الحسين من آل البيت وأنه أحب هذا الولد لما فيه من ذكاء وفطنة وتولى تربيته وعرفه أسرار الدعوة ورجالها وظهر كأحد أبنائه ثم ورث ادعاءاته للامامة (٤) .

ونقل ابن شداد عن جماعة من العلماء مايثبت أن أصل الأسرة يهودى وقال ان نسبهم معروف فى اليهودية (٥) .

---

(١) انظر الحاكم بأمر الله لمحمد عبد الله عنان ص ٥١ .
(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٧٧ .
(٣) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١٧ .
(٤) تثبيت دلائل النبوة للهمذانى ٥٩٧/٢ .
(٥) الكامل لابن الأثير ١٢٥/٦ .

وبناء على هذه النصوص فان عبد الله بن ميمون ابن لرجل يهودى فى نسبه وتزوجت أمه بعد وفاة زوجها بأحد الأشراف العلويين وربى هذا الغلام فلما كبر ادعى لنفسه نسبا علويا ودعا الناس اليه واصبح أساسا لأئمة الدولة الفاطمية وينبغى بعد ذلك تسمية هذه الدولة بالعبيدية نسبة الى مؤسسها الحقيقى بدلا من تسميتها بالدولة الفاطمية وعلى ذلك جمع من المحققين كابن تيمية (١) والذهبى (٢) وابن خلكان (٣) والباقلانى (٤)

---

(١) ذكر ابن تيمية رأيه فى نسبهم فى عدد من المواضع وذلك كمجموع الفتاوى ١٦٢/٤، ٣٢٠ وكذلك فى ١٢٠/٣٥-١٢٩ ، ٤٨٣/٢٨ ، ٩٤/٣١ وفى جميع هذه المواضع يطلق عليهم العبيديين أو بنى عبيد بدل الفاطميين وذلك لأنه رحمه الله ثبت لديه عدم صحة انتسابهم الى فاطمة رضى الله عنها .

(٢) وذلك فى سفره العظيم سير أعلام النبلاء فانه يطلق عليهم العبيديين كما يطلق على كل امام من أئمتهم العبيدى بدل الفاطمى ابتداء من عبيد الله المهدى حتى العاضد آخرهم . وينقل أقوال المؤرخين فى نسبهم ويقول بعد ذلك مرجحا : والمحققون على أن عبيد الله دعى لانسب له ويستدل على ذلك بحادثة ابن طباطبا مع المعز ثم يقول : وقد صنف الباقلانى وغيره من الأئمة فى هتك مقالات العبيدية وبطلان نسبهم فهذا نسبهم وهذه نحلتهم .
انظر سير أعلام النبلاء للذهبى ١٤١/١٥-٢١٥ وفى ص ١٥١ بعد سرد الأقوال فى نسب العبيديين وصل الى القول : بأن فى نسب عبيد الله المهدى اقوال حاصلها انه ليس بهاشمى ولافاطمى . ثم نقل قول القاضى : ان علماء القيروان أجمعوا على أن حال بنى عبيد حال المرتدين والزنادقة . ثم فى ص ٢١٣ نقل قول أبى شامة قوله عن الفاطميين : انهم يدعون الشرف ونسبتهم الى مجوسى أو يهودى حتى اشتهر لهم ذلك وقيل الدولة العلوية والدولة الفاطمية وانما هى الدولة اليهودية أو المجوسية الملحدة الباطنية .

(٣) وذلك فى كتابه وفيات الأعيان ١١٧/٣-١١٩ .

(٤) وذلك فى كتابه كشف أسرار الباطنية المفقود ولكن أشار اليه عدد من العلماء ونقلوا منه وذلك كابن تيمية فى مجموع الفتاوى ١٢٩/٣٥ وسماه كشف الأسرار وهتك الأستار والذهبى فى كتابه سير أعلام النبلاء ٢١٣/١٥ .

والاسفرائينى[1] وقبلهم جميعا الشريف العلوى الملقب بأخى محسن[2]

ومن آكد وأجمع مانقل عن هؤلاء العلماء فى هذه المسألة قول الامام ابن تيمية : "ان جمهور الأمة تطعن فى نسبهم ويذكرون انهم من أولاد المجوس أو اليهود وهذا مشهور من شهادة علماء الطوائف من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وأهل الحديث وأهل الكلام وعلماء النسب والعامة وغيرهم[3] .

ومما لفت نظر أهل السنة مكانة اليهود غير المعتادة والتى تمتعوا بها ابان حكم بنى عبيد ويقول الحمادى عن ذلك والدليل على أن آل القداح من ولد اليهود استعمالهم اليهود فى الوزارة والرياسة وتفويضهم اليهم تدبير السياسة ومازالوا يحكمون اليهود فى دماء المسلمين وأموالهم وذلك مشهور عنهم يشهد بذلك كل أحد[4] .

ولما لعبد الله بن ميمون من دور كبير فى حركة الباطنية فقد اعتبره ابن الجوزى الرأس الحقيقى للباطنية وذكر بعض صفاته وادعاءاته يقول : وجعل للباطنية رأس يعرف بعبد الله بن ميمون بن عمرو ويقال : ابن ديصان القداح الأهوازى وكان مشعبذا ممخرقا ومعظم مخرقته باظهار الزهد

---

(١) وذلك مبسوط فى كتابه الأوسط حيث قال شرحنا أديان الباطنية فى هذا الكتاب وهو من الكتب الثابتة ولكنه مفقود . انظر كتابه الثانى التبصير فى الدين ص ١٤ حيث أشار اليه وفى ص ٨٣ نقل منه قوله : ان ميمون بن ديصان قصد ناحية المغرب وانتسب الى عقيل بن أبى طالب فلما أجابته جماعة ادعى أنه من أولاد محمد بن اسماعيل ابن جعفر الصادق فقبله منه جماعة من الجهال الذين لم يعلموا أن محمد بن اسماعيل خرج من الدنيا ولم يعقب وهذا شىء قد اتفق عليه النسابة .

(٢) انظر اتعاظ الحنفا للمقريزى ٢٢/١ .

(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٢٨/٣٥ .

(٤) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١٩-٢٠ .

والورع ويزعم أن الأرض تطوى له ويخبر عن الأباعد بحيلة ابتدعها حيث نظم أصحابه وبعثهم الى الأطراف وأمرهم أن يكتبوا له ويرسلوا هذه الأخبار بواسطة الطيور ثم يحدث الناس بذلك فتقوى شبههم .(١)

ويذكر القاضي عبد الجبار حادثة الرجل الأصفهاني وفضيحته للباطنيين وائمة العبيديين وذلك بكشف بعض أسرارهم ومن ضمنها أن عبد الله بن ميمون ومحمد بن الحسين احتالا على المسلمين وتسترا بالتشيع والدعوة الى المهدى وحينما تمكنا مع اتباعهم أظهروا تكذيب الأنبياء وتعطيل الشرائع وقتلوا المسلمين .(٢)

وينفرد الطوسي ببيان صلة عبد الله بن ميمون بشخص اسمه مبارك وان ابن ميمون اختلى به مرات وبالتالي أثر في أفكاره حتى انخدع مبارك به وحدثه بأحاديث مستعجمة على لسان الأئمة اختلطت بكلام الدهريين وألفاظ الفلاسفة وبعد ذلك تفرقا للدعوة الى مذهب الباطنية أما مبارك فقصد الكوفة . واما عبد الله بن ميمون فأخذ يدعو الناس الى هذا المذهب في قوهستان العراق . ويذكر الطوسي أن من صفات ابن ميمون : انه مشعوذ ماهر حاذق .(٣)

كما ينفرد الديلمي بقوله عن ميمون القداح أنه أسلم على يد الصادق وانه غير اسمه ولقب بالقداح ويقول عن ابنه عبد الله : انه ادعى النبوة زمنا طويلا في الجبال وخراسان وكان يظهر التشيع وله صاحب يعرف بالحسين الأهوازي .

---

(١) القرامطة لابن الجوزي ص ٧١ .
(٢) تثبيت دلائل النبوة للهمذاني ٢/٣٨٦ .
(٣) سياسة نامة للطوسي ص ٢٥٨-٢٥٩-٢٧٠ .

وانتشرت دعوة القرامطة على يد أحد أبنائه وان العبيديين حكام مصر يعتبرون من أولاده (١) .

ان هذه النصوص غيض من فيض وقليل من كثير عن هاتين الشخصيتين الباطنيتين ونستخلص منها الحقائق التالية :

الحقيقة الأولى : انهما شخصيتان حقيقيتان كانا لهما دور بارز فى ظهور الحركة الباطنية ونشر آراء ومعتقدات الاسماعيلية وهذه حقيقة لم يخالف فيها الا القليل حيث ذهب بعض المستشرقين وأحد المعاصرين الى أن ميمون القداح وابنه عبد الله ماهما الا شخصيتان أسطوريتان لاحقيقة لوجودهما ولاتعدو شهرتهما سوى أسماء مستعارة لبعض الأئمة (٢) .

ومع شذوذ هذا الرأى فهو بعيد عن الأدلة والواقع . وسبق أن قدمنا جمع من نصوص أهل السنة وبعض الشيعة على بيان دورهما فى الدعوة الى مذهب الباطنية والاسماعيلية وانهما أشخاص حقيقيون قاموا بأعمال معينة وأدوار متعددة فى نشر آرائهما الباطنية وحتى مصادر الاسماعيلية تحدثت عنهما كأشخاص حقيقيين كان لهما الدور الأكبر مع الأئمة وعن ذلك يقول صاحب زهر المعانى : وأوصى اسماعيل والده الصادق أن يقيم لولده حجبا ومستودعا فسلمه أعنى مولانا محمد بن اسماعيل الى ميمون بن غيلان بن بيدر بن مهران بن سلمان الفارسى فرباه وأخفى شخصه وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح وهو كفيل له ومستودع أمره وميمون من أولاد سلمان وسلمان من أولاد اسحاق بن يعقوب أهل الاستيداع والقائمين

---

(١) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى ص ٢٠-٢١ .
(٢) القرامطة لعارف تامر ص ١٠٨ .

بالبلاغ والابلاغ .[1]

وبالنسبة لعبد الله بن ميمون فذكره الداعى الاسماعيلى بقوله : انه لما قام أول الائمة المستورين الثلاثة وهو عبد الله الرضى وتسلم الرتبة من والده كتم نفسه وستر حجبه وحدوده فكان حجته وحجابه عبد الله بن ميمون ... ثم تحدث هذا الداعى باسهاب عن هذا الامام المستور الى أن قال : فلما تمت مدته وتمت دعوته أقام ولده أحمد التقى وصعد الى المقامات الشريفة التى هى فى عالم الملكوت ترتقى فقام الامام أحمد بن عبد الله التقى مقامه وهو الثانى من الخلفاء وحجته عبد الله بن ميمون .[2]

اضافة الى ذلك فقد نقل المستشرق برنارد لويس بعضا من نصوص الاسماعيلية التى تدل دلالة واضحة وقوية على حقيقة ميمون وابنه عبد الله وانهما شخصان حقيقيان قاما بدور كبير فى نشر المذهب الاسماعيلى وخدمة أئمته .[3]

والحقيقة ان هذا الرأى مما شذ به عارف تامر وأمثاله من بعض المستشرقين كايفانوف . ولذا فقد رد عليه وعلى من يشاركه فى رأيه كاتب اسماعيلى معاصر وبين أن هذه مزاعم لادليل عليها وترجم لكل من ميمون القداح وابنه عبد الله واستدل على ذلك بالمصادر الاسماعيلية القديمة التى تذكر أن ميمونا من نسل سلمان الفارسى ومحمد بن اسماعيل من نسل على ابن أبى طالب .[4]

---

(١) مخطوطة زهر المعانى للداعى ادريس ص ٤٧ .
(٢) انظر مخطوطة زهر المعانى للداعى ادريس ورقة ٥٨-٥٩-٦٠ .
(٣) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١٥١-١٥٢ .
(٤) أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٣٤٥، ٥٥٩، ٥٦٠ .

وفى موضع آخر ناقش هذا الكاتب عارف تامر واعتبر رأيه أسطورة وخرافة وبين تناقضه العجيب فى كتاباته ومؤلفاته التى يذكر فى بعضها ميمون القداح وابنه عبدالله أكثر من مرة ويعتبرهما من الدعاة الأفذاذ والحجج الكبار للأئمة (١) وفى البعض الآخر يقول عنهما انهما شخصيتان اسطوريتان (٢) ويخلص الكاتب الاسماعيلى الى أن رأى تامر هذا من الأساطير الخيالية التى لاتستحق الجدل والمناقشة لتفاهتها وتناقضها مع الوقائع والحقائق التاريخية التى أوردها تامر نفسه فى أكثر من مناسبة تحدث فيها عن أسرة ميمون القداح (٣) .

<u>الحقيقة الثانية</u> : ان لميمون القداح وابنه عبد الله دورا كبيرا فى ظهور الحركة الباطنية والدعوة الى مبادئها المنحرفة وقد أكد ذلك كل من البغدادى والسمعانى والحمادى والجوينى وابن النديم (٤) .

وحينما ترجم لهما غالب نوه بالدور الكبير الذى قام به كل منهما ومما قاله عن ميمون : أنه وضع أسس وتنظيمات الدعوة السرية ووزع الدعاة على مختلف البلدان والأقاليم ... وعلى يده ازدهر المذهب الاسماعيلى ازدهارا عظيما ...

ثم يضيف قائلا أن الاسماعيليين يعتبرونه بحق أول من وضع أسس وتنظيمات دعوتهم (٥) ومما قاله عن عبد الله بن ميمون :

---

(١) انظر مقدمة كتاب عبقرية الفاطميين ص ١٤-١٥ لعارف تامر ، مقدمة كتاب الهفت والأظله ص ١٦-١٧ لعارف تامر.
(٢) كتاب القرامطة لعارف تامر ص ١٠٨ .
(٣) كتاب الحركات الباطنية لمصطفى غالب ص ٩٠-٩٢ .
(٤) انظر بالتفصيل عن جهودهما ونشر مبادئهما الكتب الآتية الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٦٦ ، الأنساب للسمعانى ورقة ٤٤٨ ، كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١٦ ، تاريخ جهانكشاى لعطا ملك الجوينى ص ١٥٩ ، الفهرست لابن النديم ص ٢٧٨ .
(٥) أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٥٦٠-٥٦١ .

انه من أعظم منظمى أصول المذهب الاسماعيلى ومن أهم الشخصيات العلمية الفلسفية فى عصره لعب دورا هاما فى تكوين عقائد الاسماعيلية وتنظيماتها السرية (١) .

ويصف المستشرق أرنولد نشاطه بقوله : وكان عبد الله ابن ميمون هو الذى بعث فى أوائل القرن التاسع الميلادى روحا جديدة فى نفوس الاسماعيلية ونشر تعاليم مذهبهم ... وقد أنفذ دعاته فى كل الجهات متنكرين فى زى الصوفيين غالبا أو فى زى التجار وغير ذلك وقد مرنوا على أن يستحوذوا على عقول الناس جميعا وأن يجذبوا جميع الطبقات الى رئيس الدعوة الاسماعيلية وأن يستخدموا تعاليمهم عن طريق التفاهم مع كل فرد بلغته الخاصة وعلى مقدار عقله (٢) .

وهكذا نجد أن نشاط الباطنية لم يظهر بشكل منظم ومرسوم الا على يد ميمون القداح الذى أجمعت كل كتب الفرق والملل والنحل ان هذا الرجل هو المؤسس الحقيقى لهذه الطائفة حيث نظم هذه الحركة وعلم دعاتها وأرسلهم الى الأقطار المختلفة لنشر مبادىء الباطنية وتعاليمها (٣) .

الحقيقة الثالثة :أن عبد الله بن ميمون فارسى أهوازى ينسب الى الأهواز حيث موطن أسرته ولذا يقال عنه الأهوازى أما نسبته الى مكة وتلقيبه بالمكى فهى نسبة خاطئة أوقعت بعضا من الكتاب فى الخطأ والخلط بين شخصيتين متفاوتتين أهدافا وتاريخا وعقيدة وبيان ذلك : ان بعض الكتاب المستشرقين من أمثال ايفانوف وبرنارد لويس اعتبروا

---

(١) المرجع السابق ص ٣٤٥ .
(٢) الدعوة الى الاسلام لأرنولد ص ٢٤١ .
(٣) مقدمة مشكاة الأنوار للجليند ص ٧ .

عبد الله بن ميمون الأهوازى سكنا الباطنى مذهبا هو نفس عبد الله بن ميمون المكى المحدث عند الشيعة الاثنى عشرية وتابعهم على ذلك النشار حيث يقول : ومن العجب أن يأتى الذهبى فى ميزان الاعتدال – وهو من كتب نقد الرجال – فيذكر عبد الله بن ميمون القداح المكى وانه كان مولى لجعفر الصادق وانه كان محدثا موثوقا به فى كثير من روايات الحديث ويذكر الذهبى أسماء بعض من رووا عنه الحديث فهل جدث هذا فى حياة جعفر وقبل أن يتحول الرجل من عقيدته الامامية الى الاسماعيلية (١) ؟

أما لويس فيقول فى معرض حديثه عن الأهوازى الذى لقبه بالمكى : انه محدث (أى الأهوازى) وانه مولى لجعفر . ونسب هذا القول الى الامام الذهبى بل ان هذا المستشرق حاول أن يحسن صورة عبد الله بن ميمون عند أهل السنة وانهم متناقضون فى الحكم عليه فزعم : ان الذهبى اقتبس آراء مختلفة توثقه فى رواية الحديث وتجعله حجة وانه – أى الذهبى – سطر أسماء أشخاص كثيرين رووا عنه (٢) . ثم فى آخر حديثه عن عبد الله بن ميمون يحكم على روايات أهل السنة بالاضطراب الظاهر ومنافاة أغلب الروايات (٣) .

أما المستشرق الروسى ايفانوف فنقل فى كتابه (المؤسس المزعوم للاسماعيلية) ان عبد الله بن ميمون ورد فى كتب أهل السنة من المحدثين كالذهبى وابن حجر وابن النجار ولم تنسب

---

(١) نشأة الفكر الفلسفى ٤٠١/٢ .
(٢) لفضح برنارد لويس وبيان كذبه وتلبيسه ينظر كلام الذهبى ومانقله عن علماء الجرح والتعديل حول عبد الله بن ميمون فى كتابه ميزان الاعتدال ٥١٢/٢ ومن خلاله يتضح أن الشخص الذى تحدث عنه الذهبى غير الشخص الذى قصده لويس وان اتفقا فى الاسم واللقب .
(٣) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١٤١،١٤٣ .

اليه تهمة الالحاد .[1]

والواقع أن خلطهم هذا وزعمهم يرجع الى أمرين :

(١) المحاولة الجادة منهم لتبرئة عبد الله بن ميمون الأهوازى مما اشتهر به من الالحاد والزندقة ونشر مذاهب الثنوية والمجوسية والباطنية وهذا واضح من قول لويس: ان كثيرا من أحكام المصادر السنية خاطئة فى ميمون القداح وابنه عبد الله وانهما كانا فى مستهل حياتهما محدثين شيعيين موثقين معروفين ولم يكونا ديصانيين ثنويين أو ماشابه ذلك .[2]

وأما ايفانوف فأوضح هذا الهدف بنفيه تهمة الالحاد عن عبد الله بن ميمون مادام ان اسمه ورد عند بعض أهل السنة ولم يصفوه بذلك . ومما اشتهر به هذا المستشرق نشر تراث الاسماعيلية واظهار زعماءها وأئمتها بمظهر المدح والثناء فهو كما قال عنه النشار : انه يقف دائما بجوار الفكرة الاسماعيلية ويجعل نفسه أسيرا لها ولايرى سواها .[3]

أما النشار فيقول عن روايات أهل السنة عن عبد الله ابن ميمون انه ينبغى أن تؤخذ بحذر لأنها - كما زعم - متناقضة أو لاتدرك أن الرجل كان اماميا ثم تحول الى العقيدة الاسماعيلية أو الى الغلاة .[4]

(٢) مما ساعدهم على تأكيد هدفهم وتثبيته الذى ذكرناه آنفا الاشتراك اللفظى لاسم كل واحد من الشخصيتين حيث

---

(١) نشأة الفكر الفلسفى للنشار ٣٨١/٢-٣٨٢ .
(٢) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١٤٩ .
(٣) نشأة الفكر الفلسفى ٣٨٢/٢ .
(٤) المرجع السابق ص ٣٩٩-٤٠١ .

انهما يسميان بعبد الله بن ميمون القداح فهو اسم كما يبدو من لفظه ينطبق على شخص واحد وان كان فى حقيقة الأمر يطلق على شخصين والحقيقة أن الفرق بينهما واضح من جوانب متعددة :

الجانب الأول : اختلاف المنهج والفكر لكل واحد منهما فعبد الله بن ميمون القداح المكى يعتبر محدثا عند الشيعة الامامية ولكنه واه عند أهل السنة وجميع ماورد فى كتب الرجال عند أهل السنة انما ينصرف الى هذا الرجل (١) . أما عبد الله بن ميمون القداح الأهوازى فهو عند أهل السنة ثنوى باطنى اسماعيلى جند نفسه لنشر الأفكار الباطنية والدعوة اليها وهذا واضح من تقرير علماء الفرق والتاريخ كالذهبى والمقريزى والنويرى وابن النديم والبغدادى والاسفرائينى والحمادى (٢) .

الجانب الثاني : أوضح علماء النسب فرقا بينهما يتمثل فى لقب القداحية وحينما تحدث ابن الأثير عن هذا اللقب أورد عددا ممن لقبوا به (٣) ولدقته فى التفريق بين الأشخاص الذين لقبوا به نسب الأهوازى اليه فقال "القداحى" بالياء وقال ان

---

(١) انظر على سبيل المثال ميزان الاعتدال للذهبى ٥١٢/٢ ، تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلانى ٤٩/٦ .

(٢) انظر سير أعلام النبلاء للذهبى ١٤٢/١٥-١٤٤ ، اتعاظ الحنفا للمقريزى ٣٠/١-٣٣ ، وكذلك الخطط المقريزية ٣٤٨/١ ، الفهرست لابن النديم ص ٣٦٤-٣٦٥ ، نهاية الارب للنويرى ١٨٩/٢٥ ، الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٧٧ ، التبصير فى الدين للاسفرائينى ص ٨٣ فما بعد ، كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١٦-٢٠ .

(٣) هذا اللقب نسبة الى مهنة قداحة العيون وتطبيبها وجميع من يشتغل بذلك يطلق عليه هذا اللقب .

هذه نسبة الى عبد الله بن ميمون الأهوازى الذى ينتسب الى طائفة الباطنية ونسب المكى الى هذه المهنة ولكنه قال ان لقبه "القداح" بدون ياء النسبة ثم قال ان هذا اللقب نسبة الى عبد الله بن ميمون القداح الذى يروى عن جعفر بن محمد ابن طلحة بن عمرو وغيره المقلوبات (١) .

الجانب الثالث : هناك فترة زمنية ليست بالقليلة بين حياة هذين الرجلين وهى فرق واضح بينهما تجعل من الصعب الاعتذار عن خطأ من خلط بينهما ليصل الى اتهام أهل السنة بالتناقض فى الحكم على عبد الله بن ميمون . فالمكى عاش فى القرن الثانى الهجرى أما الأهوازى فعاش فى القرن الثالث وحينما تحدث ابن حجر العسقلانى عن رجال الطبقة الثامنة اعتبر عبد الله بن ميمون المكى من هؤلاء الطبقة وهم الذين توفوا بعد المائة وقبل المائتين (٢) . ويحدد الزركلى وفاة عبد الله هذا بعام ١٨٠هـ (٣) .

أما عبد الله بن ميمون الأهوازى فقد عاش فى القرن الثالث حيث ارتبطت جهوده وأعماله بأشخاص عاشوا فى هذا القرن من أمثال حمدان قرمط زعيم القرامطة الذين ظهروا عام ٢٧٨هـ (٤) ودندان الشعوبى المشهور ولذا فان أحد مؤرخى الاسماعيلية المعاصرين حينما ترجم لعبد الله بن ميمون خطأ الذين قالوا انه عاش فى القرن الثانى ونفى معاصرته لامامى الشيعة الباقر والصادق يقول : أما ماذكر من أن عبد الله

---

(١) اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير ٣/١٧-١٨ .
(٢) انظر تقريب التهذيب لابن حجر مادة عبد الله .
(٣) الأعلام للزركلى ٤/٢٨٦ .
(٤) تاريخ الأمم للطبرى ٨/١٥٩ ، البداية والنهاية لابن كثير ١١/٦١ .

ابن ميمون عامر الباقر والصادق فى أوائل القرن الثانى الهجرى فلايعتمد عليه لأن أغلب المصادر الموثوقة تشير الى أنه عاش فى القرن الثالث حتى قابل دندان بعد سنة ٢٦٥ للهجرة .

أما ماأورده المؤرخون عن نشأته ومولده فقد جاءت معلوماتهم وأقوالهم متضاربة متفاوتة لذا نستطيع أن نستخلص منها بأن ولادته كانت فى أواخر حياة أبيه ميمون أى فى نهاية القرن الثانى لافى أوائله وان الحياة امتدت به وأصبح من المعمرين حيث مات سنة ٢٧٠هـ فى سلمية ودفن فيها (١) . ويحدد النسابة ابن الأثير بداية دعوته الى بدعته بسنة عشرين ومائتين يقول : "وكانت دعوة عبيد الله بن ميمون القداحى الباطنى الى بدعته سنة عشرين ومائتين" (٢) .

واذا كانت ولادته فى آخر القرن الثانى الهجرى وبداية دعوته فى أوائل القرن الثالث ووفاته فى آخر هذا القرن فكيف يستساغ أو يعقل الخلط بينه وبين المكى الذى توفى فى سنة ١٨٠هـ كما قدمنا .

ومن الجدير بالذكر أن فى نقولات لويس مايشعر بتناقضه ويتضمن الرد عليه فى نفس الوقت حيث نقل نصوصا متعددة عن الشيعة الاثنى عشرية تتحدث عن عبد الله بن ميمون وتعتبره من رواة الأحاديث الذين رووا عن الباقر والصادق وأنه عاش

---

(١) اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٣٤٧ .
(٢) اللباب فى تهذيب الأنساب لابن الأثير الجزرى ١٨/٣ . وقد أغرب الحمادى اليمانى فى تاريخ ظهور عبد الله بن ميمون وبداية دعوته حيث حدد ذلك بسنة ست وسبعين ومائتين ولايخفى مافى ذلك من مخالفة لكتب التاريخ والوقائع والأحداث التى ارتبطت بتاريخ هذا الباطنى . انظر كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١٧ .

في القرن الثاني الهجري وهذه الأمور لاتنطبق الا على المكي (١)
أما الأهوازي فلم يقابل الباقر والصادق بل انه لم يولد في تلك الفترة كما سبق في نص الاسماعيلي المعاصر مصطفى غالب .

ومما قدمنا يتضح الفرق بين عبد الله بن ميمون القداح المكي وبين عبد الله بن ميمون القداحي الأهوازي سواء من ناحية العقيدة لكل منهما أو النسبة لمكان كل واحد أو الزمان الذي عاشه أي منهما . ونتيجة لعدم ادراك هذا الفرق بين المكي والأهوازي حصل خلط كثير بين هاتين الشخصيتين المتفاوتتين عقيدة وأهدافا وزمنا ونسبة وكانت نتيجته وقوع العديد من الكتاب في أحكام خاطئة .

<u>الحقيقة الرابعة</u> : أن ميمون القداح الأهوازي وابنه عبد الله مزجا بين المذاهب والديانات المتعددة وذلك من خلال دعوتهم الى المذهب الباطني وتلك وسيلة من وسائلهم الخبيثة جذبوا فيها عددا كبيرا من الأتباع حتى كانت النتيجة المدهشة وهي : أن جمهورا عظيما من الرجال يعتنقون مذاهب مختلفة ويعملون معا لتحقيق غاية لايعلمها سوى القليل منهم . (٢)

ان هذه الحقيقة توضح معظم روايات أهل السنة عن هذين الرجلين حيث ذكر بعضهم انهما يهوديان ويدعوان الى الديانة اليهودية وبعضهم قال انهما مجوسيان ويدعوان الى الديانة المجوسية وبعضهم قال انهما ثنويان ويدعوان الى الديانة الثنوية . ويبدو من خلال هذه الروايات التناقض والاختلاف لكن

---

(١) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١٤٧-١٤٨ .
(٢) تاريخ الجمعيات السرية لعنان ص ٣٣ .

مع عرضها مع مبدأ الشمول والاستيعاب (١) الذى انتهجه ميمون القداح وابنه عبد الله يزول هذا التناقض وتصبح روايات أهل السنة صحيحة وتدل على حقيقة واحدة وهى : ان ميمون القداح وابنه عبد الله دعوا الى هذه المذاهب كلها بوسيلة تستوعبها وتجمع اتباعها على مذهب واحد هو المذهب الباطنى والذى يعتبر شاملا لجميع هذه المذاهب والديانات المتعددة وحينما تحدث الغزالى عن نصب هذه البدعة وافاضتها بين هذا المبدأ من خلال عرضه لعدة طوائف اتفقت على نشر مذهب الباطنية ومما قال : ان نقلة المقالات قاطبة اتفقوا على أن هذه الدعوة لم يفتتحها منتسب الى ملة ولامعتقد لنحلة معتضد بنبوة ولكن تشاور جماعة من المجوس والمزدكية وشرذمة من الثنوية الملحدين وطائفة كبيرة من ملحدة الفلاسفة المتقدمين (٢) .

ومما يدل على أهمية هذا المبدأ عند الباطنية جملة وصايا لهم نقلت الينا من نتاج مفكريهم ودعاتهم وفى رسائل اخوان الصفا - والتى تعتبر قاموسا للباطنية - نماذج متعددة ومنها قولهم : وينبغى لاخواننا - أيدهم الله - أن لايعادوا علما من العلوم أو يهجروا كتابا من الكتب ولايتعصبوا على مذهب من المذاهب لأن رأينا ومذهبنا يستغرق المذاهب كلها ويجمع العلوم جميعها (٣) .

---

(١) مبدأ من المبادىء الأساسية عند الباطنية والمراد منه ان المذهب الباطنى يشمل جميع المذاهب والديانات ويستوعبها وقد اتخذوه وسيلة للدخول على كل طائفة بما يناسبها .

(٢) فضائح الباطنية لأبى حامد الغزالى ص ١٨ .

(٣) رسائل اخوان الصفا ٤١/٤-٤٢ .

كما نقل البغدادى أيضا وصية عبيد الله المهدى الى أبى طاهر القرمطى نقلا من كتابهم السياسة والبلاغ وفيها : ادع الناس بأن تتقرب اليهم بما يميلون اليه وأوهم كل واحد منهم بأنك منهم فمن انست منه رشدا فاكشف له الغطاء واذا ظفرت بالفلسفى فاحتفظ به فعلى الفلاسفة معولنا وأكرم الدهرية فانهم منا ونحن منهم .(١)

ومن وصاياهم للدعاة ايضا مانقله الحمادى عنهم بقوله ان يسالم الداعية فى ظاهره أهل الديانات المختلفة ويريهم فى بعض أحواله ان اليهودية والنصرانية والمجوسية والاسلام كلها معان متقاربة ودعوة واحدة وان البلاء الذى دهم الجهال هو الاختلاف والاتكال على ظاهر النصوص دون باطنها والجهل بمعانيها وأوضاعها .(٢)

وهذه الوصايا تعتبر جزءا لايتجزأ من منهج ابن ميمون فى الدعوة الى مذهبه ولذا يصفه أحد المستشرقين بقوله : انه دمج الغالبين والمغلوبين فى هيئة واحدة وجمع فى حظيرة واحدة جمعية سرية هائلة ذات مراتب عدة بين أحرار المفكرين وبين الغلاة من جميع الطوائف وكان يعتمد كثيرا على طلاب الفلسفة اليونانية واليهم وحدهم استطاع أن يفضى بسره وخفى عقيدته(٣) ولما لهذا المبدأ من دور كبير فى انتشار الحركة الباطنية فقد افرده بعض الباحثين بفصل كامل ومما قال فيه ان الدعوة الاسماعيلية استطاعت أن تؤثر فى نفوس جماعات مختلفة فى العنصر والدين : مزدكيين ومانويين وصابئيين

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٧٨ .
(٢) كشف أسرار الباطنية للحمادى
(٣) كتاب اخوان الصفا للدسوقى ص ٢٥ .

وشيعة وسنة ومسيحيين ويهود من كل نوع فانشات بحكم الضرورة نطاقا قويا من مذهب الشمول فى العقيدة تتقرب أحيانا من مذهب عقلى خالص .(١)

كما يقول أحد الكتاب : ان الاسماعيليين استغلوا بعض المذاهب وذلك كالتقيه فكانوا سنيين مع أهل السنة شيعيين مع الشيعة يهودا مع اليهود ومسيحيين مع المسيحيين ومجوسيين مع المجوس .(٢) كما يقول عنه دى بور : ان عبد الله ابن ميمون استطاع أن يمزج بين أهل الايمان وبين الزنادقة وأن يجعل منهم حزبا يعمل على اسقاط الدولة العباسية وكان علمه أبيض اللون لأنه كان يزعم أن دينه دين النور الخالص الذى ستعرج النفوس اليه بعد مطافها على هذه الأرض .(٣)

ومن خلال ماتقدم عن الباطنية وزعمائها وتأويلها يتبين لنا أنها حركة واسعة النطاق اشتملت على العديد من الفرق والحركات الثورية .

كما يتبين لنا أيضا أن الحركة الاسماعيلية انتاج باطنى تولى نشرها والدعوة اليها أشهر زعماء الباطنية وكان لهم دور كبير فى تربية قادة الاسماعيلية وزعمائها وزرع بذور الهدم والتخريب فى فكر هؤلاء القادة والزعماء . ولاغرو والحالة هذه أن تكون الحركة الباطنية جذرا من الجذور الأساسية لحركة الاسماعيلية . ونجمل الأدلة على هذه النتيجة بالآتى :

---

(١) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١٩٤ .
(٢) الغلو والفرق الغالية للسامرائى ص ١٦٨ .
(٣) تاريخ الفلسفة فى الاسلام لدى بور ص ١٥٧ .

(١) ان لزعماء الاسماعيلية وقادتهم صلة وارتباطا بأشهر دعاة الباطنية أقل مايقال عنها انها صلة التلميذ بأستاذه والمتعلم بمربيه وشيخه وذلك كاسماعيل بن جعفر امام الاسماعيلية ومن بعده ابنه محمد بن اسماعيل ثم الائمة المستورين الذين كانوا يعتبرون ميمون القداح وابنه عبد الله من كبار الدعاة والحجج للمذهب الباطنى بل انهما فى بعض الفترات اعتبرا أئمة مستودعين للامامة كما كان لهما الدور الأكبر فى تربية بعض قادة الحركات الباطنية فى العراق واليمن والمغرب وذلك كحمدان قرمط زعيم القرامطة وابن حوشب كبير الدعاة الباطنيين فى اليمن وأبو عبد الله الشيعى الداعى الاسماعيلى فى المغرب والذى مهد فى دعوته لقيام دولة العبيديين فى المغرب وجميع هؤلاء وغيرهم من الدعاة ماهم الا تلاميذ لميمون القداح أو ابنه عبد الله .

(٢) ان معتقدات الباطنية شاملة لجميع معتقدات فرق التشيع الباطنى والاسماعيلية من أهم هذه الفرق وأكبرها . ومعتقداتها فى حقيقة الأمر جزء لايتجزأ من أصول الحركة الباطنية التى حاولت استيعاب جميع المذاهب والديانات الباطلة فى ذلك الوقت .

(٣) ان طائفة الاسماعيلية تعتبر من فرق الباطنية الكبرى والتداخل والتشابه بينهما واضح وكثيرا ماأطلق علماء الفرق احداهما على الأخرى أو جمعوا بينهما فى كثير من

الحالات حتى ليخيل للقارىء أن الباطنية والاسماعيلية اسمان لفرقة واحدة .

وحينما نستعرض كتب المقالات والفرق والردود ولاسيما التى تحدثت عن الباطنية وأفردتها بمؤلف خاص نجد انها قد جمعت بينهما واعتبرتهما فى كثير من الحالات فرقة واحدة وذلك لما بينهما من صلة وتداخل واتفاق فى كثير من العقائد والمنطلقات . ومن الأمثلة البارزة على ماذكرنا أن الامام أبو حامد الغزالى عنون كتابه بفضائح الباطنية وفى داخله الحديث مفصلا عن الاسماعيلية والقرامطة ومعتقداتهم بل انه اعتبر الباطنية لقبا من القاب الاسماعيلية وأدمج بينهما أحيانا وكذلك فعل الديلمى فى كتابه بيان مذهب الباطنية وبطلانه والعلوى فى كتابه مشكاة الأنوار الهادمة لقواعد الباطنية الأشرار والحقيقة أنه لولا الاختلاف الذى وقع بين فرق الباطنية كالقرامطة والنصيرية والدروز مع الاسماعيلية فى بعض الجوانب لاعتبرنا أن الباطنية هى الاسماعيلية وكذلك الاسماعيلية هى الباطنية وبالتالى يكون لفظ الباطنية ولفظ الاسماعيلية اسمين يدلان على حقيقة واحدة بل فرقة واحدة .

الفصل الثالث

أئمة الاسماعيلية

(أ) الأئمة الأوائل :

(١) اسماعيل بن جعفر
(٢) محمد بن اسماعيل

(١) اسماعيل بن جعفر الصادق :

اتفقت الشيعة - اسماعيلية كانوا أو اثنى عشرية - حول شخصيات الأئمة حتى جعفر الصادق فهم جميعا يقولون بامامة على بن أبى طالب فالحسن فالحسين فعلى زين العابدين فمحمد الباقر فجعفر الصادق وأول خلاف نشأ بين الاسماعيلية والاثنى عشرية انما هو حول شخصيات الأئمة ومن الأحق بالامامة بعد موت جعفر وهذا الخلاف يعتبر من الأمور البارزة التى تميزت بها كل فرقة عن الأخرى ، ولذا يقول الشهرستانى أن الاسماعيلية امتازت عن الموسوية وعن الاثنى عشرية باثبات الامامة لاسماعيل بن جعفر (١) .

وحول امامته يدور خلاف كبير بين كلتا الفرقتين الكبريين من فرق الشيعة فالاثنا عشرية يقولون أن اسماعيل توفى فى حياة أبيه وانتقلت الامامة بذلك الى أخيه موسى الكاظم . أما الاسماعيلية فقولون أن جعفرا نص على ولده اسماعيل وجعل الوصية اليه بالامامة لأنه كان أسن ولده وآثرهم عنده (٢) . وأنكروا على من قال بموت اسماعيل فى حياة

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١٩١/١ .
(٢) الحور العين للحميرى ص ١٦٢ .

أبيه وقالوا : لايموت حتى يملك لأن أباه قد وصى له بالامامة بعده .(١) بل انهم ادعوا أن جعفرا أشار اليه فى حياته ودل الشيعة عليه فكانوا مجمعين على أنه الامام بعد أبيه وأن جعفرا قلده ذلك فى حياته وأمرهم به .(٢)

ويتفق أكثر مؤرخى الاسماعيلية على أن قصة وفاة اسماعيل فى حياة أبيه انما كانت قصة أراد بها جعفر الصادق التمويه والتعمية على الخليفة العباسى أبى جعفر المنصور حيث كان يطارد أئمة الشيعة فخاف جعفر على ابنه وخليفته اسماعيل فادعى موته وأتى بشهود كتبوا محضرا بوفاته وختم المحضر بختم عامل المنصور على المدينة مبالغة فى التمويه وأرسل ذلك المحضر الى الخليفة العباسى الذى أظهر سرورا وارتياحا لوفاة اسماعيل الذى كان اليه أمر امامة الشيعة بعد أبيه ثم شوهد اسماعيل بعد ذلك بالبصرة وفى غيرها من بلاد فارس وعلى ذلك فالامامة فى نظر هؤلاء المؤرخين لم تسقط عن اسماعيل بالموت فى حياة أبيه كما يقول الامامية لأنه مات بعد أبيه .(٣)

وخرافة رجوع اسماعيل حيا بعد أن أشهد أبوه على موته ودفنه تعتبر من تمويهات الاسماعيلية التى رددوها فى كتبهم وبالغوا فى تأكيدها . يقول ادريس عماد الدين بعد أن ساق قصة موت اسماعيل واشهاد أبيه على موته ودفنه : "فلما كان بعد ذلك ظهر اسماعيل بالبصرة وأقبل الناس اليه يهرعون وهم يقولون هذا اسماعيل بن جعفر عاد حيا الى أن مر بشيخ زمن

---

(١) انظر المقالات والفرق للقمى ص ٨٠ .
(٢) الزينة للرازى ضمن كتاب الغلو للسامرائى ص ٢٨٧ .
(٣) انظر طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص ١٢-١٣ .

على دكانه من الشيعة الموالين لأبيه فقال له يابن بنت رسول الله خذ بيدى أخذ الله بيدك فطلع اليه ومسح على ظهره بيده المباركة فثبت ظهره وبرء من علته وشاهد الخلق ذلك وغاب عنهم" (١) .

وعن هذه الترهات والخزعبلات يقول محمد حسين : "ولعلى لاأغلو اذا قلت أن هذه القصة - أى التمويه بوفاة اسماعيل - انما هى من القصص الخيالية التى وضعها بعض أصحاب المناقب من مؤرخى وكتاب الاسماعيلية الذين يكثرون من مثل هذه القصص فى كتاباتهم ليضفوا على الأئمة الاسماعيلية مناقب وفضائل لايقرها عقل" (٢) .

ومع التتبع للكثير من المصادر التاريخية نجد إن موت اسماعيل فى حياة أبيه هو الصحيح (٣) ، وأن القول بغيبته أو رجوعه حيا بعد أن مات هو من ألاعيب الاسماعيلية وضحكهم على الأغبياء ولذا يقول الاسفرايينى : "ان جميع أهل التواريخ كذبوا الاسماعيلية فى مقالتهم هذه وأثبتوا موت اسماعيل قبل أبيه جعفر" (٤) .

ويحدد المقريزى وفاة اسماعيل بن جعفر بعام ثمان وثلاثين ومائة (٥) على حين أن جعفر توفى عام ١٤٨هـ فكانت وفاة اسماعيل قبل وفاة أبيه بعشرة أعوام وعلى هذا تعتبر أقوال الاسماعيلية وادعاءاتهم عن بقاء اسماعيل واستمرار حياته

---

(١) مخطوطة زهر المعانى لادريس عماد الدين ص ٤٧ .
(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص ١٣ .
(٣) انظر على سبيل المثال اتعاظ الحنفا ١٥/١ ، الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٤٦ ، الحور العين للحميرى ص ١٦٢ ، العبر لابن خلدون ٦١/٤ .
(٤) التبصير فى الدين ص ٢٣ .
(٥) اتعاظ الحنفا ١٥/١ .

الى مابعد أبيه باطلة .

ومما يسترعى الانتباه أن بعض علماء الاسماعيلية أقر بموت اسماعيل فى حياة أبيه وذلك كالقاضى ابن حيون فى كتابه شرح الأخبار والحامدى فى مجالسه وادريس عماد الدين فى كتابه عيون الأخبار وفنون الآثار ... الخ جمع منهم ولكنهم مع ذلك قالوا : ان جعفر لما نص عليه فى حياته بقيت الامامة فى عقبه - أى فى محمد بن اسماعيل ومن جاء بعده - .(١)

أما الشيعة الامامية فيقولون بذلك أيضا ويستميتون فى تقريره لاللحق والحقيقة وانما ليتناسب ومعتقدهم فى أن الأحق بالامامة بعد موت جعفر الصادق انما هو ابنه موسى الكاظم فهو الذى يستحق الامامة لموت أخيه الأكبر اسماعيل فى حياة أبيه ثم وفاة أبيهما جعفر الصادق . ولكن قولهم هذا يتناقض مع مبدأ من مبادىء الشيعة على اختلاف فرقها وهو : أن الامامة لاتكون الا للابن الأكبر المنصوص عليه فى بدء الأمر مع تسلسلها فى الأعقاب أى من الآباء الى الأبناء وبناء على هذا فالامامة ثابتة لاسماعيل لأنه الابن الأكبر المنصوص عليه ولاينص الامام على واحد من أولاده الا بعد السماع من آبائه وبموته سواء فى حياة أبيه أو بعده انتقلت الامامة الى ابنه محمد ابن اسماعيل لأن النص لايرجع القهقرى وفائدته على فرض موت اسماعيل فى حياة أبيه الدلالة على أن الامامة فى عقبه من بعده أى فى محمد بن اسماعيل . وهذا هو مايرد به الاسماعيلية على الامامية فى نقل الامامة الى موسى .(٢)

---

(١) انظر كتاب الاسماعيلية تاريخ وعقائد لاحسان الهى ظهير ص ٦٤ .

(٢) انظر الملل والنحل للشهرستانى ١٩١/١ .

ويعترف أحد علماء الشيعة الامامية فى تطبيق هذه القاعدة على اختلافهم هذا ويقول : ان الامامة لاتنتقل من أخ لأخ بعد الحسن والحسين رضى الله عنهما ولاتكون الا فى الأعقاب ولم يكن لأخوى اسماعيل وهما عبد الله وموسى حق فى الامامة كما لم يكن لمحمد بن الحنفية حق مع على بن الحسين (١) .

ومن الجدير بالذكر أن رأى أهل السنة ورواياتهم التاريخية فى موت اسماعيل فى حياة أبيه انما هو ذكر للواقع فقط بقطع النظر عن وريثه فى الامامة ومن يخلفه بعده فأهل السنة كما انهم يبطلون ادعاءات الاسماعيلية وتمويهاتها كذلك يبطلون ادعاءات الامامية وخرقهم لقاعدة من قواعدهم وأصولهم التى استحدثوها ويبقى بعد ذلك الحكم بخطأ وضلال الفرقتين معا فى هذه المسألة . وهناك من الشيعة الامامية الاثنى عشرية من يعلل بطلان امامة اسماعيل ليس بموته فى حياة أبيه فحسب بل لأنه لم يكن الرجل الصالح للامامة لأنه مطعون فى سلوكه وأخلاقه من ادمان الخمر والولع بالنساء أو متهم بالمروق والزندقة من خلال مصادقته وصلته بأبى الخطاب الفاسق الملحد . وهذا هو الذى جعل والده جعفر يتبرأ منه ويعلن غضبه عليه ومن ثم طرده من الامامة نتيجة لهذه الصلة والتأثر بأبى الخطاب والخطابية . وحينما نستعرض هذه التهم التى أثيرت حول اسماعيل نجد أن من أشدها وأخطرها عليه صلته بأبى الخطاب وانضمامهما معا فى الدعوة الى مذهب الخطابية ومن ثم انضمام الخطابية الى شيعة

---

(١) المقالات والفرق للقمى ص ٨١ .

اسماعيل بعد موت أبى الخطاب . والحقيقة التى ظهرت لى من خلال الأدلة التاريخية ثبوت هذه الصلة ومن ثم الاندماج بين هاتين الحركتين وسبق أن بينت ذلك بالتفصيل فى أول هذا الفصل من الباب الثانى .

ومن واقع تاريخ الاسماعيلية فان الامامة انتقلت بعد اسماعيل الى ابنه محمد بن اسماعيل الذى يلقبونه بالسابع التام حيث تم دور السبعة به (١) .

وهنا لابد من وقفة تحليلية لعقيدة الإسماعيلية عن محمد ابن اسماعيل وتسميته بالسابع التام . فان جعفر الصادق يعتبر الامام السادس باجماع طوائف الشيعة فهل امامة اسماعيل غير معتبرة لدى الاسماعيليين ؟ وللاجابة على ذلك فان الخلاف قائم بين الاسماعيليين أنفسهم من وفاة اسماعيل فى حياة أبيه فبعضهم اعتبرها تمويها واستتارا والبعض الآخر جزم بموته حقيقة فى حياة أبيه وبناء على الراى الثانى فان امامته لاتعدو أن تكون لتثبيت امامة ابنه محمد بن اسماعيل فقط . أما هو فلم يتسلم شيئا من أمر الامامة سوى تسلسلها فقط فهو فى حقيقة الأمر اسم عابر ألصقه الاسماعيليون بأنفسهم حفاظا على تسلسل الامامة وبالغوا فى ذلك حتى أصبحت نسبتهم اليه وهذا - والله أعلم - هو مافطن له الامام الغزالى والامام ابن الجوزى فى تعليلهما اسم الاسماعيلية بانه نسبة الى امامهم محمد بن اسماعيل الذى يزعمون أنه

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١/١٩٢ .

الامام السابع الذى انتهت أدوار الامامة به[١] . ولذا لم يستطع اسماعيلى معاصر كتم هذه الحقيقة وسترها بل قال عن امامة اسماعيل : "وتدور حولها أحاديث وروايات متناقضة ومضطربة "[٢] .

(٢) محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق :

الامام الثانى بعد أبيه على رأى بعض الاسماعيليين والامام الأول للاسماعيليين على رأى القائلين بموت أبيه فى حياة جده ويلقب بالمكتوم لأنه استتر خوفا من العباسيين كما زعموا .

تسلم الامامة - كما يقول الداعى الاسماعيلى جعفر بن منصور - بعد أن نص عليه والده اسماعيل حيث أوصى أن يسلم الأمر الى ولده محمد ودعى نقباءه وخواصه وأصحابه فسلم اليه أمر الامامة بمحضر من خاصته رغم صغر سنه لأنه لم يتجاوز الرابعة عشرة من عمره[٣] .

وكان مولده سنة ١٣١هـ كما ذكر الزركلى[٤] أو سنة ١٣٢هـ كما استنتج غالب[٥] . وأيا كان الأمر فان وفاة اسماعيل انما كانت عام ١٤٥هـ على رأى القائلين بوفاته فى حياة أبيه فيكون عمر ابنه محمد عندئذ ثلاثة عشر أو أربعة عشر عاما

---

(١) راجع بالتفصيل سبب تسمية الاسماعيلية بهذا الاسم ونص كلا من الغزالى وابن الجوزى فى بداية الفصل الأول من الباب الثانى .
(٢) أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٤٤٧ .
(٣) أسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن ص ٨٢ .
(٤) الأعلام للزركلى ٢٥٨/٦ .
(٥) أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٤٤٧ .

وهذا اقرار واضح من الاسماعيليين بوفاة والده قبل وفاة جده أى أن اسماعيل توفى فى حياة أبيه .

أما القائلون بوفاته بعد أبيه بعشر سنين أى عام ١٥٨هـ فان محمد بن اسماعيل يكون عمره عندئذ ستة وعشرين عاما أو سبعة وعشرين .

ومع التتبع للمصادر الاسماعيلية حول عمر امامها محمد بن اسماعيل عند تسلمه الامامة بعد وفاة أبيه نجد الاختلاف البين والتناقض الواضح .

(١) فبعضها لايحدد عمره بل يصفه بصغر السن فقط وهذا رأى داع الاسماعيلية أبو الخطاب فى كتابه غاية المواليد حيث يقول : "ان محمد بن اسماعيل كان وقت وفاة والده اسماعيل فى حد الطفولية ".(١)

(٢) والبعض الآخر يقول ان عمره عند وفاة والده وتسلمه الامامة كان اربعة عشر عاما وهذا قول الداعى جعفر بن منصور اليمن يقول فى معرض رده على الشيعة الاثنى عشرية :

"ولم تعلموا أن اسماعيل لم يغب عن الدار حتى خلف ولدا كاملا وان الأمر قد رجع اليه ..." الى أن يقول : "وقد كان محمد رجلا كاملا له اربع عشرة سنة وصاحب هذا العمر جائز القول مقبول الشهادة ".(٢)

(٣) والبعض الآخر يقول ان عمره عند وفاة والده وتسلم الامامة ستا وعشرين سنة . يقول الداعى ادريس عماد

---

(١) غاية المواليد للداعى ابو الخطاب ص ٣٦ من المنتخب لايفانوف .
(٢) أسرار النطقاء لجعفر بن منصور اليمن ص ٨١-٨٢ .

الـــدين : "وكـــان الامـام محمد بن اسماعيل حيث قبض أبوه ابـــن ســتة وعشرين سنة واخوه على بن اسماعيل رجل بـالـغ الحـلـم لــه من العمر ثماني عشرة سنة فبقيا عند جدهما الامـام الصادق عليه السلام" (١) .

وفـــي مـــوضع آخر يقـــول هـــذا الـــداعي أيضـــا : ولمـا آن لاسماعيل الأجل تلبيسا على الضد أوصى اسماعيل والده الصادق أن يقيم لولده حجبا ومستودعا فسلمه - أعني مولانا محمد بن اسماعيل - الى ميمون القداح فرباه واخفى شخصه وهو ابن ثلاث سنين وميمون القداح كفيل له مستودع أمره (٢) .

وهـــذا النـــص يدل على الرأى الأول ولكن سقته هنا لبيان التنـــاقض والاضطـراب حـــتى مـــن مـؤلف واحد وهنا تكبر الهفوة ويفحش الخطأ والغلط .

(٤) ويرى مؤرخ اسماعيلى أن اسماعيل توفي وابنه محمد لازال في بطن أمه وأنه تسلم الامامة على تلك الحال !!

يقـــول المـــرتضى في كتابه الفلك الدوار في سماء الأئمة الأطهـــار : ولـــد للامـــام جـعفر الصـــادق ســتة أولاد ذكـــور وهم اســـماعيل ومحمد واسحاق وعبد الله وموسى وعلى وقد عهد لابنه اســـماعيل بـالامـــامـــة عـــلـــى مسمع خـــواص شيعته الاسماعيلية حسب النـــاموس الالـهـــى وشـــروط الوصاية وأحكامهـــا ومبانيها فساق الاسماعيليون الامامة في اسماعيل وجعفر حيا فما لبث اسماعيل بعـــد النص عليه بـالامـامة سوى زمن وجيز حتى توفى فترك زوجته حـــاملا (بمحـــمد الحبيب) وقد ألقى على هذا الامام المصون وهو

---

(١) عيون الأخبار لادريس عماد الدين ص ٣٥١ .
(٢) زهـــر المعاني للمؤلف السابق ص ٤٧ من المنتخب لايفانوف

لايـزال فـي زجاجته الدرية سر الامامة الدقيق وفيفها العذب الأنيق أمام بضعة من الدعاة والحدود .(١)

ان هـذه كلها نصوص اسماعيلية نطق بها حججهم ودعاتهم أظهر مافيها الاختلاف والتباين في مسألة تاريخية واحدة تتعلق بامامهم الأول ويالها من بداية غامضة مضطربة . وهذا الاختلاف في هذه الصورة يشعر الى حد بعيد بأن المذهب الاسماعيلي يصاغ ويرتب حسب مقتضىالمقام والحال وما أجمل نعي الأستاذ احسان الهي عليهم هـذه المعارضات الفاضحة والمناقضات القبيحة حيث يقول : "فهذه هي بعض الأقوال في عمر امام اسماعيلي واحد الامام الذي يعدونه سابع النطقاء ناسخ شريعة محمد صلوات الله وسلامه عليه وحول امامته حصل الخلاف بين الطوائف الشيعية وتفرقت الفرق وتكونت الاسماعيلية من الذين تمسكوا بامامته وآمنوا بولايته . ثم الخلاف في ذلك ليس بخلاف يسير بل الخلاف في انه لم يكن مولودا وكان مولودا وعمره ست وعشرون سنة وأطرف من ذلك أن كل القائلين بهذه المقولات معصومون ولاأدري كيف حجم الخطأ اذا حصل بين غير المعصومين ؟(٢)

ومع هذه البداية المضطربة لامامة محمد بن اسماعيل فان هذا لايمنعنا من تتبع الباطنيين في رواياتهم وأساطيرهم حول أدوار امامته وانها تنقسم الى دورين هما :

<u>أولا : دور الظهور</u> : ويشمل الفترة الأولى من حياة محمد ابن اسماعيل وذلك حينما كان مقيما بالحجاز حيث فرق دعاته

---

(١) الفلك الدوار لعبد الله المرتضى ص ١٢٥ .
(٢) الاسماعيلية تاريخ وعقائد لاحسان الهي ظهير ص ٦٨٤ .

فـى جـزائر الأرض للدعـوة لـه ونشـر المذهب الاسماعيلى ولكن الخليفـة العباسـى هـارون الرشـيد (١) شعر بما يقوم به فى هذه الفـترة فجد فى مطاردته والقبض عليه وحينما علم بذلك محمد ابـن اسـماعيل دخـل فـى الـدور الثـانى وهـو مايسـمى عنـد الاسماعيلية :

ثانيـا : بدور الاستتار (٢) . ويتحدث أحد دعاة الاسماعيلية عـن هـذا الـدور فيقـول : "ان المصادر جميعها تتفق على أن محمد بن اسماعيل استطاع أن يخرج سرا من المدينة ويتوغل فى شرقى المملكـة الاسلامية وقد ظل يتنقل من مكان الى آخر حتى اسـتقر فـى قريـة من قرى الرى ونسبت اليه هذه القرية فيما بعد حيث سميت بمحمد آباد" (٣) .

ويـرى النشـار أن الذى دفعه الى هذه الرحلة عدة أمور هى :

(١) اتخـاذ دار هجرة وقد أصبحت هذه عقيدة عند الاسماعيلية (كمـا يدل عليه نص الداعى ادريس . وخلاصته أن محمد بن اسماعيل أمر دعاته بطلب دار هجرة يلجأ اليها ولماهذا الطلب عنه سار الامام فى طلب دار هجرته) (٤) .

---

(١) الخليفة الخامس من خلفاء بنى العباس اشتهر بحب الغزو والجهـاد حتى انه كان يحج عاما ويغزو عاما آخر ، ولى الخلافـة بعـد وفاة أبيه الهادى عام ١٧٠هـ وبقى خليفة ثلاثا وعشرين عاما حيث توفى عام ١٩٣هـ رحمه الله .

(٢) يعتـبر الاسـتتار عقيـدة باطنية يستخدمه الاسماعيلية ويتذرعون به فى الوقاية من الغير وعادة مايكون للامام أو حجتـه فاذا كان الامام مستورا كان حجته ظاهرا واذا كـان الامام ظاهرا كان حجته مستورا ويزعمون أنه وسيلة لوقايتهم من الخطر والقتل .

(٣) انظـر أعلام الاسـماعيلية لمصطفـى غالـب ص ٤٤٨ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية للمؤلف نفسه ص ٩٠ .

(٤) زهـر المعانى للداعى ادريس عماد الدين ص ٥٣ ، ومابين القوسين خارج عن كلام النشار .

(٢) أن يكون بعيدا عن عيون الخليفة فى الحجاز فيستطيع بسهولة أن يبث دعاته .

(٣) فشله فى الحجاز أمام عمه القوى موسى الكاظم وأتباعه من الامامية الذين لم يستجيبوا لمحمد بن اسماعيل كثيرا .

(٤) كانت الحجاز مليئة بالعلماء والفقهاء فى عصر العباسيين الزاهر وفى هذا الجو العلمى لم تكن دعوة محمد بن اسماعيل تجد آذانا صاغية لاسيما أن هذه الدعوة نهجت منهجا باطنيا غريبا على التفكير الاسلامى فى ذلك الوقت .

(٥) يبدو أن دعاة محمد بن اسماعيل قد انتشروا فى شرقى المملكة الاسلامية ونشروا الدعوة هناك فذهب محمد بن اسماعيل فى رحلته هذه الى أرض زرعت له من قبل (١) .

ومما ينبغى ايضاحه وبيانه أن الدعوة الاسماعيلية فى المدينة أو فى سائر مدن الحجاز لاوجود لها ولاأثر وهذا ماتدل عليه معظم المصادر (٢) لأن الأثر الواضح لهذه الفرقة كان فى مدينة الكوفة التى اشتهرت بالفرق الشيعية الغالية ابتداء من السبأية الى الخطابية . ويشير النوبختى الى الكوفة باعتبارها المعقل الأول التى ظهرت فيه الدعوة الى محمد بن اسماعيل (٣) . وهذا ماأرجحه بل أجزم به لأن الخطابية

---

(١) نشأة الفكر الفلسفى للنشار ٢/٣٨٧-٣٨٨ .
(٢) انظر جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٦٠ ، زهر المعانى للداعى ادريس ص ٥٣ ، أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٤٤٨ فما بعد .
(٣) فرق الشيعة للنوبختى ص ٨٢ .

التى تعتبر أساسا وجذرا للاسماعيلية انما نشأت وانتشرت فى مدينة الكوفة وهذا ماسبق أن تحدثنا عنه بالتفصيل فى الفصل الثانى من الباب الثانى .

ويبقى بعد ذلك مغالطة بينه مافعله الاسماعيلى مصطفى غالب فى استماتته فى نفى أى صلة بين الخطابية والاسماعيلية بحجة أن الخطابية من الفرق الغالية المارقة [(١)] . وليت شعرى ماهو مبرر التفريق فى الحكم بينهما وهما فى الفكر والاتجاه سواء . وقد تساءل بعض الباحثين – وحق له ذلك – عن معنى ظهور الدعوة الاسماعيلية والعقائد الباطنية من الكوفة ومحمد بن اسماعيل لم يقم فيها بينما يقيم فى المدينة المنورة عمرا طويلا ولانجد فيها أى أثر للدعوة الاسماعيلية ؟ وأجاب عن ذلك بقوله : "ان معنى هذا بكل صراحة أنه لاعلاقة لمحمد بن اسماعيل بالدعوة الباطنية الاسماعيلية بل ربما أمكن القول أنه لايدرى شيئا عن امامته والدعوة اليه" [(٢)] .

أما وفاته فان الاسماعيلية اختلفوا فيها كما اختلفوا فى بداية امامته وعمره حينذاك . فيرى الداعى ادريس أن الامام محمد بن اسماعيل ظل يتنقل من مكان الى آخر فرارا من القبض عليه حتى استقر آخر الأمر فى مدينة فرغانة وبها توفى [(٣)] .

بينما الداعى الاسماعيلى المعاصر غالب يرى أنه توفى عام ١٩٣هـ فى بلاد الشام بالقرب من مدينة تدمر ودفن على

---

(١) انظر كتابة تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٨٦-٨٧ .
(٢) انظر رسالة دور اليهود فى الفرق الباطنية للطالب أحمد محمد مغربى ص ٢٧٥ .
(٣) عيون الأخبار وفنون الآثار للداعى ادريس عماد الدين ص ٣٥١-٣٥٦ .

رأس رابية تقع في شمال شرقي هذه المدينة وله ضريح فيها حتى الآن يعرف بضريح مولاي محمد بن علي . (١)

ويرى الاسماعيلية أن محمد بن اسماعيل خلف أبناء ظلت الامامة مستمرة فيهم حتى ظهور عبيد الله المهدي أول أئمة دور الظهور . (٢)

بينما يرى أهل السنة أن محمد بن اسماعيل مات عقيما ولم يعقب أحدا من الأولاد وهذه بعض أقوال علماء السنة :

يقول البغدادي في كتابه الفرق بين الفرق : "ان أصحاب الأنساب ذكروا في كتبهم أن محمد بن اسماعيل بن جعفر مات ولم يعقب" . (٣)

كما يقول الغزالي : "ان أهل المعرفة بالنسب أوردوا في كتاب الشجرة أن محمد بن اسماعيل مات ولاعقب له" . (٤)

أما ابن الأثير النسابة فيقول : "ان الاسماعيلية ينسبون الى محمد بن اسماعيل وفي كتاب الشجرة أنه لم يعقب" . (٥)

كما يقول الحمادي : "ان آل القداح زعموا أنهم من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق وحاشا لله ماكان لمحمد بن اسماعيل من ولد ولاعرف ذلك من الناس أحد" . (٦)

ويقول ابن حزم في كتابه جمهرة أنساب العرب بعد استعراضه ادعاءات عبيد الله المهدي : "وكل هذه دعوى

---

(١) انظر كتابي مصطفى غالب تاريخ الدعوة الاسماعيلية ص ٩١ ، أعلام الاسماعيلية ص ٤٥٠ .
(٢) المرجعين السابقين بنفس الصفحات .
(٣) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٤٧ .
(٤) فضائح الباطنية للغزالي ص ١٦ .
(٥) اللباب لابن الأثير ١/٥٩ .
(٦) كشف أسرار الباطنية ص ١٩ .

مفتضحة لأن محمد بن اسماعيل بن جعفر لم يكن له ولد قط يسمى الحسين وهذا كذب فاحش ومثل هذا النسب لايخفى على من له أقل علم بالنسب ولايجهل أهله الا جاهل"[1] .

كما يقول الاسفرايينى فى كتابه التبصير عن انقطاع نسل محمد بن اسماعيل : "ان ميمون بن ديصان قصد ناحية المغرب وانتسب الى عقيل بن أبى طالب فلما اجابته جماعة ادعى انه من أولاد محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق فقبله منه جماعة من الجهال الذين لم يعلموا أن محمد بن اسماعيل بن جعفرخرج من الدنيا ولم يعقب وهذا شىء قد اتفق عليه النسابه"[2] .

ان هذه الحقيقة التى اتفق عليها أهل السنة تقطع النسب الفاطمى وتدل على أن ادعاءات الاسماعيلية ومن جاء بعدهم من نسل عبيد الله المهدى انها ادعاءات مزيفة ولاعلاقة لاسماعيل وابنه محمد بها وحقيقة حالهم كما قال ابن تيمية : "انهم - أى الاسماعيلية - ينتمون الى محمد بن اسماعيل انتماء فقط وجمهور الأمة تطعن فى نسبهم ويذكرون أنهم من أولاد المجوس أو اليهود هذا مشهور من شهادة علماء الطوائف من الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة وأهل الحديث وأهل الكلام وعلماء النسب والعامة وغيرهم وهذا أمر قد ذكره عامة المصنفين لأخبار الناس وأيامهم حتى بعض من قد يتوقف فى أمرهم كابن الأثير الموصلى فى تاريخه ونحوه فانه ذكر ماكتبه علماء المسلمين بخطوطهم فى القدح فى نسبهم"[3] .

---

(١) جمهرة أنساب العرب لابن حزم ص ٦١ .
(٢) التبصير فى الدين لأبى المظفر الاسفرايينى ص ٨٣ .
(٣) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٣٥/١٢٨-١٣٦ .

ثم قال في موضع آخر : "ان من شهد لهم بصحة نسب أو ايمان فأقل مافى شهادته أنه شاهد بلاعلم قاف ماليس له به علم وذلك حرام باتفاق الأمة" .[1]

(ب) أئمة دور الستر بعد محمد بن اسماعيل :

حاول الاسماعيليون تغطية هذه الفترة الغامضة واغلاق الثغرة المخله بتسلسل امامة أئمتهم بعد محمد بن اسماعيل فطبقوا نظرية الاستتار على عدد من أئمتهم اختلفوا فى أسمائهم وألقابهم وعددهم اختلافا كثيرا مما يشعر بالتلفيق ومحاولة تركيب المذهب من جديد وهذه الفترة الغامضة مثار جدل ونقاش بين المؤرخين والنسابين حول فاطمية الدولة أو عبيديتها وعليها بنى الخلاف الطويل بين أهل السنة والشيعة حول نسب الفاطميين أو العبيديين ونقتطف ثلاثة نصوص فى وصف هذه الفترة وشدة غموضها واستتارها .

يصف الدكتور محمد كامل حسين هذه الفترة بقوله : "انها فترة غامضة أشد الغموض حتى أن بعض مؤرخى وكتاب الاسماعيلية تحدثوا عن هذه الفترة رمزا دون تصريح مما يجعل موضوع الحديث عن دور الستر شاقا وعسيرا على كل باحث فى تاريخ الاسماعيلية فان الشيعة عامة والاسماعيلية بوجه خاص اتخذوا التقية مذهبا من مذاهبهم" .[2]

كما يقول الدكتور حسن ابراهيم حسن : "ان المؤرخين لم

---

(١) المرجع السابق ١٣١/٣٥ .
(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص ١٩ .

يصلوا بعد الى رأى قاطع عن نسب الفاطميين الى اسماعيل بن جعفر الصادق أو الى ابن ميمون القداح" . (١)

ويقول أحد المستشرقين المهتمين بالدراسات الاسماعيلية "ان سلسلة الائمة بين محمد بن اسماعيل وسعيد مهدى مازالت مشكلة من أعقد المشاكل فى التاريخ الاسلامى فالمؤرخون السنة يروون لها روايات عديدة مختلفة والاسماعيليون وغيرهم ممن يعترف بحق الفاطميين الشرعى لايبدو انهم متفقون فيما بينهم عليها" . (٢)

ومن أجمل ما اطلعت عليه - ملخصا (٣) - عن أئمة الاسماعيلية المستورين وصحة نسبهم أو بطلانه ماقدمه الأستاذ أحمد جلى فى ثلاثة آراء هى :

(١) أن عبيد الله المهدى ابن لرجل يهودى كان حدادا بسلميه وترملت أمه فتزوجها أحد الأشراف العلويين وربى هذا الغلام فلما كبر ادعى لنفسه نسبا علويا ودعا

---

(١) تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم حسن ص ٧٩ .

(٢) أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١٦١ .

(٣) كتبت كتابات مطولة عن نسب الفاطميين لعدد من الباحثين والمؤرخين المعاصرين من بينها فصل مطول لمحمد عبد الله عنان فى كتابه الحاكم بأمر الله وأسرار الدولة الفاطمية ومقال للدكتور عبد الحليم عويس فى مجلة كلية العلوم الاجتماعية رقم ٦ عام ١٤٠٢هـ وقد طبع رسالة مستقلة فيما بعد . وكذلك الكاتب الأديب عباس محمود العقاد له كتاب بعنوان فاطمة الزهراء والفاطميون تحدث عن النسب ص ٧٦-١٠٨ ولايخفى على القارىء اللبيب استماتته ومحاولته تصحيح نسبهم مع رده على الطاعنين ورميه لهم بالتحيز والمحاباة للدولة العباسية !!
كما أفرد الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه تاريخ الدولة الفاطمية بابا عن نسب العبيديين أو الفاطميين ص ٥٧-٧٩ وهو الآخر يحاول تصحيح نسبهم بدون دليل واضح مرجح ولذا يقول فى ص ٧٩ : "ونحن لانستطيع الجزم بأن هذه الحقائق التى أوردناها قد حلت مسألة نسب الفاطميين وأظهرت أنه يرجع الى على وفاطمة ...الخ" .

الناس اليه (وذهب الى هذا الرأى الشريف العلوى والباقلانى وابن خلكان والذهبى)(١) وقد استبعد الكاتب هذا الرأى لأنه محاولة لتجريح الفاطميين مع ترجيحه للرأى الثانى وهو :

(٢) وهناك رأى يبدو فيه كثير من الصدق وأوجه الصحة اذ أنه يحاول ربط الاسماعيلية بالحركات الباطنية نسبا وفكرا ويستند الى رواية تذهب الى أن عبيد الله المهدى من نسل ميمون بن ديصان القداح الذى كان مولى لجعفر الصادق وكان على صلة ما ـ كما كان اسماعيل بن جعفر ـ بالخطابية .

وتقول هذه الرواية أن الذى تولى الأمر بعد ميمون ابنه عبد الله الذى ادعى النبوة وكان له نشاط واسع ودعاة منتشرون فى فارس وأنحاء البصرة وخراسان وكان هو نفسه يتنقل من مكان الى آخر حتى استقر به المقام فى سلمية ومنها بث بعض دعاته الى الكوفة حيث وجدت دعوته تربة صالحة اذ تبناها حمدان قرمط ونمت وأثمرت حركة القرامطة وكان عبد الله بن ميمون القداح يدعو للامام المستور من نسل اسماعيل ولما توفى خلفه فى الدعوة ابنه محمد بن عبد الله وبعد وفاة محمد حدث اختلاف حول من يلى الأمر بعده وانتهى بأن تولى الأمر سعيد بن الحسن بن عبد الله بن ميمون حفيد عبد الله بن ميمون القداح وسعيد هذا هو الذى تقمص شخصية عبيد الله المهدى وأطلقها على نفسه وادعى الانتساب الى محمد بن

---

(١) مابين القوسين فى الهامش ص ١٩٨ من كتاب دراسة عن الفرق لأحمد محمد جلى .

اسماعيل وانتقل من سلمية الى اليمن ومنها الى مصر وشمال افريقية حيث سبقته الدعوة هناك ونجح فى تأسيس الدولة الفاطمية فى واقع الأمر ... وبناء على هذا الرأى فان أئمة الدولة الفاطمية ينحدرون من سلالة ميمون القداح ولاصلة لهم بمحمد بن اسماعيل ونسل فاطمة وينبغى من ثم تسمية هذه الدولة بالدولة العبيدية نسبة الى مؤسسها عبيد الله المهدى بدلا من تسميتها بالدولة الفاطمية .

(٣) ويذهب رأى آخر الى الاقرار بأن عبيد الله المهدى من نسل ميمون القداح وأنه لاصلة له بسلالة محمد بن اسماعيل ولكن من أتى بعده من الخلفاء ينتمون الى سلالة محمد بن اسماعيل .

ويحاول أصحاب هذا الرأى اثبات ذلك فى ضوء نظريات الاسماعيلية حول التبنى الروحى ومبدأ الامام المستقر والمستودع اذ أن الاسماعيلية يؤمنون بمبدأ التبنى الروحى وحينما يقولون أن فلانا ابن فلان يقصدون بنوته الروحية لا الجسمانية . كما يقولون أن فلانا أبو فلان ويقصدون الناحية الروحانية وعليه فان انتماء أبناء ميمون القداح ومنهم عبيد الله المهدى الى بيت اسماعيل انما هو انتماء روحى . كما يعتقد الاسماعيلية أيضا أن هناك أئمة استيداع يقومون بحمل الوديعة (الامامة) دون نقلها الى سواهم من سلالتهم ويميزون بين الامام المستودع الذى يتسلم الامامة لظروف استثنائية ولايحق له توريثها لأحد من ولده وبين الامام المستقر الذى له الحق فى توريث الامامة لولده وصاحب النص على الامام الذى يأتى بعده . وبناء على هذه النظرية فان

ميمون القداح وسلالته من بعده كانوا أئمة استيداع فكان سعيد بن الحسين اماما مستودعا حمل الوديعة من الامام الحسين ليحفظها ثم ينقلها الى ابنه القائم . وتؤيد الكتب الباطنية الاسماعيلية هذا الرأى اذ تذهب الى أن عبيد الله المهدى لم يكن الامام المستور الحسين بن أحمد كما لم يكن القائم ابنا لعبيد الله المهدى وانما كان ابن الامام المستور الحسين بن أحمد وان المهدى حمل الوديعة ـ الامامة ـ من الامام الحسين بن أحمد وردها عند وفاته الى ابنه القائم أول خليفة فاطمى من سلالة على الحقيقيين . ويقول صاحب كتاب غاية المواليد : انه لما ظهر النور باليمن وبلاد المغرب سار ولى الله فى أرضه على بن الحسين يريد بلاد المغرب حتى كان فى بعض الطريق فاظهر الغيبة واستخلف حجته سعيدا الملقب بالمهدى فلما حضرت المهدى النقلة سلم الوديعة الى مستقرها وتسلمها محمد بن على القائم وجرت الامامة فى عقبه . وهذا التفسير يحل مشكلة نسب الفاطميين ويثبت أن أئمة الدولة الفاطمية علويون نسبا ماعدا مؤسس الدولة عبيد الله المهدى فانه ينتمى الى سلالة ميمون القداح .(١)

انه حينما ننظر الى هذه الآراء الثلاثة ونحاول أن نرجح رأيا واحدا بالأدلة فاننا نجد من حيث النتيجة أن لافرق بين

---

(١) كتاب دراسة عن الفرق فى تاريخ المسلمين لأحمد محمد جلى ص ١٩٨-٢٠١ ورجع فى تلخيصه هذا الى الكتب الآتية : تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم ص ٥٩-٦٥ ، كتاب أصول الاسماعيلية للويس ص ٨٦ ومابعدها ، كتاب الينابيع للسجستانى ص ٢٥ ، كتاب عبيد الله المهدى لحسن ابراهيم ص ٨١ ، كتاب غاية المواليد نقلا عن كتاب عبيد الله المهدى ص ٨٢ .

الأول والثاني منها فكلاهما - كما هو ظاهر - يطعن في نسب الفاطميين ويثبت انهم عبيديون الا أن الأول يرجعهم الى النسب اليهودي والثاني يرجعهم الى النسب القداحي . وبناء على ذلك فان أصحاب الرأي الأول والثاني متفقون على الطعن في نسبهم وقطع الصلة بينهم وبين آل البيت وهو مايترجح لدى من خلال الاجماع الذي نقله ابن تيمية عن جميع المذاهب كما نقلنا سابقا (١) ومن خلال النصوص الكثيرة التي تثبت انقطاع نسل محمد بن اسماعيل بن جعفر الصادق التي نقلناها قبل بضع صفحات موثقة من مصادرها (٢) . ولايغيبن عن البال الحدث التاريخي ذو المدلول الدقيق وهو أن أول من شكك في عبيد الله المهدي ونسبه داعياه أبو عبد الله الشيعي وأخوه أبو العباس اللذان هيأ له قيام الدولة العبيدية ولكنه قضى عليهما بعد أن ظهر أمره وتسلم الامامة وهما بالطبع سابقان لطعن العباسيين وأهل السنة في نسبه (٣) .

وأخيرا يقول أحد علماء الأشاعرة المتأخرين : "ان جمهور أهل العلم مجمعون على أن مؤسس الدولة الفاطمية ليس ثابت النسب عمن انتمى اليه بل هو سليل ميمون القداح على ماهو معروف منذ نشأتهم كما يظهر من كلام أبي عبد الله بن رزام وهو من رجال منتصف القرن الرابع الهجري ومن ثقات أصحاب أبي الحسن الكرخي وابن الأخشيد وهو متقدم بدهر على اصدار المحضر المعروف من بغداد لأنه ألف كتابه حوالي سنة

---

(١) راجع الرسالة ص ٣٢٤-٣٢٦ .
(٢) راجع الرسالة ص ٣٢٥ .
(٣) انظر المقفى الكبير ص ٦٨ ، افتتاح الدعوة للقاضي ابن حيون ص ٣٠٩ ، زهر المعاني للداعي ادريس ص ٦٨ .

٣٣٣هـ وكفاح المقريزى عن نسبهم كفاح بدون حجة ظانا انه منحدر النسب منهم كما ذكر ابن حجر والسخاوى وغيرهما فلايعول على مثل هذا المنافح" .(١)

أما الرأي الثالث فانه وان قال به الداعى الاسماعيلى أبو الخطاب فانه يثبت فقط أن عبيد الله المهدى من أئمة الاستيداع وأن القائم من أهل الاستقرار لكنه لم يبين من هو والد القائم وكيف يتمل نسبه الى محمد بن اسماعيل مع العلم أنه ثبت لنا انقطاع نسل محمد بن اسماعيل . هذا من جانب ومن جانب آخر نجد فى مصدر باطنى معاصر للمهدى – بل ان مؤلفه ممن صحب المهدى فى رحلته – عكس ماقاله أبو الخطاب فى غاية المواليد المتاخر كثيرا .(٢)

عن هذه الأحداث يقول جعفر الحاجب المصاحب للمهدى فى رحلته عن زواج المهدى : ثم زوج الامام قبل وفاته المهدى ابنة عمه أم القائم . قال جعفر فأذكر أن المهدى تقدم الى بأن لاأبرح فى ليلة زفافها عليه من باب المجلس . قال فلزمت النساء حولى الى أن فتح المهدى ورمى الى بالسبنية قال فنشرتها على رأسى ورقصت بها والنساء حولى يلعبن ويكبرن قال وكثيرا ماكان يذكر ذلك معى المهدى بالله والقائم والمنصور والمعز .(٣)

---

(١) حاشية التبصير فى الدين للكوثرى ص ٨٤ رقم (١) .
(٢) مؤلف هذا الكتاب هو الداعى ابو الخطاب بن الحسن الهمزانى المتوفى عام ٥٣٣هـ وهو اسماعيلى مستعلى يرجع الى الاسماعيلية المستعلية .
(٣) سيرة جعفر الحاجب ص ١٠٨-١٠٩ .

فهذا النص يثبت أن القائم هو ابن عبيد الله المهدى وأن زوجته هى ابنة عمه وهى أم القائم . ومادام أن نصوصا اسماعيلية تثبت قداحية عبيد الله المهدى (١) فان القائم ابنه ومنه نسل أئمة الدولة العبيدية . ولهذا النص أهمية معتبره لقدمه أولا فهو فى عصر المهدى ، وثانيا لأن قائله ومثبته حاجب المهدى الذى عايشه وعاش معه ابتداء من طفولته وزواجه ومن ثم مسيره من الشام الى المغرب حتى توليه الحكم ومن ثم نهايته فهذه السيرة التى سطرها جعفر أشبه ماتكون بمذكرات شاهد عيان .

وخلاصة القول فى فترة الاستتار ومايتبثق منها من خلاف حول نسب الفاطميين نستخلص الرأيين التاليين :

(١) رأى أهل السنة ويوافقهم بعض المعتزلة والامامية بل وبعض الاسماعيلية وخلاصة هذا الرأى :

---

(١) من مصادر الاسماعيلية التى تثبت أن عبيد الله المهدى مستودع للامامة وأنه من نسل ميمون القداح المصادر التالية :

(أ) استتار الامام ص ٩٥-٩٦ نشرت هذه المخطوطة الاسماعيلية فى مجلة كلية الآداب فى جامعة القاهرة لعام ١٩٣٦م .

(ب) المجالس والمسايرات للقاضى الاسماعيلى ابن حيون ص ٤١٠ .

(ج) زهر المعانى للداعى ادريس ص ٦٦ من المنتخب لايفانوف .

(د) غاية المواليد للداعى أبو الخطاب ص ٣٧ من المنتخب لايفانوف .

ويصف مصطفى غالب هؤلاء بأنهم قلة فرارا من اثبات قداحية وعبيدية أئمتهم فيقول : وأيد قلة من الاسماعيلية نسب عبيد الله الى ميمون القداح . انظر أعلام الاسماعيلية ص ٣٤٨ . وهذه مكابرة واضحة ومغالطة فاحشة .

أن محمد بن اسماعيل مات ولاعقب له وتسلم الامامة حجته عبد الله بن ميمون القداح وظلت مستمرة فى عقبه المستورين حتى ظهر عبيد الله المهدى وأعلن امامته وهو من نسل القداحيين وعند ذلك حصل من الخلافات والانشقاقات بين الاسماعيلية أنفسهم وبينهم كذلك وبين القرامطة الذين حاولوا البحث عن الامام الدعى وقتله . حصل من ذلك مايطول المقام بذكره (١) .

ويفسر أصحاب هذا الرأى فترة الاستتار أو الأئمة المستورين بأنها للتعمية والتغطية على امامة القداحيين الذين كانوا من أقرب الدعاة والصقهم باسماعيل بن جعفر وابنه محمد بن اسماعيل وسلسلة الامامة على هذا القول كالتالى : عبيد الله المهدى هو سعيد بن الحسين بن أحمد بن عبد الله ابن ميمون القداح (٢) .

(٢) رأى بعض الاسماعيلية وخلاصته أن الأئمة من لدن محمد ابن اسماعيل الى الامام الظاهر عبيد الله المهدى يعتبرون من نسل محمد بن اسماعيل بن جعفر وهؤلاء الأئمة دخلوا كهف التقية والاستتار وأصبحوا لايعرفون الا بالقابهم ولايعرفهم الا اقرب المقربين اليهم وكان كل ذلك بسبب مطاردتهم والتضييق عليهم من قبل الخلفاء

---

(١) انظر فى تفصيل ذلك استتار الامام للنيسابورى ص ٩٦-١٠٥ .

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٦٦ ، اتعاظ الحنفا للمقريزى ١/٢٢-٢٨ ، تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم حسن ص ٧٩ ، تثبيت دلائل النبوة للقاضى عبد الجبار ٢/٥٩٧ ، الفهرست لابن النديم ص ٢٣٨ . أما مراجع الاسماعيلية التى تثبت ما أثبته أهل السنة فقد ذكرتها بالتفصيل فى الصفحة السابقة .

العباسيين .

ومع اتفاق أصحاب هذا الرأى على ماتقدم فانهم مختلفون أشد الاختلاف حول عدد الأئمة فى فترة الاستتار وأسمائهم وألقابهم وأقدم الروايات الاسماعيلية التى تتحدث عن هؤلاء الأئمة رواية الداعى جعفر بن منصور اليمن وخلاصة ماجاء فيها ان الامام الأول بعد جعفر هو عبد الله بن جعفر ثم محمد بن عبد الله ثم عبد الله بن محمد فأحمد بن عبد الله ثم محمد ابن أحمد وكل هؤلاء تسموا بمحمد خلا عبد الله بن جعفر فانه تسمى باسماعيل . ويضيف الداعى جعفر بأن الامام المهدى كتب اليه بنسبته على النحو الآتى : على بن الحسين بن أحمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن جعفر الصادق (١) .

ويحدد النيسابورى عدد هؤلاء الأئمة بثلاثة ويسمى الأول بعبد الله الأكبر والثانى بأحمد والثالث بالحسين وهو والد المهدى وبعد نقلته نقل الامامة الى ابنه عبيد الله المهدى الذى كان صغيرا فاستودع الامامة عمه سعيد الخير حتى كبر حيث سلم الامامة لصاحبها (٢) . ويشاركه من حيث العدد صاحب زهر المعانى غير أنه يسمى الامام الأول بعبد الله الرضى المستور والثانى بأحمد التقى والثالث بالحسين المقتدى (٣) .

ويرى اسماعيلى آخر : ان محمد بن اسماعيل كان من أئمة عهد الستر وأن سلسلة الأئمة من بعده تجرى على النحو الآتى : محمد بن اسماعيل فولده عبد الله فولده أحمد فولده الحسين

---

(١) انظر كتاب الحاكم لمحمد عنان ص ٦١ نقلا من كتاب الفرائض وحدود الدين لجعفر بن منصور اليمن .
(٢) استتار الامام للنيسابورى ص ٩٥-٩٦ .
(٣) زهر المعانى للداعى ادريس عماد الدين ص ٥٨-٦٦ .

فولده علي .(١)

ويعلق الدكتور محمد كامل حسين على هذه الاختلافات والتناقضات بقوله : "وهكذا نجد أن كل مؤرخ من مؤرخي الاسماعيلية تناول الحديث عن هذه الفترة بما يبدو له بحيث جاء حديثهم مضطربا أشد الاضطراب مختلفا أشد الاختلاف فهم مختلفون في أسماء أئمة هذه الفترة ومختلفون أيضا في عددهم فبعضهم جعل الأئمة ثلاثة وبعضهم قال انهم خمسة وبعضهم قال سبعة" . ثم يضيف قائلا : "انه مادام مؤرخو الاسماعيلية أنفسهم لم يستطيعوا أن يعطونا صورة صحيحة عن أئمتهم في هذه الفترة فمن الطبيعي أن لانجد مؤرخا من مؤرخي العرب اهتم بهم في هذه الفترة ومعنى هذا كله أننا لانستطيع أن ندلي برأي صحيح عن تاريخ الاسماعيلية في هذا الدور" .(٢)

وأخيرا فان هذا الاختلاف والتناقض في مصادر الاسماعيلية ان دل على شيء فانما يدل على ثغرات وخلل في تركيب المذهب ونسب أئمته ولايمكن ملؤه وجبره الا باظهار الحقيقة والاعتراف بالتلفيق والتغطية في نسب الأئمة ومن ثم الحكم عليه بالزيف والبطلان .

---

(١) انظر كتاب الحاكم وأسرار الدعوة لعنان ص ٦٠ .
(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٥-١٩ .

(ج) أئمة الظهور من عبيد الله المهدى حتى سقوط الدولة الفاطمية (العبيدية) :

كان من نتائج الدعوة الاسماعيلية أن قامت لهم دولة واسعة الأطراف امتدت حينا من الزمن توالى عليها وتعاقب عدد من الحكام ابتداء من عام ٢٩٧هـ حتى قضى صلاح الدين الأيوبى رحمة الله عليه على دولتهم نهائيا عام ٥٦٧هـ وعدد حكامها أربعة عشر أولهم المهدى وآخرهم العاضد وبيان ذلك بالتفصيل عن هؤلاء الحكام كالآتى :

(١) عبيد الله المهدى أول أئمة دور الظهور :

يكنى بأبى محمد ويلقب بالمهدى ويعرفه الذهبى بأنه أول من قام من الخلفاء الخوارج العبيدية الباطنية الذين قلبوا الاسلام وأعلنوا بالرفض وأبطنوا مذهب الاسماعيلية وبثوا الدعاة يستغوون الجبلية والجهلة وادعى هذا المدبر انه فاطمى من ذرية جعفر الصادق (١) فقال أنا عبيد الله بن محمد بن عبد الله بن ميمون بن محمد بن اسماعيل بن جعفر بن محمد (٢) .

وكان قد بعث قبل مسيره الى المغرب داعيين شيطانين داهيتين هما أبو عبد الله الشيعى وأخوه أبو العباس فظهر أحدهما باليمن والآخر بافريقيه وعند قدوم عبيد الله الى المغرب اجتمعا وهيآ له استلام الحكم والامامة وبعد فرار من

---

(١) سبق أن تحدثنا عن النسب الفاطمى للمستورين والأئمة الظاهرين قبل بضع صفحات ورجحنا مادلت عليه الأدلة .

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٥-٢١١-٢١٢ .

الشام ومصر تمكن عبيد الله المهدى من الوصول الى سجلماسه وهناك أخرجاه الى الناس وقالا لهم هذا امامنا فبايعه الملأ ومن أشهر الأحداث التاريخية فى عهده قضاءه على الداعيين أبو عبد الله الشيعى وأخوه أبو العباس لما شككا فى نسبه وفى كونه الامام الاسماعيلى وكذلك محاولته اضعاف ثورة مخلد ابن كيداد الملقب بأبى يزيد الخارجى الذى كاد أن يقضى على حكم المهدى ودولته . ومن أعماله بناءه مدينة المهديه نسبة اليه حيث أصبحت عاصمة للخلفاء العبيديين الى عهد المنصور الذى بنى مدينة المنصورية وكانت دولته خمسا وعشرين سنة وأشهرا حيث توفى سنة اثنتين وعشرين وثلاث مئة وقام بعده القائم ثانى أئمة فترة الظهور . (١)

(٢) القائم :

بويع بامامة الاسماعيليين وحكم دولتهم عند موت أبيه (٢)

---

(١) انظر المقفى الكبير للمقريزى ص ٨٩-٩٣ ، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٥-١٤٣-١٤٦ .

(٢) هذا على رأى من يقول ان القائم ابن لعبيد الله المهدى لكن هناك مصادر اسماعيلية تنص وتؤكد على أن عبيد الله المهدى امام مستودع وبعد وفاته سلم الامامة الى القائم الامام المستقر الذى يعتبر من نسل اسماعيل ابن جعفر وعبيد الله المهدى يعتبر من نسل ميمون القداح .
ومن نصوص الاسماعيلية عن ذلك قول أبى الخطاب : فلما حضرت المهدى النقلة سلم الوديعة الى مستقرها وتسلمها محمد بن على القائم وجرت الامامة فى عقبه حتى انتهت الى مستقرها ومعدنها واطمأنت بموضعها من الامام المنصور أبى على أمير المؤمنين بالنص عليه . غاية المواليد للداعى الاسماعيلى أبو الخطاب ص ٣٧ من المنتخب لايفانوف .
وقول الداعى الاسماعيلى المطلق ادريس عماد الدين ان المهدى رابع الخلفاء وممثول المفعة فى الدر حامل أمانة الله ووديعته ومسلمها الى القائم بأمر الله ولده المنتسب اليه بتعليمه وافادته وهو خليفته =

سنة ٣٢٢هـ ويسميه الذهبي صاحب المغرب أبو القاسم محمد بن المهدى عبيد الله ويصفه بقوله : كان مهيبا شجاعا قليل الخير فاسد العقيدة .

كما نقل عن القاضي عبد الجبار قوله عن القائم : انه أظهر سب الأنبياء وكان مناديه يصيح العنوا الغار وماحوى واباد عدة من العلماء وكان يراسل قرامطة البحرين ويأمرهم باحراق المساجد والمصاحف .(١)

ويذكر المقريزى أن له عدة اسماء منها عبد الرحمن ومنها نزار ومنها محمد وهو الاسم الذى اختاره بعد تغيير اسمه الأصلى وتملكه المغرب .(٢)

ومن أشهر الأحداث التاريخية فى عهده الحروب الطاحنة التى جرت بينه وبين الخارجى ابو يزيد مخلد بن كيداد فانه قوى أمره واشتد بأسه حيث انضم اليه العلماء والفقهاء فى محاربة القائم لأنه أظهر الرفض وسب الصحابة على المنابر ففضل هؤلاء العلماء ذلك الخارجى على هذا الرافضى وكاد

= القائم منه . زهر المعانى للداعى ادريس ص ٦٧ من المنتخب لايفانوف .
وهناك نص آخر هام جدا لأنه صادر عن قاضى الاسماعيلية وداعيتهم المقرب القاضى النعمان ابن حيون يقول عن المهدى ومحاولته مبايعة ابنه وصرفها عن القائم : انه ـ أى عبيد الله المهدى ـ أراد أن يؤثر به من قرب منه ممن لم يجعله الله له فكلما نصب لذلك واحدا مات واستأثر الله به الى أن ذهب أقاربه وأقام صاحب الحق ضرورة اذ لم يجد غيره فقال : الآن ياعم بعد أن فعلت مافعلت ... الخ النص من المجالس والمسايرات للقاضى ابن حيون الاسماعيلى ص ٤١٠-٤١١ .
ولمزيد من التفصيل يرجع الى كتاب الأستاذ احسان الهى رحمه الله ص ٢١١-٢١٨ فانه ذكر نصوصا فى غاية الأهمية فى هذه المسألة كما أنه توصل الى عشر حقائق مهمة استنباطا من هذه الروايات والنصوص .

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٥-١٥٢ .
(٢) المقفى الكبير للمقريزى ص ١١٣ .

ابو يزيد أن يقضى عليه حيث وصل الى مدينة المهدية وحاصرها لكن القائم أجمع أمره وأظهر من الحزم مالم يسمع بمثله حتى تفرق جمع أبى يزيد وكان ذلك بخطأ من الخارجى الذى قال لأصحابه انكشفوا عن أهل القيروان ففعلوا ذلك فأوغل جيش القائم وعسكره فيهم حتى استشهد خمسة وثمانون نفسا من العلماء والزهاد .(١)

وفى أثناء هذه المعارك مات القائم سنة ٣٣٤هـ بعد أن فوض الأمر الى ابنه اسماعيل الملقب بالمنصور وكتم موت أبيه خوفا من أن يتصل ذلك بأبى يزيد فيقوى عزمه وكانت مدة امامته وحكمه اثنتى عشرة سنة وبضعة أشهر .(٢)

(٣) المنصور :

تولى حكم الدولة العبيدية بعد وفاة والده عام ٣٣٤هـ ويسميه الذهبى بأبى الطاهر اسماعيل بن القائم بن المهدى العبيدى الباطنى صاحب المغرب . ويصفه بأنه بطل شجاع رابط الجأش فصيح مفوه يرتجل الخطب وفيه اسلام فى الجملة وعقل بخلاف أبيه الزنديق . كما كان محببا الى الرعية مقتصرا على اظهار التشيع .

ومن أهم الأحداث التاريخية فى عهده القضاء على ثورة الخارجى مخلد بن كيداد حيث حاربه المنصور حتى كاد مخلد بن كيداد أن يقضى على دولة بنى عبيد بحيث لم يبق لهم سوى المهدية ولكن المنصور صابر الاباضية وجرت معارك كثيرة كانت

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥/١٥٣-١٥٥ ، المقفى الكبير ص ١١٩-١٢٠ .
(٢) المقفى الكبير للمقريزى ص ١٢٢ .

نهايتها أن انكسر جيش الخارجي وأسر في سنة ٣٣٦هـ ثم مات مثخنا بجراحه . وبعد ذلك بنى المنصور مدينة المنصورية وأصبحت عاصمة له حيث نزلها وأقام بها مدة ولايته الى أن توفي سنة احدى وأربعين وثلاث مئة وله تسع وثلاثون سنة ومدة ولايته سبع سنوات وبضعة أشهر وخلفه في الولاية ابنه معد الملقب بالمعز[١] .

(٤) المعز :

يلقب بأبي تميم واسمه معد بن المنصور بن اسماعيل بن القائم العبيدي المهدوي ولي الخلافة العبيدية عند وفاة والده سنة ٣٤١هـ وفي فترة ولايته تمكن من ضم مصر الى دولتهم ثم نقل عاصمتهم اليها عام ٣٦٢هـ وبنى القاهرة وانتقل اليها وأصبحت عاصمة الدولة العبيدية . وكان شديد المداراة والمداهنة فيما يتعلق بمذهبه الاسماعيلي حيث كان يكتمه ولايبوح به الا لخواصه[٢] .

ويذكر المقريزي والذهبي بأن في وقته أعلن الأذان بمصر والشام بحي على خير العمل[٣] .

كما يذكر الذهبي : بأن الرفض ظهر في وقته وأبدى صفحته وشمخ بأنفه في مصر والشام والحجاز والمغرب[٤] .

وكان المعز مغاليا في باطنيته واسماعيليته وله أدعية خاصة تسمى باسمه ومن أشهرها الدعاء المسمى بدعاء يوم

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥٦/٣٥-١٥٩ .
(٢) الكامل لابن الأثير ٧٤/٧ .
(٣) اتعاظ الحنفا ١٨٨/١ ، الخطط ٣٥٢/١ وكلاهما للمقريزي ، سير أعلام النبلاء للذهبي ١٦٤/١٥ .
(٤) المرجع السابق للذهبي بنفس الصفحة .

السبت وفى ألفاظه كفر واضح وهذا نصه . يقول الداعى الحارثى عن امام الاسماعيلية محمد بن اسماعيل : ان قيامه تمام دور الستر واعتقاد دور الكشف ونسخ شريعة الرسول السادس ثم يقول وبذلك نطق مولانا المعز فى دعاء يوم السبت حيث قال : وعلى القائم بالحق الناطق بالصدق التاسع من جده الرسول الثامن من أبيه الكوثر السابع من آبائه الأئمة سابع الرسل من آدم وسابع الأوصياء من شيث وسابع الأئمة من البرره الى قوله الذى شرفته وعظمته وكرمته وختمت به عالم الطبيعة وعطلت بقيامه ظاهر شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ... الخ الدعاء (١) .

ومما له دلالة فى تاريخ المعز أن قاضيه أبا حنيفة بن حيون من أشهر علماء الاسماعيلية وأكثرهم تاليفا ومؤلفاته كلها مليئة بالعقائد الباطنية والاسماعيلية بل انه هو فقيه المذهب بلا منازع . وهذا يدل على دور المعز وأهمية فترته فى نشر المذهب الاسماعيلى والدعوة اليه .

ومما عرف عن المعز العبيدى تنكيله بأهل السنة وتعذيبهم بأبشع العقوبات فقد ذكر الحافظ ابن كثير فى تاريخه عن العابد الزاهد أبا بكر النابلسى أنه أفتى بكفر العبيديين فأحضر بين يدى المعز فقال له : بلغنى عنك أنك قلت لو أن معى عشرة أسهم لرميت الروم بتسعة ورميت المصريين بسهم فقال ماقلت هذا وظن أنه رجع عن قوله فقال كيف قلت ؟ قال : ينبغى أن نرميك بتسعة ثم نرميهم بالعاشر قال ولم ؟

---

(١) الأنوار اللطيفة للداعى الاسماعيلى طاهر الحارثى ص ١٣٠ من كتاب الحقائق الخفية للأعظمى .

قال : لأنكم غيرتم دين الأمة وقتلتم الصالحين وأطفأتم نور الالهية وادعيتم ماليس لكم فأمر باشهاره فى أول يوم ثم ضرب فى اليوم الثانى بالسياط ضربا مبرحا ثم أمر بسلخه فى اليوم الثالث فجئ بيهودى فجعل يسلخه وهو يقرأ القرآن قال اليهودى : فأخذتنى رقة عليه فلما بلغت تلقاء قلبه طعنته بالسكين فمات رحمه الله فكان يقال له الشهيد واليه ينسب بنو الشهيد من أهل نابلس الى اليوم ولم تزل فيهم بقايا خير .(١)

وذكر بعض المؤرخين أن المعز أراد ادعاء النبوة لنفسه ولكنه خاف من رعيته فى المغرب وتراجع واذن مؤذنه فوق صومعة جامع القيروان : أشهد أن معدا رسول الله فارتج البلد لذلك .(٢)

ومن الأحداث التاريخية المشهورة فى عهد المعز خلافه مع القرامطة بقيادة الحسن الأعصم حيث جرت معارك طويلة ذهب ضحيتها الآلاف ووصل الزعيم القرمطى الى أسوار القاهرة ويصف ثابت بن سنان كيفية هذه المعارك بقوله : ان أرض مصر اشتعلت أعلاها وأسفلها بنار الحرب من القرامطة .(٣)

ويقول ابن كثير : ان المعز حار فيما يصنع وضعف جيشه عن مقاومتهم .(٤) ولم يهدأ المعز حتى أعمل فكره فى فل عسكر

---

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٢٨٤/١١ ، كتاب المقفى الكبير للمقريزى ص ٢٣٧،٢٣٨ ، وفى كتاب المنتظم لابن الجوزى وصف مطول لهذا الاجرام البشع ومقارنة بين قساوة العبيدى وشفقة اليهودى الذى قام بعملية السلخ وكان ذلك فى أحداث سنة ٣٦٥هـ .

(٢) البيان المغرب لابن عذارى المراكشى ٢٨٢/١ .

(٣) تاريخ أخبار القرامطة لثابت بن سنان ص ١٠٧ .

(٤) البداية والنهاية لابن كثير ٢٧٦/١١ .

القرمطى حيث بذل مالا كثيرا لأحد قادة القرمطى ونجحت هذه الحيلة باضعاف معنوية الجيش القرمطى وبالتالى الى انهزامهم فترة من الوقت حيث عادوا مرة أخرى بعد وفاة المعز (١) أبان ولاية ابنه العزيز الذى تولى امامة العبيديين بعد وفاة والده عام ٣٦٥هـ وكانت مدة حكم المعز أربعا وعشرين سنة . ومن تلاعب المعز بعقيدة الامامة أن خرق القاعدة المعروفة عند الشيعة عموما وهى تسلسل الامامة فى الأعقاب مع وجوب النص على من يتولى الامامة من أولاد الامام . فقد نص المعز على ولاية ابنه عبد الله ولكن عبد الله توفى فى حياة أبيه فعاد المعز ونص على ابنه العزيز دون أن يقيم وزنا للعقيدة الاسماعيلية (٢) .

(٥) العزيز :

يسمى بنزار ويكنى بأبى منصور وهوخامس الخلفاء العبيديين . تولى الحكم سنة ٣٦٥هـ بعد وفاة والده .

ومما اشتهر فى فترته كثرة استعمال اليهود والنصارى فى وظائف الدولة وتسليطهم على رقاب المسلمين حتى أن امرأة كتبت اليه بقولها : بالذى أعز اليهود بمنشا والنصارى بابن نسطورس وأذل المسلمين بك ان لانظرت فى أمرى . وكان قد ولى عيسى بن نسطورس النصرانى أمر مصر واستناب منشا اليهودى

---

(١) ذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى ص ٣ ، الكامل لابن الأثير ٢٣٠/٨ .
(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٤١ .

بالشام .(١)

وذكر الامام الذهبى وغيره أنه فى أيامه أظهر سب الصحابة جهارا .(٢)

وفى سنة ٣٨٦هـ مات نزار وخلفه ابنه الملقب بالحاكم وكانت فترة حكمه احدى وعشرين سنة .

(٦) الحاكم :

هو سادس أئمة الظهور للاسماعليين يسمى بمنصور بن نزار ويكنى بأبى على ويلقب بالحاكم ويعرفه الذهبى بقوله : العبيدى المصرى الرافضى بل الاسماعيلى الزنديق المدعى الربوبية ويصفه : بانه كان شيطانا مريدا جبارا عنيدا كثير التلون سفاكا للدماء خبيث النحلة عظيم المكر جوادا ممدحا له شأن عجيب ونبأ غريب كان فرعون زمانه يخترع كل وقت أحكاما يلزم الرعية بها أمر بسب الصحابة رضى الله عنهم وبكتابة ذلك على أبواب المساجد والشوارع وأمر عماله بالسب ... الخ تناقضاته واضطراباته .(٣)

وقد تولى الحاكم الحكم وعمره احدى عشرة سنة حيث عهد والده الى ثلاثة من كبار رجال الدولة برعايته وتولى شؤون الدولة وبقى الأمر كذلك حتى عام ٣٩٠هـ حينما استطاع الحاكم قتل أحد الأوصياء عليه وتولى منذ ذلك الحين زمام الأمور هناك .

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٥/١٦٧-١٦٨ ، الكامل لابن الأثير ٧/١٧٦ ، النجوم الزاهرة لابن تغرى ص ١١٦ ، المنتظم لابن الجوزى ٧/١٩٠ .

(٢) سير أعلام النبلاء ١٥/١٧٠ ، البيان المغرب لابن عذارى ص ٢٨٥ .

(٣) انظر سير أعلام النبلاء للذهبى ١٥/١٧٣ .

وقد بدا الحاكم حكمه بقتل عدد من كبار رجال الدولة واصدار سجلات غريبة شاذة يحرم فيها أشياء كثيرة . ثم يعود بعد ذلك الى اباحتها بشكل متناقض وكان أثناء ذلك يقتل الكثير من خدم قصره وكتبته وكذلك من عامة الناس وكان كل هذا تمهيدا لاعلان مايعتلج فى نفسه من ادعاء للربوبية (١) .

وفى سبيل ذلك أسس الحاكم مركزا لاعداد وتوجيه دعاة الاسماعيلية أسماه دار الحكمة واستقطب هذا المركز الدعاة الاسماعيليين من كل مكان . وكانت دروسه تركز على العقائد الاسماعيلية وتثبيتها فى أذهان الدعاة والطلبة لنشرها .

وقد احتشد فى هذه الدار طائفة من الدعاة الكبار للمذهب الاسماعيلى فالتفوا حول الحاكم وزينوا له فكرة الوهيته التى كانت تعتلج فى نفسه مما جعله وراء هذه الدعوة يرعاها ويرقب تطوراتها ويتصرف على ضوئها ويشجع دعاتها حتى انه كثيرا مايلتقى بهم فى القرافة ليظهر عطفه وتودده اليهم وليعرف منهم مدى ماوصلت اليه هذه الدعوة من نجاح (٢) .

وحتى تكون الصورة واضحة عن شخصية الحاكم الذى كتب عنه الكثير وأفرد ببعض المؤلفات (٣) نستعرض بعض أقوال

---

(١) انظر كتاب سمط النجوم العوالى للعصامى ٣/٤١٤-٤٢٩ ، أخبار الدول وآثار الأول للقرمانى ص ١٨٩-١٩١ .

(٢) كتاب الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية لعنان ص ١٦٤ ، تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم حسن ص ٣٥٥ .

(٣) من هذه المؤلفات كتاب محمد عبد الله عنان الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية طبع فى القاهرة ١٣٧٩هـ ، وكتاب الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه طبع القاهرة ١٩٥٩م وقد بالغ المؤلف فى التعصب وقلب الحقائق حتى شبه الحاكم بعمر بن الخطاب رضى الله عنه .

المؤرخين وخاصة المعاصرين له أو القريبين من عصره فعند هؤلاء أخبار وحوادث تميز الحق من الباطل وتبين هذه الشخصية الغامضة .

فابن تغرى بردى من المؤرخين يقول عن الحاكم : "وكانت خلافته متضادة بين شجاعة وإقدام وجبن واحجام ومحبة للعلم وانتقام من العلماء وميل الى الصلاح وقتل الصلحاء وكان الغالب عليه السخاء وربما بخل بما لم يبخل به أحد قط وأقام يلبس الصوف سبع سنين وامتنع عن دخول الحمام وأقام سنين يجلس فى ضوء الشمع ليلا ونهارا ثم عن له أن يجلس فى الظلمة فجلس فيها مدة وقتل من العلماء والكتاب والأماثل مالايحصى وكتب على المساجد والجوامع سب أبى بكر وعمر وعثمان وعائشة وطلحة والزبير ومعاوية وعمرو بن العاص رضى الله عنهم فى سنة خمس وتسعين وثلثمائة ٣٩٥هـ ثم محاه بعد سنتين فى سنة ٣٩٧هـ" (١) .

أما القلانسى فيقول عن الحاكم : "انه كان غليظ الطبع قاسى القلب سفاكا للدماء قبيح السيرة مذموم السياسة شديد التعجرف والاقدام على القتل غير محافظ على حرمة خادم ناصح ولاصاحب مناصح" (٢) .

ويروى ابن خلكان : "ان الحاكم كان جالسا فى مجلسه العام وهو حافل بأعيان دولته فقرأ بعض الحاضرين قوله تعالى : {فلا وربك لايؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لايجدوا فى انفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما} (٣) والقارىء

---

(١) النجوم الزاهرة فى ملوك مصر والقاهرة ٤/١٧٦-١٧٧ .
(٢) ذيل تاريخ دمشق لأبى يعلى القلانسى ص ٨٠ .
(٣) النساء : ٦٥

فى أثناء ذلك يشير الى الحاكم . فلما فرغ من القراءة قرأ شخص آخر يعرف بابن المشجر وكان رجلا صالحا {ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب . ماقدروا الله حق قدره ان الله لقوى عزيز} (١) فلما أنهى قراءته تغير وجه الحاكم ثم أمر لابن المشجر المذكور بمائة دينار ولم يطلق للآخر شيئا ثم ان بعض أصحاب ابن المشجر قال له : أنت تعرف الحاكم وكثرة استحالاته ومانأمن أن يحقد عليك وانه لايؤاخذك فى هذا الوقت ثم يؤاخذك بعد هذا فتتأذى معه ومن المصلحة عندى أن تغيب عنه فتجهز ابن المشجر للحج وركب فى البحر فغرق فرآه صاحبه فى النوم فسأله عن حاله فقال : ماأقصر الربان معنا أرسى بنا على باب الجنة رحمه الله تعالى وذلك ببركة جميل نيته وحسن قصده (٢) .

ويقول السيوطى : "ان الحاكم أمر الرعية اذا ذكره الخطيب على المنبر أن يقوموا على أقدامهم صفوفا اعظاما لذكره واحتراما لاسمه فكان يفعل ذلك فى سائر ممالكه حتى فى الحرمين الشريفين وكان أهل مصر على الخصوص اذا قاموا خروا سجدا حتى انه يسجد بسجودهم فى الأسواق وغيرهم وكان جبارا عنيدا وشيطانا مريدا كثير التلون فى أقواله وأفعاله" (٣) .

ويصف كتاب أخبار الدول المنقطعة أعمال الحاكم المتناقضة وسفكه للدماء بلاحساب بأنها أشياء مقصودة أراد

---

(١) الحج : ٧٣-٧٤
(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٩٥/٥ .
(٣) حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة للسيوطى ٦٠١/١ .

أن يموه بها على عقول أصحابه السخيفة فيعتقدون ان له فى ذلك أغراضا صحيحة استأثر بعملها وتفرد عنهم بمعرفتها وهذا بالطبع كان تمهيدا لاعلان الوهيته (١) .

ويذكر عنان أن الحاكم أمر بعمل مقصلة كبيرة للاعدام فارتاع الناس حتى ان كل جماعة حسبت انها معدة لها مما جعلهم يسترحمون الحاكم ويقبلون الأرض بين يديه طالبين العفو والرحمة بسجل مكتوب وموقع من الحاكم (٢) .

ويقول عنه المكين ابن العميد فى تاريخه المسمى تاريخ المسلمين : وكان ردىء السيرة فاسد العقيدة مضطربا فى جميع أموره يأمر بالشىء ويبالغ فيه ثم يرجع عنه ويبالغ فى نقضه (٣) .

تلك وقائع وأحداث تاريخية اتفق على ذكرها وروايتها جمع من المؤرخين بعضهم - كما قلنا من قبل - امامعاصر للحاكم أو قريب من عهده وهى أحداث ليست اعتباطية أو خالية من أهداف ومقاصد باطنية بل هى بلاريب خطة محكمة وسياسة مقررة ويدل على ذلك تفسير حمزة بن على مؤسس فرقة الدروز أفعال الحاكم وتناقضاته بقوله : انه وصل الى عن بعض الاخوان الموحدين رقعة يذكرون فيها مايتكلم به المارقون عن الدين الجاحدون لحقائق التنزيه ويطلقون ألسنتهم بما يشاكل أفعالهم الردية وماتميل اليه أذنانهم الدنية فيما يظهر لهم من افعال مولانا جل ذكره ونطقه ! ومايجرى قدامه من

---

(١) الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية لمحمد عنان ص ٥٩ .
(٢) المرجع السابق ص ٥٥ .
(٣) تاريخ المسلمين لابن العميد ص ٢٥٩ نقلا من مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوى ٥٦٢/٢ .

الأفعال التى فيها حكمة بالغة شتى فما تغنى النذر ولم يعرفوا بأن أفعال مولانا جل ذكره ! كلها حكمة بالغة جدا كانت أم هزلا يخرج حكمته ويظهرها بعد حين .. ولو نظروا الى أفعال مولانا جلت قدرته ! بالعين الحقيقية وتدبروا اشارته بالنور الشعشعانى لبانت لهم الالوهية والقدرة الأزلية والسلطان الأبدى وتخلصوا من شبكة ابليس وجنوده الغويه ولتصور لهم حكمة ركوب مولانا وأفعاله وعلموا حقيقة المحصن فى جده وهزله ووقفوا على مراتب حدوده وماتدل عليه ظواهر أموره جل ذكره وعز اسمه ولامعبود سواه !! (١)

ويعلق الدكتور بدوى على هذا النص وغيره من النصوص الباطنية بقوله : "ومن هنا نرى أن أصحاب الحاكم هم أنفسهم أول من يقرون بأنه ارتكب "افعالا مظلمة تحير العقول" وأتى من الأمور الغريبة ماجعل داعيته الأول فى الديانة الجديدة حمزة بن على يلتمس لها تلك التأويلات البالغة الغرابة التى رأيناها فى جزء من رسالة حمزة .

واذن فلايشك أحد سواء من أنصار الحاكم وأتباعه المعاصرين له وخصومه فى أن أفعاله غريبة شاذة والفارق بين كلا الفريقين هو فى طريقة تأويل هذه الغرابة فى السلوك . وفى هذا التأويل نجدهما على طرفى نقيض . فأنصاره ودعاته يتخذون من ذلك دليلا على ألوهيته أو سمو مكانته . وخصومه يتخذون منها دليلا على هوسه وجنونه . (٢)

---

(١) هذا جزء من نص طويل لمؤسس ديانة الدروز حمزة بن على فى رسالته التى عنوانها : "كتاب فيه حقائق مايظهر قدام مولانا جل ذكره من الهزل" مخاطبا اخوانه الموحدين . انظر مذاهب الاسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوى ٢/٥٦٥-٥٦٦ .

(٢) المرجع السابق ٢/٥٧٤-٥٧٥ .

وعلى كل حال فان رسائل فرقة الدروز - التى ألهت الحاكم - تفسر جميع أفعاله القبيحة وتناقضاته العجيبة على أنها أمور تدل على الوهيته . هذا وبد بدأت هذه الدعوة الالحادية بداية سرية فى عام ٤٠٠هـ ولكن الجهر بها وبشكل واضح وعلنى كان عام ٤٠٨هـ على يد ثلاثة فى أول أمرهم من دعاة الاسماعيلية وهم حمزة الزوزنى ومحمد بن اسماعيل الدرزى والحسن بن حيدرة الفرغانى[1] .

ويقول غالب عن حمزة بن على : "انه استطاع أن يجمع حوله بعض الدعاة ويتفقون سرا للدعوة الى تأليه الحاكم معتمدا فى دعوته هذه على أصول وأحكام استنبطها من صميم الأصول والأحكام الاسماعيلية"[2] .

هذا وقد انتهت حياة الحاكم نهاية غامضة لا أحد يعرف تفاصيلها على وجه التأكيد ولكن مما يرجح أن أخته ست الملك قد دبرت اغتياله أثناء جولته التى كان يقوم بها على سفح جبل المقطم وربما دفعها الى ذلك أمران :

الأول : خوفها من أن تؤدى تصرفات الحاكم الغريبة الأطوار الى نهاية الدولة الفاطمية .

والثاني : خوفها على نفسها من بطشه اذ يقال أنه اتهمها بسوء سلوكها مع الرجال[3] .

أما الدورز فيقولون بغيبة الحاكم ويزعمون أنه لم يقتل ولم يمت ولكنه اختفى أو ارتفع الى السماء وسيعود

---

(١) طائفة الدروز للدكتور محمد كامل حسين ص ٧٥ .
(٢) الحركات الباطنية فى الاسلام لمصطفى غالب ص ٢٤١ .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٠/١٢ ، المنتظم لابن الجوزى ٢٩٨/٧-٣٠٠ ، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٨٠/١٥-١٨١ .

عندما تحل الساعة فيملأ الأرض عدلا وأصبح هذا الادعاء أصلا من أصول عقيدتهم . ويزعم الدروز أن هذه الغيبة ستستمر ولن يعود الحاكم للظهور فى الصورة الناسوتية الا يوم القيامة وهو اليوم الذى يظهر فيه مذهب الدروز على غيره من المذاهب والأديان !! (١)

وبنهاية الحاكم ينتهى دور الامام السادس من أئمة دور الظهور عند الاسماعيلية بعد أن جعل ولاية عهده وزعامة الاسماعيلية وامامتهم فى عبد الرحيم بن الياس أحد أبناء عمومته معرضا (٢) عن أصل من أصولهم فى انتقال الامامة من الآباء الى الأبناء لكن أخت الحاكم الملقبة بست الملك عزلت عبد الرحيم وأقامت ابن الحاكم مقامه وكان ذلك عام ٤١١هـ وكانت مدة تسلط الحاكم وجبروته خمسا وعشرين عاما (٣) .

ويرى الذهبى أن عبد الرحيم بن الياس العبيدى لما ولاه الحاكم ولاية العهد بعثه الى دمشق قبل وفاة الحاكم بسنة فأقبل على الملاهى والخمور واضطرب العسكر عليه ولما مات الحاكم قبض الأمراء عليه وسجنوه واغتالوه (٤) .

(٧) الظاهر بن الحاكم :

ويكنى بأبى الحسن واسمه ـ كما يقول الذهبى ـ على بن الحاكم منصور بن العزيز نزار بن المعز العبيدى المصرى

---

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ٢٦٨ .
(٢) اتعاظ الحنفا للمقريزى ٢/١٠٠-١٠١ ، النجوم الزاهرة ١٩٣/٤ .
(٣) البداية والنهاية لابن كثير ١٠/١٢ ، الكامل لابن الأثير ٣٠٥/٧ .
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٨٤/١٥ .

ولا استحل أن أقول العلوى الفاطمى لما وقر فى نفسى من أنه دعى .

بويع وهو صبى وعمره ست عشرة سنة لما قتل أبوه سنة احدى عشرة وأربع مائة (١) .

وفى عهده كثر المجون وشرب الخمور وكان هو بنفسه يقع فى ذلك ويزاوله حتى رخص للناس فيه وقد ذكر ذلك جمع من المؤرخين (٢) .

ومن أعماله لنشر المذهب الاسماعيلى : أن أمر بنفى من وجد من الفقهاء المالكية وغيرهم وأمر دعاة مذهبه أن يحفظوا الناس كتاب دعائم الاسلام وكتاب يعقوب بن كلس فى الفقه على مذهب آل البيت وفرض لمن يحفظ ذلك مالا وجلس الدعاة بالجامع للمناظرة (٣) .

وذكر المقريزى فى خططه أن الظاهر كان مشغوفا باللهو فتأنق الناس فى أيامه بمصر واتخذوا المغنيات والراقصات وبلغوا من ذلك مبلغا عظيما (٤) .

وقد استمر حكمه خمس عشرة سنة وتسعة أشهر حيث مات سنة سبع وعشرين وأربعمائة عن عمر يناهز احدى وثلاثين سنة وعدة أشهر وقام بعده ابنه المستنصر (٥) .

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٨٤/١٥ .
(٢) الخطط المقريزية للمقريزى ٣٥٤/١ ، اتعاظ الحنفا للمقريزى أيضا ١٢٩/٢ ، نهاية الارب للنويرى البيان المغرب لابن عذارى ٢٨٧/١ .
(٣) اتعاظ الحنفا ١٧٥/٢ .
(٤) الخطط المقريزية ٣٥٥/١ .
(٥) اتعاظ الحنفا للمقريزى ١٨٢/٢-١٨٣ ، سير أعلام النبلاء للذهبى ١٨٦/١٥ .

(٨) المستنصر أبو تميم معد بن الظاهر على بن الحاكم العبيدى :

ولى الأمر بعد أبيه وله سبع سنين سنة سبع وعشرين وأربعمائة فامتدت أيامه ستين سنة وأربعة أشهر (١) .

وأمه أم ولد كانت أمة سوداء لتاجر يهودى يقال له أبو سعد سهل بن هارون التسترى فابتاعها منه الظاهر واستولدها المستنصر فلما أفضت الخلافة اليه استندت ابا سعد ورقته درجة عليا (٢) . وفى فترة حكمه ظهر رجل بمصر يشبه الحاكم فادعى انه هو وقد خرج من الغيبة فتبعه خلق من الغوغاء ممن يعتقدون رجعة الحاكم وقصدوا القصر فثارت الفتنة ثم أسر هذا وجلب هو وجماعة بالقاهرة (٣) .

ويسوق أبو المحاسن عادة من عادات المستنصر فى كل سنة تدل على استهتاره بالمعتقدات الدينية والشرائع الاسلامية فهو : يخرج فى كل سنة الى مكان خارج القاهرة يسمى "جب عميره" موضع نزهة ومعه النساء والحشم بهيئة أنه خارج الى الحج على سبيل الهزء والمجانه ومعه الخمر فى الروايا عوضا عن الماء ويسقيه الناس كما يفعل بالماء فى طريق مكة (٤) .

ولذا يصفه الذهبى بخبث العقيدة وخبث الرفض ويستدل على ذلك : بأن سب الصحابة كان فاشيا فى أيامه والسنة غريبة مكتومة حتى انهم منعوا الحافظ أبا اسحاق الحبال من

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٥/١٨٦ .
(٢) الخطط المقريزية للمقريزى ١/٣٥٥ .
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٥/١٨٧ .
(٤) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٥/١٧-١٨ .

رواية الحديث وهددوه فامتنع .[1]

وقد طالت فترة حكمه حيث بقى ستين سنة وأشهرا وعمر حتى قارب السبعين حيث مات سنة سبع وثمانين وأربعمائة وقام بالأمر بعده ابنه أحمد الملقب بالمستعلى .

(د) ويعتبر المستنصر آخر أئمة الاسماعيليين باتفاق فى فترة الظهور قبل انقسام الطائفة الى فرقتين كبيرتين هما :

(أ) الاسماعيلية المستعلية أو الاسماعيلية الغربية وهم الذين ساقوا الامامة للمستعلى - بن المستنصر - ونسله من بعده .

(ب) الاسماعيلية النزارية أو الاسماعيلية الشرقية وهم الذين ساقوا الامامة لنزار بن المستنصر .[2]

وسبب هذا الانقسام أن المستنصر نص على امامة ابنه نزار من بعده لكن وزيره الأفضل بن بدر الجمالى انتهز فرصة وفاة المستنصر وأعلن امامة ابنه الأصغر وهو المستعلى لأنه ابن أخت الوزير . وحارب الأفضل نزارا ومن معه حتى ظفر به وكانت نهايته أن بنى عليه حائطين وجعله بينهما الى أن مات كما يقول جمع من المؤرخين[3] وان خالف فى ذلك الاسماعيلية النزارية على نحو ماسنفصل القول فيه بعد حديثنا عن أئمة الاسماعيلية المستعلية .

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٥/١٩١-١٩٦ .
(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٤٥-٤٦،٦٢ ، اتعاظ الحنفا ٣/٢٧ .
(٣) انظر الكامل لابن الأثير ١٠/٢٣٧ ، النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٥/١٤٢ ، اتعاظ الحنفا للمقريزى ٣/١٢ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٢/٤٥٠ .

(هـ) ائمة الاسماعيلية المستعلية :

(٩) المستعلى :

يسميه الذهبى بصاحب مصر أبو القاسم أحمد بن المستنصر معد ، بن الحاكم منصور ، بن العزيز ، بن المعز العبيدى المهدوى المصرى . قام بعد أبيه سنة سبع وثمانين وأربعمائة وله احدى وعشرون سنة (١) .

وفى عهده نكب المسلمون بحدث لم يعهدوه حيث استولى الصليبيون على بيت المقدس وأكثر مدائن الشام ويصف ابن خلكان هذا الحدث الخطير بقوله : "وفى أيام المستعلى اختلت دولة العبيديين وضعف أمرهم وانقطعت من أكثر مدن الشام دعوتهم وانقسمت البلاد الشامية بين الأتراك والافرنج ـ خذلهم الله تعالى ـ فانهم دخلوا الشام ونزلوا على انطاكيه فى ذى القعدة سنة تسعين وأربعمائة ثم تسلموها فى سادس عشر رجب سنة احدى وتسعين وأخذوا معرة النعمان فى سنة اثنتين وتسعين وأخذوا البيت المقدس فى شعبان سنة اثنتين وتسعين أيضا وكان الفرنج قد أقاموا عليه نيفا وأربعين يوما قبل أخذه وكان أخذهم له ضحى يوم الجمعة وقتل فيه من المسلمين خلق كثير فى مدة أسبوع وقتل فى الأقصى مايزيد على سبعين الفا وأخذوا من عند الصخرة من أوانى الذهب والفضة مالايضبطه الوصف وانزعج المسلمون فى جميع بلاد الاسلام بسبب

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٩٦/١٥ .

أخذه غاية الانزعاج وكان الأفضل - وزير المستعلى - قد تسلمه من سكمان بن ارتق فى يوم الجمعة لخمس بقين من شهر رمضان سنة احدى وتسعين وولى فيه من قبله فلم يكن لمن فيه طاقة بالفرنج فتسلموه منه ولو كان فى يد الارتقية لكان أصلح للمسلمين[1] .

وكتب التاريخ حينما تتحدث عن هذا الخطر الداهم والاستيلاء الغاشم من الصليبيين على ديار المسلمين تستريب من موقف المستعلى ووزيره الأفضل بن بدر الجمالى حيث لم يحركا ساكنا تجاه هذه الهجمة الصليبية الشرسة . يقول ابن تغرى بردى بعدما ذكر اجتماع بعض ملوك الاسلام بالشام وتآزرهم فى الوقوف فى وجه الصليبيين : ان الأفضل لم ينهض باخراج عساكر مصر وما أدرى ماكان السبب فى عدم اخراجه مع قدرته على المال والرجال . وفى موضع آخر يصف المستعلى بأنه متقاعد عن الجهاد متهاون فى أخذ البلاد متغال فى الرفض والتشيع[2] . وهذا الموقف السلبى من المستعلى ووزيره الجمالى شجع الصليبيين الغزاة على الاستيلاء على مزيد من المدن والأرافى فاستولوا على الساحل الشامي بأجمعه فملكوا حيفا فى عام ٤٩٣هـ ثم قيساريه فى عام ٤٩٤هـ[3] .

ولهول هذه الفاجعة وعظم خطرها التى حلت بديار المسلمين انبرى الخطباء والشعراء فى وصفها والنعى على حكام الدولة العبيدية آنذاك وتخاذلهم ومنها مانقله المؤرخ ابن تغرى فى تاريخه قول أحد الشعراء :

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ١٧٩/١ .
(٢) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٤٧/٥-١٥٣ .
(٣) وفيات الأعيان لابن خلكان ١٧٩/١ ، الكامل لابن الأثير ٣٢٥/١٠ .

أحل الكفر بالاسلام ضيما
يطول عليه للدين النحيب
فحق ضائع وحمى مباح
وسيف قاطع ودم صبيب
وكم من مسلم أمسى سليبا
ومسلمة لها حرم سليب
وكم من مسجد جعلوه ديرا
على محرابه نصب الصليب
دم الخنزير فيه لهم خلوق
وتحريق المصاحف فيه طيب
أمور لو تأملهن طفل
لطفل في عوارضه المشيب
أتسبى المسلمات بكل ثغر
وعيش المسلمين اذا يطيب
اما لله والاسلام حق
يدافع عنه شبان وشيب
فقل لذوى البصائر حيث كانوا
أجيبوا الله ويحكم أجيبوا (١)

ومع هذه الفجائع والمصائب التى نكب بها المسلمون من الصليبيين الغزاة فان الباطنية والاسماعيلية فى ازدياد ودعوتهم فى اتساع . يقول الذهبى : "وفى دولة المستعلى كثرت الباطنية الملاحدة الذين هم الاسماعيلية وأخذوا القفول

---

(١) النجوم الزاهرة ١٥١/٥-١٥٢ .

وتملكوا قلعة أصبهان وفتكوا بعدد كثير من الكبار والعلماء وشرعوا فى شغل السكين وجرت لهم خطوب وعجائب" (١) .

وقد توفى المستعلى سنة خمس وتسعين وأربعمائة بعد حكم دام ثمانى سنوات قيل انه مات مسموما وأقاموا بعده ولده الآمر منصور وله خمس سنين وأزمة الملك الى الأفضل أمير الجيوش (٢) .

(١٠) الآمر :

يعرفه الذهبى بقوله : "صاحب مصر أبو على منصور ، بن المستعلى أحمد ، بن المستنصر معد ، بن الظاهر ، بن الحاكم العبيدى المصرى الرافضى الظلوم" (٣) .

تولى امامة الاسماعيلية وهو طفل له من العمر خمس سنين واشهر . أحضره الأفضل الجمالى وزير أبيه من قبله وبايع له ونصبه مكان أبيه ونعته بالآمر بأحكام الله ولذا لما ترجم له ابن اياس فى تاريخه قال عنه : وكان صغير السن . طائش العقل تجاهر بالمنكرات واشتغل بسماع الزمور وشرب الخمور . وأنشأ له قصرا بالروضة على شاطئ النيل وسماه الهودج وأنشأ حوله بستانا وسماه المختار وصار ينزل الى ذلك القصر واشتغل به عن أحوال المملكة وصار الناس مثل الغنم بلاراع فعند ذلك اضطربت أحوال مصر (٤) .

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٥/١٩٧ ، والمقصود بالاسماعيلية هنا هم اسماعيلية آلموت أتباع الحسن الصباح القائلين بامامة نزار أخو المستعلى .
(٢) المرجع السابق ١٥/١٩٧ .
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٥/١٩٧ .
(٤) تاريخ ابن اياس ١/٢٢١ .

ويصفه الذهبي بقوله : "كان الآمر خبيث المعتقد سفاكا للدماء متمردا جبارا فاحشا فاسقا صادر الخلق"[١] .

كما يصفه ابن خلكان بقوله : "كان الآمر سيء الرأي جائر السيرة مستهترا متظاهرا باللهو واللعب"[٢] .

ولذا يتفق جمع من المؤرخين على أن الفرنج الصليبيين في أيامه استولوا على عدد من المدن حيث أخذوا مدينة عكا في سنة سبع وتسعين وأربعمائة وأخذوا بعدها طرابلس الشام ونهبوا مافيها وأسروا رجالها وسبوا نساءها وأطفالها وحمل في أيديهم من أمتعتها وذخائرها وكتب علمها وماكان في خزائن أربابها مالايحصى ولايعد ولم تصلهم نجدة الآمر وعسكره الا بعد فوات الأمر وتوالى بعد ذلك سقوط سائر المدن الشامية مثل بانياس وصور وبيروت وصيدا وامتد ذلك الى بعض المدن المصرية حيث دخل الافرنج مدينة الفرما وأحرقوها وأحرقوا جامعها ومساجدها[٣] .

ويصف ابن تغرى بردى الآمر وموقفه من الصليبيين بقوله "فان الآمر مع تلك المساوىء التي ذكرت عنه كان فيه تهاون في أمر الغزو والجهاد حتى استولت الفرنج على غالب السواحل وحصونها في أيامه بل انه لم يكن الأمر تهاونا فقط حيث لم ينهض لقتال الفرنج البته"[٤] . وبالتامل في ترجمة الآمر عند

---

(١) سير أعلام النبلاء ١٥/١٩٩ .
(٢) وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/٣٠٠ .
(٣) انظر سير أعلام النبلاء للذهبي ١٥/١٩٨ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ٥/٣٠٠-٣٠١ ، النجوم الزاهرة لابن تغرى ٥/١٧٠-١٧١ .
(٤) النجوم الزاهرة لابن تغرى ٥/١٧٨ .

معظم المؤرخين نجد منهم اتفاقا على تقاعسه وتخاذله عن الجهاد ضد الصليبيين ان لم يكن عقبة فى طريق الجهاد[1] ، ولذا يقول الدكتور سعيد عاشور : "وارتفع من مصر صوت خافت يتهم الخليفة الآمر الفاطمى بأنه فرط فى صور ويطالب الخلافة الفاطمية باتخاذ سياسة ايجابية فى الجهاد ضد الصليبيين بالشام وزاد من الانقسام الداخلى فى الدولة الفاطمية أن الخليفة الآمر الفاطمى قبض على وزيره ابن البطائحى عام ٥١٩هـ ثم صلبه ولم يتخذ الخليفة الآمر بعد ابن البطائحى وزير سيف بل استبد بأموره وباشرها بنفسه"[2] .

وبقى الآمر فى الملك تسعا وعشرين سنة وتسعة أشهر الى أن خرج يوما الى ظاهر القاهرة وعدى على الجسر الى الجيزة فكمن له رجال فى السلاح ثم نزلوا عليه بأسيافهم وكان فى طائفة ليست بكثيرة فرد الى القصر مثخنا بالجراح وهلك من غير عقب وكان العاشر من الخلفاء الباطنية فبايعوا ابن عم له يلقب بالحافظ وانقلع الآمر فى ذى القعدة سنة أربع وعشرين وخمس مئة[3] .

وكان عمره يوم قتل أربعا وثلاثين سنة وتسعة أشهر ومدة خلافته تسع وعشرون سنة وأشهر[4] .

ويتفق معظم المؤرخين على انقطاع نسله وانه لما قتل لاعقب له فيقول ابن خلكان : "وكان سبب تولية عمه الحافظ من

---

(١) وذلك كابن كثير فى البداية والنهاية ، والكامل لابن الأثير ، ووفيات الأعيان لابن خلكان ، وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسى ص ٢٠٤ .
(٢) شخصية الدولة الفاطمية لسعيد عاشور ص ٤٠ .
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٥/١٩٩ .
(٤) اتعاظ الحنفا للمقريزى ٣/١٣٠-١٣١ .

بعده (على الرغم من مخالفة ذلك لعقيدة تسلسل الامامة فى الأعقاب) ان الآمر لم يخلف ولدا وخلف امرأة حاملا فماج أهل مصر وقالوا : هذا البيت لايموت امام منهم حتى يخلف ولدا ذكرا وينص عليه بالامامة وكان الآمر قد نص على الحمل فوضعت له المرأة بنتا ولهذا السبب بويع الحافظ بولاية العهد ولم يبايع بالامامة مستقلا لأنهم كانوا ينتظرون مايكون من الحمل" (١) .

كما يقول ابن الأثير : "ان الآمر مات بدون خلف له ولاعقب" (٢) .

ويقول الذهبى : "ان الآمر هلك من غير عقب ولذا بايع الباطنية ابن عم له يلقب بالحافظ" (٣) .

ويذكر ابن تغرى ماذكره المؤرخون قبله من موت الآمر ولاعقب له ويضيف على ذلك قوله : "وانقطع النسل من الآمر وأولاده وهذا مذهب طائفة من شيعة المصريين فان الامامة عندهم من المستنصر الى نزار" (٤) .

فالآمر بهذا يعتبر آخر الأئمة الظاهرين فى نظر الاسماعيلية المستعلية لأنه لم يتول امامة الاسماعيلية من بعده الا الكفلاء الأربعة (٥) . وهؤلاء - على رأى جميع طوائف الاسماعيلية - لايعدون من الأئمة الاسماعيلية فدورهم دور الكفلاء لادور الأئمة (٦) .

---

(١) وفيات الأعيان لابن خلكان ٢٣٦/٣-٢٣٧ .
(٢) الكامل لابن الأثير ٢٣٢/٨ .
(٣) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٩٩/١٥ .
(٤) النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٧٤/٥ .
(٥) وهم بقية خلفاء الدولة العبيدية الحافظ عبد المجيد والظافر اسماعيل بن الحافظ والفائز عيسى بن الظافر والعاضد عبد الله بن الحافظ .
(٦) انظر كتاب الاسماعيلية لاحسان الهى ظهير ص ١٦٤-١٦٥ .

واذا كان الآمر بن المستعلى هو آخر أئمة دور الظهور كما أثبتنا سابقا فقد بدأ دور الستر مرة ثانية .

دور الستر عند الاسماعيلية المستعلية :

تعتقد طائفة الاسماعيلية المستعلية - خلافا لما أثبته المؤرخون - أن للآمر ولدا صغيرا اسمه الطيب انتقلت الامامة اليه بنص من أبيه وأخبر الآمر بذلك داعيته أروى المليحية (١) فى اليمن التى تمكنت - كما زعموا - من الاتيان به من مصر الى اليمن عن طريق أحد الدعاة ومن ثم أخفته وجعلت نفسها كفيلة عليه ونائبة عنه فى تولى شؤون الدعوة الاسماعيلية واتخذت لنفسها لقبا هو (كفيلة الامام المستور الطيب بن الآمر) (٢) .

وفى كتب الاسماعيلية المستعلية ماهو صريح بهذا اللغو والعبث يقول الداعيان ادريس عماد الدين وحسن بن نوح : وعاد الامام - أى الآمر - الى قصره ودخل القصر متكئا على ابن عمه عبد المجيد بن محمد المستنصر وأمر عند دخوله القصر باحضار حججه وأبوابه والخلصاء من دعاته وأصحابه فجدد النص على ولده الامام الطيب وأخذ البيعة له بعد أن كان نص عليه يوم ولادته فى السجل الشريف المصدور الى الحرة

---

(١) أروى المليحية من دعاة الباطنية فى اليمن تسمى بأروى بنت احمد بن محمد بن القاسم المليحى وتلقب بالملكة الحرة ولدت سنة ٤٤٠هـ أرسل اليها المستنصر أحد دعاته فاستجابت له وأصبحت من الحجج فى دعوة الاسماعيلية وعند انقسام الاسماعيلية الى مستعلية ونزارية أيدت الطائفة المستعلية وبقيت تدير أمر هذه الطائفة حتى توفيت سنة ٥٣٢هـ . انظر أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ١٤٣-١٥٣ .

(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٤٩-٥٠ .

الملكة ولية أمير المؤمنين كافلة أوليائه الميامين أروى بنت أحمد بن محمد بن القاسم الصليحى وأودع ابن عمه عبد المجيد قصره وظاهر ملكه بعد أن أخذ البيعة عليه وتأكيدها أنه حافظ لما فى يديه للامام الطيب أبى القاسم أمير المؤمنين وسلم اليه جميع ما أمر بأن يؤديه أداء الثقة الأمين ... الخ . (١)

وقد علق الدكتور محمد كامل حسين على هذه القصة بقوله "وفى اعتقادى أن قصة الطيب هذه أقرب الى الأساطير الخيالية منها الى الواقع التاريخى فان أحدا من المؤرخين لم يذكر وجود الطيب بن الآمر الا مانراه فى كتب دعاته أما مايقال عن وجود سجل وجه الى الملكة الحرة من الآمر قبل مقتله فانه فى رأيى سجل موضوع قصد به الباس القصة ثوب الحقيقة حتى يتسنى للصليحيين ومن تبعهم الاعتقاد بحقيقة امامة الطيب . والصليحيون ودعاة الدعوة الطيبية بعدهم هم وحدهم الذين تحدثوا عن الطيب . بينما سكت المؤرخون عنه فلم يذكروا حتى مجرد اسمه فى كتبهم . بل ذهب المؤرخون الى أن زوجة الآمر التى كانت حاملا عند موته وضعت أنثى ولكن الصليحيين قالوا بل وضعت ذكرا هو الطيب ونحن نتساءل عن سبب ستره مع ان الدولة كانت دولة الصليحيين والسلطان فى أيديهم فلم قبلوا أن يدخلوا امامهم الستر وأن يخفوه ماداموا يدعون له ويدينون بطاعته وامامته" . (٢)

---

(١) عيون الأخبار للداعى ادريس ص ٣٤٨ ، كتاب الأزهار للداعى حسن بن نوح ص ٢٤٣ .
(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٥٠-٥١ .

ومما يدل على اختلاق هذه القصة أن كتب الاسماعيلية لاتذكر شيئا عن حياة هذا الامام المزعوم ـ كغيره من الأئمة ـ ولا أين عاش بعد تسلمه الامامة وكم مكث فى الامامة وهل له عقب مستتر أو ظاهر ؟؟؟ وهذا كله ماتسكت عنه مصادر الاسماعيلية وغيرها من الكتب التاريخية حيث لاذكر اطلاقا لأئمة الاسماعيلية سواء كانوا ظاهرين او مستترين بعد هذا الطفل المزعوم . وهذا ماجعل الدكتور محمد كامل حسين يستنتج أن المليحيين وضعوا قصة الآمر هذه حتى يتخذوها ذريعة للانفصال من سلطان الفاطميين الدينى وأن يستقلوا بالنفوذ الدينى والسياسى معا وأوحى دهاء الملكة الحرة وذكاؤها الشديد وحرصها على أن تجمع فى يدها السلطتين السياسية والدينية ـ أوحى اليها ذلك كله أن تدعى ـ انها كافلة الامام المستور وحجته الكبرى وسار على نهجها كل داع مطلق فى الدعوة الى الآن (١) .

ومما تقدم يتضح أن آخر أئمة الاسماعيلية المستعلية هو الآمر بن المستعلى ويتأكد لنا بطلان كل مازعمه الاسماعيلية المستعلية من وجود ابن له يسمى بالطيب وانه دخل دور الستر فى عام ٥٢٥هـ وان الأئمة الذين جاءوا بعده من نسله .

(و) الاسماعيلية النزارية :

هم أئمة الفرع الثانى ويطلق عليهم الاسماعيلية النزارية لتعلقهم وقولهم بامامة نزار بن المستنصر الذى

---

(١) المرجع السابق ص ٥١ ومابين الخطين جملة معترضة أضيفت للنص من باب التوضيح وليست من صلب النص .

كان أكبر من أخيه المستعلى وهو المنصوص عليه بالامامة ونهايته كما تثبتها الروايات التاريخية أن وزير أخيه المستعلى قبض عليه وقتله وانتهى بذلك نسله بدون عقب ظاهر أو مستتر (١) .

غير أن المصادر الاسماعيلية النزارية تزعم أن نزارا تمكن من مغادرة الاسكندرية سرا أثناء الحصار واتجه الى بلاد فارس حيث استقر به المقام فى جبال الطالقان وأسس الدولة النزارية هناك . وينقل مصطفى غالب أقصوصة مفصلة عن كتاب يدعى "الأخبار والآثار" وفيه قصة فرار نزار من الاسكندرية ومما ورد فيها مايلى : "ولما اشتد الحصار على الاسكندرية من قبل الجاحد المارق الزنديق الأرمنى الأفضل غادرها مولانا الامام نزار مع أهل بيته مختفيا بزى التجار نحو سجلماسه حيث مكث عند عمته هناك بضعة أشهر حتى عادت اليه الرسل التى أوفدها لابلاغ الحسن بن الصباح عن محل اقامته فسار الى جبال الطالقان مع أهل بيته ومن بقى معه من دعاة وخدم حيث استقر بقلعة ألموت بين رجال دعوته المخلصين وعمل مع الحسن ابن الصباح على تأسيس الدولة النزارية وبعد أن تم له ذلك أصابه مرض شديد استدعى على اثره دعاته ونص على امامة ابنه على وذلك سنة ٤٩٠هـ وتوفى فى اليوم الثانى ودفن فى قلعة ألموت (٢) .

(١) الخطط للمقريزى ٤٢٣/١ ، الكامل لابن الأثير ٢٣٧/١٠ ، النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ١٤٢/٥ ، اتعاظ الحنفا للمقريزى ١٢/٣ ، وفيات الأعيان لابن خلكان ١٥٠/٢ .

(٢) كتاب تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ١٨٣ ، وانظر أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٥٨٢-٥٨٦ .

وهـذه الروايـة كمـا يقول الدكتور عبد الرحمن بدوى : "ليس لها سند تاريخى ولم يذكرها أى مؤرخ وقصد من اختراعها الربط بين نزار وبين اسماعيلية ايران فى ألموت وسائر القلاع الاسماعيلية هنالك" (١) .

وبموت نزار امام الطائفة الاسماعيلية النزارية وموت الآمر امام الاسماعيلية المستعلية بدون عقب ينقطع نسل أئمة الاسماعيلية ويدير أمور الطائفتين بعد ذلك دعاتهم الذين توزعوا فى أقطار متعددة فى أزمنة متعاقبة . ويحل الدعاة محل الأئمة الذين انتهوا بدون عقب أو بقية من نسل (٢) .

(ز) نهاية الدولة العبيدية :

انتقل ملك العبيديين ـ كما ذكرنا آنفا ـ من الآمر الى ابن عمه الحافظ عبد المجيد اماما بالنيابة أو مستودعا لها ولكنه دعا لنفسه من بعد بالامامة الكاملة خلافا لتعاليم الاسماعيلية المذهبية وخرقا لقاعدتهم فى سير الامامة فى الأعقاب مع عدم رجوعها أو انتقالها الى غيرهم . وسلسلة هؤلاء المستودعين كالتالى :

(١) الحافظ أبو الميمون عبد المجيد تولى فى المحرم سنة ٥٢٥هـ .

(٢) الظافر أبو المنصور اسماعيل تولى فى جمادى الآخرة سنة ٥٤٤هـ .

---

(١) انظر مذاهب الاسلاميين لبدوى ٣٥٦/٢ .

(٢) عن الاسماعيلية المستعلية وانقطاع نسل أئمتهم يرجع الى كتاب طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٦١ ، وعن الاسماعيلية النزارية ص ٨-٨٢ من الكتاب نفسه . ويرجع كذلك الى مقدمة كتاب سمط الحقائق لعلى بن حنظلة ص ٦-١٠ وذلك عن انقطاع نسل أئمة المستعلية وحلول الدعاة محلهم .

(٣) الفائز أبو القاسم عيسى تولى فى صفر سنة ٥٤٩هـ .
(٤) العاضد أبو محمد عبد الله تولى فى رجب سنة ٥٥٥هـ[1] .

وكانت نهاية العبيديين على عهده كما قال الذهبى :
"وتلاشى أمر العاضد مع صلاح الدين الى أن خعله وخطب لبنى العباس واستاصل شأفة بنى عبيد ومحق دولة الرفض وكانوا أربعة عشر متخلفا لاخليفة . والعاضد فى اللغة هو القاطع فكان هذا عاضدا لدولة أهل بيته حيث هلك[2] فى يوم عاشوراء سنة سبع وستين وخمسمائة فكانت دولتهم مئتى سنة وثمان وستين ٢٦٨هـ كان منهم ثلاثة بافريقية المهدى والقائم والمنصور وأحد عشر بمصر آخرهم العاضد ويقال عن دولتهم الدولة العلوية والدولة الفاطمية وحقيقتها كما ذكر العلامة أبو شامة[3] أن تسمى بالدولة اليهودية أو الدولة المجوسية الملحدة الباطنية[4] أو الدولة العبيدية كما اشتهر عند كثير من العلماء المحققين[5]" .

ويعلق الأستاذ محب الدين الخطيب بعد سرده لحكام الدولة العبيدية على نهايتها بقوله : "وفى زمن العاضد عضد الله شجرة هذا البيت وكان وزير دولته شاور وفى زمنه استعان العبيديون على المسلمين بالصليبيين غير مرة وفى زمنه كان حريق الفسطاط وكان الله أرحم بمصر وأعدل فى خلقه

---

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٦٠-٦١ .
(٢) سير أعلام النبلاء للذهبى ٢١١/١٥-٢١٢ .
(٣) مؤرخ سنى مشهور عند أهل السنة والجماعة واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل المقدسى الدمشقى ومن أشهر كتبه كتاب الروضتين فى أخبار الدولتين توفى سنة ٦٦٥هـ .
(٤) سير أعلام النبلاء للذهبى ٢١٣/١٥ نقلا من كتاب أبى شامة فى الروضتين ٢٠١/١ .
(٥) وذلك كابن تيمية والذهبى والباقلانى وابن خلكان وابن تغرى بردى وقد تقدمت بعضا من نصوصهم عن ذلك .

من أن يملى للعبيديين بأكثر مما أملى لهم . وقبل أن يزيلهم من الوجود تدارك كنانته برجال يخلفهم الله لانقاذ هذا الدين وأهله على حين فترة من الزمان فكان ذلك ولله الحمد والمنه على أيدى الملك المجاهد نور الدين محمود بن زنكى ورجل دولته أسد الدين شيركوه وابن أخيه السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب ولما أيقن العاضد العبيدى بعدل الله وقضاءه الصارم وان مثل هذه النحلة الاسماعيلية لايمكن أن تتحكم بالوطن الاسلامى أكثر مما تحكمت عمد حينئذ الى خاتم كان فى يده له فص مسمون فامتصه ومات وماتت بموته هذه الدولة الى الأبد" (١).

---

(١) مجلة الأزهر المجلد الخامس والعشرون الجزء الأول سنة ١٣٧٣هـ مقال للشيخ محب الدين الخطيب .

الفصل الرابع

نظم الدعوة الاسماعيلية

(أ) مراحل الدعوة .

(ب) مراتب الأئمة .

(ج) درجات الدعاة .

اعتمد الاسماعيلية فى نشر مبادئهم ومعتقداتهم على تنظيم دقيق للدعوة ، يضم دعاة مهرة تتفاوت مراتبهم حسب استعداداتهم وجهودهم فى نشر الدعوة ، ووضعوا لذلك مراتب متدرجة يتعاقب بعضها فوق بعض ، فى ترتيب مخصوص بحيث يشغل كل مرتبة داع معين ، ولايتجاوز بعمله هذه المرتبة والتوقيت ويتلقى المستجيب الدعوة على درجات ، كل واحدة منها مترتبة على السابقة ، وقد روعى فى هذه المراحل تقديم مبادئهم فى عطف ولين وحرص .

ومن هنا نرى أن الاسماعيلية لم يتركوا للدعاة مطلق الحرية فى الدعوة ، بل حددوا لهم الأساليب ، ووضعوا لهم الخطط التى يلتزمون بتنفيذها ، وبهذا التنظيم الفريد فى ذلك العصر استطاعوا أن يثبتوا الحركة ويركزوها فى النفوس قبل فترة الظهور والمواجهة .

ولدينا عن هذه الدرجات والمراحل مصدران هامان ، هما "نهاية الأرب" للنويرى ، و"الخطط" للمقريزى .

وسأعرض هذه المراحل من خلال هذين المصدرين مضيفا اليهما بعض الايضاحات والتعليقات من بعض كتابات أصحاب الفرق والمقالات ، وذلك كالغزالى والبغدادى والديلمى .

(أ) مراحل الدعوة :

للدعوة الاسماعيلية تسع مراحل هى على التفصيل كالآتى :

المرحلة الأولى :

تبدأ هذه المرحلة بدراسة دقيقة عن نفسية المدعو لاستدراجه وتحديد الطريقة التى يبدأ بها معه ، ومدى قابليته للدعوة ، ولذا فان الغزالى والديلمى والبغدادى يطلقون عليها التفرس .

ويشترط الاسماعيلية لمن يزاول هذه المرحلة ثلاثة شروط :

الأول : وهو أهمها ، أن يميز الداعى بين من يطمع فى استدراجه لقبول مايلقى اليه مما يخالف معتقده ، فرب رجل لايمكن أن ينتزع مارسخ فى قلبه ، فلايضيعن الداعى كلامه ووقته مع مثل هذا ، ويتقى بكل حال القاء البذر فى الأرض السبخة .

الثانى : أن يكون قوى الحدس ، ذكى الخاطر فى تغيير الظواهر وردها الى البواطن ، اما اشتقاقا من لفظها أو تلقيا من عددها أو تشبيها لها بما يناسبها ، حتى اذا لم يقبل منه تكذيب القرآن والسنة حاول استخراج معانيها ، وترك معه اللفظ منزلا على معنى يناسب البدعة ، فانه لو شافهه بالتكذيب لم يقبل منه .

الثالث : أن لايدعوا كل أحد الى مسلك واحد ، بل يبحث عن حاله ومعتقده ، وما اليه ميله فى طبعه ومذهبه ويسير

معه وفق ذلك[1] .

وأسلوب هذه المرحلة كما نقلها لنا النويرى والمقريزى أن يفتتح الداعى دعوته بسؤال المدعو - والذى يعبر عنه عند أهل السنة بالغر أو المخدوع - عن بعض المسائل الدينية والشرعية وبعض المسائل الطبيعية والمشكلات الغامضة فان كان المدعو عارفا سلم له الداعى والا تركه يعمل فكره فيما ألقاه عليه من الأسئلة ، وقال له : ياهذا ان الدين لمكتوم وان الأكثر له منكرون ، وبه جاهلون ولو علمت هذه الأمة ، ماخص الله به الأئمة من العلم لم تختلف .

فيشوق المدعو الى معرفة ماعند الداعى من العلم ، فاذا علم منه الاقبال أخذ فى ذكر معانى القراءات وشرائع الدين وتقرير أن الآفة التى نزلت بالأمة وشتت الكلمة وأورثت الأهواء المضلة ذهاب الناس عن أئمة نصبوا لهم ، وأقيموا حافظين لشرائعهم ، يؤدونها على حقيقتها ، ويحفظون معانيها ويعرفون بواطنها غير أن الناس لما عدلوا عن الأئمة ونظروا فى الأمور بعقولهم ، واتبعوا ماحسن فى رأيهم ، وقلدوا سفلتهم ، وأطاعوا سادتهم ، وكبرائهم ، اتباعا للملوك ، وطلبا للدنيا ، التى هى مبتغى الاثم ، وأجناد الظلمة ، وأعوان الفسقة الذين يحبون العاجلة ويجتهدون فى طلب الرئاسة على الضعفاء ، ومكايدة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أمته ، وتغيير كتاب الله عز وجل ، وتبديل سنة المصطفى عليه الصلاة والسلام ومخالفة دعوته وافساد شريعته

---

(١) انظر فضائح الباطنية للغزالى ص ٢١-٢٢ ، بيان مذهب الباطنية وبطلانه ص ٢٥-٢٦ ، الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٨٢-٢٨٣ .

وسلوك غير طريقته ، ومعاندة الخلفاء الأئمة من بعده ، وبذلك فسدت أحوالهم ، وصار الناس الى أنواع الضلالات ، فان دين محمد صلى الله عليه وسلم ماجاء بالتحلى ، ولابأمانى الرجال ، ولاشهوات الناس ، ولابما خف على الألسنة ، وعرفته دهماء العامة ، ولكنه صعب مستصعب ، وأمر مستقبل ، وعلم خفى غامض ، ستره الله فى حجبه ، وعظم شأنه عن ابتذال أسراره ، فهو سر الله المكتوم ، وأمره المستور الذى لايطيق حمله ، ولاينهض بأعبائه وثقله الا ملك مقرب ، أو نبى مرسل ، أو عبد مؤمن امتحن الله قلبه للتقوى فاذا ارتبط المدعو على الداعى وأنس له ، نقله الى غير ذلك .

يقول ابن رزام :

وهذه مقدمة يجعلونها فى نفوس المخدوعين ، ليواطؤهم على أن لاينكروا مايسمعونه ، ولايدفعوه ، ويكون ذلك من التأنى والتلبيس على المدعو .

وفى هذه المرحلة يجتهد الداعى أن يثير تساؤل المدعو بالاشارة الى بعض المسائل الغامضة المتعلقة بأصل الخليقة والعالم الآخر ، وتركيب جسم الانسان ، مع اثارة البلبلة فى بعض الأمور التعبدية ، ومن تلك التساؤلات ، مامعنى رمى الجمار ، والعدو بين الصفا والمروة ؟؟

ولما كانت الحائض تقضى الصوم ولاتقضى الصلاة ؟ وماتبديل الأرض ؟ وماعذاب جهنم ؟ وما ابليس ؟ وما الشياطين ؟ وأين مستقرهم ؟ ومايأجوج ومأجوج وهاروت وماروت ؟ ولما جعلت السموات سبعا والأرضون سبعا ، والمثانى من القرآن سبع ؟ وأين الروح ، وكيف صورها ومستقرها ؟

ومامعنى آلم وآلمص ؟ ومامعنى كهيعص ، حم ، عسق ؟ (١)

ثم يسأل الداعى عن أعضاء الانسان ، وحكمتها العددية والتشريحية وينتهى الى القول بأن الله الذى خلق الانسان حكيم غير مجازف وانه فعل جميع ذلك لحكمة ، وله فيها أسرار خفية ، فينبغى التفكر فى هذه الحال ، ولايجوز الاعراض عن هذه الأمور دون اعتبار أليس الله يقول : {وفى الأرض آيات للموقنين . وفى أنفسكم أفلا تبصرون} (٢) . ويقول : {ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون} (٣) . ويقول : {سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق} (٤) ألا يدلكم هذا على أن الله أراد أن يرشدكم الى بواطن الأمور الخفية ، والأسرار المكتومة التى لو تنبهتم لها وعرفتموها ، لزالت عنكم كل حيرة ، ودحضت كل شبهة ، وظهرت لكم المعارف السنية .

ألا ترون انكم جهلتم أنفسكم التى من جهلها كان حريا أن لايعلم غيرها ، فاذا آنس الداعى أن نفس المدعو قد تعلقت بما اثار من تساؤلات ، وبدأ يسأله عن معانيها ، وتفاسيرها استمهله قائلا له : لاتعجل ، فان دين الله أعلى وأجل من أن يبذل لغير أهله ، ويجعل غرضا للعب ، ثم يتلوا عليه بعض الآيات فى الوفاء بالعهد وتوكيد الأيمان ، ويطالبه بالعهد الذى يجب أن يقطعه كل مدعو على نفسه بالوفاء والكتمان ، وفيه يتعهد (بأن لايفشى لهم سرا ، وأن لايظاهر عليهم أحد ،

---

(١) هذه أوائل بعض سور القرآن ، وهى على الترتيب : سورة البقرة ، الأعراف ، مريم ، الشورى .
(٢) سورة الذاريات : ٢٠-٢١
(٣) سورة ابراهيم : ٢٥
(٤) سورة فصلت : ٥٣

وان لايطلب لهم غيلة أو يكتمهم نصحا ، أو يوالى لهم عدوا) .

ثم يطالبه بعد ذلك بمبلغ من المال ، كرسم للدخول فى الدعوة واذا امتنع المدعو عن القيام بما تقدم أمسك عنه ، وخلى سبيله وان أجاب انتقل به الداعى الى المرحلة الثانية (1) .

ان المتأمل لهذه المرحلة ، وماتحويه من دلالات يجد أنها من أطول المراحل وأهمها ، حيث انها ركيزة أساسية لاختيار الأشخاص اختيارا مبنيا على تلمس وتحر من الداعى بصلاحية من يسير معهم ، ويجد منهم لين العريكة ، وسرعة التأثر بما يلقى عليهم ، ولذا فان الداعى يتلمس شتى الوسائل - سواء كانت مشروعة أومحرمة ، فالعبرة بالهدف فقط - لمخاطبة المدعو بما تهفوا اليه نفسه ، مدخلا فى روعه أنه على نفس مذهبه سنيا كان أو خارجيا أو شيعيا .

كما يلاحظ أيضا أن مايقدمه الداعى فى هذه المرحلة عبارة عن معلومات عامة ، ليس فيها مايلفت النظر أو الاستنكار أمام المدعو ، بحيث اذا لم يجد منه قبولا واستجابة خلى سبيله ومضى الى غيره ، غير نادم أو متحسر على ماقدم .

ومن خصائص هذه المرحلة أن الداعية يحرك نفسية المدعو باثارة بعض المسائل المشوقة والتى لايجد لها جوابا الا بالانضمام الى دعوتهم ، والعيش بين أعضائهم ، كما يدخلون

---

(1) الخطط المقريزية للمقريزى ٢/٢٢٧-٢٢٩ ، نهاية الأرب للنويرى ٢٥/١٢٩-٢٠٢ ، وانظر كتاب الحاكم بأمر الله لمحمد عبد الله عنان ص ٢٦٦،٢٦٧ .

ذلك فى روعه .

ومع الاستعراض لبدء دعوة الاسماعيلية نجد أنها حافلة بالأمثلة الكثيرة لهذه الجاذبية ، واكتفى هنا بايراد نموذجين :

الأول : لقاء الداعية الاسماعيلى حسين الأهوازى بحمدان قرمط ، ومن خلال هذا اللقاء نجد حمدان يتلهف كثيرا لمعرفة بعض الأمور العلمية والتنظيمية التى قد لايستوعبها .

ومما قال حمدان لاستاذه الأهوازى : ياهذا نشدتك الله الا رفعت الى من هذا العلم الذى معك ، وأنقذتنى ، ينقذك الله . فرد عليه الأهوازى قائلا : لايجوز ذلك .

الثاني : لقاء ميمون القداح بعلى بن الفضل القرمطى ، والذى اتسم بالشد والجذب بينهما ، ومما قال على بن الفضل لميمون : والله مارميت لى مارميت ، الا وعندك أثر منه ، فاهدنى اليه ، وجعل يلازمه وهو متوقف عنه ، ويطارح عليه ، وهو ينقبض منه ، ولما أراد أن ينصرف ، نهض ابن الفضل معه ولكن ميمون أمره بالجلوس فى المسجد ، حتى يأتيه ، ومضى عنه أربعون يوما ، وهو جالس فى المسجد لايبرح ، وبعد اختبار طويل رأى قوة عزمه ومن ثم أخذ عليه العهد وأوصله الى الامام الذى عاش معه فترة ثم بعثه للدعوة فى اليمن ، حيث أقام دولة للقرامطة هنالك .(١)

ويذكر النويرى بعض أغراض الباطنية فى هذه المرحلة

---

(١) رسالة افتتاح الدعوة للقاضى الاسماعيلى بن حيون ص ٣٩-٤٠ .

قائلا : وانما غرضهم فى ذلك عدة أمور منها :

أولا : أن يستدلوا بها ، بظاهر مايعطيهم المخدوع من انقياده ، وطاعته على باطن أمره من شكه واضطرابه ، وكيف موقع ذلك منه .

ثانيا : التوثق بالأمن من كشف أحوالهم ، وانتشار أمورهم الا بعد توطئة مايريدون حالا فحالا .

ثالثا : أن يرسموه بالذل والطاعة لهم ، والرضا منه بأن يكون منقادا تابعا لهم ومعظما ، ومكبرا ، والا فان نكث الأيمان وقلة الاكتراث بها ، والفكر فيها ، والاعتداد بها هو دينهم عند البلوغ الى غايتهم التى يجرون اليها ، وانما يجعلون ذلك مانعا لأهل هذه الطبقات ماداموا مستشعرين للعمل بالديانات (١) .

المرحلة الثانية :

وهى مبنية على قبول المرحلة الأولى ، فلاينتقل الداعى بالمدعوا الى هذه المرحلة الا اذا آنس فيه قبولا ، ووثق بحرمه وكتمانه لما ألقى اليه فى المرحلة الأولى .

وفى هذه المرحلة يولد عند المدعو الاعتقاد بتهمة الأمة فيما فعلته عمن كان قبلها من علماء المسلمين ، ويقوى شكه فى ذلك ، وعندئذ يقرر فى نفسه أن الله تعالى لم يرض فى اقامة حقه ، وماشرعه لعباده الا بأخذ ذلك عن أئمة نصبهم لهم ، وأقامهم لحفظ شرائعه على مراده ، ويسلك الداعية فى

---

(١) نهاية الأرب للنويرى ٢٥/٢٠١،٢٠٢ .

تقرير هذه الأمور عند المدعو بالدلالة على صواب قولهم وبأمور مقررة فى كتبهم ، وبالسلوك به مسلك أصحاب الامامة فى تعاطى اتيانها من جهة السمع والعقل حتى يتأثر بذلك المدعو ، ويتقرر فى نفسه الأخذ من الأئمة ، فاذا اعتقد ذلك نقله الى المرحلة الثالثة .(١)

ويطلق الغزالى والبغدادى والديلمى على هذه المرحلة (التأنيس) لأن الداعية يظهر للمدعوا مايألفه ويأنس اليه ، بلسانه وفعله مع تزيين ماعليه الانسان من مذهبه فى عينه .(٢)

وينفرد الغزالى بذكر رسوم يزاولها الدعاة مع المستجيب فى هذه المرحلة يقول عن ذلك : وقد رسم القرامطة والباطنية للدعاة والمأذونين أن يجعلوا مبيتهم كل ليلة عند واحد من المستجيبين ويجتهدون فى استصحاب من له صوت طيب فى قراءة القرآن ليقرأ عندهم زمانا ثم يتبع الداعى ذلك كله بشىء من الكلام الرقيق واطراف من المواعظ اللطيفة الآخذة بمجامع القلوب ثم يردف ذلك بالطعن فى السلاطين وعلماء الزمان وجهال العوام ، ويذكر أن الفرج منتظر من كل ذلك ببركة أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو فيما بين ذلك يبكى أحيانا ويتنفس الصعداء ، واذا ذكر آية أو خبرا ، ذكر أن لله سرا فى كلماته لايطلع عليه الا من اجتباه الله من خلقه وميزه بمزيد لطفه .(٣)

---

(١) المرجع السابق ٢٠٢/٢٥-٢٠٣ .
(٢) انظر فضائح الباطنية للغزالى ص ٢٤ ، الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٨٦ ، بيان مذهب الباطنية للديلمى ص ٢٦ .
(٣) فضائح الباطنية للغزالى ص ٢٤ .

وبالنظر فى هذه المرحلة نجد أن الدعاة يركزون على أصل من أصول الاسماعيلية التى انطلقوا منها ، وهو مبدأ الامامة الذى ينبنى عليه الكثير من المعتقدات والآراء ، فهم يضعون الأساس لهذا المبدأ فى نفس المدعو ، كما أن أسلوبهم فى هذه المرحلة يعتبر غاية فى التأثير والتوجيه فحسبما ذكر الامام الغزالى يعتمد على المعايشة والمصاحبة ، والتجارب العملية ، ومن وصايا الدعاة قولهم : وابذل للمستجيب نفسك ومالك ، وافرش له جناحك وأودعه سرك وشاوره فى أمرك ، وان هفا هفوة فاغفر له (١) .

المرحلة الثالثة :

وهى مرتبة على الدعوة فى المرحلة الثانية ، وذلك أنه اذا علم الداعى ممن دعاه أن ارتباطه على دين الله لايعلم الا من قبل الأئمة قرر حينئذ عنده أن الأئمة سبعة قد رتبهم البارى تعالى كما رتب الأمور الجليلة من السموات والأرضيين والكواكب وغيرها حيث جعلها سبعا ، وهؤلاء الأئمة السبعة هم :

على بن أبى طالب ، والحسن بن على ، والحسين بن على ، وعلى بن الحسين ، ومحمد بن على ، وجعفر بن محمد ، والسابع هو القائم صاحب الزمان .

فاذا تقرر عند المدعو أن الأئمة سبعة انحل عن معتقد الامامية من الشيعة القائلين بامامة اثنى عشر اماما وصار

---

(١) اخوان الصفا للدسوقى ص ٨٠ .

الى معتقد الاسماعيلية بأن الامامة انتقلت الى محمد بن اسماعيل ، فاذا علم الداعى ثبات هذا المعتقد فى نفس المدعو شرع فى ثلب بقية الأئمة الذين قد اعتقد الامامية فيهم الامامة وقرر عند المدعو أن محمد بن اسماعيل عنده علم المستورات ، وبواطن المعلومات التى لايمكن أن توجد عند أحد غيره ، وأن دعاته هم الوارثون لذلك كله من بين سائر طوائف الشيعة لأنهم أخذوا عنه ، ومن جهته رووا ، وأن أحدا من الناس المخالفين لهم لايستطيع أن يساويهم ، ولايقدر على التحقق بما عندهم الا منهم ، ويحتج لذلك بما هو معروف فى كتبهم ، فاذا انقاد المدعو وسمع قولهم نقل الى الدعوة الرابعة (١) .

ويعبر الغزالى والديلمى عن هذه المرحلة "بحيلة التشكيك" حيث أن الداعى يشكك المستجيب فى عقيدته تمهيدا لتغييرها واستبدال العقيدة الاسماعيلية بها ، وسبيل الداعى فى ذلك توجيه العديد من الأسئلة عن الحكمة فى مقررات الشرائع وغوامض المسائل وعن المتشابه من الآيات وكل مالاينقدح فيه معنى معقول ولايزال يورد عليهم من هذا الجنس حتى يشككه وينقدح فى نفسه أن تحت هذه الظواهر أسرارا سدت عنه وعن أصحابه وينبعث منه شوق الى طلبه (٢) .

---

(١) الخطط المقريزية للمقريزى ٢/٢٢٩-٢٣٠ .
(٢) انظر فضائح الباطنية للغزالى ص ٢٥-٢٦ ، بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى ص ٢٦ .

المرحلة الرابعة :

تعتبر هذه المرحلة مبدأ للتحول الى المراتب العليا في الدعوة الاسماعيلية ، ولذا فان الداعى لايشرع فى تقريرها حتى يتيقن صحة انقياد المدعو لجميع ماتقدم .

وعندئذ يقرر عنده مبدأهم المتعلق بأدوار النبوة السبعة ، وكيفية الناطق والسوس والصوامت ، وتفصيل ذلك :

أن الأنبياء المعتبرين الناسخين للشرائع الناطقين بالأمور كالأئمة سبعة فقط وكل منهم لابد له من صاحب يأخذ عنه دعوته ويحفظها على أمته ويكون له ظهيرا فى حياته ثم يخلفه بعد وفاته ، ويتخذ له كنبيه ظهيرا يخلفه ويسير كل مستخلف على هذا المنوال الى أن يأتى منهم على تلك الشريعة سبعة ، ويقال لهؤلاء السبعة الصامتون ، لأنهم ثبتوا على شريعة واحدة واقتفوا أثرا واحدا ، ويقال لأولهم السوس ، فاذا انقضى هؤلاء السبعة فلابد أن يبدأ دور ثان من الأئمة يفتتحه نبى ناطق ينسخ شريعة من مضى ويخلفه على النحو المتقدم سبعة من الصمت وهكذا حتى يقوم النبى السابع من النطقاء فينسخ جميع الشرائع المتقدمة ويكون هو صاحب الزمان الأخير ثم يذكرون الأنبياء من آدم حتى محمد صلى الله عليه وسلم ويطلقون عليهم عبارة النطقاء مع ذكر سوس كل نبى وصوامته السبعة ، ويضيفون اليهم السابع من النطقاء ، والذى يعتبرونه بمنزلة أولى العزم من الرسل وهو امامهم محمد بن اسماعيل . وعندئذ يقرر الدعاة للمستجيبين أن محمد بن اسماعيل انتهى اليه علم الأولين وقام بعلم بواطن الأمور

وكشفها ، واليه المرجع فى تفسيرها دون غيره ، وعلى جميع الكافة اتباعه والخضوع له ، والانقياد اليه والتسليم له لأن الهداية فى موافقته واتباعه ، والضلال والحيرة فى العدول عنه (١) .

ويعلق النويرى على تعاليم هذه المرحلة بقوله : ان هذه المرحلة هى أول دعوة يخرج بها المدعو عن شريعة رسول الله عليه الصلاة والسلام ويدخل فى جملة الكفار والمرتدين عن شريعته وذلك لأن الداعى قرر للمدعو نبوة نبى بعد محمد صلى الله عليه وسلم وسهل بها طريق النقل عن شريعته فأخرجه عما هو معلوم عند كل سامع لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم وسهل بها طريق النقل عن شريعته فأخرجه عما هو معلوم عند كل سامع لدعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم من أن دينه وماعلم من مذهبه ونحلته أنه خاتم الرسل ، وأن لانبى بعده وأن من مفهوم الشريعة الاسلامية أنه لم يكن يجوز لأحد اعتقاد نبوة غيره فى وقته ولافيما بعده (٢) .

ولما كانت هذه المرحلة جديدة بالنسبة لعرض المعتقدات الباطنية فاننا نجد الغزالى يسميها (بالتعليق) ، فالمدعو يبدى فى هذه المرحلة الجديدة عليه اشتياقا الى معرفة الأسرار التى حدثه الداعى عنها ، ولكن لايسعفه بالاجابة عليها ، بل يهول الأمر عليه ويعظمه فى نفسه ، ويتركه معلقا ومما يقول له : لاتعجل فان الدين أجل من أن يعبث به أو أن يوضع فى غير موضعه ، ويكشف لغير أهله .

---

(١) انظر الخطط المقريزية للمقريزى ٢/٢٣٠-٢٣١ .
(٢) نهاية الأرب للنويرى ٢٥/٢٠٧ .

وهكذا لايزال يسوقه ويدافعه حتى يسلك المدعو أحد طريقين :

الأول : الاعراض عن الداعى والاستهانة به ، واعتبار ماسمع من الفضول التى لاتحرك ساكنا ولاتلهب عاطفة ، وعندئذ يقطع الطمع به ويعرض عنه .

الثاني : أن يجد الداعى اصرارا من المدعو على التعطش الى ماوعده به بعد تركه معلقا الى حين ، حتى اذا وافى الميعاد ، قال له : ان هذه الأسرار مكتومة لاتودع الا فى سر محصن ، فحصن حرزك واحكم مداخله حتى أودع فيه السر ، فيقول المستجيب : وماطريقه ؟ فيقول :أن آخذ عهد الله وميثاقه على كتمان هذا السر ومراعاته عن التضييع ، فانه الدر الثمين والعلق النفيس ثم يذكر له بعضا من الآيات القرآنية التى فيها العهد والميثاق موهما أنها هى المراد بذلك ، فان وافق استمر معه ، والا أعرض عنه .(١)

ويفهم من خلال سياق الغزالى لهذه المرحلة ، وتسميتها بالتعليق أنها مرحلة دقيقة يتعلق بها ويتوقف عليها دخول التابع فى الدعوة الاسماعيلية والانخراط فى سلكها ، كما يفهم مما ذكره المقريزى أن تعاليم هذه المرحلة أعظم وأخطر من سابقتها ، فهى بداية الدخول فى صميم المذهب .

ومما يقدم للمستجيب فيها عقائد اسماعيلية بحتة كتمييز امامهم محمد بن اسماعيل على الأئمة الآخرين للشيعة ،

---

(١) فضائح الباطنية للغزالى ص ٢٦-٢٧ .

واضفاء بعض الألقاب عليه ، والتى لاتطلق عندهم الا على الأنبياء والرسل كالنطقاء مثلا ، ولذا فان النويرى صرح بكفر من يصل الى هذه المرحلة ولايثوب الى الرشد والهدى .(١)

المرحلة الخامسة :

يلقى فيها المستجيب المزيد من التعليمات فيما يتعلق بعلم الأعداد والتأويل على نحو يجعله يرفض الكثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فيفقد الاهتمام تدريجيا بمنطوقهما بحيث يصل فى النهاية الى رفض كافة تعاليم الاسلام .

ومما يتقرر لديه فى هذه المرحلة أنه لابد أن يكون مع كل امام فى كل عصر حجج متفرقون فى جميع الأرض ، وعددهم اثنا عشر رجلا ويستدل على ذلك بأن البروج اثنا عشر ، وأن نقباء بنى اسرائيل اثنا عشر ونقباء النبى صلى الله عليه وسلم اثنا عشر ، ويستدل على عدد الأنبياء بعدد السموات والأرضين ، ويذكر النويرى أن الدعاة يكثرون من أمثال هذه المقابلات للحصول على انس المدعو ، وارتياحه حتى يكون ذلك تمهيدا للخروج عن أحوال الأنبياء وشرائعهم ، والعدول الى منهج الفلاسفة فى ترتيب شبههم ، مارأوا أن هناك بقية من دين فى نفس المستجيب .(٢)

ومن متطلبات هذه المرحلة ربط المستجيب بالحركة الاسماعيلية وذلك بأخذ العهود المؤكدة والمواثيق المشددة ،

---

(١) نهاية الارب للنويرى ٢٠٦/٢٥ .
(٢) نهاية الارب للنويرى ٢٠٨/٢٥-٢٠٩ ، دولة الاسماعيلية لمحمد السعيد ص ٣٠ .

والأيمان المغلظة بحيث لايجرؤ على نكثها أو مخالفتها ، ولذا أطلق عليها بعض العلماء بحيلة (الربط)[(١)] .

ونص هذا العهد الذى بمقتضاه يصبح المدعو مرتبطا بالدعوة قول الداعى للمستجيب : جعلت على نفسك عهد الله وميثاقه وذمة رسوله عليه السلام وما أخذ الله على النبيين من عهد وميثاق أنك تستر ماسمعته منى وتسمعه ، وعلمته من أمرى ، وأمر المقيم بهذه البلدة لصاحب الحق الامام المهدى وأمور اخوانه وأصحابه وولده وأهل بيته وأمور المطيعين له على هذا الدين ، ومخالصة المهدى وشيعته من الذكور والاناث والصغار والكبار ، ولاتظهر من ذلك قليلا ولاكثيرا تدل به على الا ما اطلقت لك أن تتكلم به ، أو أطلق لك صاحب الأمر ، المقيم فى هذا البلد ، أو فى غيره ، فتعمل حينئذ بمقدار ماترسمه لك ولاتتعداه ، جعلت على نفسك الوفاء بما ذكرته لك والزمته نفسك فى حال الرغبة والرهبة والغضب والرضى ، وجعلت على نفسك عهد الله وميثاقه أن تتبعنى وجميع من أسميه لك ، وأبينه عندك مما تمنع عنه نفسك وأن تنصح لنا وللامام نصحا ظاهرا وباطنا ، وأن لاتخون الله ولاوليه ولاأحدا من أعوانه وأوليائه ، ومن يكون منه ومنا بسبب من أهل ومال ونعمة ، وانه لارأى ولاعهد يتناول هذا العهد بما يبطله ، فان فعلت شيئا من ذلك ، وأنت تعلم أنك قد خالفته فانت برىء من الله ورسله ، الأولين والآخرين ، ومن ملائكته المقربين ، ومن جميع ماأنزل من كتبه على أنبيائه السابقين

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٨٦ ، فضائح الباطنية للغزالى ص ٢٨ ، بيان مذهب الباطنية للديلمى ص ٢٧ .

وانت خارج من كل دين وخارج من حزب الله ، وحزب أوليائه وداخل في حزب الشيطان وحزب أوليائه ، وخذلك الله خذلانا بينا ، يعجل لك بذلك النقمة والعقوبة (ثم يرد عليه مرة اخرى) بقوله : ان خالفت شيئا مما حلفتك عليه بتأويل أو بغير تأويل فلله عليك أن تحج الى بيته ثلاثين حجة نذرا واجبا ماشيا حافيا ، كما أن ماتملكه في الوقت الذى تحلف فيه صدقة على الفقراء والمساكين الذين لارحم بينك وبينهم ، وكل مملوك يكون لك في ملكك يوم تخالف فيه (أى العهد والميثاق) فهم أحرار ، وكل امرأة تكون لك أو تتزوجها في المستقبل فهي طالق ثلاثا بتة وان نويت أو أضمرت في يمين هذه خلاف ماقصدت ، فهذه اليمين من أولها الى آخرها لازمة لك والله الشاهد على صدق نيتك وعقد ضميرك ، وكفى بالله شهيدا بيني وبينك ، قل نعم ! فيقول : نعم .(١)

ان لهذه العهود والمواثيق اثر بالغ في تثبيت أعضاء الحركة الاسماعيلية ، وتفانيهم في نصرتها ، مهما كلفهم ذلك ومع التتبع لتاريخهم نجد أن دعاة المذهب الاسماعيلي كثيرا ماتوقفوا مع المستجيب حتى يقدم هذا العهد ، ويلتزم به ، فالحسين الأهوازى (داعية الامام الاسماعيلي) حينما التقى بحمدان قرمط وآمن الأخير بالدعوة الاسماعيلية قال حمدان متلهفا : ياهذا ، نشدتك الله الا رفعت الى من هذا العلم الذى معك ، فرد الأهوازى عليه قائلا : لايجوز ذلك حتى آخذ عليك عهدا وميثاقا ، آخذه الله على النبيين والمرسلين

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص ٢٨-٢٩ .

وألقى اليك ماينفعك . فما زال حمدان يضرع اليه حتى جلسا في بعض الطريق ، وأخذ عليه العهد ، فقال له قرمط : قم معي الى منزلي حتى تجلس فيه ، فان لي اخوانا أمير بهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدي (١) .

وكذلك علي بن الفضل القرمطي الذي التقى بميمون القداح وآمن بدعوته الباطنية ، فانه لم يعرفه بالامام ويوصله اليه الا بعد المضي في مراحل الدعوة ، والوصول الى مرحلة العهد والميثاق وحينما أخذ عليه العهد أوصله الى الامام الذي وجهه داعيا الى اليمن (٢) .

ومن عبارات أحد الدعاة مايشير الى الاهتمام البالغ بأخذ العهد والميثاق على الاتباع ، يقول المؤيد في سيرته : "وفتحت صحيفة الاستحلاف لهم بأيمان البيعة" (٣) .

كما أن لهذه العهود والمواثيق أثر بالغ في تفاني الكثيرين في نصرة الدعوة الاسماعيلية وتخوف من يريد الخروج عنها ، وهذا ماحدى ببعض علماء السنة الى تفنيد هذه المواثيق ، وبيان كيفية التخلص منها والتحلل من ربقتها (٤) .

وينقل لنا محمد عليان بعضا من فوائد أخذ العهد والميثاق على أتباعهم بقوله : ويتجلى لنا ذلك فيما فعله أنصار يحيى بن زكروية اذ خضعوا لأخيه الحسين بعد مقتل يحيى لأن العهد يتضمن انتصار المستجيب للداعي والمقربين اليه مع

---

(١) اتعاظ الحنفاء للمقريزي ١٥٢/١ .
(٢) افتتاح الدعوة للقاضي النعمان ص ٣٩-٤٠ .
(٣) السيرة المؤيدية ص ١٢١ .
(٤) انظر فضائح الباطنية للغزالي ص ١٦٤-١٦٨ .

النصح والوفاء لهم ، وحين رفض الحسين بن زكرويه الاستماع الى نصيحة اتباعه بالفرار بعد أن ضيق القائد العباسى الخناق عليه ، قال له أتباعه : ماكنا لننصحك لولا أن لك فى رقابنا بيعة .

كما استباح أبناء زكرويه قتل زوج أختهم ، لأنه ـ كما زعموا ـ خرج عن طاعة الامام (١) .

المرحلة السادسة :

وفيها يتحدث الداعى عن شرائع الاسلام وفرائض من الصلاة والزكاة والصوم والحج وغيرها ، ويعلم المدعو أن هذه الشرائع والفروض ترجع فى الواقع الى معان وحكم أخرى غير الظاهرة وأنها وضعت على سبيل الرموز لمصلحة العامة حتى يشتغلوا بها عن بغى بعضهم على بعض ولكى تصدهم عن الفساد فى الأرض وتكفل خضوعهم وحسن طاعتهم وذلك حكمة من الناصبين للشرائع وقوة فى حسن سياستهم لاتباعهم واتقانا منهم لما رتبوه من النواميس ونحو ذلك فاذا استقر فى ذهن المدعو أن أحكام الشريعة كلها وضعت على سبيل الرمز لسياسة العامة وأن لها معان أخرى غير مايدل عليه الظاهر انتقل الداعى بالمدعو الى ميدان الفلسفة ونظريات الفلاسفة مثل افلاطون وارسطو وفيثاغورس وغيرهم وأخذ يعلم أن منطق العقل هو المعول عليه فى الأمور وأنه يجب ألا يؤخذ بالأخبار والأشياء المنقولة وانما يجب الأخذ بالأدلة العقلية دون غيرها فاذا

(١) انظر كتاب قرامطة العراق لعليان ص ١٧٢ .

استقر ذلك عنده واعتقده نقله الى الدعوة السابعة ويحتاج ذلك الى زمان طويل [(١)] .

ولذا يقول الدكتور حسن ابراهيم : انه لم يتعد هذه المرتبة الا القليل حتى أن كثيرين من مشهورى دعاة الاسماعيلية كأبى عبد الله الشيعى لم يتجاوزها [(٢)] . ويشير النويرى الى أن تعاليم هذه المرحلة لاتأتى الا على قلوب قد فرغت وسهل عليها قبول التعاليم الباطنية ولم يعد لها ماتنكره [(٣)] .

ولأهمية هذه المرحلة عند الاسماعيلية وماتشتمل من تعاليم فانه لابد للداعى عند كشفه لهذه التعاليم من مراعاة أمور عدة ذكرها الغزالى وهذا ملخصها :

(١) أن يقتصر الداعى فى أول وهلة على ذكر قاعدة المذهب وهى التسليم بأن النجاة والخلاص معلق بالائمة ، فهم الذين أودعهم الله سره المكنون ودينه المخزون وكشف لهم بواطن الأمور فهم الذين يطلعون على معانى القرآن .

(٢) أن يحتال لابطال المدرك الثانى من مدارك الحق وهو ظواهر القرآن ويحاول اقناع المستجيب بأن معرفة علم الباطن هى المعرفة الحقيقية لأن الظاهر بالنسبة للباطن كالقشر بالنسبة للب ولايقنع بالظاهر الا من تقاعد به القصور عن درك الحقائق .

---

(١) الخطط المقريزية للمقريزى ٢٣٢/٢ ، وانظر كتاب الحاكم بأمر الله لمحمد عنان ص ٢٧٠ .
(٢) تاريخ الدولة الفاطمية لحسن ابراهيم حسن ص ٣٤٣ .
(٣) نهاية الارب للنويرى ٢١٠/٢٥ .

(٣) ألا يظهر من نفسه أنه مخالف للأمة كلهم وأنه منسلخ عن الدين والنحلة ولكن يعتزى الى بعض الفرق ويتستر بها ولاسيما الروافض الذين يتجملون بحب أهل البيت .

(٤) أن يدخل فى روعه أن الأكثر ينكرون الحق لأنه دقيق ويقبلون الباطل لأنه ظاهر جلى . أما طلاب الحق والقائلين به فهم أفراد وآحاد فيهون عليه التميز على سائر المسلمين .

(٥) اذا لاحظ الداعى أن المستجيب لايزال يساوره الشك فى الدعوة ذكر له أسماء بعض الشخصيات ممن يشهد لهم المستجيب بالفضل ويعتقد فيهم الذكاء والفطنة ويزعم أنهم يعتقدون مذهبه سرا ولكنهم لايبوحون به ويجتهد الداعى فى اختيار من يكون بعيدا منهم عن مقر المستجيب حتى لايسهل عليه استقصاء أخبارهم والوقوف على حقيقة مذهبهم .

(٦) أن يمنى المدعو بظهور شوكة هذه الطائفة وانتشار أمرهم وعلو رأيهم وظفر ناصريه بأعدائهم ووصول كل واحد منهم الى مراده حتى تجتمع لهم سعادة الدنيا والآخرة .

(٧) ألا يطول الداعى اقامته ببلد واحد حتى لايشتهر أمره وفى فترة اقامته يحتاط لذلك بأن يلبس على الناس أمره ويتعرف الى كل قوم باسم وآخر وليغير فى بعض الأوقات هيئته ولبسته خوف الآفات .(١)

---

(١) انظر فضائح الباطنية للغزالى ص ٣٠-٣٢ .

وهذه المرحلة تسمى عند علماء الفرق بـ "التدليس" وذلك لأن الداعى يكشف للمستجيب عن شيء من أسرار الدعوة الباطنية مع التمويه ببعض الأمور عليه حتى يسهل تقبله لها (١) .

ان مما يلاحظ على تعاليم هذه المرحلة التركيز على أصل كبير من أصول الاسماعيلية وهو تفسير المعتقدات والأعمال وجميع شؤون الحياة تفسيرا باطنيا يزيل المفاهيم الاسلامية الصحيحة من ذهن المدعو ويهيئه لتقبل معتقدات الاسماعيلية المستمدة من نظريات الفلاسفة ولذا فان هذه المرحلة دقيقة وطويلة فى آن واحد . فالداعى يضع لنفسه تحفظات معينة من خلال كشفه لأفكارها . كما أن المدعو يحتاج الى زمن طويل لهضم تعاليمها ونتيجة لما ذكرنا فان القلة من المستجيبين تجاوزوا هذه المرحلة الى مابعدها .

المرحلة السابعة :

وهى تتضمن معلومات لايفصح الداعى بها مالم يكثر انسه بمن دعاه ويتيقن انه قد تأهل الىالانتقال الى رتبة أعلا مما هو فيه فاذا علم ذلك أخذ يلقنه بعض المقدمات فى العقيدة الثنائية (٢) كقوله :

قد صح لك - أى للمدعو - ان صاحب الدلالة الناصب للشريعة لايستغنى بنفسه ولابد له من صاحب معه يعبر عنه ليكونا اثنين أحدهما هو الأصل . والآخر عنه كان وصدر وهذا اشارة الى العالم السفلى وكذلك العالم العلوى اثنان هما

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٨٧ ، فضائح الباطنية للغزالى ص ٢٩ ، بيان مذهب الباطنية للديلمى ص ٢٩ ، قرامطة العراق لعليان ص ١٧٢ .

(٢) المراد من الثنائية هو مذهب الثنويه المجوس القائلين بالهين اثنين اله الخير واله الشر أو اله النور واله الظلمة .

اصل الترتيب وقوام النظام أحدهما هو الأعلى والمفيد والآخر هو الآخذ عنه وهو المستفيد وربما استدلوا بقوله تعالى : {وهو الذى فى السماء اله وفى الأرض اله}[١] وحينما يسلك المدعو هذا الطريق فانه يؤدى به الى الكفر والعدول عن التوحيد[٢] .

ويعلق عنان على هذه المرحلة بقوله : انها تهدم فكرة الاسلام الجوهرية القائمة على وحدة الاله حيث أنها مستمدة من تعاليم الثنوية القائلين بالهين اثنين[٣] .

ولايغال هذه المرحلة فى الكفر والالحاد فانه حتى الداعى لايكون بالغا بأغراض هذه المرحلة وعالما بأسرارها فهذا غافل لايدرى كيف قمته ولايظن أن الأمر الذى يراد به الا ماعرفه وبلغه أو مايجانسه ويقارنه وحيث يثبت لدى الدعاة التزام المستجيب لتعاليم هذه المرحلة وماقبلها يصبح عضوا فى الدعوة الاسماعيلية وينقل الى مرتبتى الحقيقة والتى لايدركها سوى الأئمة[٤] .

ومن الجدير بالذكر أن لكل مرحلة من المراحل السبع منهج فكرى الفه بعض علماء الاسماعيلية وخصوا فيه كل مرحلة بما يناسبها . يقول ابن النديم : وللقرامطة والاسماعيلية بلاغات سبعة وهى :

كتاب البلاغ الأول للعامة وهو فى مستوى المرحلة الأولى.

كتاب البلاغ الثانى لما فوق هؤلاء قليلا وهو فى مستوى المرحلة الثانية .

---

(١) سورة الزخرف : ٨٤
(٢) انظر الخطط المقريزية للمقريزى ٢٣٢/٢ ، نهاية الارب للنويرى ٢١٤/٢٥ .
(٣) تاريخ الجمعيات السرية لمحمد عبد الله عنان ص ٤٣ .
(٤) انظر مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوى ١٦٧/٢ .

كتاب البلاغ الثالث لمن دخل فى المذهب سنة وهو فى مستوى المرحلة الثالثة .

كتاب البلاغ الرابع لمن دخل فى المذهب سنتين وهو فى مستوى المرحلة الرابعة .

كتاب البلاغ الخامس لمن دخل فى المذهب ثلاث سنين وهو فى مستوى المرحلة الخامسة .

كتاب البلاغ السادس لمن دخل فى المذهب أربع سنين وهو فى مستوى المرحلة السادسة .

كتاب البلاغ السابع وفيه نتيجة المذهب والكشف الأكبر وهو فى مستوى المرحلة السابعة .

وقد اطلع ابن النديم على هذا الكتاب الأخير وقرأه وقال عنه : قد قرأته فرأيت فيه أمرا عظيما من اباحة المحظورات والوضع من الشرائع وأصحابها (١) .

وقد أشار نظام الملك (٢) الى البلاغ السابع عند حديثه عن أبى طاهر القرمطى وقال : ان هذا الكتاب كان فى حوزة الدعاة الى المذهب وأن القرمطى التمسه منهم فأرسلوه له ولما قرأه تغيرت حاله ومن ثم فانه سار هو وأتباعه الى مكة (٣)

وقد أشار الى هذا الكتاب الديلمى ونقل منه نصوصا متعددة ومتفرقة فى كتابه بيان مذهب الباطنية ونسب هذا الكتاب الى أبى القاسم القيروانى أحد دعاة الباطنية (٤) .

---

(١) كتاب الفهرست لابن النديم ص ٢٤٠ .
(٢) سياست نامه للطوسى ص ٢٧٩ .
(٣) المقصود من مسيره الى مكة حادثة القرامطة المشهورة فى عام ٣١٧هـ حينما دخلوا مكة وقتلوا جميع الحجيج واقتلعوا الحجر الأسود وذهبوا به معهم الى عاصمتهم هجر .
(٤) انظر بيان مذهب الباطنية للديلمى ص ١١٧ .

كما ذكره أيضا البغدادى ونقل منه رسالة موجهة من أحد ائمة الاسماعيلية الى أبى طاهر القرمطى ولكنه سماه بالبلاغ الأكيد والناموس الأعظم (١) .

ويشير النويرى الى البلاغات كلها بقوله : ثم لايزال المدعو شيئا فشيئا فى أبواب البلاغ السبعة حتى يبلغ الغاية القصوى على تدريج وكل باب من هذه البلاغات يشهد للمتقدم قبله والمتقدم يشهد للمتأخر (٢) .

وبعد استيعاب هذه المراحل وبلاغاتها ينقل المدعو الى المرحلة الثامنة مع تمسك الداعى بوصية الأئمة التالية تجاه من وصل الى هذه الرتبة (واياك - أى الداعى - أن تغتر بكثير ممن يبلغوا معك الى هذه المنزلة فترقيه الى غيرها الا من بعد طول المؤانسة والمدارسة واستحكام الثقة فان ذلك يكون عونا لك عند بلاغه على تعطيل الكتب التى يزعمون أنها منزلة من عند الله فيكون هذا نعم المقدمة واياك أن ترقى آخر من هذا الى ماهو أعلى منه (٣) .

المرحلة الثامنة :

وتعاليم هذه المرحلة تشتمل على تقرير المعتقدات الأساسية للاسماعيلية وكشفها صراحة بعد تسليم المدعو بجميع ماتقدم من المراتب السابقة ومما يقرر فيها مايأتى :

(١) القول بالهين اثنين ويعبرون عنهما بالسابق

---

(١) الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٧٨ .
(٢) نهاية الارب للنويرى ٢٥/٢١٠ .
(٣) نهاية الارب للنويرى ٢٥/

والـلاحق .[1]

فالسابق أنشأ الأعيان والثانى صورها وركبها ومع ذلك فالسابق (أى الاله الأول عندهم) لا اسم له ولا صفة ولاينبغى لأحد أن يعبر عنه ولا أن يعبده . وأما الاله الثانى وهو التالى فانهم يقولون انه يدأب فى أعماله حتى يلحق بمنزلة السابق وأن الصامت فى الأرض يدأب فى أعماله حتى يصير بمنزلة الناطق سواء وأن الداعى يدأب فى أعماله حتى يبلغ منزلة السوس وحاله سواء وهكذا تجرى أمور العالم فى أكواره وأدواره .

(٢) وفى معتقد النبوة يقرر لدى المدعو أن معنى النبى الصادق الناطق ليس يجرى على مايقوله أهل الشرائع من أنه جاء بمعجزات ودلالات خارجة عن أحوال العادات . وان معنى ذلك انما هو :

معان تنتظم بها السياسة ووجوه الحكمة التى تحوى معانى فلسفية وجميعها تنبىء عن حقائق ابتداء السموات والأرض ومايشتمل عليه العالم بأسره من الجواهر والأعراض ومعرفة ذلك يكون اما رموز يعقلها العالمون أو بافصاح يعرفه كل أحد وبذلك ينتظم للنبى شريعة يتبعها الناس .[2]

---

(١) ذكر النويرى أن هذه الأقوال أفكار مجوسية بحتة يخرج بها قائلوها عن كل ديانة دان بها أحد من أهل الشرائع التى تنعقد معها نبوة وشريعة ولايكون هذا القول الا مع دهرية أو ثنوية . انظر مذاهب الاسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوى ١٦٨/٢، ١٦٩ . وعن تفصيل هذا المعتقد والرد عليه يرجع الى الباب الثالث من البحث وهو المعتقدات الاسماعيلية .

(٢) انظر الخطط المقريزية للمقريزى ٢٣٢/٢، ٢٣٣ ، نهاية الارب للنويرى ٢١٢/٢٥-٢١٣ .

ويشير عنان الى تقرير هذين الأمرين بقوله : وفى هذه المرحلة تنقض كل صفات الألوهية والنبوة ويعلم الطالب أن الرسل الحقيقيين هم رسل العمل الذين يعنون بالشؤون الدينية كالنظم السياسية وانشاء الحكومات .(١)

(٣) وعن الأخرويات يقرر للمدعو أن ماجاء فى القرآن عن القيامة والثواب والعقاب معناه غير مايفهمه العامة وغير مايتبادر الى الذهن فحقيقتها :

تقلب الأمور وحدوث الأدوار عند انقضاء أدوار أخرى من الكواكب وعوالم اجماعاتها من كون وفساد جاء على ترتيب الطبائع كما قد بسطه الفلاسفة فى كتبهم .(٢)

ويعبر الغزالى والديلمى عن هذه المرحلة (بالخلع) لأن المستجيب وصل الى درجة تفضى به الى ترك حدود الشرع وتكاليفه .(٣)

وليس المراد بأن معناها توقف التابع عن مباشرة تعاليم مذهبه السابق بعد اعلانه الدخول فى الدعوة كما ذكر ذلك بعض الكتاب لأن ذلك يكون فى المرحلة السابعة وسبق أن أشرنا الى ذلك .(٤)

انه مع التأمل للمراحل السابقة وهذه المرحلة نجد أن معتقدات الاسماعيلية عرضت على المدعو وقررت فى فكره بأسلوبين :

---

(١) تاريخ الجمعيات السرية لمحمد عنان ص ٤٣ .
(٢) انظر الخطط المقريزية ٢٣٣/٢ .
(٣) فضائح الباطنية للغزالى ص ٣٢ ، بيان مذهب الباطنية للديلمى ص ٣٠ .
(٤) الحركات السرية فى الاسلام لمحمود اسماعيل ص ١٢٩ .

الأول : تقرير أصول الاسماعيلية الأساسية وذلك كالامامة والظاهر والباطن وهذا كان بارزا فى المراحل السبع حيث تقرر لديه أصولا على ضوئها يصل الى المعتقدات التفصيلية .

الثاني : ايضاح هذه المعتقدات وتقريرها صراحة وهذا ماتتضمنه المرحلة الثامنة حيث بينوا للمدعو عقيدتهم الثنائية في الألوهية وكذلك فى النبوة والأنبياء كما بينوا معتقدهم فى المعاد والثواب والجزاء وهذه هى غالب المعتقدات فيكون المستجيب بعد هذه المرحلة مستوعبا لمعظم تصورات الاسماعيلية وأصولهم الفكرية كما أنه يؤهل للانتقال للمرحلة التاسعة والأخيرة .

المرحلة التاسعة :

وهى المرحلة الأخيرة فى التعليمات المذهبية حيث لاوجود لعقائد قطعية وفرائض لازمة وعندئذ يدخل المستجيب الى حظيرة الأسرار الأخيرة فتندرس آثار الدين وعلاماته من قلبه ويحال الى طلب الأمور وتحقيقها وحدودها والاستدلال عليها من طرق المتفلسفة وادراكها من كتبهم ويصبح حرا فى اختيار طريقه فى اطار مذاهب الفلاسفة (١) .

يقول النويرى مبينا آثار تعاليم هذه المرحلة : فربما صار البالغ فى النظر فى هذا الى اعتقاد مذهب مانى وابن ديصان - وربما صار الى مذهب المجوس - وربما دان بما يحكى عن أرسطاطاليس .

---

(١) دولة الاسماعيلية فى ايران لمحمد جمال الدين ص ٣١، ٣٢.

وربما صار الى أمور تحكى عن أفلاطون وربما اختار من تلك معانى مركبة من هذه الأمور كما يجرى لكثير من هؤلاء المتحيرين (١) .

ومما يقرر للمستجيب فى مرحلته الأخيرة أن كل التعاليم الدينية أوهام محضة لايجب العمل حينئذ بها الا بحسب الحاجة من رعاية مصالح الدهماء بخلاف العارف فانه لايلزمه العمل بها ويكفيه معرفتها فانها اليقين الذى يجب المصير اليه . وماعدا المعرفة من سائر المشروعات فانما هى أثقال وآصار حملها الكفار أهل الجهالة لمعرفة الأعراض والأسباب (٢) .

وهكذا فان تعاليم هذه المرحلة تهدم كل اعتقاد ليس فى الاسلام وحده بل فى جميع الأديان المنزلة من عند الله . ويطلق الغزالى على هذه المرحلة (بالسلخ) لانتزاع معتقدات المدعو الدينية فاذا انتزعوا ذلك من قلبه دعوا ذلك سلخا (٣) . ولهذا التعليل يعبر بعض العلماء عن هذه المرحلة بالانسلاخ من الدين (٤) .

تلك هى مراحل الدعوة السرية عند الاسماعيلية . ومن الواضح أن هذه المراحل تحتوى على جميع التعاليم المذهبية لهم بحيث تنتهى بالمدعو الى فقد العقيدة الاسلامية والاستعاضة عنها بالفلسفات والعقائد الباطنية الهابطة هنا وهناك . ومما لاشك فيه أن لهذه المرحلية أثر كبير فى انتشار المذهب الاسماعيلى دونما مواجهة أو لفت نظر ، فقد

---

(١) نهاية الارب للنويرى ٢١٤/٢٥ .
(٢) الخطط المقريزية للمقريزى ٢٣٣/٢ .
(٣) فضائح الباطنية للغزالى ص ٣٢ .
(٤) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى ص ٣٠ .

استطاع الدعاة تعميم مبادئهم وتثبيتها فى نفوس المستجيبين على شكل خطوات بنى اللاحق منها على السابق حتى وصلوا الى مبادىء فلسفية لايتقبلها الا ملحد متحلل من الشرائع .

كما كان لهذه المرحلية دور مهم فى بعث الشوق والحماس والاغراء لدى الاتباع للوصول الى درجة أعلى من درجتهم وهذا لايتم الا بأن يصرف المستجيب كامل جهوده وطاقاته فى خدمة المذهب والتفانى فى سبيله . اضافة الى ذلك فقد استغل الدعاة هذه المرحلية لجمع الأموال حيث كان يؤخذ من كل مستجيب للدعوة مقدارا من المال برهانا على ايمانه بها وكذلك عندما كان يرتقى احدى درجاتها حتى انه تجمع لدى رئاسة الدعوة من ذلك أموال طائلة .(١)

---

(١) انظر كتاب قرامطة العراق لعليان ص ٢٠ .

(ب) مراتب الائمة :

أعطى الاسماعيلية الامامة أهمية كبرى سواء من الناحية الاعتقادية (وهو ماسنتحدث عنه ان شاء الله فى الباب الثالث) أو الجانب التنظيمى وهو موضوع حديثنا فى هذا الفصل فقد أطلقوا على هذه المراتب أسماء مختلفة وقسموها الى درجات متعددة فمن الأسماء التى أطلقوها مايعرف عندهم بالأدوار والأكوار والمراد من ذلك : فترات زمنية معينة يكون فى كل منها ناطق - أى نبى - وسبعة أئمة وقد ذكر السجستانى - أحد علمائهم - أن الدور على نوعين :

دور كبير ودور صغير . فالدور الكبير يتعلق بالأنبياء ويطلق عليهم اسم النطقاء وهو الفترة الزمنية التى تكون بين كل نبى ونبى .

أما الدور الصغير فهو يتعلق بالأئمة الذين بين كل ناطق وناطق وهو الفترة الزمنية بين كل امام وامام ويتخلل الدور - كما قلنا - سبعة أئمة مستقرين الا فى الفترات التى تحدث لعلل وأسباب .(١)

ففى الظروف الطارئة والاستثنائية يمكن أن يزاد فى عدد الأئمة المستودعين عن سبعة وذلك عندما يقع الستر على الأئمة المستقرين أو تحصل الفترة التى هى بالتعبير اضطرار الامام(٢)

---

(١) اثبات النبوات للسجستانى ص ١٨١ .
(٢) الامام المستقر والامام المستودع مرتبتان من مراتب الأئمة عند الاسماعيلية سوف ان شاء الله نتحدث عنهما بالتفصيل فى فقرة قادمة .

المستقر الى الستر والاحتجاب (١).

ويحدد الاسماعيلية هذه الأدوار - كما يقول السجستانى - على النحو الآتى :

ان آدم هو الناطق الأول للدور الأول وأساسه الصامت شيث وبعده ستة أئمة .

وبعده نوح صاحب الدور الثانى وأساسه الصامت سام وبعده ستة أئمة .

وبعده ابراهيم صاحب الدور الثالث وأساسه الصامت اسماعيل وبعده ستة أئمة .

وبعده موسى صاحب الدور الرابع وأساسه هارون وبعده ستة أئمة .

وبعده عيسى صاحب الدور الخامس وأساسه شمعون الصفا ومن بعده ستة أئمة .

ومن بعده محمد صاحب الدور السادس وأساسه على بن أبى طالب ومن بعده أئمة كثيرون حتى القائم الذى هو صاحب الدور السابع وصاحب الكشف والظهور (٢).

فالأئمة طبقا لما عرف عند الاسماعيلية بنظرية الدور يحملون صفات من سبقهم من الأنبياء الذين يسمونهم بالنطقاء وأول هؤلاء الأئمة بين كل ناطقين يعرف بالأساس وهو كما يقولون الباب الى علم الناطق فى حياته والوصى بعد مماته والامام لمن هم فى زمانه (٣).

---

(١) انظر الخلفية العقائدية لفضيلة الشامى ص ٣١٩ .
(٢) اثبات النبوات للسجستانى ص ١٩٣ .
(٣) انظر كتاب قرامطة العراق لعليان ص ١٨٧، ١٨٨ .

ويلاحظ فى أدوار الأئمة أنها تتم بسبعة وهو اشارة الى أصل من أصولهم الاعتقادية التى يدينون بها ولذا يطلق عليهم بعض العلماء بالسبعية لاعتقادهم أن أدوار الامامة سبعة وان الانتهاء الى السابع هو آخر الدور وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب هذه الأدوار لاآخر له قط.(١) أما مراتب الأئمة فهى كالتالى :

(١) الامام المقيم :

وهو الذى يقيم الرسول الناطق ويعلمه ويربيه ويدرجه فى مراتب رسالة النطق وينعم عليه بالامدادات ويطلق عليه أحيانا اسم (رب الوقت) وصاحب القمر وتعتبر هذهالرتبة أعلى مراتب الامامة وأرفعها وأكثرها دقة وسرية .

(٢) الامام الأساسى :

وهو الذى يرافق الناطق فى كافة مراحل حياته ويكون ساعده الأيمن وأمين سره والقائم بأعمال الرسالة الكبرى والمنفذ للأوامر العليا . فمنه يتسلسل الائمة المستقرون فى الأدوار الزمنية وهو المسؤول عن شؤون الدعوة الباطنية القائمة على الطبقة الخاصة ممن عرفوا التأويل ووصلوا الى العلوم الألهية العليا .

---

(١) فضائح الباطنية للغزالى ص ١٦ .

(٣) الامام المتم :

وهو الذى يتم أداء الرسالة فى نهاية الدور . والدور كما هو معروف أصلا يقوم به سبعة من الأئمة . فالامام المتم يكون سابعا ومتما لرسالة الدور . وأن قوته تكون معادلة لقوة الأئمة الستة الذين سبقوه فى الدور نفسه بمجموعهم . ومن جهة ثانية يطلق عليه اسم ناطق الدور أيضا أى أن وجوده يشبه وجود الناطق بالنسبة للأدوار . أما الامام الذى يأتى بعده فيكون قائما بدور جديد ومؤسسا لبنيان حديث .

(٤) الامام المستقر :

هو الذى يملك صلاحية توريث الامامة لولده كما أنه صاحب النص على الامام الذى يأتى بعده ويسمونه أيضا الامام بجوهر والمتسلم شؤون الامامة بعد الناطق مباشرة والقائم بأعباء الامامة أصالة (١) .

ومما يميز الامام المستقر من المستودع أن استقرار الامامة لاتكون الا بأبناء على بن أبى طالب روحيا وجسميا كما أن للمستقر الحق فى تفويض الامامة لأحد دعاته الثقات ليبث الدعاية باسمه بينما هو يبقى بعيدا عن الخطر . ويذكر المستشرق لويس : أنه بموجب هذا المبدأ انتحل بعض الدعاة ألقاب الامامة ووظائفه فكانوا يدبروا الحركات ويخبروا اتجاه الرأى العام دون أن يتعرض الامام السمتقر لخطر . ومن

(١) الامامة فى الاسلام لعارف تامر ص ١٤٣،١٤٤ .

هذا مانقرأه فى عدة كتب اسماعيلية بأن الامام أحمد - الذى ينسب له تأليف رسائل اخوان الصفا - أذن للداعى الترمذى أن يظهر بين الناس اماما ويتقبل الموت بهذه الصفة وذلك للتأكد مما اذا كانت الظروف ملائمة لاظهار أمره (١) .

(٥) الامام المستودع :

هو الذى يتسلم شئون الامامة فى الظروف والأحوال الاستثنائية وفى الفترات المظلمة التى يخيم فيها الظلام على النور - بزعمهم - عند احتجاب الامام الأصيل فيقوم عندئذ بمهمات الامامة نيابة عن الامام المستقر بنفس الصلاحيات . ولكن من الواضح والأكيد أنه لايستطيع توريث الامامة لأحد من ولده بل تبقى مستودعة عنده لحين انجلاء الظلمة وعندئذ يعود الحق الى نصابه والامامة الى أصحابها الشرعيين ، ومن اطلاقات الاسماعيلية على هذا الامام المستودع "نائب غيبة" (٢) .

ان وضع الأئمة فى مراتب على هذا النحو تخطيط مبتدع يخدم أهدافا وأغراضا باطنية . فمثلا فكرة الامام المستقر والامام المستودع اتخذها الاسماعيلية وسيلة لتبرير امامة القداحيين وكأن هناك سلسلة من الأئمة المستقرين من أبناء محمد بن اسماعيل بينما فى حقيقة الأمر لاوجود لهؤلاء الأئمة المزعومين حيث مات محمد بن اسماعيل دون عقب - كما أسلفنا - ومن ثم أصبح القداحيون هم الأئمة الحقيقيون للاسماعيلية

---

(١) انظر كتاب أصول الاسماعيلية لبرنارد لويس ص ١٢٧ .
(٢) انظر كتاب الخلفية العقائدية لفضيلة عبد الأمير الشامى ص ٣٢٩ .

وحتى لاتنكشف هذه الحقيقة ابتدعوا فكرة الاستقرار والاستيداع الامامى فمرت فترة تاريخية عرفت عند المؤرخين بفترة الاستتار أو دور الأئمة المستورين . وتعتبر هذه نموذجا عمليا لهذه الفكرة عند الاسماعيلية .

كما أن من أغراضهم من نظرية الامام المستقر والمستودع مقارعة التيار الشيعى الاثنا عشرى وابطال القول بامامة موسى الكاظم وأبنائه من بعده وذلك لأن الامامة - كما قلنا سابقا - تقوم عند الشيعة على أساس الوراثة فى الابن الأكبر وعقبه من بعده . وبما أن اسماعيل مات فى حياة أبيه فقد انتقلت الامامة - فى رأى الاسماعيلية وبناء على نظريتهم السابقة - الى ميمون القداح باعتباره اماما مستودعا حتى اذا كبر محمد بن اسماعيل انتقلت الامامة اليه باعتباره اماما مستقرا وبذلك أصبحت الامامة فى نظر الاسماعيلية فى وضعها الصحيح عندهم ومن ثم يبطلون حجة الاثنا عشرية فى الامامة .

يقول حسن ابراهيم وطه شرف : "والواقع أن الاسماعيلية استخدموا نظرية الاستيداع الامامى لمقاومة الشيعة الاثنى عشرية وابطال حقهم فى الامامة من جهة وجذبهم الى المذهب الاسماعيلى من جهة أخرى لأنهم أقروا للاثنى عشرية بامامة موسى الكاظم ولكنهم فى الوقت نفسه نفوها عن أبنائه" (١) .

ومن الملاحظ أن مرتبتى الامام المستقر والمستودع وردتا كثيرا فى كتب الاسماعيلية ورسائلهم السرية ، يقول الداعى

---

(١) انظر كتاب عبيد الله المهدى لحسن ابراهيم وطه شرف ص ٢٨٨ .

ادريس عند حديثه عن الأئمة المستورين :وأوصى اسماعيل والده الصادق أن يقيم لولده حجبا ومستودعا فسلمه أعنى مولانا محمد بن اسماعيل الى ميمون بن غيلان الفارسى فرباه وأخفى شخصه وهو ابن ثلاث سنين مع ميمون القداح وهو كفيل له ومستودع أمره وميمون من أولاد سلمان وسلمان من أولاد اسحاق ابن يعقوب أهل الاستيداع والقائمين بالبلاغ والابلاغ (١) .

ان نظرة الى أقوال هذه الطائفة وتنظيماتها لمراتب الأئمة تكشف لنا مدى الغلو الخطير الذى لعبه دعاة الاسماعيلية ومنظمو مبادئها من خلال هذه الرتب التى ابتدعوها فهم :

أولا : أساؤوا الى الأنبياء والرسل حيث اعتبروا الامام المقيم - وهى الرتبة الامامية الأولى عندهم - هو الذى يقيم الرسول ويعلمه ويربيه فهو أفضل منه وأعلى رتبة ، ومن جانب آخر يدل هذا على تفخيمهم الامامة حتى تطغى على النبوة والرسالة ويصبح مقام الامامة والأئمة عندهم أفضل من الرسالة والرسل وهذا أمر ظاهر البطلان شرعا وعقلا وتصور مذهب هؤلاء كاف فى رده وبيان فساده .

وثانيا : أشادوا بشخصيات غالبهم اشتهروا بالهدم والتخريب للعقيدة الاسلامية فصنفوهم فى مراتب الامامة التى ابتدعوها حتى انهم اعتبروا بعض هؤلاء الأئمة فى مصاف الأنبياء والرسل بل فضلوهم عليهم فى بعض الأحوال .

ولاشك أن ذلك لعب بالعقول والألفاظ كما أنه هدم للنبوة

---

(١) مخطوطة زهر المعانى للداعى ادريس ورقة ٤٧ .

والامامة على حد سواء . ويحسن أن أنقل جدولا من جداولهم التى وضعوها لتقسيم الأدوار وفق مراتب الأئمة التى استحدثوها ليتضح لنا مدى ماوصلت اليه نظمهم الامامية من هبوط عقلى وانحراف دينى الى هذيان وضياع . فعن الدور السادس من أدوار النطقاء يرسم أحد دعاة الاسماعيلية المعاصرين هذه الصورة مبينا فيها مراتب الأئمة وأسمائهم على الشكل الآتى : (١)

العدد	الامام المقيم	الرسول الناطق	أساس الدور	الامام المتم	الامام المستقر
١	عمران	محمد	على بن		على بن أبى طالب رضى الله عنه
٢	ابوطالب	صلى الله	أبى طالب		الحسين بن على رضى الله عنهما
٣		عليه وسلم	رضى الله		على بن الحسين (زين العابدين)
٤		٥٧١-٦٣٤م	عنه		محمد بن على (الباقر)
٥					جعفر بن محمد (الصادق)
٦					اسماعيل بن جعفر
٧				محمدبن اسماعيل	محمد بن اسماعيل

ومن الملاحظ حسبما هو موجود فى هذا الجدول وبناء على ماقالوه عن ميزة كل مرتبة من مراتب الأئمة ووظائفها أن من يسمى بعمران هو الذى أقام الرسول الناطق ويعنون به محمدا صلى الله عليه وسلم فهو أرفع منه منزلة ورتبة . بل انه - أى عمران - هو الذى علم الرسول صلى الله عليه وسلم ورباه وأنعم عليه بالامدادات {كبرت كلمة تخرج من أفواههم ان يقولون الا كذبا} (٢) .

(١) انظر كتاب الامامة فى الاسلام لعارف تامر ص ١٥٥ .
(٢) سورة الكهف : ٥

كما يلاحظ أن امامهم محمد بن اسماعيل يعتبر متما لأداء الرسالة فى نهاية الدور فوجوده يشبه وجود الناطق ويعنون بذلك أنه يقوم بالدور الذى يقوم به الرسول محمد صلى الله عليه وسلم .

والحقيقة أنه لايخفى على مطلع مافى هذا الغثاء من تنقص الرسل والأنبياء والازراء بهم حيث اعتبروا سائر البشر فى مصافهم أو أفضل منهم فى بعض الحالات .

وحسب سلسلتهم للأئمة المستقرين يلاحظ انهم أسقطوا اماما من أئمة آل البيت - وهو عند المسلمين امام معتبر - الحسن بن على بن أبى طالب رضى الله عنهما واعتبروه - حسب مراتبهم - من الأئمة المستودعين الذين لاحق لهم فى الامامة الا فى ظروف اضطرارية فامامته ليست أساسية عندهم وهذا خلاف النصوص والواقع .

ومما له صلة وثيقة بنظم الاسماعيلية حول الأئمة احاطتهم بهالة كثيفة من السرية والكتمان حيث استمات الدعاة فى اخفاء مايتعلق بأئمتهم سواء فى ذلك معرفة أسمائهم أو أماكنهم أو أعمالهم وتحركاتهم وكان الدعاة يقولون عن الامام لأتباعهم انه حى لم يمت ومختف يترقب الفرصة للظهور والمواجهة . وبهذا الأسلوب تحرك الأئمة وهم غير معروفين ولم يتعرضوا للطرد والتنكيل من قبل الخلفاء العباسيين أو ولاتهم فى الأقاليم الاسلامية المترامية الأطراف . ومع الاستعراض لواقع الاسماعيليين وتاريخ أئمتهم نجد أن دعاتهم المقربين من الأئمة تعرضوا للبطش والتنكيل ولم يكشفوا عن أسماء أئمتهم أو يدلوا على أماكنهم . هذا من جانب الدعاة

والمستجيبين . اما من جانب الأئمة فقد استخدموا وسائل متعددة للحفاظ على أنفسهم وستر أعمالهم وتحركاتهم ، ومن هذه الوسائل :

أولا : استحداث مايسمى بدور الاستتار ظل الأئمة فيه مستورين ويقوم بدورهم الحجج الذى يسيرون ويختلطون مع الدعاة وهذا ماأشار اليه الشهرستانى بقوله :

ان الاسماعيلية قالوا ولن تخلو الأرض قط من امام حى قائم اما ظاهر مكشوف واما باطن مستور فاذا كان الامام ظاهرا جاز أن يكون حجته مستورة واذا كان الامام مستورا فلابد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين .

ويحدد الشهرستانى بداية هذا الاستتار للأئمة بقوله : وبعد اسماعيل محمد بن اسماعيل السابع التام ثم ابتدىء منه بالأئمة المستورين الذين كانوا يسيرون فى البلاد سرا ويظهرون الدعاة جهرا .(1)

ثانيا : اتخاذ الأسماء والألقاب المستعارة للتمويه عن الشخصية الحقيقية ولهذا عدة مظاهر عندهم . منها اتخاذ اسم ظاهر واسم باطن . ومنها اتخاذ الأسماء المتفاءل بها كمبارك وميمون وسعيد . ومنها اتخاذ الألقاب الحسنة كالرضى والتقى والمقتدى . وهذه القاب الأئمة المستورين الثلاثة كما ذكر أحد دعاتهم .(2)

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٢/١ .
(٢) كتاب الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية لمحمد عنان ص ٦١ .

ثالثا : كثرة التنقل وعدم الاستقرار فى مكان واحد .

ولو درسنا وتتبعنا تاريخ أئمة الفرق الباطنية والاسماعيلية فرقة منها لوجدنا أن أماكنهم متعددة وتنقلاتهم كثيرة فمثلا محمد بن اسماعيل امامهم الثانى عاش أول حياته فى المدينة ولكن حينما شعر بالخطر خرج سرا وظل يتنقل من مكان الى آخر حتى توغل فى شرقى المملكة الاسلامية واستقر فى آخر حياته فى قرية من قرى الرى عرفت باسمه وتسمى بمحمد آباد (١) .

(١) انظر كتاب أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٤٤٨ .

(ج) درجات الدعاة :

وجه الاسماعيليون عناية فائقة فيما يتعلق بالدعاة فهم موضع التقدير والاحترام من أئمتهم وبين أشياعهم فلفظ الداعى يعتبر لدى الباطنيين من الألفاظ الشريفة لأن الله تعالى سمى النبى داعيا . فالأنبياء فى الحقيقة ماهم الا دعاة من الله تعالى لعباده . وهم بهذا يريدون القول بأن دعاتهم انما يقومون بدور الأنبياء ويتشبهون بهم وذهبوا الى تمجيد الدعاة بأبعد من ذلك فشبهوهم بالملائكة وقالوا ان هناك واسطة بين الله والنبى تتمثل فى القلم واللوح واسرافيل وميكائيل وجبريل ويطلقون على هؤلاء اسم الحدود الخمسة الروحانية العلوية ويرون أن هذه الحدود الروحية العلوية يقابلها على الأرض حدود جسمانية تتمثل فى النبى أو الامام ثم الوصى أو الحجة ثم داعى الدعاة ثم أصحاب الجزائر (١) ثم بقية الدعاة .

وكما أن الملائكة تبلغ كلام الله الى نبيه فان الدعاة يبلغون عن امام الزمان ويترجمون عن علمه وحكمته (٢) .

ومن مظاهر اجلال الدعاة لديهم اعتبارهم مصدر الهداية والانقاذ ليس للعالم فحسب بل لجميع البشر على اختلاف السنتهم وتعدد أمكنتهم وهذا يظهر جليا فى خطاب المعز

---

(١) المقصود بأصحاب الجزائر مجموعة من الدعاة يتفرقون فى أماكن متعددة فمن تقسيمات الاسماعيلية أنهم قسموا العالم الى اثنى عشر جزيرة - والمقصود بالجزيرة حسب العرف الحاضر المنطقة التى تضم مجموعة من البلاد - فلكل جزيرة داعية مخصوص ومن تحته مجموعة من الدعاة .

(٢) انظر ديوان المؤيد لمحمد حسين ص ٥١ ، قرامطة العراق لعليان ص ١٦٦ .

- أحد أئمة الاسماعيلية الظاهرين - الى أحد دعاته وهو الحسن القرمطى يقول مخاطبا اياه : فما من جزيرة فى الأرض ولااقليم الا ولنا فيه حجج ودعاه يدعون الينا ويدلون علينا ويأخذون بيعتنا ويذكرون رجعتنا وينشرون علمنا وينذرون بأسنا ويبشرون بأيامنا بتصاريف اللغات واختلاف الألسن وفى كل جزيرة واقليم رجال منهم يفقهون وعنهم يأخذون (١) .

وفى موضع آخر يقول : ان أكثر الناس يجهلون أمرنا ويظنون أنا لانعنى الا من شاهدناه وكان بحضرتنا . لو كان الأمر كذلك لكنا قد ضيعنا من بعد منا وقد أوجب الله على جميع خلقه ولايتنا ومعرفتنا واتباع أمرنا والهجرة والسعى الينا من قرب وعن بعد لكنا للرافة بهم ولما نرجوه ونحبه من هدايتهم نصبنا بكل جزيرة لهم من يهديهم الينا ويدلهم علينا (٢) .

ولاشك أن مثل هذه العبارات - ولاسيما من أئمتهم - لها اثر كبير فى الدعاية للمذهب من قبل العامة والدهماء أتباع كل ناعق كما أن لها دورا كبيرا فى بعث النشاط لدى الدعاة الذين قضوا حياتهم فى سبيل أئمة الكفر والضلال .

ومن مظاهر اهتمام الاسماعيلية بالدعاة أن كثيرا من مؤلفاتهم تدور حول الداعى والصفات التى يتحلى بها ومن أمثلة هذه المؤلفات رسالة تحفة القلوب وفرجة المكروب فى تركيب الحدود للداعى الاسماعيلى حاتم بن ابراهيم ، وكتاب الحدود للداعى القرمطى عبدان حدد فيه شروط اختيار الدعاة

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزى ١٩٦/١ .
(٢) المجالس والمسايرات للقاضى النعمان ١٠٥/١ .

وصفاتهم كالعلم والتقوى والسياسة والمداراه والمخاتلة والقدرة على الجدل والخطابة (١) .

ولكى يستفيد الاسماعيلية من هؤلاء الدعاة أكثر فى نشر المذهب فانهم وضعوا لهم نظاما فريدا يعتبر فى ذلك الوقت من أدق الأنظمة بالنسبة للحركات الهدامة التى عملت بصمت ونظام عجيبين ففى هذا النظام استفادوا كثيرا من نظام الكون ومايحوى من دلالات .

وحينما نستعرض التقسيمات الباطنية للعالم والدعاة المنتشرين فيه لمذهبهم نجد أنهم استقوا معظم هذه التنظيمات من نظام الكون وعلم الفلك ، وهذا يشير الى تأثرهم بالصابئة الذين لهم باع طويل فى علم الأفلاك والكواكب السيارة . وبناء على نظام دورة الفلك قسموا العالم الى اثنى عشر قسما على غرار السنة الزمنية المقسمة الى اثنى عشر شهرا وسموا كل قسم (جزيرة) (٢) وجعلوا على كل جزيرة من هذه الجزر داعيا عاما واعتبروه المسئول الأول عن الدعاية فيها . وكان يطلق عليه لقب (داعى دعاة الجزيرة) أو (حجة الجزيرة) وعلى ذلك النمط جرى تنظيم الدعاة فى داخل الجزر الاثنى عشر فكما أن الشهر ثلاثون يوما فيجب لكل حجة من حجج الجزيرة ثلاثون داعيا لمساعدته فى نشر الدعوة

---

(١) انظر الحركات السرية لمحمود اسماعيل ص ١٢٧ ، قرامطة العراق لعليان ص ١٦٣ .

(٢) يقول الدكتور محمد كامل حسين : انا لانعلم الى الآن الأساس الذى قسموا بمقتضاه الى هذه الجزر فانا نراهم يطلقون جزيرة مصر ويريدون بها بلاد الشام ومصر والمغرب معا ويقولون جزيرة العراق ويقصدون بها العراق وبلوخستان ... وهكذا فتحديد الجزائر لم يزل سرا لم يستطع الباحثون الوصول اليه وكذلك أسماء هذه الجزر .

يطلق عليهم اسم (النقباء) ويعتبرون قوة لصاحب الجزيرة يستعين بهم لمجابهة الخصوم ويعرف عن طريقهم أسرار الخاصة والعامة . وكما أن اليوم مقسم الى أربع وعشرين ساعة اثنتى عشرة ساعة بالليل واثنتى عشر ساعة بالنهار فانهم جعلوا لكل داع نقيب أربعة وعشرين داعيا منهم اثنا عشر داعيا ظاهرا كظهور الشمس بالنهار واثنا عشر داعيا محجوبا مستترا استتار الشمس بالليل .(١)

وهكذا فان هذه التقسيمات قائمة على أساس فلكى وهذا يؤيد ماأشرنا اليه سابقا من تاثر الاسماعيلية فى نظام دعوتهم بالخبرة الفلكية .

كان نظام الدعوة يقضى بأن يلازم صاحب الجزيرة داعيان يعرف أحدهما بالجناح الأيمن والآخر بالجناح الأيسر يختصان بالذهاب الى البلدة التى يزمع صاحب الجزيرة زيارتها لجمع المعلومات والبيانات الكافية عن أحوال أهلها وظروفهم المختلفة ووضع ذلك كله أمام صاحب الجزيرة كى ينتفع به عند القيام بزيارته لأى بلدة من تلك البلدان . وعند تطبيق هذا النظام على واقع الاسماعيلية وتاريخهم نجد أن مبعوث الامام الاسماعيلى (حسين الأهوازى) اعتبر صاحب جزيرة فى سواد الكوفة ومن خلال دعوته هنالك استجاب له شخص يسمى بـ (حمدان قرمط) وكان لهذا المدعو أتباع فيما بعد عرفوا فى كتب المقالات والفرق والتاريخ بالقرامطة . ثم بعد ذلك اتخذ هذا الداعى الاسماعيلى من بين هؤلاء المستجيبين اثنى عشر نقيبا

---

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٣٣،١٣٤ .

وقال لهم : أنتم كحوارى عيسى بن مريم[(١)] .

ويقول الدكتور عليان معلقا على هذا الحدث : ان من الطبيعى أن يسبق وفود الحسين الأهوازى الى سواد الكوفة زيارة هذين الجناحين لها . ولذلك لانعجب اذا لاحظنا أن الأهوازى كان على علم سابق بسوء المعيشة فى بعض قرى سواد الكوفة فاشار الى ذلك فى كلامه مع حمدان قرمط عند أول مقابلة لهما بقوله : وأمرت أن أشفى أهلها وأنقذهم مما هم فيه من سوء حال وأملكهم أملاك أصحابهم[(٢)] .

ومن المرجح أن يكون الأهوازى قد تعمد مقابلة حمدان قرمط بالذات لسابق علمه بأن حمدان كان له أصحاب كثيرون وانهم جميعا فقراء متذمرون يميلون الى التشيع لآل البيت ويأملون فى الخلاص على أيديهم وليس أدل على ذلك من سرعة أخذه العهد مع أن أخذ العهد لم يكن يتم الا بعد مقدمات كثيرة تتطلب وقتا طويلا وبعد اختفاء الأهوازى من سواد الكوفة حل حمدان قرمط محله وأصبح من الدعاة المطلقين[(٣)] . وكان له مساعدون كثيرون على رأسهم (عبدان) ابن عم حمدان وصهره وكان يعمل تحت اشراف هؤلاء دعاة آخرون ويتضح مما ذكره النويرى والمقريزى[(٤)] أن الاسماعيلية قسموا منطقة الكوفة الى جهات مختلفة وأسندوا الاشراف على كل منها الى أحد كبار

---

(١) انظر قرامطة العراق لعليان ص ١٦٠ .
(٢) قرامطة العراق لعليان ص ١٦١ ، تاريخ الأمم للطبرى ١٦/٨ .
(٣) مركز من مراكز الدعاة يقول الشيرازى عنه : ان من يصل اليه يسمح له بمباشرة الدعوة فى جميع أنحاء الجزيرة من غير أن يأخذ بذلك اذنا من أحد . انظر قرامطة العراق لعليان ص ١٦٢ من الحاشية .
(٤) نهاية الارب ٥٧/٢٣ ، اتعاظ الحنفا للمقريزى ١٥٥/١ .

الدعاة وأوجبوا على كل منهم ضرورة الاقامة فى الجهة التى يشرف عليها كى يتيسر له مقابلة صغار الدعاة الذين تحت اشرافه والتمكن من توجيههم مرة كل شهر (١) .

ويشير النويرى الى أن الدعاة كانوا يجوبون المناطق المحددة لهم مرة فى كل شهر ويبذلون قصارى جهدهم فى استطلاع أخبار أشياعهم للالمام بما يحتاجونه ومايجد حول الدعوة من ظروف أو أحداث (٢) .

وفى سبيل أداء هذه المهمة بيسر وسهولة أمر الامام الاسماعيلى أحد أبنائه بالاقامة فى الطالقان ليقرب من حمدان قرمط المقيم فى كلواذى فكانت كتابات حمدان تصل الى مقر الامامة عن طريق هذا الرجل المقيم فى الطالقان ولما انقطعت المكاتبة بين حمدان والامام الاسماعيلى شخص هذا الرجل يسأل عن سبب ذلك وأخذ يعاتب الدعاة فى قطع رسائلهم .

ويقول المقريزى عن عبدان والدعاة لديه : ان كل داع كان يدور فى عمله ويتعاهده فى كل شهر مرة وكل ذلك بسواد الكوفة (٣) .

ومما اهتم به الاسماعيلية كثيرا اختيار الدعاة وانتقاؤهم من بين المستجيبين حتى انهم وضعوا صفات لابد من توافرها فيمن يتصدى للدعوة فنقل المؤيد عن تحفة القلوب للحامدى هذه الصفات ولخصها بثلاثة أشياء وهى : العلم والتقوى والسياسة .

---

(١) قرامطة العراق لعليان ص ١٦٢ .
(٢) نهاية الارب للنويرى ٥٧/٢٣ .
(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزى ١٥٥/١ ، الفهرست لابن النديم ص ٢٣٨ .

فالعلم : يراد به الظاهر والباطن فعلم الظاهر هو علوم الفقه والحديث والتاريخ وعلوم القرآن ثم الجدل والكلام .

وعلم الباطن هو تطبيق نظرية المثل والممثول أو المحسوس والمعقول .

أما التقوى : فهى كون الداعى من أهل العلم والعمل بالدين مع الاعتقاد بذلك وفق العقيدة الاسماعيلية الباطنية .

أما السياسة فيقصد بها مايسمونه بالسياسات الخاصة والعامة . فالخاصة تتعلق بالداعى حيث يجب عليه اصلاح نفسه ومنعها من الشهوات والمنهيات . وأما العامة فهى قيام الداعى بتدبير من هو سائسهم فى اصلاح دنياهم وآخرتهم وأن يعرف حقوق من يهاجر اليه وما احتملوا من مشقة ومحن وأن يقدر أهل العلم ومنازلهم ويكون جلوسه معهم مع وجوب أن يكون الداعى نسيبا فى قومه فان الشرف بالنسب يجل فى أعين الناس وربما يمارس الداعى حرفة مثل التجارة أو تطبيب العين أو أمثال ذلك ويكون هدفه للوهلة الأولى أن يجذب جيرانه تحت تاثير مايتظاهر به من زهد وتقوى وحب للخير (١) .

كذلك يجب أن يكون الدعاه كما يقول رشيد الدين - أحد دعاتهم - فصحاء لهم جاذبية فى الحديث يمتازون بالبلاغة والذكاء والتعقل (٢) .

---

(١) ديوان المؤيد ص ٥٥ ، دولة الاسماعيلية فى ايران ص ٣٩،٤٠ .

(٢) قرامطة العراق لعليان ص ١٦٤ ، نقلا عن المجلة العلمية الآسيوية .

وهؤلاء الدعاة لم يكونوا فى درجة واحدة بل صنفوهم فى مراتب متفاوتة حسب جهدهم فى العمل واستيعابهم لمعلومات المذهب ومدى تقبلهم لها ويشير بعض الكتاب الى أن العمل الذى كان يعهد به لكل مرتبة من مراتب الدعاة لايزال من أعوص الأسرار وأخفاها .(١)

ولكننا نجد أحد دعاتهم وفلاسفتهم وهو الداعى الكرمانى بين لنا فى كتابه "راحة العقل" درجات الدعاة ومراكزهم على نحو ينتظم كافة المتصلين بها من الناطق - النبى - حتى المستجيب وحدد هذه الدرجات بعشر مخالفا بعض من تقدمه من الدعاة والحدود .(٢)

بينما غيره اعتبرها اثنى عشرة درجة مطابقا لتقسيمات السنة الزمنية .(٣)

وهذه هى درجات الدعاة ومراتبهم :

(١) الامــام :

ويعتبر فى قمة الدعاة فله رتبة الأمر والسياسة للأمة التى هو بعض منها وعن ذلك يقول تامر : ان رتبة الامام تمثل القيادة العليا المطلقة فهى أعلى سلطة وأرفعها فى الدعوة وهى مصدر كل قانون أو تنظيم أو تشريع .(٤)

وبالغ الاسماعيلية فى رتبة الامام حتى قالوا : ان أهميته تأتى بعد الناطق (أى النبى المرسل) فهو يقوم

---

(١) دولة الاسماعيلية فى ايران لمحمد جمال الدين ص ٣٦ .
(٢) راحة العقل للكرمانى ص ٢٥٦ .
(٣) انظر أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٢٤ ، القرامطة لعارف تامر ص ١٠٢ ، الانسان فى فكر اخوان الصفا ص ١٩.
(٤) القرامطة لعارف تامر ص ١٠٣ .

بتأويل الشرائع ويدرك العلوم الالهية من حيث لايتهيأ للواحق ادراكها واستفادتها[1] .

(٢) الباب :

تعتبر هذه المرتبة سرية للغاية حيث لايعرف شاغلها الا الامام نفسه فهى من أرفع مراتب الدعوة بعد رتبة الامام الدينية مباشرة وقد وصف أحد الدعاة هذه المرتبة بقوله : "وحد الباب هو من حدود الصفوة واللباب فهو أفضل الحدود وهو حد العصمة ولاينتهى الى ذلك الا الآحاد والأفراد" .

ويقول آخر : "باب الأبواب هو باب صاحب الزمان الذى تؤتى منه اليه وحجته على الخلق وحامل علمه وصاحب دعوته"[2] .

وعبر فيلسوف الاسماعيلية عن مهمة هذه الرتبة بقوله : الباب وله رتبة فصل الخطاب وهى تقابل من الحدود العلوية الموجود الرابع[3] .

ويطلق أحيانا على صاحب هذه الرتبة (الحجة) وعن ذلك يقول تامر : والباب اسم يطلق على الحجة ومعناه أنه باب سر الامام المباشر ومستودع أعماله فى أكثر الأوقات كما أنه ظل الامام لايفارقه فلاامام بدون حجة ولاحجة بدون امام[4] .

ونجد سندا لذلك عند الشهرستانى حيث نقل عن الباطنية والاسماعيلية قولهم : ولن تخلو الأرض قط من امام حى قائم اما ظاهر مكشوف واما باطن مستور فاذا كان الامام ظاهر جاز

---

(١) الايضاح لأبى فراس ص ١٦١ .
(٢) أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٢٣ .
(٣) راحة العقل للكرمانى ص ٢٥٦ .
(٤) القرامطة لعارف تامر ص ١٠٣ .

أن يكون حجته مستورا واذا كان الامام مستورا فلابد أن يكون حجته ودعاته ظاهرين[(١)] .

ولكل امام اثنا عشر حجة منتشرين في أقاليم الأرض ينشرون تعاليم امامهم ولكل حجةجزيرة خاصة به لاينتقل منها الى جزيرة أخرى ومن مهمات الحجج انهم يقومون مقام الامام بتوجيه الناس في أمور دينهم ودنياهم وتلاوة علوم الأئمة مع عقد المجالس التأويلية الدينية ولذا فانهم يتميزون عن سائر الناس بقوة اللسان وصدق البيان وغزارة العلم ومنهم الحجة[(٢)] .

وحينما مات أحد أئمة الاسماعيلية في عهد حمدان قرمط بعث عبدان ليسأل عن الامام والحجة حتى يتيسر لحمدان مكاتبتهم[(٣)] .

وهذا انما يدل على أن الحجة غالبا مايلازم الامام ويعيش قريبا منه كما يدل على أن الحجة هو الواسطة بين الدعاة والامام حيث لايتيسر لجميع الدعاة معرفة الامام والوصول اليه .

ومن الملاحظ على هذه الرتبة سريتها حيث لم يعرف من شغل هذه المرتبة طوال تاريخ الاسماعيلية وهذا مادفع بأحد الكتاب الى القول : بأنه الى الآن لم يكشف عن أولئك الذين شغلوا هذه المرتبة ولاعن العمل الذى كانوا يقومون به[(٤)] .

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني ١/١٩٢ .
(٢) انظر مذهب الدروز للنجار ص ٣٦ ، وانظر الخلفية العقائدية لفضيلة الشامي ص ٣٤١،٣٤٢ .
(٣) اتعاظ الحنفا للمقريزى ١/١٦٧ .
(٤) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٤١ .

(٣) داعى الدعاة :

رتبة تلى رتبة الباب أو الحجة - كما يسمونه -
ويحدثنا المقريزى عن أوصاف من يلى هذه المرتبة بقوله :

ان داعى الدعاة يلى قاضى القضاة ويتزيا بزيه فى اللباس وغيره ويشترط فيمن يصل الى هذه الرتبة أن يكون عالما بجميع مذاهب أهل البيت يقرأ عليه ويأخذ العهد على من ينتقل من مذهبه الى مذهبهم وبين يديه من نقباء المعلمين اثنا عشر نقيبا وله نواب فى سائر البلاد (١).

وداعى الدعاة هو المالك لجماعة الدعاة واليه الاشراف على الدعوة فى جميع الجزائر وهو الواسطة بين دعاة الجزائر والامام فداعى الدعاة اذن لايستتر بل هو معروف بين الدعاة جميعا وبين رجال حاشية الامام فى أدوار الستر والظهور لأن مرتبته ليست من المراتب السرية (٢).

ومن مهام داعى الدعاه عقد مجالس الحكمة للعامة والخاصة وكان يخول له تاويل آيات القرآن وأحاديث الرسول صلى الله عليه وسلم دون الرجوع الى الامامة (٣).

ومرتبته تعتبر مرتبة روحية وهو - كما عبر أحد الكتاب - أحد دعائم العقيدة الاسماعيلية (٤).

وكانت مكانة داعى الدعاه فى نفوس أتباعه المقيمين فى جزيرته كبيرة للغاية فهو موضع ثقتهم ومحط أسرارهم ولا أدل

---

(١) الخطط المقريزية للمقريزى ٢٢٦/٢ .
(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٤٠ .
(٣) المجالس والمسايرات للقاضى النعمان ٢١١/٢ .
(٤) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص ٥٧ .

على ذلك من قول المؤيد في سيرته وهو يتحدث الى الوزير في شيراز : معلوم مابيني وبين الديلم من الأحوال الممهده والأسباب المؤكده وان أحدهم اذا اختصم مع أهله ليلا فانه يباكرني شاكيا الى وموردا جملة أمره وتفصيله على .(١)

وبرغم الغموض الشديد والتستر على أسماء الدعاه فقد تمكن عدد من المنقبين عن مخطوطات الاسماعيلية ونشرها أن يعثروا على أسماء من شغل هذه الرتبة فمنهم :

(الحسين بن حوشب) الداعي الاسماعيلي الذي نشر الدعوة في اليمن وكان له دور كبير في اقامة دولة الاسماعيلية في اليمن مع على بن الفضل القرمطي .

ومنهم الداعي (فيروز) وكان داعي الدعاه في عهد عبيد الله المهدي ومن أجل الناس عنده ومن أعظمهم منزلة لديه ، يدل على ذلك أن الدعاة كلهم أولاده ومن تحت يده .

ومنهم داعي الدعاه أبو الحسين بن الأسود الذي كان يقيم في حمص قبيل مغادرة الامام عبيد الله الى بلاد المغرب .(٢)

ويطلق بعض علماء الدعوة الاسماعيلية على صاحب هذه الدرجة (الحجة) أو (حجة الامام) وهذا ماسار عليه الكرماني وقال : ان له الحكم في ترتيب المراتب وارتفاء الآراء والاعتقادات على موازنة الخلق واظهار تأويل الكتاب الذي يتعلق بالحجة .(٣)

---

(١) السيرة المؤيدية لداعي الدعاة المؤيد ص ٩ .
(٢) سيرة جعفر الحاجب ص ١١٠ ، استتار الامام للنيسابوري ص ٩٦ .
(٣) راحة العقل للكرماني ص ٢٥٢ .

ومن الملاحظ أن لفظ الحجة استعمل قليلا لأصحاب هذه الدرجة وكثيرا لأصحاب الدرجة التى قبلها وماذلك الا لأن الامام أحيانا كان يولى المرتبتين لشخص واحد .

فالمؤيد الشيرازى كان داع للدعاه وحجة فى آن واحد وأحيانا ـ وهو الغالب ـ يجعل كل مرتبة لشخص على حده (١) .

(٤) داعى البلاغ :

يعتبر أحد الحدود السبعة المتمين لدور الامام ورابع الحجج التى بان عنها الباب وهى داعى البلاغ والحجة والباب والامام (٢) .

ومن مهمات داعى البلاغ الاحتجاج بالبرهان فى اثبات الحدود العلوية ومراتبها فى وجوداتها مع تعريف المعاد حسبما هو وارد فى معتقدات الباطنية (٣) .

وهذا بالنسبة للمعتقدات وتاويلها أما النواحى التنظيمية فيعتبر داعى البلاغ مسئولا عن تبليغ الأوامر التى يرسلها داعى الدعاه الى الأقاليم وعن سريتها ووصولها كما عليه تحرير الرسائل وكتابة البلاغات فهو قائم بالبلاغ والابلاغ لكل شىء فى حينه (٤) .

ومن تعسف الباطنية وسخف تفسيراتهم أن طبقوا بعض الآيات القرآنية على هذه الدرجات ومما نقل عنهم فى تأويل

---

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٤٠،١٤١ .
(٢) أربعة كتب اسماعيلية جمع شتروطمان ص ٨٢،١٧٥ .
(٣) راحة العقل للكرمانى ص ٢٥٢ .
(٤) القرامطة لعارف تامر ص ١٠٣،١٠٤ .

قوله تعالى : {وأوحى ربك الى النحل أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون}(١) بأن النحل هم دعاة الايمان والجبال هم دعاة البلاغ والشجر هم الحجج ومايعرشون هو مايحملون من دعاة الاحرام بقيض من دعاة البلاغ بفيض من الحجة والامام(٢) .

وحينما نستعرض واقع الاسماعيلية والقرامطة فى تطبيق هذه الرتبة نجد أن قرامطة العراق خضعوا فى بداية أمرهم لاشراف أحد أبناء عبد الله بن ميمون القداح الذى كان بمثابة همزة الوصل بين القرامطة فى سواد الكوفة وبين داع الدعاة الاسماعيلى فكان هذا الابن ممن يطلق عليه (داعى البلاغ) ولذا فان كتابات القرامطة بزعامة حمدان قرمط كانت تصل الى الامام الاسماعيلى عن طريق هذا الابن حتى أنه لما انقطعت المكاتبة شخص هذا الرجل يسأل عن سبب ذلك وأخذ يعاتب الدعاة على قطع رسائلهم(٣) .

(٥) الداعى المطلق :

تشير المصادر الباطنية اليه بخطين يتصل أحدهما بالآخر ويكنى عنهما "بالسلم" ويقولون : ان تلك اشارة الى الداعى المطلق فى الجزيرة كلها . وسمى بالسلم تشبيها له بسلم نجاة يرتقى به نفوس أهل جزيرته الى أن تحمل فى حظيرة القدس بوساطته ووساطة من فوقه من الحدود ، وكان ذا خطين

---

(١) سورة النحل : ٦٨

(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى ص ٥١ .

(٣) انظر قرامطة العراق لعليان ص ١٦٢ ، الفهرست لابن النديم ١٨٩/١ ، اتعاظ الحنفا للمقريزى ١٦٧/١، ١٦٨ .

موصولين اشارة الى أنه يقوم لأهل جزيرته مقام الامام فى أوقات الفترات لاستتار دعاة البلاغ والحجج والأبواب باستتار الامام وهو جائز بالنسبة الى من دونه من الحدود رتبة التذكير فلم يكن فيهم خطان متصلان غيره (١) .

ويحدد الكرمانى المهام المذهبية للداعى المطلق بقوله : ان له تعليم العبادة العلمية بأسلوب الباطن وتعريف الحدود العلوية ونشر التأويل وهو يقابل من الحدود الفلك السابع والمسمى "الزهرة" (٢) .

ولصاحب هذه الدرجة السفر الى الأقاليم التى يراها بحاجة اليه ولايخضع ذهابه الى رأى أحد ويكون مرتبطا بداعى الدعاة مباشرة ليستمد منه العلوم (٣) . والدعاه المطلقون هم من أكابر الدعاه وأصحاب الجزائر ويطلق عليهم "النقباء" . ولذا يقول أحد الدعاة عنهم : وفى كل جزيرة نقيب منصوص لاستخلاص من فيها من الغرقى فى بحر الهيولى فهم اثنا عشر (٤) .

ويعد الاسماعيلية هؤلاء النقباء مقدسين وعددهم ثابت لايتغير ويسندهم تكوين العالم الطبيعى . وعن ذلك يقول المقريزى : "ولابد مع كل امام قائم فى كل عصر حجج متفرقون فى جميع الأرض عليهم تقوم الدعوة وعدة هؤلاء الحجج أبدا اثنا عشر رجلا فى كل زمان ومن أدلة الاسماعيلية لذلك أن البروج اثنا عشر برجا والشهور كذلك ونقباء بنى اسرائيل اثنا عشر نقيبا ونقباء رسول الله صلى الله عليه وسلم من

---

(١) رسالة الاسم الأعظم لمجهول ص ١٧٤، ١٧٥ ، ضمن أربعة كتب اسماعيلية .
(٢) راحة العقل للكرمانى ص ٢٥٢، ٢٥٦ .
(٣) القرامطة لعارف تامر ص ١٠٤ .
(٤) ديوان المؤيد ص ٥٤، ٥٥ .

الأنصار اثنا عشر نقيبا [١].

وبالنظر الى واقع الاسماعيلية والقرامطة فى تطبيق هذه الفكرة نجد أن حمدان قرمط اختار من بين الدعاه الى المذهب اثنى عشر نقيبا لتنسيق الدعوة وتنظيم نشرها وهذا مافعله أستاذه داعية الاسماعيلية المعروف بـ "الحسين الأهوازى" وذلك حينما زار الكوفة حيث اتخذ فيها اثنى عشر نقيبا وأمرهم بدعوة الناس الى دينه وقال لهم أنتم كحوارى عيسى [٢].

ومن أساليب الدعاة الاسماعيليين - ولاسيما الدعاه المطلقين - استخدام الحمام الزاجل فى تبادل الرسائل مع نقباء الدعوة [٣].

---

(١) الخطط المقريزية للمقريزى ٢٣١/٢.

(٢) المسالك والممالك للبكرى ورقة ٢١١، نهاية الارب للنويرى ٥٧/٢٣، تاريخ الأمم للطبرى ١٦٠/٨.

(٣) ان فكرة النقباء تعود فى أصلها الى نصوص شرعية فلفظ النقيب ورد فى الكتاب والسنة فمما ورد فى القرآن قوله تعالى عن بنى اسرائيل : {ولقد أخذ الله ميثاق بنى اسرائيل وبعثنا منهم اثنى عشر نقيبا}.
المائدة : ١٢.
ومما ورد فى السنة أمر النبى صلى الله عليه وسلم الأنصار الذين بايعوه بيعة العقبة الثانية أن يختاروا من بينهم اثنى عشر نقيبا فقال : "أخرجوا الى منكم اثنى عشر نقيبا يكونون على قومهم بما فيهم" فأخرجوا منهم اثنى عشر نقيبا تسعة من الخزرج وثلاثة من الأوس.
السيرة النبوية لابن كثير ١٩٨/٢.
وينقل الشوكانى اجماع المفسرين على أن النقيب هو كبير القوم العالم بأمورهم الذى ينقب عنها وعن مصالحهم فيها والنقيب أعلى مكانا من العريف. فتح القدير للشوكانى ٢١/٢.
ومع ثبوت هذا اللقب بالنصوص الشرعية الآنفة الذكر فان العبرة بالهدف والمضمون لابالألقاب والمسميات فالاسماعيلية حينما استخدموا هذا اللفظ لدعاتهم لايعتبر ذلك شرعيا أو محمودا لأن هؤلاء الدعاة دعاة هدم وتخريب ومن الثابت أن المصطلحات الاسلامية لاتغنى الا حين توضع فى مكانها الصحيح ومدلولها البناء.

(٦) الداعى المحدود أو المحصور :

ويتعلق به مراسم العبادة العلمية الظاهرة وتعريف الحدود السفلية وأدوارها صغارا وكبارا ويقابل من الحدود السفلية الفلك الثامن والمسمى "بعطارد" (١) .

وتشير بعض المصادر الباطنية الى الداعى المحصور بالطميس والأبتر . ومعنى ذلك أن الطميس فيه اشارة الى أن رتبته خفية فى الدعوة لاتكاد تعرف عند أكثر أهلها وكونه أبتر اشارة الى أنه ليس له اقامة حد ولا اطلاقه اذ هو بالنسبة للداعى المطلق كالأنثى فكنى عنه بالأبتر والطميس بهذا المعنى (٢) .

ومما يدلل على أن الداعى المحدود فى رتبة أقل من الداعى المطلق أنه يرجع اليه فيما يتعلق بشئون التبليغ فى منطقة معينة فذهاب الداعى المحدود وتنقلاته فى الجزر يحتاج الى مأذونية من داعى الدعاه وتلقيبه كذلك بالمحصور يدل على هذا المعنى لأن عمله ينحصر فى منطقة معينة لايستطيع الانتقال منها الا بعد الاذن والموافقة من كبير الدعاة (٣) .

ويتضح مما ذكرنا عن مهام الداعى المطلق أن الاسماعيلية لم يتركوا للدعاه مطلق الحرية فى الدعوة بل حددوا لهم الأماكن والأساليب والوسائل والدعاة فى سبيل ذلك يسيرون وفق هذا التنظيم ويلتزمون بتنفيذه .

---

(١) راحة العقل للكرمانى ص ٢٥٢، ٢٥٦ .
(٢) رسالة الاسم الأعظم لمجهول ص ١٧٤ ضمن اربعة كتب اسماعيلية .
(٣) القرامطة لعارف تامر ص ١٠٤ .

(٧) الجناح الأيمن :

(٨) الجناح الأيسر :

درجتان من درجات الدعاه وهما ملحقان بصورة دائمة بالداعي المطلق فهما جناحاه يقدمان له الخدمات اثناء جولاته في الأقاليم للدعاية ويطلقون عليهما أحيانا "اليد" أى أنهما يقدمان الخدمات للداعى كما تقدم اليد الخدمات للجسم وهذان لهما مهمتان معبتان فان عليهما أن يذهبا مسبقا الى البلد التى يقرر الداعى الذهاب اليه فيدرسان أوضاعه السياسية والعلمية والأدبية وحالة ندواته ومدارسه وطبقات أهله وعلمائه وشعرائه ونفسياتهم ونواحى القوة والضعف لديهم وميولهم وأديانهم وماهم عليه من المكانة الاجتماعية وبعد أن يدرسا كل شيء عن البلد يعودان الى الداعى المطلق ويقدمان له تقريرهما فينتقل الى البلد المقرر على ضوء تقريرهما بينما ينتقل الجناحان الى البلد الثانى المقرر زيارته (١) .

ومما قالوا عن هاتين الدرجتين : أن الامام يستظهر بالأجنحة لأنهم بمثابة الرسل بين الدعاة وامامهم فالأجنحة - على حد تعبير الباطنيين - من الحدود المنصوبة لنشر أمر الله فى المستجيبين لله ولرسوله ولوصيه والأئمة من ولده (٢) .

ان الاسماعيلية فى فترات دعوتهم الأولى اهتموا بما تقدمه الأجنحة من معلومات وبيانات على ضوئها يبدأ صاحب

---

(١) القرامطة لعارف تامر ص ١٠٥ .
(٢) بيان مذهب الباطنية وبطلانه للديلمى ص ٥٣٠٦ .

الجزيرة بالدعوة ونشر الدعاه ولذلك فان من الطبيعى أن يسبق وفود الحسين الأهوازى الى سواد الكوفة زيارة هذين الجناحين لها انطلاقا من دورهما فى دراسة أوضاع الدعوة وامكانية نشرها فكان الأهوازى على علم سابق بسوء المعيشة فى بعض قرى السواد ومما قال لحمدان قرمط حين تقابلا لأول مرة : وأمرت أن أشفى أهلها وأنقذهم مما هم فيه من سوء حال وأملكهم أملاك أصحابهم . ومما يؤكد أن لدى الأهوازى معلومات دقيقة عن هذه المنطقة وملته عن طريق هذين الجناحين سرعة أخذه العهد من حمدان قرمط وقبوله دعوته الى منزله للاقامة فيه والاجتماع باخوان حمدان وصحبه الذين قال عنهم : فان لى اخوانا أصير بهم اليك لتأخذ عليهم العهد للمهدى . مع أن أخذ العهد وقبول أعضاء جدد يحتاج الى مقدمات كثيرة تتطلب وقتا طويلا (١) . وقد أسلفنا فى مراحل الدعوة وسلم الارتقاء فى تعاليمها مايدل على ذلك .

(٩) الداعى المأذون :

تناول فلاسفة الاسماعيلية هذه الدرجة بالايضاح والبيان ولكنهم اختلفوا حول أقسام المأذونين . فالسجستانى قال انهم ثلاثة أقسام :

(أ) مأذون مطلق .

(ب) مأذون محدود .

(ج) مأذون (٢) .

---

(١) اتعاظ الحنفا للمقريزى ١٥٢/١ ، وانظر قرامطة الفرق لعليان ص ١٦١ .
(٢) تحفة المستجيبين للسجستانى ص ١٥٤ .

والكرمانى اعتبرهم قسمين :

(أ) مأذون مطلق .

(ب) مأذون محدود .

وقال عن الأخير انه هو المكاسر[(١)] .

واذا نظرنا الى المصادر الباطنية الأخرى فاننا نجد أن المأذونين قسمان ، وانهم غير المكاسرين ، وعن ذلك يقول الحامدى : ان الآحاد والأفراد اذا استجاب الواحد منهم صار مؤمنا ثم صعد فصار مكاسرا ثم صعد فصار مأذونا ثم صعد فصار داعيا وذكر أن المأذونين قسمان مطلق ومحصور[(٢)] .

ويقول على بن الوليد : ان المؤمن يلحق برتبة المكاسر والمكاسر الى أفق المأذون المطلق صائر ونقله المطلق الى فلك الداعى بكونه هاديا وراعيا[(٣)] .

ويقول صاحب رسالة الاسم الأعظم : ان هناك ثلاثة خطوط وهى تدل على رتبة التابعين من المؤمنين والمكاسرين والمأذونين المطلقين[(٤)] .

ونقل النجار عن بعض الرسائل الدرزية ان جهاد الدعوة الباطنية قبل اغلاق بابه يتألف من دعاه ومأذونين ومكاسرين فالدعاة أولا ثم يليهم المأذونون ثم يأتى بعدهم المكاسرون[(٥)] .

وحد الداعى المأذون هو أقرب الحدود الى المستجيبين ومع ذلك فان مرتبته كبيرة لاتتوافر الا فيمن كان على علم

---

(١) راحة العقل للكرمانى ص ٢٥٦ .
(٢) رسالة زهر بذر الحقائق للحامدى ص ١٦٩ .
(٣) رسالة الايضاح والتبيين لابن أبى الوليد ص ١٥٤ .
(٤) رسالة الاسم الأعظم لمجهول ص ٧٦ .
(٥) مذهب الدروز والتوحيد للنجار ص ٣٦ .

تام بمذاهب خصومه وموضع الضعف فيها مع كونه لسنا جدلا متمكنا من أصول مذهبه (١) .

ومن المهام التى يقوم بها المأذون العمل مع الأشخاص المستجيبين الذين لهم رغبة فى التزود بالتأويلات الباطنية وعندئذ يبدأ بأخذ العهود والمواثيق المؤكدة عليهم بأن لايفشوا سرا ولايطلعوا على آرائه أحدا . فاذا وثق منهم بدأ يكاشفهم ببعض الأسرار الخفية التى لاينزعج منها أحد ولاينفر منها مستجيب . ولايزال يتدرج بهم من رأى الى رأى ومن مسألة الى أخرى حتى يطمئن الداعى المأذون الى هؤلاء المستجيبين ويطمئنوا هم اليه وعندئذ ينقلوا الى الداعى الذى هو أرقى من المأذون رتبة (٢) .

وحفاظا على الدعاة المأذونين فان جهاز الدعوة اعتبرهم من دعاة الليل ورمز اليهم بثلاثة خطوط مصفوفة كنى عنها بالعصى وتلك اشارة لكون كل دان يفوض لعاليه مقام العصا التى يتوكأ عليها ويهش بها على غنمه وهو اعتماده عليه فى تربية من دونه واسترعائه اياه لهم (٣) .

ان مركز المأذونين فى جهاز الدعوة الاسماعيلية يعتبر ذا أهمية بالغة فهم همزة وصل بين الدعاة المستترين والدعاه البارزين كما أن قبول المستجيبين ونقلهم الى تعاليم المذهب ومراتب الباطن مبنى على معايشتهم للمستجيب وتقريراتهم عنه ولذا فان عدد المأذونين أكثر من الدعاه .

---

(١) ديوان المؤيد لمحمد كامل حسين ص ٥٤ .
(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٣٨ ، أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٢٢ .
(٣) رسالة الاسم الأعظم لمجهول ص ١٧٤ .

ففى تقليد الشيخ المختار يقول بهاء الدين : فلك بحق السيادة أن تنصب من المأذونين بعد الثلاثة الداعين ماوجدت اليه سبيلا .(١)

(١٠) المكاسر :

تعتبر هذه الدرجة من المراكز الظاهرة للدعاة حيث أن من مهامه الأساسية مخالطة الناس بلا تحفظ وترغيبهم الى عقيدته وفكرته ومن ثم اختيار من يصلح للدعوة والولوج فى مراتبها . ويحدد الكرمانى مهام المكاسر بقوله : ان عليه جذب الأنفس المستجيبة .(٢)

والواقع أن فلاسفة الاسماعيلية قديما وحديثا تحدثوا عن هذه الدرجة كثيرا لظهورها وعدم استتار أصحابها .(٣)

وقد استخلص الأستاذ عليان من خلال هذه المصادر نبذة عن هذه الدرجة اقتصر عليها لكونها مفيدة وجامعة يقول : ان الاسماعيلية وجهوا عناية فائقة لاعداد الدعاه ويتضح ذلك من اهتمامهم بالداعى المكاسر وهو أقل مرتبة بين الدعاة وكان يسمح له بمناقشة العلماء من غير الاسماعيلية أمام الجماهير بقصد اظهار عجزهم وتشكيك الناس فى معلوماتهم أما أولئك الذين يلمس أنهم أبرع منه فانه كان يتجنب مناظرتهم ماأمكنه واذا اضطر الى مناقشتهم فيلجأ الى الكلام عن

---

(١) مذهب الدروز للنجار ص ٣٨ .
(٢) راحة العقل للكرمانى ص ٢٥٦ .
(٣) انظر على سبيل المثال المجالس المؤيدية للشيرازى ٢/٢١١ ، الذخيرة للوليد ص ٦٥ ، طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٣٤-١٣٥ ، أعلام الاسماعيلية لغالب ص ٢٠-٢٢ .

المعنى الباطن لأمور الدين حتى يبدو أمام الناس أنه يعلم ماخفى على غيره خاصة وأن المكاسر كان يطلب من هؤلاء العلماء الاجابة عن بعض الأسئلة التى لايمكن الاجابة عليها وكانت هذه المناقشات تسفر عن اظهار فصاحته وغالبا ماكان يلتف حوله فى النهاية أعداد غير قليلة من السامعين وخاصة السذج منهم يلتمسون معرفة الاجابة الصحيحة عليها وكان يعمد الى تركهم فترة من الزمن ثم يلتقى بهم مرة أخرى ويدعى لمن أنس منهم استعدادا لقبول الدعوة انه تعرف على أحد العلماء الأفذاذ الذى يستطيع الاجابة عن هذه الأسئلة فيهرعون الى مقابلته ولم يكن هذا العالم الذى يشير اليه سوى أحد كبار دعاة الاسماعيلية والذى - غالبا - مايختارونه من بين أبناء البيئة التى سيباشر فيها نشاطه حتى يطمئن اليه الجميع ولايرتاب أحد فى أمره .

كما اهتموا بضرورة أن يكون المكاسر كريم المحتد ومن ذوى العصبيات الكبيرة حتى يكون عزيزا فى قومه محترما من الجميع . هذا بالاضافة الى ضرورة اتصافه بالورع والتقى . وينبغى للداعى اختبار أمر من يدعوهم وتعرف أحوالهم رجلا رجلا كما ينبغى له أن يتهيب عنه أهل دعوته وأن لايعودهم الجرأة عليه ولايبسطهم كل البسط لديه فيهون عندهم ويصغر أمره لديهم فانه كلما كان أهيب عندهم كانوا أكثر انتفاعا به فاذا اطمأن كبير الدعاة الى شخص تتوفر فيه الصفات المتقدمة تولاه بالتعليم والتثقيف حتى يصبح متبحرا فى العلوم الاسلامية عارفا بكل المذاهب والنحل ويوقفه على وجه الخلاف ونقط الضعف فى كل منها من وجهة نظرهم حتى يتسنى له

مجادلة أهل الفرق كلهم ولم ينس كبير الدعاه أن يزود المكاسر بالمعارف التى تمكنه من تفهم نفسية الأشخاص على اختلاف ثقافاتهم والجماعات على تنوع مذاهبهم ونحلهم .

فاذا أتقن المكاسر كل هذه الأمور سمح له بمكاسرة أهل الفرق الأخرى دون أن يشعر أحد أنه اسماعيلى المذهب فكان امام الشيعة يظهر بغضه لأبى بكر وعمر وكذا لبنى أمية وبنى العباس ويتحدث عن الأئمة الصالحين من أهل البيت وعن انتظار خروج المهدى وكان يحاور اليهود والمجوس والنصارى بما يضاهى مذاهبهم من معتقداته وهكذا كان المكاسر يخاطب كل قوم حسب عقيدتهم ومذهبهم وعقليتهم ومن ثم كان يراعى فى اختياره أن يكون فطنا ذكيا صحيح الحدس صادق الفراسة .(١)

هذه هى مراكز الدعاه ودرجاتهم الأساسية والتى على ضوئها قام كل داع بما عهد اليه . وهناك بعض المحدثين يضيف الى هذه التنظيمات مايسميه بالمطالب والمستجيب .(٢) والواقع أنهما يتعلقان بالمدعو ولاصلة لهما بدرجات الدعاة عدا عن أن ماينسب اليهما من أعمال هى فى الحقيقة من مهام الداعى المكاسر ومن صميم واجباته .

---

(١) انظر قرامطة العراق لعليان ص ١٦٤-١٦٦ .
(٢) القرامطة لعارف تامر ص ١٠٦ .

الفصل الخامس

فرق الاسماعيلية ودولها

(أ) فرق الاسماعيلية :

ظهر التفرق في طائفة الاسماعيلية ـ كسائر فرق الشيعة ـ منذ نشأتها حيث نجد هذه المصطلحات والأسماء الآتية في كتب الفرق وكلها تدل على فرق عديدة وانشقاقات في داخل فرقة الاسماعيلية وهذه طبيعة السبل التي نهانا الله عنها وحذرنا من اتباعها كما قال تعالى : {وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولاتتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون} (١) . وهذه الفرق حسب أسماءها في كتب المقالات على النحو الآتي :

(١) الاسماعيلية الخالصة :

وهم الذين قالوا : ان الامام بعد جعفر ابنه اسماعيل ابن جعفر وانكروا موت اسماعيل في حياة ابيه وقالوا : ان ذلك على جهة التلبيس لانه خاف عليه فغيبه عنهم وزعموا أن اسماعيل لايموت حتى يملك الأرض ويقوم بأمور الناس وانه هو القائم لأن أباه أشار اليه بالامامة بعده وقلدهم ذلك له وأخبرهم أنه صاحبهم (٢) وهذه الفرقة تنتظر اسماعيل بن جعفر وجزم كل من الأشعري القمي والنوبختي الى أن هذه الفرقة هي

---

(١) الأنعام : ١٥٣

(٢) الفرق بين الفرق للبغدادي ص ٤٦-٤٧ ، الملل والنحل للشهرستاني ١٦٧/١ .

الخطابية أتباع أبى الخطاب قبل موته ولما توفى أبو الخطاب انضم أتباعه الى الاسماعيلية وقالوا بامامة اسماعيل فى حياة أبيه مع انكارهم لموته فى تلك الفترة . ولما مات اسماعيل بعد وفاة أبيه ـ كما يقول الداعى الاسماعيلى أبو حاتم الرازى قالت الاسماعيلية الخالصة بعد ذلك بامامة محمد ابن اسماعيل مع انكارهم امامة جميع أولاد جعفر . (١)

فهذه الفرقة اذن تختلف عن باقى فرق الاسماعيلية ـ ولاسيما الفرقة الثانية ـ بالجوانب الآتية :

(١) اثبات الامامة لاسماعيل بعد أبيه والجزم بها عمليا وليست فقط لتسلسلها واثبات بقاءها فى عقبه .

(٢) الجزم بعدم موته فى حياة أبيه وبقاءه حيا بعد ذلك حيث تسلم الامامة بعد وفاة أبيه جعفر الصادق .

(٣) الاقرار بالمحضر والاشهاد على موت اسماعيل وذلك على جهة التلبيس والتقيه خوفا عليه من الفد .

(٢) <u>الاسماعيلية المباركية أو الاسماعيلية الثانية :</u>

وهم القائلون بأن الامام بعد جعفر محمد بن اسماعيل بن جعفر وأمه أم ولد وقالوا : ان الأمر كان لاسماعيل فى حياة أبيه فلما توفى قبل أبيه جعل جعفر بن محمد الأمر لمحمد ابن اسماعيل وكان الحق له ولايجوز غير ذلك لأنها لاتنتقل من أخ الى أخ بعد الحسن والحسين رضى الله عنهما ولايكون الامام الا فى الأعقاب ولم يكن لأخوة اسماعيل عبد الله وموسى فى

---

(١) انظر : المقالات والفرق للقمى صفحة ٨٠ ، فرق الشيعة للنوبختى ص ٧٩ ، الزينة للرازى ضمن كتاب الغلو والفرق الغالية للسامرائى ص ٢٨٧-٢٨٩ .

الامامة حق كما لم يكن لمحمد بن الحنفية فيها حق مع على بن الحسين وأصحاب هذه المقالة يسمون المباركية نسبة الى رئيس لهم يسمى المبارك كان مولى لاسماعيل بن جعفر .(١)

وهذه الفرقة تتميز عن الأولى بالآتى :

(١) الجزم بموت اسماعيل فى حياة أبيه .

(٢) ان امامة اسماعيل انما كانت فقط تسلسلا حيث أنه أسن أولاده وآثرهم عنده مع النص عليه ولما مات فى حياة أبيه جعفر انتقلت الامامة الى ابنه محمد بن اسماعيل .

ومع هذا الاختلاف بين هاتين الفرقتين فان الجميع متفق على سوق الامامة فى اسماعيل ونسله من بعده وكلاهما فرقتان اسماعيليتان اختلفتا حول مسألة تاريخية بحتة ولذا يقول أحد الباحثين المعاصرين : ان الفرقتين اسماعيليتان ولكن الخالصة وقفت الامامة على اسماعيل ولم تتعده الى غيره ولو كان أحد أبنائه . والمباركية اعتقدت بامامة اسماعيل حيا فقط وعندما مات انتقلت الامامة منه الى ابنه محمد بن اسماعيل ويمكن أن يطلق عليها الاسماعيلية الأولى تمييزا لها عن الاسماعيلية الباطنية التى امتدت حتى تولد منها القرامطة ثم ازدادت فى الغلو حتى انبثق منها الدروز ثم كانت طائفة النزارية وآخرها الاغاخانية فى العصر الحاضر والطائفة الثانية المستعلية وآخرها البهرة فى العصر

---

(١) المقالات والفرق للقمى ص ٨٠-٨١ .

الحاضر أيضا . (١)

ومن الملاحظ فى تاريخ الاسماعيلية انه بعد تجاوز هذه المرحلة التاريخية أصبح الاسماعيليون فرقة واحدة تمثل فكرا واحدا وكيانا واحدا كان من نتائجه قيام الدولة العبيدية التى سيطرت على أجزاء كبيرة من العالم الاسلامى حينا من الدهر باسم الأئمة الفاطميين من ولد محمد بن اسماعيل بن جعفر .

وأول انفصال حقيقى فى الفرقة الاسماعيلية هو ظهور الحركة القرمطية التى انفصلت سياسيا عن أصلها مع تبعيتها للفرقة الأم الاسماعيلية مذهبيا .

(٣) فرقة القرامطة :

فرقة باطنية ثورية انشقت عن حركتها الأم الاسماعيلية وأصبحت فرعا من فروعها وسموا بالقرامطة نسبة الى زعيمها وداعيتها الأول "حمدان قرمط" الذى يقول عنه الغزالى : كان حمدان أحد دعاة الباطنية فى الابتداء حيث استجاب له فى دعوته رجال فسموا قرامطة وقرمطية التقى بأحد دعاة الباطنية (٢) ، ودارت بينهما محاورة دعوية استجاب فيها حمدان

---

(١) غلاة الشيعة للزعبى ص ١٤٩ .

(٢) حددت المصادر هذا الداعية بانه الحسين الأهوازى داع الامام الاسماعيلى . انظر : اتعاظ الحنفا للمقريزى ١٥١/١-١٥٢ ، نهاية الارب للنويرى ١٨٩/٢٥ ، فضائح الباطنية للغزالى ص ١٢ ، تلبيس ابليس لابن الجوزى ص ١٠٤ وقالا عن هذا الداعية انه أحد دعاة الباطنية . أما باقى المؤرخين فذكروا هذه البداية لحمدان وايمانه بالدعوة الاسماعيلية على يد رجل قدم من هوزستان . انظر : تاريخ الطبرى ١٥٩/٨-١٦٠ ، الكامل لابن الأثير ٦٩/٦ ، البداية والنهاية لابن كثير ٦٢/١١ ، المنتظم لابن الجوزى ١١٣/٥ .

لجميع مادعاه اليه هذا الباطني ومنها أخذه العهد والميثاق على حمدان بالبيعة للامام الاسماعيلي والتزام سر الامام وسر هذا الداعية ومن ثم انتدب حمدان للدعوة وصار أصلا من أصولها [1] .

هذه البداية المتفق عليها بين كتاب المقالات والمؤرخين تدل صراحة على أن حركة القرامطة فرقة من فرق الاسماعيلية مذهبيا وتاريخيا . وقد ظل حمدان ومعه داعيته المشهور عبدان [2] على صلة تامة بزعماء الاسماعيلية في سلمية يتلقون تعاليمهم ويدينون لهم بالطاعة والولاء ولاأدل على ذلك من الحقائق التالية :

(١) ان الداعي الاسماعيلي حسين الأهوازي لما حضرته الوفاة – حسب مانقله النويري [3] – أو هرب الى الشام – حسب رواية الطبري [4] – عين حمدان قرمط خلفا له في مواصلة الدعوة وذلك دليل على ثقته وولاءه وارتباطه بأئمة الاسماعيلية .

(٢) أن زعماء الاسماعيلية يتدخلون تدخلا مباشرا في اختيار القادة والمنظمين لحركة القرامطة .

(٣) المساعدات المالية التي يتلقاها دعاة القرامطة في سواد الكوفة وغيرها من زعماء الاسماعيلية في سلميه فعبد الله بن ميمون أحد دعاة محمد بن اسماعيل أرسل

---

(١) فضائح الباطنية للغزالي ص ١٢-١٤ .
(٢) الداعية الثاني عند القرامطة بعد حمدان اشتهر بكثرة مؤلفاته حتى لقب بعبدان الكاتب له مجموعة من الكتب في مذهبه ولذا يصفه ابن النديم بأنه : أكثر الجماعة كتبا وتصنيفا . الفهرست لابن النديم ص ٢٤٠ .
(٣) نهاية الارب للنويري ١٩١/٢٥ .
(٤) تاريخ الطبري ١٦٠/٨ .

الى القرامطة جزءا من الهبة المالية الكبيرة التى حصل عليها من محمد بن الحسين للانفاق على الدعوة هناك .

(٤) الاتصال المستمر بين أئمة الاسماعيلية ودعاة القرامطة حتى ان الامام الاسماعيلى أمر أحد أبنائه بالاقامة فى بلدة الطالقان ليكون همزة وصل بينه وبين حمدان قرمط المقيم فى كلواذى (١) .

(٥) جميع معتقدات القرامطة وأفكارهم مصدرها وأساسها معتقدات الاسماعيلية وأفكارهم ولافرق بينهم فكريا ومذهبيا سوى وسيلة نشرها والدعوة اليها فالاسماعيلية يرون نشرها سرا وبطريقة تعليمية أما القرامطة فمنهجهم فى ذلك ثورى يخالف منهج الاسماعيلية .

(٦) كان شعار الدعوة الاسماعيلية واعلامهم اللون الأبيض مخالفة لشعار العباسيين وفى آخر ثورة لقرامطة العراق سنة ٣١٦هـ ذكر ابن الأثير أن قوادهم كانوا يحملون أعلاما بيضاء وانهم كانوا يدعون للمهدى (٢) .

ان هذه الحقائق الست المستخلصة من الكتب التاريخية وكتب المقالات والفرق (٣) تؤكد ان القرامطة فرقة من فرق الاسماعيلية بداية وعلاقة بعد ذلك بين أئمة الاسماعيلية

---

(١) الطالقان بلدتان احداهما بخراسان بين مرو وبلخ والأخرى بلدة وكورة بين قزوين وابهر وهما أكبر مدينة بطخارستان (وكلواذى) طسوج قرب بغداد تقع فى الجانب الشرقى منها . انظر معجم البلدان ٣٠١/٤-٣٠٢ .

(٢) الكامل لابن الأثير ١٩٤/٦ .

(٣) انظر اتعاظ الحنفا للمقريزى ١٦٧/١-١٦٨ ، نهاية الارب للنويرى ١٩١/٢٥ ، تاريخ الطبرى ١٦٠/٨ ، الفهرست لابن النديم ١٨٩/١ ، استتار الامام للنيسابورى من مجلة كلية الآداب ص ٩٥-٩٦ ، الملل والنحل للشهرستانى ١٩٢/١ الفرق بين الفرق للبغدادى ص ٢٦٦-٢٦٧ .

وبينهم ومن ثم تطبيقا لأوامر أئمة الاسماعيلية والدعوة لهم .

ومع الاستقراء التاريخى لتاريخ القرامطة على مختلف أماكنهم ودولهم فاننا نجد أن الاسماعيلية هى الحركة الأم لهم (١) فالعقائد واحدة والأهداف واحدة لافرق بينهم سوى الاختلاف حول وسيلة الدعوة وهذا ماصرح به الباطنى المعاصر عارف تامر بقوله : ان حمدان قرمط كان ثوريا عنيفا لايستطيع الصبر على الضيم ولايستكين الى الظلم ولهذا فان اجتهاداته واختباراته قادته الى ركوب مراكب الاخطار باعلانه الثورة المبكرة على الخلافة العباسية دون الرجوع الى مركز الامامة فى سلمية وهى التى توصى بالتريث وتكريس الجهود .

فسلمية - مركز الدعوة الاسماعيلية - لم تكن راضية عن اعلان الثورة الذى قام به حمدان ولم تبارك تلك الخطوة ... الى أن يقول : ومع ماحصل من حمدان فانه ظل على ولائه لمركز الامامة فى سلمية فلم يوافق على الانقضاض عليها أو يجرأ على اعلان الثورة كما خيل لبعض المؤرخين (٢) .

ويستخلص الأستاذ أحمد جلى من الروايات التاريخية وماحصل من خلاف بين القرامطة وبين أئمتهم الاسماعيليين بقوله : ان دعوة القرامطة فى بدايتها دعوة اسماعيلية ولكنها كانت تدعو الى الامام المنتظر محمد بن اسماعيل

---

(١) من المعروف أن هناك مايسمى بقرامطة العراق وقرامطة البحرين وقرامطة الشام وقرامطة اليمن وهى تمثل اختلافا فى المكان فقط مع اتحاد العقيدة والهدف وقد فصلت الحديث عن تاريخ القرامطة ودولهم فى أطروحتى للماجستير بعنوان "القرامطة وآراؤهم الاعتقادية".

(٢) انظر كتاب القرامطة لعارف تامر ص ١٢٠-١٢٢ .

باعتباره المهدى أو الامام الغائب وهذاهو الذى ميز هذه الجماعة داخل الاطار الاسماعيلى الباطنى العام . كما كان هذا هو سبب الخلاف والعداء فيما بعد بينهم وبين دعاة الفاطميين وأئمتهم . اذ أن الاسماعيلية جميعا ماعدا القرامطة كانوا يؤمنون بأن هناك اماما حيا وان هناك حجة لهذا الامام . فلما تنازل الامام الحسين عن الامامة لحجته سعيد بن الحسن بن عبد الله القداح ليكون سترا أو مستودعا لابنه القائم - كما تقول المصادر الاسماعيلية - انتفض قرامطة السواد وعلى رأسهم حمدان قرمط وصهره عبدان المؤلف والداعية القرمطى المشهور وسافر عبدان لمقابلة سعيد المعروف بعد ذلك بعبيد الله المهدى وسأله عن الحجة وعن الامام فقال سعيد (أى المهدى) لعبدان ومن الامام ؟ فرد عليه عبدان بعقيدة القرامطة : محمد بن اسماعيل بن جعفر صاحب الزمان الذى كان أبوك يدعو اليه وكان حجته فأنكر ذلك عليه وقال : محمد بن اسماعيل لا أصل له ولم يكن الامام غير أبى وهو من ولد ميمون بن ديصان وأنا أقوم مقامه (١) .

ولما اكتشف القرامطة هذا الزيف فى شخصية الامام الذى قامت الدعوة باسمه شكوا فى الأمر كله وانتهى بهم الأمر الى مطاردة الامام الشيعى المزعوم ومحاولة كشف حقيقته والتخلص منه . ويقال ان قرامطة الشام هاجموا دار الامام الاسماعيلى فى سلميه ونهبوها وكانوا ينوون قتله ولكن عبيد الله المهدى علم بأمرهم واستطاع أن يفلت منهم فذهب الى مصر

---

(١) عن تفصيل هذه الحادثة يرجع الى اتعاظ الحنفا للمقريزى ١٦٨/١ ، نهاية الارب للنويرى ٢٢٩/٢٥-٢٣١ ، الفهرست لابن النديم ص ٢٣٨-٢٣٩ .

ومنها الى سجلماسة حيث استطاع داعيته أبو عبد الله الشيعى أن يمهد لقيام الدولة الفاطمية هناك (١) .

ومع هذا الانفصال أو الاختلاف فان القرامطة لم يرفعوا شعارات ومبادىء تخالف أصول الاسماعيلية ومعتقداتهم مما يدل دلالة بينة أن القرامطة فرع من فروع الاسماعيلية وواحدة من فرقها الكثيرة . وهذا يشمل قرامطة البحرين وقرامطة الشام لأنهم من دعاة وتلاميذ حمدان قرمط وصهره عبدان .

أما بالنسبة لقرامطة اليمن بزعامة على بن الفضل القرمطى فان بدايته كانت على يد الداعية الباطنى ميمون القداح الذى اجتمع معه عند قبر الحسين فخلا به وبسطه وفتح له شيئا من العلم وبعد محاورة وملازمة واختبار أخذ عليه العهد وأوصله الى الامام الاسماعيلى (٢) الذى عينه داعيا فى اليمن وأرسل بصحبة ابن حوشب وعلى يد هذين الداعيين انتشرت الدعوة الاسماعيلية حتى اذا ماتمكن ابن الفضل وكثر أتباعه استقل بالدعوة ووجهها توجيها ثوريا على منهج قرامطة العراق ومن ثم اعتبر من القرامطة نسبة الى منهجه وطريقته وأسلوبه فى الدعوة مع الالتزام الكامل بمعتقدات الاسماعيلية وأصولهم (٣) .

---

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ٢٢٠-٢٢١ ، وعن قصة مطاردة الامام المزعوم للاسماعيلية تفصيليا يرجع الى كتاب استتار الامام للنيسابورى ضمن مجلة كلية الآداب سنة ١٩٣٦م ترجمة الدكتور محمد كامل حسين ص ٩٦-١٠٥ .

(٢) تؤكد المصادر الاسماعيلية على أن الامام الذى اتصل به ابن الفضل هو الحسين بن أحمد الملقب بالزكى آخر أئمة دور الاستتار بعد محمد بن اسماعيل وهو والد عبيد الله المهدى . انظر عيون الأخبار للداعى ادريس ص ٣٩٥-٣٩٦ ، الحور العين للحميرى ص ١٩٨ ، استتار الامام للنيسابورى ص ٩٥ .

(٣) للتفصيل عن الحركة الاسماعيلية القرمطية فى اليمن افردت فصلا خاصا بذلك فى أطروحتى للماجستير بعنوان "القرامطة وآراؤهم الاعتقادية" ١/٢٥٩-٢٨٦ .

وقد قامت الفرقة القرمطية على مختلف فئاتها وأماكنها بأعمال لاتزال حتى عصرنا الحاضر مضرب مثل للوحشية والقسوة والظلم وانتهاك الأعراض والحرمات مع الاستهانة بشرائع الاسلام ومقدساته وأبرز حدث اشتهروا به اعتدائهم على بيت الله الحرام وقتل جميع الحجاج وأخذ الحجر الأسود من الكعبة فى عام ٣١٧هـ (١) .

فالحركة القرمطية ، فرقة باطنية اسماعيلية اعتمدت التنظيم السرى العسكرى وانتهجت المنهج الثورى فى نشر آرائها ومعتقداتها ظاهرها التشيع لآل البيت والانتساب الى محمد بن اسماعيل بن جعفر وحقيقتها الالحاد والشيوعية والاباحية .

وخلاصة القول فان القرامطة فرقة من فرق الاسماعيلية وجناحا من أجنحتها ومظهرا من مظاهرها ولذا فان علماء الفرق المتقدمين يطلقون اسم كل واحدة منهما على الأخرى أو يدمجون بينهما فى كثير من الحالات (٢) .

(٤) فرقة الدروز :

هذه الفرقة من فرق الباطنية الاسماعيلية التى جاهرت بالغلو فى شخصية الحاكم فانشقت عن المذهب الاسماعيلى ورغم انشقاقها وتفردها ببعض المعتقدات فانها بلاشك وليدة الدعوة الاسماعيلية وبتعبير أدق جناحا من أجنحتها وعند البحث عن

---

(١) فى المرجع السابق أفردت بابا كاملا عن تاريخ القرامطة على اختلاف دولهم وأماكنها وفصلت جميع أحداثهم التاريخية فى الجزء الأول ص ١٣٥-٢٨٦ .

(٢) انظر ص ٢٣٩-٢٤١،٣٠٩-٣١٠ من الرسالة القسم الأول .

أصل هذه الفرقة وظهورها نجد أنها :

(١) ظهرت في عاصمة العبيديين (القاهرة) ابان قوة الحكام العبيديين وسيطرتهم وتمكنهم .

(٢) ارتبط بداية هذه الفرقة وأصلها بشخصية الحاكم الذى أسس مركزا لاعداد وتوجيه دعاة الاسماعيلية وسماه (دار الحكمة) وعن طريق هذه الدار زين له دعاتها فكرة الوهيته التي تعتبر أساس العقيدة الدرزية .

(٣) الاتفاق في المعتقدات والأصول بين الاسماعيلية والدروز حيث أن عقائد الفاطميين - كما يقول الدكتور حسين - هي الأساس الأول لعقيدة الدروز (١) .

وكما يقول - الدكتور بدوى - ان مذهب الدروز ينبثق عن مذهب الاسماعيلية ومن هنا يتفقان فيما بينهما في كثير من العقائد الأساسية والاصطلاحات وان حرص الدروز على توكيد استقلالهم عن سائر الفرق (٢) .

ويصرح الباطني مصطفى غالب بأن أصول وأحكام الدعوة الدرزية راجع الى أصول الاسماعيلية وذلك عند حديثه عن مؤسس فرقة الدروز حمزة بن على الزوزني يقول عنه : ان حمزة بن على بن أحمد الزوزني وفد على مصر سنة ٤٠٥هـ وانتظم في سلك دعاة الفرس الذين كانوا يترددون الى دار الحكمة لحضور مجالس الحكمة التأويلية وماعتم أن أصبح ممثلا لدعاة الفرس وهمزة الوصل بينهم وبين الحاكم الذى ضمه الى حاشيته وأسكنه في قصره . وفي بعض الوثائق الاسماعيلية السرية

---

(١) طائفة الدروز تاريخها وعقائدها ص ٨٦ للدكتور محمد كامل حسين .

(٢) مذاهب الاسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوى ٥٠٩/٢ .

مايشير الى أنه أصبح من الدعاة الذين يكونون دائما فى معية الامام ولايفارقون مقر قيادته أبدا وسرعان ماأصبحت له حظوة عند الحاكم بعدماأظهره من اخلاص وماساهمه مساهمة فعالة فى خوض غمار الجدل الدينى وفلسفة المذهب الذى يبشر به واستطاع أن يجمع حوله بعض الدعاة ويتفقون سرا للدعوة الى تاليه الحاكم معتمدا فى دعوته هذه على أصول وأحكام استنبطها من صميم الأصول والأحكام الاسماعيلية (١).

كما يذكر الأمير شكيب أرسلان – وكان فى السابق درزيا – أن الدروز أصلهم من الشيعة الاسماعيلية الفاطمية والشيعة الاسماعيلية الفاطمية أصلها من الشيعة السبعية القائلين بالأئمة السبعة (٢).

وتتلخص معتقدات الدورز بالأمور الآتية :

(أ) الوهية الحاكم العبيدى (الامام السادس من أئمة الظهور عند الاسماعيلية).

وهذا الأمر هو لب العقيدة الدرزيةوعليه بنيت جميع آراؤهم ومعتقداتهم ورسائل حمزة والتى تعتبر قاموس المذهب وأساسه طافحة بهذا الكفر والغلو المخرج من الملة . يقول حمزة فى رسالته ميثاق ولى الزمان عن الحاكم : انه الصورة الناسوتية للألوهية وانه الأحد الفرد الصمد المنزه عن الأزواج والعدد . ويقول : ان الموحد – أى الدرزى – لايعرف شيئا غير طاعة مولانا الحاكم جل ذكره والطاعة هى العبادة وانه لايشرك فى عبادته أحدا مضى أو حضر أو ينتظر وانه قد

---

(١) الحركات الباطنية لمصطفى غالب ص ٢٤١ .
(٢) مذاهب الاسلاميين لبدوى ٥٠٩/٢ ، نقلا من رسالة ميثاق ولى الزمان لحمزة .

سلم روحه وجسمه وماله وولده وجميع مايملكه لمولانا الحاكم جل ذكره ورضى بجميع أحكامه له وعليه غير معترض ولامنكر لشىء من أفعاله ساءه ذلك أم سره ومن أقر انه ليس له فى السماء اله معبود ولافى الأرض امام موجود الا مولانا الحاكم كان من الموحدين الفائزين (١) .

وفى رسالة أخرى لحمزة يقول فيها عن الحاكم : ومولانا سبحانه معل علة العلل جل ذكره وعز اسمه ولامعبود سواه ليس له شبهة فى الجسمانيين ولاضد فى الجرمانيين ولاكفؤ فى الروحانيين ولانظير فى النفسانيين ولامقام له فى النورانيين سبحان مولانا جل ذكره عن احاطة الأشياء به وعز سلطانه عن حكومة الالسن والأوهام عليه لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون . وسلطان لاهوته لايدرك بالعين ولايعرف بالكيف والأين ولاأقول انه شىء فيكون محمولا عليه ولاهو فى شىء فيكون محاطا به ولامتعلق بشىء فيكون قد التجأ اليه (٢) .

وتأليه الحاكم عند الدروز انما تفوهوا به عن طريق عقيدة الحلول التى كانت جسرا ووسيلة لجميع فرق الغلاة . فالدروز يرون أن روح آدم أصل البشر قد انتقلت الى الحاكم وبذلك ــ وكما ذكر الأستاذ محمد عنان ــ فهم يعتقدون بألوهية الحاكم فهو ليس انسانا كباقى البشر ولكن الروح الالهية حلت به واتخذت صورته وهذا فى الواقع هو أساس مذهب الدروز وعماده الجوهرى (٣) .

---

(١) طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص ١٢٦ .
(٢) هذه نصوص درزية نقلا من كتاب طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص ١٠٣ فما بعد .
(٣) الحاكم وأسرار الدعوة الفاطمية ص ٢٩٦ لمحمد عبد الله عنان .

(ب) نسخ الشريعة الاسلامية .

في سبيل تقرير العقيدة الدرزية الجديدة نادى وجاهر مؤسسو مذهب الدروز بنسخ الشريعة الاسلامية بل ونسخ جميع الأديان والشرائع السابقة . ومما يدل على هذا الغلو المخرج من الملة عندهم رسالة خاصة من بين رسائلهم الكثيرة وتسمى (بالكتاب المعروف بالنقض الخفي) وهي رسالة صريحة بنقض احكام الشريعة الاسلامية واستبدالها بشريعة جديدة أتى بها الحاكم ـ كما يعتقدون ـ ومن نصوصها : توكلت على مولانا البار العلام العلي الأعلم حاكم الحكام من لايدخل في الخواطر والأوهام ... دعاة عبدة الامام كتابي اليكم معاشر الموحدين لمولانا سبحانه ... أما بعد : فقد سمعتم قبل هذه الرسالة نسخ الشريعة باسقاط الزكاة وان الزكاة عنكم هي الشريعة بكمالها وقد بينت لكم في هذه الرسالة نقضها دعامة دعامة ظاهرها وباطنها .

وفي تلك الرسالة يؤول حمزة الشهادتين بمعنى معرفة ديانة التوحيد ومراتب أصحاب هذه الديانة ويرى أن الحاكم نقض سائر أركان الاسلام من صلاة وصوم وزكاة وحج وجهاد واعتمد في ذلك ـ في زعمه ـ على تصرفات الحاكم اذ انه لم يصل مدة طويلة لاصلاة الجمعة ولاالجنازة ولاالعيدين وبالنسبة للزكاة أسقطها عن الناس بالسجل الصادر عام ٤٠٠هـ وكذلك في الصيام اذ انه لم يكن يراعي الأوقات المحددة له (١) .

كما يبرر حمزة في رسالته التي سماها برسالة التوحيد

---

(١) نص هذه الرسالة في مذاهب الاسلاميين ٢/٧٠٧-٧٢٨ .

لدعوة الحق ابطال الحاكم للشريعة الاسلامية بأن محمد بن عبد الله (ويقصدون بذلك النبى صلى الله عليه وسلم) الناطق السادس بزعمهم لما ظهر بالنطق نسخ الشرائع كلها فكذلك الحاكم ينسخ شريعة محمد بن عبد الله وينشىء له شريعة خاصة[١] .

وفى رسالة أخرى يقول : والآن فقد دارت الأدوار وبطل ماكان فى جميع الأعصار ولم يبق من الشريعة الشركية غير لهيبها والشرار وسوف يخمد حسرها ويضمحل العوار[٢] .

ولذا ينتهى الأستاذ محمد عنان بعد عرضه لمذهب الدروز الى أنهم يعتقدون أن دينهم ينسخ جميع الأديان والشرائع السابقة وهو فى زعمهم خاتمة الأديان واليه منتهى الهداية والايمان وان الحاكم هو الذى اتى بشريعة جديدة[٣] .

ومن معتقداتهم الأخرى التناسخ حيث يعتقدون ان الأرواح تتناسخ وتنتقل الى الاحياء فنفس الموحد تنتقل الى موحد آخر ونفس المشرك تنتقل الى مشرك آخر وهكذا فان عدد النفوس فى العالم محدود وثابت لايزيد ولاينقص وان النفوس باقية ازلية لاتفنى وبناء على هذا المعتقد فسروا القيامة والثواب والعقاب وأولوها تأويلا باطنيا يمل الى جحدها وانكارها[٤] .

كما أن لهم معتقدات أخرى تتعلق بابطال النبوات واسقاط أركان الاسلام وانكار الأخرويات جملة وتفصيلا وعند

---

(١) رسالة التوحيد لدعوة الحق ضمن كتاب الحاكم وأسرار الدعوة الفاطمية لمحمد عبد الله عنان ص ١٨٨ .
(٢) السيرة المستقيمة لحمزة بن على نقلا عن طائفة الدروز لمحمد كامل حسين ص ١٠٥ .
(٣) كتاب الحاكم وأسرار الدعوة ص ١٨٨ .
(٤) انظر دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ٢٧٤-٢٧٥ .

التأمل لهذه المعتقدات فانها فى أصلها فكر اسماعيلى باطنى أضاف اليه الدروز بعض المصطلحات مع المجاهرة ببعض المعتقدات الاسماعيلية المكنونة كما سنفصل القول فيه ان شاء الله تعالى فى الفصول القادمة فى معتقدات الاسماعيلية .

(٥) الاسماعيلية المستعلية :

يعتبر انقسام الطائفة الاسماعيلية الى مستعلية ونزارية أضخم انقسام وافتراق منذ تأسيسها وبدايتها الى عصرنا الحاضر حيث اتجهت كل فرقة الى امام من أئمتها فى فترة الظهور وتمسكت به وبامامة نسله من بعده ، ان كان له نسل أو عقب وحدث من جراءهذا الانقسام أن أصبح لكل فرقة كتب خاصة بها لأن لكل فرقة دعاة خاصين ومنظمين فكريين (١) بل أصبح بعد ذلك لكل فرقة دولة خاصة بها ولا أدل على ذلك من دولة المليحيين فى اليمن والتى تمثل الاسماعيلية المستعلية ودولة الصباحيين أو الحشاشين فى الألموت وجنوب فارس والتى تمثل الاسماعيلية النزارية .

وبداية هذا الانقسام وسببه كما ذكرنا سابقا (٢) ان المستنصر العبيدى (الامام الثامن من أئمة الظهور عند الاسماعيلية) لما مات فى ذى الحجة من عام ٤٨٧هـ اقام الأفضل ابن بدر أمير الجيوش ابنه المستعلى بالله بن المستنصر واسمه أبو القاسم أحمد للامامة والحكم . وخالفه فى ذلك

---

(١) انظر قائمة المراجع التى وضعها الدكتور محمد كامل حسين فى آخر كتابه طائفة الاسماعيلية حيث وضع قائمة لكتب الدعوة الغربية وقائمة لكتب الدعوة الشرقية من ص ١٨٠ الى آخر الكتاب ص ١٨٦ .

(٢) انظر ص ٣٥٥-٣٦٦ من الرسالة ، القسم الأول .

اخوه نزار بن المستنصر وبعد مناوشات بينهما فر الى الاسكندرية ثم حاربه الأفضل حتى ظفر به فقتله . ثم أمر الأفضل الناس بتقبيل الأرض . وقال لهم : قبلوا الأرض لمولانا المستعلى بالله وبايعوه فهو الذى نص عليه الامام المستنصر قبل وفاته بالخلافة من بعده (١) .

وبذلك انقسمت الاسماعيلية الى مستعلية اتباع المستعلى ونزارية اتباع نزار والحديث الآن عن المستعلية حيث يسمون بهذا الاسم نسبة الى القول بامامة المستعلى مع انكار امامة نزار بن المستنصر ويقولون انه نازع الحق أهله ! من حيث ان الحق فى الامامة والخلافة كان لامامهم المستعلى فادعاه لنفسه ويقولون ان شيعته على الباطل ويرون من الضلال اتباع الحسن الصباح داعية نزار والناقل عن المستنصر النص على امامته (٢) .

ومن أسماء هذه الفرقة فيما بعد الطيبية نسبة الى الطيب ابن الآمر المزعوم الذى سبق أن ذكرنا ادعاء الملكة أروى المليحية امامته وكفالتها له (٣) .

وبعد ذلك أطلق عليهم لقب الاسماعيلية الطيبية لزعمهم بامامته وامامة نسله المستورين من بعده كما يطلق على هذه الفرقة الاسماعيلية الغربية وهؤلاء هم اسماعيلية مصر واليمن وبعض بلاد الشام تمييزا لهم عن الاسماعيلية الشرقية اسماعيلية بلاد فارس أصحاب الحسن الصباح (٤) .

---

(١) انظر الكامل فى التاريخ لابن الاثير ١٧٣/٨ ، الخطط للمقريزى ٣٤/٢-٣٥ .
(٢) صبح الأعشى للقلقشندى ٢٤٣/١٣ .
(٣) القسم الأول من الرسالة وذلك ص ٣٦٣ .
(٤) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٦٢،٤٦ .

وتبنى هذه الفرقة وابقاها الدولة الصليحية الذين حاولوا نشرها وبسطها فى بلاد اليمن حتى انقرضت الدولة الصليحية عام ٥٦٣هـ ولم يقم اتباع هذه الفرقة بأى نشاط سياسى يذكر ونراهم اتجهوا بعد ذلك اتجاها جديدا هو التجارة والاقتصاد واتخذوا التقية والستر - كعادتهم فى التمويه - أسلوبا فى نقل الدعوة الاسماعيلية المستعلية الطيبية الى شبه القارة الهندية وظهر لهم لقب جديد ومسمى يتناسب مع مهنتهم وهو (البهرة) وسبب ذلك انه عندما اعتنق جماعة من الهندوس الدعوة الاسماعيلية الطيبية وكثر عددهم فى الهند عرفت الدعوة بينهم باسم البهرة وهى كلمة هندية قديمة معناها التاجر (١) .

البهـــرة :

عندما اعتنق جماعة من الهندوس الدعوة الاسماعيلية الطيبية وكثر عددهم فى الهند عرفت الدعوة باسم البهرة الذى يرمز الى مهنتهم التى اشتهروا بها وهى التجارة حيث انصرفوا لها وحاولوا نشر عقيدتهم عن طريقها ولذا نجد أن دعوتهم انتشرت فى أقطار متعددة ، نتيجة جهل الشعوب الاسلامية بهذه الدعوة الباطنية وعدم فهم الاسلام فهما صحيحا فلهم أتباع فى بلاد الهند والباكستان وعدن كما يوجد عدد منهم فى اليمن الشمالى فى جبال حراز ولازال يطلق عليهم اسمهم الحقيقى والأصلى حيث يدعون بالقرامطة والباطنية ومن آثارها - كما يقول النشار - قبيلة يام وهى الى اليوم

---

(١) المرجع السابق ص ٥١ .

باطنية تنتمى الى بهرة الهند[(١)] .

ويشتهر البهرة بالتعصب الشديد لمذهبهم وعقيدتهم وتقاليدهم التى ورثوها من قادتهم وزعمائهم (اسماعيلية اليمن المعروفين بالمليحيين) فهم يحافظون عليها محافظة تامة ولايقبلون تبديلا لتلك التقاليد أو تطويرها ومن مظاهر ذلك :

(١) الزى الخاص بهم رجالا ونساء حتى ان الناظر المتمعن فيهم يعرف البهرى من غيره .

(٢) لهم أماكن خاصة للعبادة لايدخلها غيرهم أطلقوا عليها اسم جامع خانه فهم لايؤدون فرضة الصلاة الا فى الجامع خانه مع رفضهم لاقامة الصلاة فى المساجد التى لغيرهم من المسلمين .

(وقد شاهدت مرارا وتكرارا البهريين يخرجون من المسجد الحرام عند اقامة الصلاة ويذهبون لأدائها فى رباط لهم يسمى "الرباط السيفى" يقع بالقرب من الحرم المكى فى الجهة الجنوبية) .

(٣) الحرص الشديد على ستر عقائدهم المذهبية الباطنية اما فى الظاهر فانهم قد يشاركون المسلمين فى أداء بعض الفرائض والأركان[(٢)] .

ورغم اتفاق البهرة ظاهريا مع غيرهم من المسلمين فى العبادات والشعائر فانهم يعتقدون عقائد باطنية بعيدة كل البعد عن معتقد أهل السنة والجماعة فهم مثلا يؤدون الصلاة

---

(١) نشأة الفكر الفلسفى ٤٣٢/٤ .
(٢) انظر طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٥٢-٥٣ بتصرف .

كما يؤديها المسلمون ويحافظون على حدودها وأركانها كالمسلمين تماما ولكنهم يقولون ان صلاتهم هذه للامام المستور من نسل الطيب بن الآمر . ويؤدون شعائر الحج كما يؤديها المسلمون ولكنهم يقولون ان الكعبة التي يطوفون حولها هي رمز للامام وهكذا يذهبون في عقائدهم مذهبا باطنيا يلتقي مع التيار الباطني العام (١) .

وفي القرن العاشر الهجري انقسم البهرة الى طائفتين تسمى احداهما بالداودية والأخرى بالسليمانية ويرجع هذا الانقسام الى الخلاف على من يتولى مرتبة الداعي المطلق للطائفة .

فالفرقة الداوودية تنتسب الى الداعي السابع والعشرين من سلسلة دعاة الفرقة المستعلية الطيبية ويسمى بقطب شاه داوود برهان الدين المتوفى سنة ١٠٢١هـ وهم الأكثرية وهم بهرة كجرات ولذا أصبح مركز دعوتهم في الهند حيث يقيم داعيتهم الآن وهو طاهر سيف الدين في مدينة بومباى ويعتبر الداعي الحادي والخمسين من سلسلة الدعاة حيث بينه وبين الداعي الذي تنتسب اليه الداودية اثنان وعشرون داعيا ذكرهم العزاوي بالترتيب في مقدمته على كتاب سمط الحقائق (٢) .

اما الفرقة السليمانية فتنتسب الى الداعي سليمان بن الحسن الذي أبى اتباعه الاعتراف بداوود بدعوى أن داوود عجب شاه اختار سليمان وأعطاه وثيقة بذلك ويدعي جماعته أنها لاتزال عندهم تلك الوثيقة وتبعه شرذمة قليلة نسبوا اليه

---

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص ٢٢٩ .
(٢) سمط الحقائق ص ٨-١٠ .

ويتواجدون في اليمن ورئيسها الحالي على بن الحسن ومحل اقامته بنجران جنوبي السعودية . وهذه الطائفة منتشرة في قبائل بني يام باليمن وبعض أفرادها مقيمون في الهند والباكستان (١) . وكلا الداعيان برتبة "داع مطلق" (٢) ، وهي مرتبة وراثية تنتقل من أب الى ابن وصاحبها يتمتع بنفس الصفات التي كان يوصف بها الأئمة على انها صفات مكتسبة وليست ذاتية (٣) . ومما يدل على استعباد هؤلاء الدعاة لأتباعهم وخضوعهم لهم كما يخضعون للأئمة المظاهر التالية :

(١) تعظيم دعاتهم المطلقين وتحيتهم بانحناء الرؤوس وتقبيل الأرض بين يديهم حتى ليكادوا يسجدوا لهم كما يعتقدون انه ـ أي الداعي المطلق ـ كالمعصوم لايخطىء ولايضل أبدا وطاعته واجبة (٤) .

(٢) تقديس الأتباع لزعيمهم حتى انه استخف بهم وأخذ يصنع الصكوك لأتباعه على قطع في الجنة وهذا مما نقل عن علي ابن الحسن زعيم المكارمة في نجران (٥) .

(٣) تأليه الأئمة أو الداعي المطلق الذي يحل محله وأدل شيء على ذلك مانقله لنا الدكتور محمد كامل حسين في كتابه طائفة الاسماعيلية عن محاورة جرت بينه وبين أحد زعماء الأغاخانية في العصر الحاضر ونصها قوله لأغاخان:

---

(١) القرامطة لطه الولي ص ٣٥ ، طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٥٢ .
(٢) تفصيل هذه الرتبة ومهام صاحبها في الفصل الماضي ، الفصل الرابع .
(٣) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٥٢ .
(٤) غلاة الشيعة للزعبي ص ٢٢٨ .
(٥) انظر دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص ٢٢٩-٢٣١ .

لقد أدهشتني بثقافتك وعقليتك فكيف تسمح لأتباعك أن يدعوك اله ؟ فضحك طويلا جدا وعلت قهقهاته ودمعت عيناه من كثرة الضحك ثم قال :

هل تريد الاجابة عن هذا السؤال . ان القوم في الهند يعبدون البقرة الست خيرا من البقرة (١) !! وهذا وان كان حدثا لزعيم الأغاخانية الا أن زعيم البهرة كذلك حيث يعبده أتباعه ويؤلهونه (٢) .

(٦) الاسماعيلية النزارية :

يعتبر الاسماعيليون النزاريون طائفة وفرقة من أكبر الطوائف والفرق الاسماعيلية في العصر الحاضر حيث بدأ انفصال هذه الفرقة وتكونها بعد وفاة المستنصر عام سبع وثمانين واربعمائة هجرية وكان - حسب تقاليد الاسماعيلية - قد نص على امامة ابنه نزار لكن الوزير الجمالي صرف النص الى أخيه المستعلي - ابن أخت الوزير - كما سبق أن ذكرنا ذلك تفصيلا (٣) وحصل من جراء ذلك انقسام الاسماعيلية الى مستعلية ونزارية . وعلى الرغم من القضاء على نزار وقتله في الاسكندرية على يد وزير المستعلي الأفضل بن بدر الجمالي ولم يكن له عقب مستتر أو ظاهر (٤) ، على الرغم من ذلك فان أحد دعاة الاسماعيلية ويدعى بالحسن الصباح انتصر لنزار وأصبح يدعو له ولأبنائه من بعده ! وجعل نفسه نائبا للامام المستور

---

(١) طائفة الاسماعيلية ص ١٢٦ .
(٢) انظر فتوى هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية رقم ٢٢٨٩ تاريخ ١٣٩٩/٢/٢٧هـ .
(٣) انظر القسم الأول من الرسالة ص ٣٥٥ .
(٤) انظر أيضا القسم الأول من الرسالة ص ٣٦٦ .

من ولد نزار واخذ يدعو له وبذلك تكونت هذه الفرقةوأصبح يطلق عليها الاسماعيلية النزارية نسبة الى نزار بن المستنصر . كما يطلق عليها اسم الدعوة الجديدة تمييزا لها عن الدعوة الاسماعيلية الأولى (١) . كما يطلق عليها الاسماعيلية الشرقية نسبة الى مكان ظهورها وانتشارها واشارة الى انفصالها عن الاسماعيلية الأم والتى تسمى بالاسماعيلية الغربية (٢) ، ويسميها بعض الكتاب المعاصرين باسماعيلية ايران نسبة الى مكانها (٣) . وجميع هذه المسميات دالة عليها ومحددة لها . وقد عاصر ظهور هذه الفرقة عالمان كبيران تولى كل واحد منهما فضح هذه الفرقة وبيان باطنيتها وشدة خطرها وعظم ضررها على الاسلام والمسلمين وهما :

الامام الغزالى الذى ألف كتابه فضائح الباطنية والشهرستانى الذى أفرد لهم حديثا خاصا بهم عند قوله : ثم ان أصحاب الدعوة الجديدة ... الخ (٤) .

وحفاظا على بقاء هذه الفرقة واظهارها ادعى منظموها أن لنزار بن المستعلى ولدا ثم له نسلا استمرت الامامة فيهم وبقيت ولكنهم - أى النزاريون - فيما بعد كذبوا أنفسهم حيث ادعوا الامامة للحسن الصباح ومن جاء بعده ممن خلفه فى قيادة دولة الحشاشين أو الفدائيين ولاأدل على ذلك من ادعاء الحسن الثانى من نسل الحسن الصباح فى عام ٥٥٩هـ انه هو الامام من نسل نزار بن المستنصر وأصبح اسمه لايذكر الا

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٥/١ .
(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٦٢ .
(٣) انظر كتاب دولة الاسماعيلية فى ايران لمحمد السعيد جمال الدين ص ٤٢ .
(٤) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٥/١ .

مقرونا "على ذكره السلام" كما يطلق في العادة على الأئمة المستقرين وبذلك اصبح حكام الموت بعد الحسن الثاني والذين جاءوا بعده من سلسلة النسب الفاطمي !! وهكذا أتى الحسن الثاني - كما يقول بدوى - بثلاثة تجديدات مالبث النزارية في كل مكان أن قبلوها على درجات متفاوتة وأولها : أنه أعلن نفسه خليفة لله في أرضه ولم يعد مجرد داع كما كان أسلافه [(١)] .

ويعتبر الحسن الصباح العقل المدبر الذي نظم هذه الطائفة ووجهها ومن ثم نشرها في بلاد فارس مما نتج عن هذه الجهود قيام دولة الحشاشين أو الفدائيين كما سنفصل القول ان شاء الله في دولتهم عند الحديث عن دول الاسماعيلية في آخر هذا الفصل .

وبعد أن بدئت دولة الحشاشين أو الاسماعيلية النزارية في الموت في الأفول ظهر داعية اسماعيلي نزاري في بلاد الشام واسمه راشد الدين سنان ويلقب بشيخ الجبل [(٢)] وحاول تجميع

---

(١) مذاهب الاسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوى ٣٤٥/٢ ، كتاب دراسة عن الفرق لأحمد جلي ص ٢٣٥ .

(٢) يكنى بأبي الحسن ويلقب بشيخ الجبل واسمه راشد الدين سنان وكان من اقران الحسن الثاني من حكام الموت . ولد في قرية بين واسط والبصرة وكان في أول أمره نصيريا ثم فر الى ألموت واعتنق الدعوة الاسماعيلية النزارية وبعد ذلك رجع الى الشام وبدأ ينشر الدعوة بين أهلها وكان على معرفة بالحيل والشعوذة وانتهى به الأمر الى ادعاء النبوة والالوهية كما اثبت ذلك ابن جبير الذي قال عنه : قيض للملاحدة الاسماعيلية شيطان من الانس يعرف بسنان خدعهم بأباطيل وخيالات موه عليهم باستعمالها وسخرهم بمحالها فاتخذوه الها يعبدونه ... الخ وقد توفي سنة ٥٨٨هـ ولكونه شخصية لها اعتبارها عند الاسماعيلية فقد افرده أحد الاسماعيليين المعاصرين بمؤلف خاص سماه شيخ الجبل سنان راشد الدين لمصطفى =

طائفة الاسماعيلية من جديد حيث ان دعوة الاسماعيلية فى بلاد الشام ترجع الى وقت مبكر ولاسيما فى مدينة سلمية التى كانت مقرا للأئمة المستورين والامام الظاهر عبيد الله المهدى .

ومن أساليبهم التى حاولوا بها نشر مذهبهم وتقوية سلطتهم الاستيلاء على الحصون والقلاع ولذا يقول الدكتور محمد كامل حسين : ومازال الاسماعيلية النزارية فى الشام يشترون الحصون أو يستولون عليها حتى بلغ عدد حصونهم الرئيسية فى الشام فى القرن السابع للهجرة ثمانية حصون هى القدموس ومصياف وبانياس والكهف والخوابى والمنيقة والقليقة والرصافة . ثم يضيف قائلا : وازدادت قوة الاسماعيلية بالشام بظهور شخصية فذة وداعية داهية فى سياسته وفى مواهبه وحكمته وهو "راشد الدين سنان" الذى استطاع بمقدرته وكفايته أن يجمع كل اسماعيلية الشام حوله وأن يجعل منهم قوة متحدة لهم نفوذ وسلطان مثل مافعله الحسن بن الصباح فى فارس بل جعل لنفسه مذهبا جديدا دعا اليه غير ماكان عليه اسماعيلية الشام من قبل ، فقد كان الاسماعيلية فى الشام يدينون بامامة أصحاب قلعة الموت فى فارس فجاء سنان وكون مذهب السنانية واعترفوا بامامته غير انهم عادوا بعد موته

= غالب والكتاب كما هو معروف من مؤلفه تمويهات وقلب للحقائق واظهار الباطل فى صورة الحق .
ومن أكثر ماذكره هذا المؤلف الاسماعيلى فى الثناء على شيخ الجبل حروبه مع الصليبيين واغتيال بعض قادتهم ولكن ذلك ليس على حقيقته وظاهره بل الأمر كما قال الدكتور بدوى : ان موقف سنان من الحروب الصليبية كان موقفا مشبوها لاتمليه الغيرة الاسلامية بل الاعتبارات السياسية وحدها - وكذلك كان موقف الاسماعيلية فى سوريا طوال الحروب الصليبية كلها تمليه الاعتبارات السياسية الخاصة بالطائفة دون أى اعتبار للغيرة الاسلامية . انظر مذاهب الاسلاميين لبدوى ٣٨٤/٢ .

الى طاعة الأئمة بالموت وبالرغم من تحولهم هذا فان اسماعيلية الشام الى الآن يذكرون الامام راشد الدين على أنه أعظم شخصياتهم على الاطلاق . (١)

وقد تعاصر شيخ الجبل مع القائد المجاهد صلاح الدين الأيوبى رحمه الله وكانت بينهما مساجلات كلامية حاده فى أول الأمر ولكن صلاح الدين رحمه الله لما تبين له أنهم بقيادة شيخ الجبل يبيتون له ولجنده من أهل السنة أمرا ويضمرون لهم شرا حيث حاول عدد من الاسماعيلية اغتيال صلاح الدين (٢) - بعد ذلك عزم على قتالهم والقضاء عليهم ففى سنة ٥٧٢هـ قصد صلاح الدين بلد الاسماعيليين وانتصر عليهم كما حصر قلعة مصياف واضطروا بعد ذلك الى طلب الصلح . (٣)

وظل أمر الاسماعيلية النزارية فى الشام بعد ذلك يضعف تارة ويقوى تارة أخرى الى أن استسلمت آخر قلاعهم للظاهر بيبرس عام ٦٧٢هـ وخفت أمرهم من الحياة السياسية حتى لم يسمع عنهم شيئا ولم تنقل الكتب التاريخية عنهم أحداثا تذكر ويبدو انهم لجأوا الى التقية والدعوة سرا الى أن ظهر فى ايران رجل شيعى يدعى حسن على شاه مابين سنة ١٢١٩هـ الى سنة ١٢٩٨هـ جمع حوله عددا من الاسماعيلية وغيرهم وقام بأعمال هدد بها الأمن وأقلق بها السلطات فى ايران حتى ذاع صيته وأصبح اسطورة على ألسنة الناس وانضمت اليه جماعات

---

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٩٨-٩٩ .
(٢) محاولة اغتيال الباطنية للأمير المجاهد صلاح الدين رحمه الله لم تكن مرة واحدة بل نقلت لنا كتب التاريخ محاولتين لهم لقتله ولكن الله سلمه منهم . انظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير ١١/٤١٥-٤١٩-٤٣٠ ، العبر لابن خلدون ٥/٣٠٠ ، البداية والنهاية لابن كثير ١٢/٢٩٣
(٣) انظر مذاهب الاسلاميين للدكتور بدوى ٢/٣٧٨-٣٨٢ .

كثيرة اعجابا به أو طمعا فى مكاسب مالية تأتيهم عن طريقه وواكب ظهور هذه الثورة التى هددت الأسرة القاجارية الحاكمة فى ايران ظهور الانجليز كقوة لها مطامع فى بلاد فارس ومن ثم اتصلوا بحسن على شاه وعضدوه ومنوه حكم فارس وفعلا قام حسن على شاه بثورة عام ١٨٤٠م كانت نهايتها الفشل والقبض على قائدها ولكن الانجليز تدخلوا وحصلوا على أمر بالافراج عنه بشرط أن يجلو عن ايران كلها وزين له الانجليز الذهاب الى افغانستان ليكون صنيعة لهم هناك . ولكن الأفغانيين كشفوا عن هويته واضطروه الى الرحيل الى الهند واتخذ من مدينة بومباى مقرا له . وأراد الانجليز أن يستفيدوا منه مرة أخرى ومن ثم اعترفوا به اماما للطائفة الاسماعيلية النزارية وخلعوا عليه لقب اغاخان ومنحوه السلطة المطلقة على أتباعه الاسماعيلية فالتف حوله الاسماعيلية فى الهند (١) .

وهذا بلاشك منعطف جديد أو تلفيق فى انقطاع أئمة الاسماعيلية عموما والنزارية بوجه خاص حيث أن أمر النزارية انتهى بانتهاء أئمة وحكام الموت عام ٦٥٤هـ . ولكن الاستعمار الانجليزى لفق لهم هذه الشخصية المجهولة نسبا ودينا . يصف الدكتور محمد حسين مشاعر الاسماعيليين وبداية هذه المسميات والألقاب عند ظهور هذا الرجل بقوله : فتجمع – حول المدعو حسن على شاه الملقب بأغا خان – الاسماعيلية فى الهند وفرحوا بظهور شأنهم بعد أن ظلوا مغمورين طوال هذه القرون وبظهور امامهم الذى ظل فى الستر والكتمان مئات السنين !!

---

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ٢٣٩-٢٤٠ .

فرأى حسن على شاه أو أغاخان نفسه بين جماعة يطيعونه طاعة تدين دون أن يكون لهم غرض مادى فقوى نفوذه بينهم وأصبح كأنه سلطانهم الفعلى فأخذ ينظم شئونهم الى أن توفى عام ١٢٩٨هـ وبذلك وجدت الأسرة الأغاخانية وصارت لهم امامة الاسماعيلية النزارية وانتسبوا الى الامام نزار بن المستنصر بالله الفاطمى ! ومؤسس هذه الأسرة هو حسن على شاه وهو أول امام اسماعيلى لقب بأغاخان .(١)

ومن هنا أطلق على الاسماعيلية فى العصر الحاضر (الاغاخانية) فكما أن طائفة البهرة امتدادا للاسماعيلية المستعلية فكذلك طائفة الأغاخانية امتداد للاسماعيلية النزارية . وقد اشتهر من زعمائهم الذين اطلقوا عليهم أئمة فيما بعد أربعة أشخاص وهم :

(١) اغاخان الأول الذى نصبه الانجليز على الطائفة بعد تجميعها من سنة ١٢٣٣هـ حتى هلك عام ١٢٩٨هـ .

(٢) ابنه على شاه المعروف باسم اغاخان الثانى وتوفى بعد فترة قصيرة من توليه زعامة الطائفة حيث هلك عام ١٣٠٢هـ .

(٣) وبعده تولى زعامة الطائفة ابنه محمد على شاه ولقب بأغاخان .

الثالث وهو أشهر زعماء الاسماعيلية الاغاخانية حيث طالت مدته وبقى فى زعامة الطائفة حتى هلك عام ١٣٧٧هـ فتكون فترة زعامته خمسا وسبعين سنة وقد تظاهر باعمال

---

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١١٣ .

أكسبته بعض الشهرة كدفاعه عن الخلافة العثمانية ودفاعه عن حقوق الأتراك بعد سقوط الخلافة . ومشاركته فى تأسيس الرابطة الاسلامية بالهند وانشاء جامعة عليكرة الشهيرة فى الهند (١) .

ويكفى ردا لهذه الأعمال وانها لخدمة طائفته ومذهبه مانقل عنه من تأييد واضح للسيادة الانجليزية على بلاد المسلمين فى الهند بل انه يرى ان هذه السيادة نعمة للشعوب الهندية ويصرح بأن رغبة الهنود فى الاستقلال رغبة طائشة حمقاء ونزعة متهوسة سابقة لأوانها (٢) .

ويقول عنه جولد زيهر اليهودى : وهو رجل دنيوى المظهر الى حد كبير ومشبع بأفكار الثقافة العصرية ولاشىء فى مظهره يذكرنا بمبادىء المذهب الذى ينبغى أن يمثله (٣) .

كما انه اشتهر بحياة اللهو والفسق والعبث الى درجة السفه ففى شبابه يوصف بأنه زير نساء يتنقل بين الغانيات وبائعات الهوى (٤) . وقد هلك فى سويسرا عام ١٣٧٧هـ ونقل جثمانه الى أسوان فى مصر حيث دفن هنالك بعد احتفال رسمى بذلك (٥) .

(٤) تولى زعامة الطائفة بعده حفيده المسمى كريم خان ولقب بآغاخان الرابع على الرغم من سخرية بعض الاسماعيلية من اختياره للحفيد وترك ابنه صدر الدين لأن ذلك مخالفة لعقيدة تسلسل الأئمة .

---

(١) انظر دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ٢٣٩-٢٤٠ .
(٢) العقيدة والشريعة لجولد زيهر ص ٢٤٦ .
(٣) المرجع السابق ص ٢٤٥ .
(٤) انظر كتاب طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ١٢٥ ، كتاب دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ٢٤١ .
(٥) تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٤٧٨ .

ومن الجدير بالذكر أن أمه بريطانية تدعى جون بربارا وتلقى علومه الأولية بسويسرا وأكمل تعليمه فى جامعة هارفارد الامريكية (١) ومع ذلك كله يعتبره الاسماعيليون فى العصر الحاضر الامام الثامن والأربعين فى سلسلة الأئمة الاسماعيلية (٢) .

---

(١) انظر طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص ١٢٩ ، تاريخ الدعوة الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٤٣٥ .

(٢) دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ٢٤٢ .

(ب) دول الاسماعيلية :

قام لطائفة الاسماعيلية دول متعددة مختلفة الأزمان والأماكن كانت ولازال بعض آثارها مصدر خطر على الأمة الاسلامية في عقائدها وسلوكها ونظمها . ومما لاشك فيه أن هذه الدول نتاج جهود دعاتهم ونشر مبادئهم التي أفرزت مثل هذه الدول المتعاقبة وهي على حسب التسلسل التاريخي كالآتي :

(١) دولة القرامطة

(٢) دولة العبيديين المسمين بالفاطميين

(٣) دولة المليحيين في اليمن

(٤) دولة الفدائيين أو الحشاشين وهم اسماعيلية ايران

وحيث ان البحث له اعتباره العقدي والحديث عن هذه الدول بالتفصيل يعتبر تاريخيا فسنوجز الحديث عن كل دولة بما يعطي صورة عامة عنها وعن بدايتها ونهايتها :

(١) دولة القرامطة :

قام للقرامطة عدد من الدول في البحرين وفي اليمن وفي العراق وفي الشام وتنحصر الفترة الزمنية لقيام هذه الدول مابين سنة ٢٧٨هـ حين تحرك القرامطة بسواد الكوفة وتجمعوا معلنين الخروج والانفصال عن الدولة العباسية (١) – حتى سنة ٤٧٠هـ حينما التف أهل السنة بالبحرين وأحاطوا بالقرامطة

---

(١) انظر تاريخ الطبري ١٥٩/٨ ، البداية والنهاية لابن كثير ٦١/١١ ، المنتظم لابن الجوزي ١١/٥ وغيرها من الكتب التاريخية .

وانتصروا عليهم فى معركة تسمى معركة الخندق وتعد هذه الموقعة من المواقع الحاسمة فى التاريخ لأنها قفت على دولة القرامطة الذين ظلوا زهاء قرنين مصدر رعب وخوف وفزع (١) .

وبالنظر الى تاريخ القرامطة فان أخطرهم وأشدهم همجية وأذى للمسلمين هم قرامطة البحرين وقرامطة اليمن حيث قام لهؤلاء دول بالمعنى الكامل اما قرامطة العراق فانهم تمكنوا من بعض مدن العراق فترات متقطعة من الزمن بزعامة حمدان قرمط وصهره عبدان وقضى عليهم وعلى ثورتهم عام ٢٨٩هـ (٢). وبعد القضاء على ثورتهم هذه يتوقف نشاطهم ويخفت أمرهم فترة طويلة الى أن قاموا بثورتهم الكبرى عام ٣١٦هـ حيث تجمعوا من جديد حول قائدين يدعى أحدهما بعيسى بن موسى والآخر حريث ابن مسعود وقد تمكن الجيش العباسى من القضاء على ثورتهم وقتل القائدين ويعتبر هؤلاء النهاية لقرامطة العراق حيث لم تقم لهم بعد ذلك قائمة ولذلك يقول ابن الاثير بعد ذكره لثورات هؤلاء : واضمحل أمر من بالسواد منهم وكفى الله الناس شرهم (٣) .

أما قرامطة الشام فان نطاقها كان ضيقا للغاية حيث كان محور نشاطها أسرة واحدة وهم آل زكرويه فما أن انتهت هذه الأسرة بالقضاء على زكرويه بن مهرويه سنة ٢٩٤هـ الا وكان مع ذلك موت حركتهم ونهايتها ولذا يقول المقريزى : ومات خبر القرامطة بموت زكرويه (٤) .

---

(١) تاريخ الاسلام لحسن ابراهيم ٢٥٨/٤-٢٥٩ .
(٢) الكامل لابن الاثير ٩٥/٦ .
(٣) المرجع السابق ١٩٤/٦ .
(٤) اتعاظ الحنفا للمقريزى ١٧٩/١ .

واضافة الى ذلك فان ظهور هذه الحركة واعلان ثورتها انما كان عام ٢٨٩هـ فتكون احداثهم الدامية وتمكنهم من سفك الدماء انما كان لمدة قصيرة محصورة فى خمس سنوات فقط كما أن اتباعها ومؤيديها كانوا من البدو الرحل والأعراب الجفاة الذين لاهم لهم الا السلب والنهب (١) .

والخلاصة أن هؤلاء ـ كما يقول ابن خلدون ـ لم يتم لهم دولة (٢) . أما القرامطة الذين قامت لهم دول بالمعنى الحقيقى فهم قرامطة البحرين وقرامطة اليمن وتفصيل ذلك كالآتى :

(١) قرامطة البحرين :

قام لهؤلاء دولة امتدت فترة طويلة من الزمن حيث كانت بدايتهم عام ٢٨٦هـ (٣) ونهايتهم وانقراض دولتهم نهائيا كان عام ٤٧٠هـ (٤) وقد تعاقب على دولة القرامطة فى البحرين عدد من القادة والزعماء اشتهر منهم ثلاثة وهم ابوسعيد الجنابى وابنه الزنديق أبو طاهر وثالثهم الحسن الأعصم .

(١) ابوسعيد الجنابى :

يسمى بالحسن بن بهرام ويلقب بالجنابى وأصله من الفرس فوالده اسمه بهرام ـ وهو اسم انتشر فى بلاد فارس ـ والجنابى نسبة الى بلدة من بلاد الفرس اسمها جنابه سافر الجنابى منها الى الكوفة حيث التقى بحمدان قرمط وعبدان واعتنق الدعوة الاسماعيلية وتلقى تعاليمها منهما (٥) .

---

(١) تاريخ اخبار القرامطة لابن سنان ص ٧٠ .
(٢) العبر لابن خلدون ١٨١/٤ .
(٣) دول الاسلام للذهبى ١٧٢/١ .
(٤) تاريخ الاسلام لحسن ابراهيم ٢٥٨/٤-٢٥٩ .
(٥) نهاية الارب للنويرى ٧١/٢٣ ، المسالك والممالك لابن حوقل ص ٢١٠ .

ويقول ابن حوقل عنه : ومنهم - أى من الفرس - الذين انتحلوا ديانات خرجوا بها عن المذاهب المشهورة فدعوا اليها وانتصبوا لها أبو سعيد الجنابى (١). بدأ أبو سعيد الجنابى بتجميع اتباعه وجعل يستميل العرب بالبحرين الى نحلته حتى استجاب له أهل البحرين وماوالاها (٢).

ثم أقبل على جمع الخيل واعداد السلاح واتخاذ الابل واصلاح الرجال ونسخ الدروع والمغافر ونظم الجواش والمزاد والقرب واخذ فى تعليم الصبيان للفروسية (٣).

حتى انه - كما يقول المقريزى - جمعهم فى دور وأقام عليهم قوما وأجرى عليهم مايحتاجون اليه ورسمهم لئلا يختلطوا بغيرهم ونصب لهم عرفاء وأخذ يعلمهم ركوب الخيل والطعان فنشأوا لايعرفون غير الحرب وقد صارت دعوته طبعا وطاعته دينا والطعن والنزال حرفة لهم كما أنه قبض على كل مال فى البلد حتى الثمار والحنطة والشعير وأقام رعاة للابل والغنم ومعهم قوم لحفظها والتنقل معها على نوب معروفة وأجرى على أصحابه جرايات فلم يكن يصل لأحد غير مايطعمه (٤).

وبنظرة فاحصة فى هذه النظم العسكرية والاقتصادية نجد انها مكنته من بناء دولته واخذ يهدد الخلافة العباسية فى مناطق أخرى وعلى كل حال فان المصادر التاريخية تكاد تجمع على أن بداية ظهور القرامطة كقوة عسكرية وسياسية فى منطقة

---

(١) انظر مذاهب الاسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوى ١١١/٢.
(٢) معجم البلدان لياقوت الحموى ١٦٦/٢ .
(٣) نهاية الارب للنويرى ٧٤/٢٣ .
(٤) اتعاظ الحنفا للمقريزى ١٦١/١ .

البحرين كانت عام ٢٨٦هـ .(١)

وبعد أن تمت له السيطرة على منطقة البحرين ولاسيما مدينة هجر أعظم مدن المنطقة بدأ في التوسع والسيطرة خارج البحرين - وكان يستخدم سلاح البطش والقوة فكان - كما يقول الداودى - لايظفر بقرية الا قتل أهلها ونهبها فهابه الناس وأجابه كثيرمنهم طلبا للسلامة ورحل خلق كثير من البلد الى نواح مختلفة (٢) . أما نهايته فكانت - كما يقول المقريزى - على يد خادم له أخذه من عسكر العباس وقد مكث هذا الخادم مدة طويلة لايرى أبا سعيد فيها مصليا صلاة واحدة ولايصوم فى شهر رمضان ولافى غيره فأضمر الخادم قتله حتى اذا دخل الحمام معه أعد الخادم خنجرا ماضيا والحمام خال فلما تمكن منه ذبحه وذلك سنة واحد وثلاثمائة ٣٠١هـ (٣) .

(٢) تولى ابنه أبو طاهر الجنابى عام ٣٠٥هـ بعد عزل أخيه سعيد الجنابى بتهمة تقربه من العباسيين حيث خلعه الحاكم العبيدى وأقام أخاه أبا طاهر مقامه (٤) .

وقد فاق والده فى البطش والارهاب فأوغل فى سفك الدماء وسبى النساء والصبيان وقطع الطريق على الحجاج فى كل سنة حتى أخاف الحجيج وأصبحوا يرتاعون لذكر اسمه فقط وظل على هذه الوحشية والهمجية حتى دخل عام ٣١٧هـ وفيها نفذ اجرامه البشع والحادث الصارخ الذى ظل وسيظل عارا ودليلا

---

(١) تاريخ الطبرى ٣٦٤/١١ ، المنتظم لابن الجوزى ١٨/٦ ، البداية والنهاية لابن كثير ٨١/١١ ، الكامل لابن الاثير ١٢/٦ ، العبر لابن خلدون ٣٥٠/٣ .
(٢) كنز الدرر للداودى ٥٦/٦ ، اتعاظ الحنفا للمقريزى ١٦٠/١ .
(٣) المرجع السابق للمقريزى ١٦٤/١-١٦٥ .
(٤) انظر كتاب الحركات الباطنية لغالب ص ١٥٢ .

على زندقتهم والحادهم ويتمثل هذا الاجرام فى مهاجمة مكة ودخولها للقتال . وقتل جميع الحجاج ومن ثم العبث بالحرم المكى وأخذ الحجر الأسود .

ولخطورة هذا الحدث والأهداف الباطنية من ورائه فقد تحدث عنه جميع المؤرخين وذكروا أحداثا مفصلة لفظائع هذا الزنديق تختلف بسطا وايجازا . (١)

واجرام هذا القرمطى فى مكة له اهداف وغايات مجوسية من ابطال للحج والعبث بمقدسات المسلمين فمن أتباع أبى طاهر – كما يقول النشار – عدد لايستهان به من المجوس الذين يرون فى نقل الحجر الأسود انتقاما من الاسلام ونبيه ومحاولة للقضاء عليه وعلى طقوسه . (٢) ويقول ابن كثير بعد ذكره لأحداث القرمطى فى مكة : وانما حمل هؤلاء على هذا الصنيع انهم كفار زنادقة . (٣)

ويشير أحد الكتاب المعاصرين الى هذا الهدف بقوله : ان الدافع لهم فى هجومهم على مكة المكرمة وأخذ الحجر الأسود هو تنبؤهم بزوال دولة الاسلام وقيام دولة الاسماعيلية . (٤)

وحتى بعض المستشرقين يستنبط هذا الهدف من خلال سوق المؤرخين القدامى لهذا الحدث يقول دى خويه فى كتابه القرامطة : ان بغية أبى طاهر القرمطى كانت انتهاك حرمة

---

(١) حصر جميع الكتب التاريخية التى تحدثت عن هذا الحدث التاريخى يكون بالرجوع الى أحداث سنة ٣١٧هـ فما من مؤرخ الا وذكر ذلك الحدث ودونه فى تاريخه ضمن أحداث هذه السنة .

(٢) نشأة الفكر الفلسفى فى الاسلام للنشار ٤٧٤/٢ .

(٣) البداية والنهاية ١٦٢/١١ .

(٤) كتاب عبيد الله المهدى لحسن ابراهيم وطه شرف ص ٢٢٣ .

مكة والقضاء على الهالة التي كانت تحيط بالأماكن المقدسة باختطاف موضع الاكرام والتقديس والاجهاز على الديانة كلها (١) .

وقد ظل هذا الباطني السفاك يقتل الحجاج في طريقهم ويقطع عليهم اداء هذا الركن من أركان الاسلام وتارة يفرض الاتاوات وينهب الأموال حسب حاجته الى أن ابتلاه الله بعذاب في الدنيا سنة ٣٣٢هـ حيث أصابه مرض الجدري وتقطعت أوصاله وأراه الله في نفسه العبر (٢) .

ويصف الاسحاقي ميتته بقوله : وابتلى أبوطاهر النجس بأكلة فصار يتناثر لحمه بالدود ومات أشقى ميتة بعد أن عذبه الله بأنواع البلاء ولعذاب الآخرة أشد وأبقى (٣) .

وبعد هلاك أبي طاهر القرمطي صار الحكم في دولة القرامطة في البحرين جماعيا حيث كان الأمر لاخوة أبي طاهر الثلاثة وهم أبوالقاسم سعيد وأبو يعقوب يوسف وأبو العباس الفضل (٤) . وأبرز الأحداث في عهدهم اعادة الحجر الأسود الى موضعه في الكعبة وذلك عام ٣٣٩هـ (٥) .

كما أن من الأحداث التاريخية في عهدهم ماحصل بينهم من خلافات كادت أن تقضي عليهم وعلى دولتهم الناشئة حيث قبض سابور على عمه أبي منصور أحمد بن الحسن فاعتقله بموافقة اخوته له على ذلك وذلك سنة ٣٥٨هـ ثم ثار بهم أخوه فأخرجه

---

(١) كتاب القرامطة لدى خويه ص ٩٢ .
(٢) الكامل لابن الاثير ١٤٧/٨ ، النجوم الزاهرة لابن تغرى بردى ٢٨١/٣ .
(٣) أخبار الأول للاسحاقي ص ٩٩ .
(٤) المنتظم لابن الجوزى ٣٣٦/٦ .
(٥) انظر الى البداية والنهاية لابن كثير والكامل لابن الاثير والمنتظم لابن الجوزي والعبر لابن خلدون ودول الاسلام للذهبي في أحداث سنة ٣٣٩هـ .

من الاعتقال وقتل سابور ونفى اخوته واشياعهم الى جزيرة اوال[1] ولكن أحمد بن أبى سعيد الجنابى مالبث فترة طويلة حتى توفى بعد سنة من هذه الأحداث اى سنة ٣٥٩هـ وآلت أمور دولتهم وقيادتها الى ابنه الحسن الملقب بالأعصم .

(٣) الحسن بن أحمد بن أبى سعيد الجنابى الملقب (بالاعصم)

تولى زعامة القرامطة سنة ٣٥٩هـ وعلى يده بدات فترة من فترات القوة والتوسع اشبه بفترة سابقيه أبى سعيد وأبى طاهر القرمطيان . ولذا يصفه ابن خلدون بقوله : انها طالت مدته وعظمت وقائعه ونفى جمعا كثيرا من ولد أبى طاهر[2] .

اشتهر بعدائه فى أول الأمر للأئمة العبيديين مما يوهم تنازله عن مذهبه الاسماعيلى واقترابه من العباسيين ومن مظاهر ذلك :

(١) لعن المعز العبيدى (الامام الرابع من أئمة الاسماعيلية فى دور الظهور) .

(٢) رفع شعار العباسيين واعلامهم والدعوة لهم على المنابر .

(٣) اعلانهم الرجوع الى الحق بالاعلام المرفوعة والمكتوب عليها (السادة الراجعون الى الحق) .

(٤) واخيرا المعارك الدموية بينه وبين العبيديين .

ان جميع هذه المظاهر طابعها مصالح فردية واطماع سياسية للحسن الأعصم لوح بها وناور عليها من غير نبذ للعقائد والأفكار التى تلقاها وآمن بها من دعاة وأئمة

---

(١) العبر لابن خلدون ١٩٢/٤ وتقع هذه الجزيرة فى وسط الخليج العربى .
(٢) العبر لابن خلدون ١٩٢/٤ .

المذهب الاسماعيلى . (١)

ويتضح ذلك ويدل عليه أن الحسن الأعصم – كما ذكر أبو يعلى فى ذيله لتاريخ دمشق – فى آخر حياته اصطلح مع العبيديين وتقرر الأمر أن يدفع الحاكم العبيدى له ثلاثين ألف دينار وتحمل اليه كل سنة ويكونوا – أى القرامطة – على الطاعة والموادعة وقد توجه جوهر القائد وقاضى الرملة الى الحسن القرمطى واستحلفاه للعزيز على الوفاء والمصلحة واخذا له المواثيق المسدودة المؤكدة وأعطياه المال والخلع والحملان وانصرف الى الاحساء وعاد العزيز الى مصر ولم يزل المال المقرر للقرمطى يحمل اليه فى كل سنة على يد أبى المنجا صاحبه الى أن مات . (٢)

كما أن قرامطة البحرين بعد وفاة الحسن رجعوا الى كنف الفاطميين وعملوا على محاربة العباسيين والقيام بهجمات على أراضى الدولة العباسية حتى هاجموا الكوفة وملكوها (٣) . وقد توفى الحسن الأعصم فى طريق عودته الى الاحساء فى مدينة الرملة بفلسطين وكان ذلك سنة ست وستين وثلاثمائة ٣٦٦هـ (٤) .

وبعد موت الحسن تبدأ فترة الضعف لدولتهم ثم الزوال النهائى فى موقعة الخندق التى تعتبر من المواقع الحاسمة فى التاريخ لأنها قضت على دولة القرامطة الذين ظلوا زهاء قرنين مصدر رعب وفزع وكان ذلك سنة ٤٧٠هـ ومما شجع

---

(١) انظر بالتفصيل أطروحتى للماجستير بعنوان القرامطة وآراؤهم الاعتقادية ص ٢٣٨-٢٥٢ حيث تحدثت بالتفصيل عن هذه الأحداث التى تظاهر بها الحسن القرمطى ونقلت أقوال المؤرخين والمحللين لهذه الأحداث مع الدراسة والترجيح لما تهدف اليه هذه التصرفات .
(٢) انظر ذيل تاريخ دمشق لأبى يعلى ص ٢٠-٢١ .
(٣) انظر اتعاظ الحنفا للمقريزى ٢٠٦/١ .
(٤) فوات الوفيات للكتبى ٣١٨/١ .

المسلمين وأهل السنة على قتال القرامطة والقضاء عليهم ان القادة من السلاجقة والعباسيين كانوا يهدفون فى معركتهم هذه ـ كما ذكر ابن الجوزى ـ الى جهاد المبطلين والقرامطة الملحدين واستئصال ذكرهم وتطهير تلك البقعة من دنس كفرهم (١) .

(٢) قرامطة اليمن :

اشتهر اليمن بكثرة المذاهب والطوائف ولاسيما فرق الشيعة الذين وجدوا فى عهود مبكرة بل ان مؤسس مذهب الشيعة ابن سبأ أصله وموطنه من اليمن . ولاغرو والأمر هكذا أن نجد وصية لأحد أئمة الاسماعيلية المستورين موجهة الى الداعى ابن حوشب وفيها قوله : الى عدن لاعة فاقصد وعليها فاعتمد فمنها يظهر أمرنا وفيها تعز دولتنا ومنها تفترق دعاتنا (٢) .

ولذا كان دعاة الاسماعيلية يعتقدون أن دولة المهدى ستظهر فى بلادهم (٣) . وحمل أن تمكن ابن حوشب من اقامة دولة اسماعيلية هنالك لكن المهدى عدل عن اليمن لنجاح الدعوة اكثر فى المغرب محققا رغبة ابيه فى اقامة دولته بالمغرب حين قال له مشيرا الى نجاح ابن حوشب فى اليمن : هذه دولتك قد قامت لكن لا احب ظهورها الا من المغرب (٤) .

---

(١) مخطوطة مرآة الزمان لابن الجوزى كما نقل ذلك الدكتور حسن ابراهيم حسن فى كتابه تاريخ الاسلام ٢٥٨/٤ .

(٢) رسالة افتتاح الدعوة للقاضى الاسماعيلى بن حيون ص ٤١

(٣) هو أول داعية للاسماعيلية فى اليمن أرسله امام الاسماعيلية الى اليمن فى سنة ٢٦٨هـ مع على بن الفضل القرمطى اختلف فى اسمه كثيرا واشهرها رستم بن الحسين ابن فرج بن حوشب بن زاذان النجار ويكنى بمنصور اليمن وهذه الكنية صفة يقصد بها ـ كما قال القاضى النعمان ما اتيح له فيها من النصر . انظر اتعاظ الحنفا للمقريزى ٤٠/١-٥١ ، افتتاح الدعوة للقاضى الاسماعيلى ابن حيون ص ٣٢-٤٤ .

(٤) السلوك فى طبقات العلماء والملوك للجندى ص ١٦٧ .

ويعلق محمد كامل حسين على جهود ابن حوشب واقامته دولة للاسماعيلية بقوله : ولعل أول حركة اسماعيلية ناجحة هي تلك الحركة التي قامت ببلاد اليمن حيث ان الداعي ابن حوشب استطاع أن يؤسس باسم الامام الاسماعيلي المنتظر أول دولة اسماعيلية في التاريخ .(١)

وكان حليفه وشريكه في الدعوة على بن الفضل القرمطي وقد توجها الى اليمن وبدآ بالدعوة سرا لمدة سنتين ثم اظهرا دعوتهما الاسماعيلية سنة سبعين ومائتين .(٢)

وقد نهج الداعيان في أول الأمر منهجا واحدا في نشر الدعوة الاسماعيلية وبسط نفوذها فاتخذا الدين وسيلة لنشر هذا النفوذ واظهر كل منهما الزهد والتقشف والصلاح ابتغاء الوصول الى غايتيهما .(٣)

وظلت الدعوة الاسماعيلية تنتشر ويكثر اتباعها في اليمن حتى طمع ابن الفضل القرمطي في الاستقلال – أول الأمر – نتيجة كثرة أتباعه ثم استولى على أجزاء كبيرة من اليمن أقام فيها دولته القرمطية مستقلا بها عن ابن حوشب وكانت عاصمته المذيخرة .(٤)

وقد قصدها في سنة احدى وتسعين ومائتين وتقاتل مع أهلها وهزموه لكنه عاد في السنة التي تليها بعد أن جمع جموعا كثيرة واستولى عليها وعلى بعض الحصون وانهزم حاكمها المناخي وقويت شوكة القرامطة باستيلاءهم على بلاد المناخي .(٥)

---

(١) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٢٤ .
(٢) افتتاح الدعوة للقاضي بن حيون ص ٤٤ .
(٣) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص ٢٨ .
(٤) عاصمة قرامطة اليمن وأصلها قلعة حصينة في رأس جبل وهي من أعمال صنعاء وقريبة من عدن .
(٥) مخطوطة الكفاية والاعلام للخزرجي ورقة ٢٤ .

ولذا يقول الجندى عنه : ان ابن الفضل لما صار بالمذيخرة أعجبته فأظهر بهامذهبه وجعلها دار ملكه (١) .

اخذت حركة القرامطة تنتشر فى اليمن فبعد أن استولى على بلاد المناخي وجعلها مستقر ملكه نراه ينهض الى المدن والحصون الأخرى كزبيد وصنعاء ثم يسير نحو ذمار حيث استطاع استمالة صاحبها عن طريق المكاتبة حتى والاه ودخل فى ملته وقرمطته (٢) .

وبعد هذه المعارك التى كان نتيجتها - كما ذكرنا آنفا - الاستيلاء على أجزاء كبيرة من اليمن رأى أن الأمر قد استحكم له فخلع - كما يظهر- طاعة عبيد الله المهدى وجفا صاحبه ابن حوشب واخذ الأخير يعاتبه ومما قاله له : كيف تخلع طاعة من لم تنل خيرا الا به وتترك الدعاء اليه أما تذكر مابينك وبينه من العهود والمواثيق وما اخذ علينا جميعا من الوصية على الاتفاق وعدم الافتراق فلم يلتفت الى قوله وكتب اليه انما هذه الدنيا شاة ومن ظفر بها افترسها ولى بابى سعيد الجنابى اسوة لأنه خلع ميمونا وابنه ودعا الى نفسه وأنا أدعو الى نفسى (٣) .

وزيادة على ضلال دعاة الاسماعيلية فقد وصفوا ابن الفضل بالكفر والاصرار والاستكبار فيقول عنه الداعى ادريس : انه ممن آمن ثم كفر ودخل فى الدعوة ثم خرج منها وأصر واستكبر وكثير ممن ظن به الخير خالف ماظن فيه (٤) .

---

(١) تاريخ اليمن لحسن محمود ص ١٦٩ .
(٢) غاية الأمانى ليحيى بن الحسين ص ١٩٥ ، كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ٣٢ .
(٣) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ٣٣ .
(٤) عيون الأخبار للداعى ادريس ص ٣٩٩ .

ويقول قاضي الاسماعيلية بن حيون عنه : ان علي بن الفضل انسلخ من أمر الله وأمر أوليائه واستحل المحارم ورفض الظاهر ودعا الناس الى الاباحات كما انه حارب أبا القاسم ومات على ذلك من غيه وضلاله (١) .

وقد توفي سنة ٣٠٣هـ وبوفاته تضعف دولة القرامطة في اليمن حيث سقطت المذيخرة على يد أسعد بن ابي يعفر الذي يصفه الحمادي بقوله : ان من شدة عزمه وحزمه وتقميه انه ماحل عدته ولاسلاحه بل يصلي وعليه عدته وسلاحه حتى فتح الله عليه وقتل القرامطة وأحيا الاسلام (٢) .

وبعد سقوط المذيخرة اخذ حكام اليمن يتتبعون بقايا القرامطة في أماكنهم المتعددة للقضاء عليهم وقطع دابرهم وكان آخرهم داعيان ظهرا في سنة ٣١٩هـ ولكن أسعد بن أبي يعفر وجه القواد والعساكر في وجوههم فقتلوهما وغنم المسلمون ماكان معهم (٣) . وبالقضاء على هذين الرجلين تنحل قوة القرامطة وتزول دولتهم من اليمن نهائيا بعد ان عاثوا في الأرض فسادا وقتالا وانتهاكا للحرمات مايقرب من خمسين عاما حيث ابتدأ أمرهم وظهرت دعوتهم سنة سبعين ومائتين وانحلت دولتهم وقضي عليها نهائيا عام ٣١٩هـ .

---

(١) افتتاح الدعوة للقاضي بن حيون ص ١٥٠ .
(٢) كشف أسرار الباطنية للحمادي ص ٣٧-٣٨ .
(٣) سيرة الهادي الى الحق ص ٤٠٦ ، غاية الأماني ٢١٤/١ .

(٢) دولة العبيديين (الفاطميين) :

تعتبر اكبر دولة اسماعيلية من حيث اتساعها وطول فترتها حيث شملت معظم أفريقيا وبلاد الشام والحجاز فى معظم الفترات كما انها استمرت مايقرب من ثلاثة قرون تعاقب عليها عدد من الحكام والزعماء يصل عددهم الى أربعة عشر حاكما .

وبدايتها كانت على يد عبيد الله المهدى الامام الاسماعيلى الأول فى فترة أئمتهم الظاهرين حيث لحق بأتباعه ودعاته فى المغرب واستطاع أن يؤسس هذه الدولة التى سميت بالدولة الفاطمية فى عام ٢٩٧هـ . وهى فى الحقيقة نتاج وصورة واقعية للدعوة الاسماعيلية التى ابتدأت بعد وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٨هـ أى أن الدعوة استمرت مايقرب من قرن ونصف ثم بعد ذلك قامت هذه الدولة لتحميها وتنشرها بين الناس جهرا .

وقد قامت هذه الدولة فى أول أمرها فى المغرب واتخذ حكامها القيروان عاصمة لهم فى أول الأمر ثم بنوا مدينة المهدية وأصبحت عاصمتهم فيما بعد الى أن نقلوا زعامتهم الى الديار المصرية فبنوا القاهرة واتخذوها عاصمتهم وكان ذلك فى عهد المعز الامام الرابع من أئمتهم الظاهرين وقد تعاقب على امامة هذه الدولة الاسماعيلية أربعة عشر شخصا ثلاثة منهم فى المغرب واحد عشر فى مصر كان آخرهم العاضد الذى مات سنة سبع وستين وخمسمائة ٥٦٧هـ (١) .

---

(١) سبق أن تحدثت عن كل زعيم من زعمائهم بالتفصيل وذلك فى القسم الأول من الرسالة ص ٣٣٧-٣٦٩ .

وكانت نهاية هذه الدولة الباطنية على يد البطل المجاهد صلاح الدين الأيوبى رحمه الله ولذا يقول الذهبى : وتلاشى أمر العاضد مع صلاح الدين الى أن خلعه وخطب لبنى العباس واستأصل شأفة بنى عبيد ومحق دولة الرفض وكانوا أربعة عشر متخلفا لاخليفة والعاضد فى اللغة هو القاطع فكان هذا عاضدا لدولة أهل بيته (١) .

ويقال عن دولتهم هذه الدولة العلوية أو الدولة الفاطمية وحقيقتها كما اثبت أهل السنة والجماعة أن تسمى بالدولة اليهودية أو الدولة المجوسية الملحدة الباطنية أو الدولة العبيدية وهو أشهرها (٢) .

(٣) دولة المليحيين فى اليمن :

سبق أن ذكرنا عند حديثنا عن دولة القرامطة فى اليمن أن الدعوة الاسماعيلية انتشرت بجهود ابن حوشب ابن الفضل وقد تأسست بذلك أول دولة اسماعيلية فى اليمن ولكنها لم تدم طويلا لاختلاف الداعيين ولثورة القبائل ضد الدعوة الباطنية ولكن ـ وبعد مايقرب من مائة وعشرين عاما ـ قامت دولة أخرى للاسماعيلية بقيادة داع من دعاة الباطنية يسمى بعلى بن محمد المليحى (٣) حيث استطاع هذا الداعى أن يكون فرقة

---

(١) سير أعلام النبلاء للذهبى ١٥/٢١١-٢١٢ .
(٢) سبق أن نقلنا نصوص العلماء وأدلتهم على هذه الاطلاقات والمسميات وذلك فى ص ٢٩٣-٢٩٤، ٣٦٨ من القسم الأول من الرسالة .
(٣) ينسب الى قبيلة الاصلوح من بلاد حراز كان أبوه سنيا قاضيا شافعى المذهب ولد المليحى سنة ٤٠٣هـ وقد وقع بينه وبين داعية الاسماعيلية فى اليمن ويدعى بعامر الزواحى ـ كما ذكر الحمادى وليس الرواحى كما يذكر البعض ـ صلة وعلاقة متينة تمكن هذا الداعى الى =

اسماعيلية فى اليمن تسمى الاسماعيلية المستعلية نسبة الى المستعلى ومن جراء ذلك تكونت لهذه الفرقة دولة احتضنتها ونشرتها وسميت بالدولة المليحية نسبة الى هذا الداعى .

وقد بدات دعوة المليحى باسم الامام الفاطمى المستنصر صاحب مصر ولكن حينما قتل الآمر رفض الاسماعيلية باليمن الاعتراف بامامة خلفه الحافظ عبد المجيد لأن امامته غير شرعية وزعموا - كما فصلنا القول من قبل - أن للآمر ولدا وأن احدى زوجاته كانت حاملا وانها وضعت طفلا ذكرا اسمه أبو القاسم ويلقب بالطيب بن الآمر وأن أحد الدعاة خاف عليه فهرب به الى اليمن ومن ثم نادى اسماعيلية اليمن بامامته وتكفل المليحيون بكفالة هذا الامام وأبنائه الذين دخلوا جميعا فى دور الستر (١) ، وقد كان هذا الحدث بداية لانفصال الدولة المليحية باليمن عن الشيعة الفاطميين فى مصر (٢) .

وكانت بداية هذه الدولة سنة ٤٣٩هـ حيث قام الداعى المليحى بثورة فى هذه السنة استطاع بها أن يخضع بعض قلاع اليمن وحصونه لسلطانه واستمر فى غزو مدن اليمن ومخاليفه حتى دانت له كلها فى سنة ٤٥٥هـ (٣) .

لم يكتف الداعى المليحى ببسط نفوذ دولته على اليمن بل تطلع الى ضم الحجاز والعراق . واتخذ من ميدان الحج

= صرفه لمذهب الاسماعيلية حتى غرس فى قلبه محبة المذهب واعتناقه ولما أيقن الداعى الاسماعيلى بايمانه بمذهبه اوصى بجميع كتبه عندما حضرته الوفاة للمليحى وجعله خليفته فى الدعوة بعد موافقة الامام المستنصر العبيدى وذلك لما توسمه فيه من مخايل النجابة والذكاء مع اعتناقه لمذهب الاسماعيلية وقد قتل فى سنة ٤٧٣هـ .
انظر أعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٤٠٢-٤٠٣-٤٠٦ .

(١) راجع ص ٣٦٣ من القسم الأول من الرسالة .
(٢) دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ٢٢٤-٢٢٥ .
(٣) طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص ٤٨-٤٩ .

والاتصال بالحجاج وسيلة لذلك حيث صار يحج بالناس عن طريق السراة والطائف نحوا من خمس عشرة سنة ينشر فيها مذهبه ودعوته وانتشر بذلك ذكره حيث انضم اليه بعض بطون القبائل التى عمها الجهل والتخلف وبذلك تمكن من ضم الحجاز الى دولته واعادة الخطبة الى الحكام العبيديين وقطعها عن الخلفاء العباسيين (١).

وتطلع بعد ذلك الى الاستيلاء على العراق وضمها الى مملكته لكن الله عز وجعل عاجله بالمنية حيث قتل عام ٤٥٩هـ هذا على رأى الاسماعيلية (٢) ويرى الحمادى اليمانى الذى عاش فى عهده انه قتل عام ٤٧٣هـ (٣).

وعلى كل حال فقد استمر الحكم فى أهل بيته باسم الامام الاسماعيلى بمصر الى أن تولت الحكم أروى المليحية التى كان لها دور كبير فى تثبيت دعائم الدولة وقوتها وبسط نفوذها .

ومن الجدير بالذكر أن دولة المليحى هذه دولة اسماعيلية باطنية كشف حقيقتها واظهر أسرارها محمد بن مالك الحمادى أحد علماء السنة فى اليمن فهو قد عاشرهم وعاش فى فترتهم بل انه ـ كما ذكر عن نفسه ـ اندس بينهم وتظاهر باتباعهم ثم سجل ماشاهد بعينيه وماسمع بأذنيه فى كتابه القيم (كشف أسرار الباطنية وأخبار القرامطة) يقول فى مقدمته : فرأيت أن أدخل فى مذهبه لأتيقن صدق ماقيل فيه من كذبه ولأطلع على سرائره وكتبه فلما تصفحت جميع مافيها وعرفت معانيها رأيت أن أبرهن .

---

(١) انظر اعلام الاسماعيلية لمصطفى غالب ص ٤٠٤-٤٠٥ .
(٢) المرجع السابق ص ٤٠٦ .
(٣) كشف أسرار الباطنية للحمادى اليمانى ص ٤٤ .

على ذلك ليعلم المسلمون عمدة مقالته واكشف لهم عن كفره وضلالته نصيحة لله وللمسلمين وتحذيرا ممن يحاول بغض هذا الدين والله موهن كيد الكافرين .(١)

ثم بعد ذلك يذكر تعاليم هذا الباطنى وأساليبه من التأويل الباطن واسقاط الواجبات والولوغ فى المحظورات والمراحل التى يمر بها المدعو المخدوع الى أن يمل الى سلخه من الاسلام .(٢)

وفى آخر الكتاب يبين غرضه من هذه الدعوة بقوله : فانه وأهل مذهبه يستدرجون العقول لقد سمعته مرارا وأسفارا وهو يقول لأصحابه قد قرب كشف مانحن نخفيه وزوال هذه الشريعة المحمدية .

كما يقول الحمادى أيضا عن المليحى : وقصارى أمره ابطال الشرائع وتحليل جميع المحارم فسارع اليه من لم يكن له بالشرع معرفة لأنه صادف أكثر الناس عواما فأجابه الى دعوته الرعاع والطغام .(٣)

وبعد وفاة المليحى تسلم الحكم أحد أبنائه ويدعى بالمكرم ولم تكن فى عهده أحداث تذكر الى أن تولت أروى بنت أحمد المليحية الملقبة بالملكة الحرة وفى عهدها تمكنت من اعادة قوة الدولة المليحية والاهتمام بنشر الدعوة الاسماعيلية أكثر ومن الأحداث التاريخية فى عهدها ـ مما له مدلول مذهبى ـ انها ادعت ان زوجة الآمر المقتول الذى سبق

---

(١) كشف أسرار الباطنية للحمادى ص ١١ ، كما ذكر المؤلف أيضا تظاهره بدخول المذهب فى آخر رسالته ص ٤٤ .
(٢) المرجع السابق ص ١١-١٥ .
(٣) المرجع السابق ص ٤٣-٤٤ .

وأن ذكرنا بأنه هلك ولم يعقب كانت حاملا ووضعت طفلا ذكرا[(١)] اسمه الطيب بن الآمر فالامامة اذن لهذا الطفل الذى خاف عليه أحد الدعاة فأخفاه عن الحافظ وأرسله فى مقطف الى الملكة أروى المليحية فأخفته وجعلت نفسها كفيلة عليه ونائبة عنه فى تولى شؤون الدعوة الاسماعيلية واتخذت لنفسها لقب (كفيلة الامام المستور الطيب بن الآمر) وهذه القصة أو الاسطورة الخيالية - كما يسميها الدكتور محمد كامل حسين[(٢)] - تؤيد ماأشرنا اليه من قبل من رغبة المليحيين بالانفصال عن الدولة العبيدية فى مصر حيث أصبح يطلق على الدعوة فى اليمن الاسماعيلية الطيبية نسبة الى هذا الطفل المزعوم ويؤيد ذلك ما استنتجه الدكتور محمد كامل حسين بعد سوقه لهذه القصة وسكوت المؤرخين عن نسل للآمر بقوله : يخيل الى أن المليحيين وضعوا قصة الآمر هذه حتى يتخذوها ذريعة للانفصال عن سلطان الفاطميين الدينى وأن يستقلوا بالنفوذ الدينى والسياسى معا وأوحى دهاء الملكة وذكاؤها الشديد وحرصها على أن تجمع فى يدها السلطتين السياسية والدينية الى انها كافل الامام المستور وحجته الكبرى وسار على نهجها كل داع مطلق فى الدعوة الى الآن[(٣)] .

ومع هذا الانفصال السياسى فان التعاليم المذهبية للشيعة الاسماعيلية هى أساس الدولة المليحية وركيزتها وكان دعاة المذهب الاسماعيلى وأئمته يباركون خطوات المليحية ويوجهون لها الأوامر والتعاليم المذهبية ويحيطونها بهالة

---

(١) راجع ص ٣٦٤-٣٦٥ من الرسالة ، القسم الأول .
(٢) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٤٩-٥٠ .
(٣) طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٥١ .

من الالقاب والمسميات كما انها كانت تبعث لهم الأموال والهدايا . وقد توفيت عام ٥٣٢هـ وبعد وفاتها بدأ أمر الدولة المليحية يضعف حتى انقرضت عام ٥٦٣هـ (١) ، فتكون هذه الدولة الاسماعيلية فى اليمن قد بقيت مايقرب من مائة وأربعة وعشرين عاما وبعد انقراضها لم يقم اتباعها بأى نشاط سياسى بل ركنوا الى التجارة واتخذوا الستر والتقية منهجا لهم وكان اشتغالهم بالتجارة سببا فى نشر دعوتهم فى الهند فى ولاية جوجرات حيث ظهر بعد ذلك مسمى جديد لهم هو البهرة ومعناه التجار .

(٤) دولة الحشاشين أو الفدائيين :

قامت هذه الدولة الاسماعيلية في جنوب فارس وذلك بعد انقسام الاسماعيلية الى مستعلية ونزارية حيث انتصر مؤسس هذه الدولة الحسن الصباح (٢) لنزار واصبح يدعو له ولأبنائه من بعده وجعل من نفسه نائبا للامام المستور من ولد نزار ولذا

---

(١) دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ٢٢٥ .

(٢) يسمى بالحسن الصباح الحميرى ولد فى مدينة قم سنة ٤٤٥هـ أبوه من دعاة الاسماعيلية وقيل انه من الشيعة الاثنى عشرية وعلى كل فقد اعتنق الحسن مذهب الاسماعيلية على يد داعية اسماعيلي يدعى بعبد الملك ابن عطاش كان قد فر من أصفهان نتيجة الحاده وباطنيته ثم التقى بالحسن الصباح وأثر عليه حتى أنه رشحه لنيابة الدعوة هنالك ثم أرسله الى المستنصر فى مصر للبيعة وقد اشتهر الحسن بعد ذلك بالارهاب والبطش والاغتيال مع الدعوة الى الالحاد والباطنية وعلى ضوء ذلك أقام دولة للاسماعيلية فى ايران وقد هلك عام ٥١٨هـ . انظر الحسن الصباح لمصطفى غالب ص ٣٣-٤٥ ، طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص ٦٧ ، دولة الاسماعيلية فى ايران لمحمد السعيد ص ٩٤-٩٥ .

يطلق عليهم الاسماعلية النزارية .(١)

استطاع الحسن الصباح أن يستغل الدعوة النزارية لمآربه وأهدافه فأصاب نجاحا بعيدا فما فكر فيه حيث تمكن من اقامة وتأسيس دولة اسماعيلية فريدة من نوعها مكونة من عدة قلاع وحصون متفرقة وأقام داخل هذه القلاع والحصون مجتمعات اسماعيلية بحتة يحيطها السر والكتمان .(٢)

واستطاع ابن الصباح بحيلة جريئة أن يستولى على الحصن الجبلى المنيع المسمى فى كتب التاريخ (بقلعة الموت)(٣) وذلك

---

(١) اطلق على هذه الدولة الاسماعيلية عدة اطلاقات منها الدولة النزارية نسبة الى الامام العبيدى فى مصر (نزار) ومنها دولة الحشاشين نسبة الى تعاطيهم مادة مخدرة أشبه بالحشيشة . ومنها دولة الفدائيين لافتدائهم حياتهم بنصرة مذهبهم وزعيمهم الحسن الصباح .
كما تسمى دولتهم بالاسماعيلية الشرقية نسبة الى قيامها فى الشرق حيث ان مكانها فى خراسان الواقع شرق العراق وبلاد الشام . كما تسمى بالدعوة الجديدة تمييزا لها عن دعوة الاسماعيلية القديمة . كما تسمى بالتعليمية والملاحدة والسبعية والسفاكين وجميع هذه التسميات مطابقة لواقعهم فبعضها نسبة الى معتقداتهم أو الحكم عليهم أو وسائلهم فى نشر دعوتهم من السفك والبطش واسالة الدماء .
انظر عن هذه الأسماء الملل والنحل للشهرستانى ١٩٢/١-١٩٥ ، العبر لابن خلدون ٣١/٥ ، صبح الأعشى للقلقشندى ١٢٠/١ ، طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٦٢-٦٣ ، دراسة عن الفرق لأحمد جلى ص ٣٠٢ ، ويطلق عليها بعض الكتاب المعاصرين (بدولة الاسماعيلية فى ايران) انظر كتاب دولة الاسماعيلية فى ايران للدكتور محمد السعيد جمال الدين كما يطلق عليها المستشرق برنارد لويس (الدعوة الاسماعيلية الجديدة الحشيشية) وذلك عنوان كتابه .

(٢) العبر لابن خلدون ٣١/٥ .

(٣) قلعة حصينة تقع بين بحر قزوين وبحر الخزر وهى على رأس جبل وحولها وهاد لايمكن نصب المنجنيق عليها ولا النشاب يبلغها وهى كرسى ملك الاسماعيلية وسميت بهذا الاسم لأن ملكا من ملوك الديلم أرسل عقابا للصيد فتبعه حتى وصل موضع هذه القلعة فوجده موضعا حصينا فأمر ببناء قلعة وسماها اله اموت أى تعليم العقاب بلسان الديلم .
انظر الكامل فى التاريخ لابن الأثير ٢٠١/٨-٢٠٢ ، وعن قصة استيلائه عليها يرجع الى طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٧٠ .

فى عام ٤٨٣هـ كما نص على ذلك الشهرستانى بقوله : ان أصحاب الدعوة الجديدة تنكبوا طريقة من سبقهم من الباطنية حين أظهر الحسن بن محمد بن الصباح دعوته وقصر على الالزامات كلمته واستظهر بالرجال وتحصن بالقلاع . وكان بدء صعوده على قلعة الموت فى شهر شعبان سنة ثلاث وثمانين وأربعمائة وذلك بعد أن هاجر الى بلاد امامه وتلقى منه كيفية الدعوى لأبناء زمانه فعاد ودعا الناس أول دعوة الى تعيين امام صادق قائم فى كل زمان .(١)

وبعد استيلائه على هذه القلعة أخذ يرسل دعاته ومؤيديه الى القلاع والحصون الأخرى للتأثير على سكانها وحراسها وقد تمكن هؤلاء الدعاة من التأثير على عدد كبير من هؤلاء ولاسيما طبقة الجند واستطاع ابن الصباح بعد ذلك أن يضم عدة حصون وقلاع الى دولته الجديدة فأصبحت تخضع له مئات من الحصون والقلاع القوية فى أقاليم رود بارد وقوهستان والطالقان وغيرها .

وبعد أن استتب الأمر له باشر العمل فى تنظيم دولته فبدأ فى تدريب مجموعة من أتباعه ونظمهم تنظيما محكما قائما على السرية التامة والطاعة العمياء وأطلق عليهم مسمى (الفداوية) وكانت مهمة هؤلاء اشاعة الرعب والفزع بين الناس كما كانت مهمتهم اغتيال خصومه من العلماء والزعماء

---

(١) الملل والنحل للشهرستانى ١٩٥/١ . أما تفصيل استيلاء ابن الصباح على هذه القلعة فذكره ابن الأثير فى كتابه الكامل فى التاريخ ٣١٧/١٠ .

والقادة ومن ضحايا هؤلاء الوزير السلجوقي نظام الملك [١] وعدد كثير من الوزراء والأمراء حتى وصلوا الى الأمير المجاهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله حيث حاول قتله فداوية الباطنية في الشام لكنهم فشلوا لقوة صلاح الدين ولبسه الدروع والمغافر [٢] .

وقد نال الحسن الصباح - كما يقول أحد المعاصرين - من أحداث الفداوية شهرة مرعبة فأوقعوا الخلل والتوتر في نفوس المخالفين لمذهبهم حتى انعدم الأمن ووصل الأمر الى أن الملوك والسلاطين لم يجدوا في حفظ أنفسهم من الفداوية حيلة ويبدو ان الفداوية لم يكونوا يهتمون بنوع العمل الذى يكلفون بالقيام به بقدر ماكان يهمهم الهدف النهائي من تحقيقه . وكان هذا الهدف بالطبع هو ايقاع التوتر والاضطراب في صفوف أعداء مذهبهم . ولقد عول الفداوية على اصطياد الشخصيات السياسية البارزة في الدولة السلجوقية بالقتل والاغتيال فجردوها من قوتها الفعالة وعقولها المدبرة مما أفضى بها الى المسارعة الى نهايتها المؤسفة [٣] .

ويقول عنان عن هؤلاء الفداوية : ان جمعيتهم أعظم جمعية سرية ثورية عرفها الاسلام تلك التى لبثت زهاء قرن ونصف ترعب الدول الاسلامية من فارس الى الشام وحثت جموع البسطاء والدهماء باسم الدين لتحقيق أغراض سياسية واعتمدت في

---

(١) وزير سني من وزراء السلاجقة تنسب اليه المدارس النظامية لأنه هو الذى بناها وشيدها وقد وثب اليه أحد دعاة الحسن الصباح في صورة مستغيث ولما اقترب منه طعنه بكين وقتله وكان ذلك عام ٤٨٥هـ وهو أول ضحية لهذه المجموعة الارهابية التى وصلت ضحاياها الى خمسين ضحية اغتيالا . انظر كتاب الحشيشة ص ٦٦ .

(٢) البداية والنهاية لابن كثير ٢٩٣/١٢ ، دول الاسلام للذهبي ٨٥/٥ ، الكامل لابن الاثير ٤٣٠/١١ .

(٣) دولة الاسماعيلية في ايران لمحمد السعيد ص ١١٢ .

محاربة خصومها على الاغتيال الخفى المنظم وهم شعبة من غلاة الشيعة استخرجت مبادئها من القرامطة فهى بذلك طور من أطوار الدعوة الثورية الهادفة التى نظمها ابن ميمون وتتمة لها (١) .

ووصل الأمر بهؤلاء الفداوية الى انهم يعتقدون ان الموت فى سبيل تحقيق أغراض الشيخ ابن الصباح على صوره المروعة أشرف ميتة وفيها توكيد لضمان السعادة حتى ان أمهات الفدائيين كن يبكين اذا عاد اليهن أبناؤهن أحياء يرزقون (٢) .

ويرى الدكتور محمد كامل حسين أن الحسن الصباغ اقتبس هذا النظام من الامام الاسماعيلى وذلك حينما قابله بمصر ورأى مجموعة من الشبان جمعهم المستنصر فى قصره ورباهم تربية خاصة . فأعجب الحسن بهذا النظام وطبقه فى دولته الجديدة فى الألموت وكان ابن الصباح صارما فى تنشئة هؤلاء الأطفال على هذا النحو قاسيا عليهم أشد القسوة حتى استطاع أن ينجح فى اعداد طائفة من الفدائيين أفزعوا العالم الاسلامى كله ونتيجة لذلك أطلق عليهم اسم "السفاكين" لما قاموا به من بطش وسفك للدماء (٣) .

وبعد استيلائه على قلعة الموت وتكوينه قوة حربية من السفاكين أخذ يستولى على القلاع والحصون المجاورة له ولم يمض وقت طويل حتى كان ابن الصباح قد استولى على المنطقة الواقعة جنوبى بحر قزوين برمتها بعد أن سيطر دعاته على القلاع المتناثرة فى ارجائها والتى تبلغ نحو الستين قلعة (٤) .

---

(١) تاريخ الجمعيات السرية والحركات الهدامة ص ٤٥ .
(٢) تاريخ الاسلام السياسى لحسن ابراهيم ٤/٢٧٥-٢٧٦ .
(٣) انظر كتاب طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل حسين ص ٧٣-٧٤
(٤) دولة الاسماعيلية فى ايران ص ١٠٣-١٠٤ .

وكانت المناطق التى تسيطر عليها هذه القلاع جميعا تمثل رقعة واحدة من الأرض تقع جنوبى بحر قزوين وتمتد فتشمل الطالقان فى الجنوب الشرقى حتى حدود قزوين جنوبا كما تمتد غربا حتى بهرام اباد وورود بار على الحدود المتاخمة لشرقى أذربيجان وذلك يعنى أن المناطق التى سيطر عليها الاسماعيلية كانت ذات حدود سياسية تفصلها عن المناطق المجاورة لها والتى تقع تحت سيطرة غيرهم . غير ان هناك ولاية تقع خارج نطاق هذه الحدود استطاع الاسماعيلية الاستيلاء عليها وهى ولاية قهستان المجاورة لخراسان منذ سنة ٤٨٤هـ فأصبحت تابعة للدولة وظل حكامها المحليون يتبعون ملوك الاسماعيلية فى ألموت حتى قضى عليهم المغول . والملاحظ أن بعض المؤرخين القدامى وفى مقدمتهم ابن الأثير يطلقون على المناطق التى كان يحكمها الاسماعيلية فى ايران اسم "بلاد الاسماعيلية" ويقول ابن ميسر فى هذا الصدد : ثم امتدت مملكته (يعنى ابن الصباح) بعد وفاته فصار لهم عدة بلاد ومملكة طويلة الى حد شرقى أذربيجان وبحر طبرستان وجرجان ولهم بخراسان مدينة كبيرة يقال لها رشيش .(١)

وقد ظل الحسن الصباح قائما على أمور الدعوة النزارية يرعاها ويمدها بتوجيهاته وتعليماته الاسماعيلية الجديدة الى أن احس بقرب أجله فاستدعى اثنين من أعوانه(٢)

---

(١) المرجع السابق ص ١٠٥-١٠٦ .

(٢) من أوضح الأمثلة لتعليمات ابن الصباح وأصوله المذهبية مانقله عالم الفرق والمقالات الشهرستانى عنهم مباشرة حيث كان معاصرا لهم (ولد سنة ٤٧٩هـ وتوفى سنة ٥٤٨هـ) فنقل نص رسالة كلامية ألفها ابن الصباح بالأعجمية وترجمها الشهرستانى الى اللغة العربية وهى مبتدا =

ومـن أشد أتباعه اخلاصا له ولدعوته وهما كيابزرك وأبو على داعى الدعاة فى قزوين وجعل وصيته اليهما من بعده فيتولى(١) الأول قيادة الفدائيين والأمور الدنيوية والثانى أمور الدعوة الروحية ففصل بذلك بين قيادة الدين وجعلها لأبى على الداعى وبين قيادة الدنيا وجعلها لكيابزرك(٢) ، وقد سارع الحسن ـ كما يقول الجوينى ـ ليلة الأربعاء السادس من ربيع الآخر سنة ٥١٨هـ الى نار الله وسقره(٣) .

وبعد وفاة الحسن بن الصباح تولى الرئاسة السياسية للاسماعيلية النزارية فى الألموت كيابزرك وقد تميز عهده بالحروب مع السلاجقة مما أدى الى تدهور قوة الاسماعيلية فى كثير من قلاعهم وانحسار دولتهم ولجأوا الى الاغتيال ، وكان من ضحاياه فى هذه الفترة الخليفة العباسى المسترشد بالله حيث انتهز جماعة من الفداوية والملاحدة فرصة خلو البلاط من

= وأصل دعوة ابن الصباح . وتعتبر وثيقة مهمة فى معرفة دعوة الاسماعيلية الجديدة . انظر الملل والنحل للشهرستانى ١/١٩٥-١٩٨ .

(١) من الملاحظ انهما من اتباع الحسن وليسا من أبنائه فهو ـ كما تثبته الروايات ـ لم يدع الامامة بل اعتبر نفسه داعيا من دعاة الامام الاسماعيلى نزار ولما قتل نزار أصبح يقول انه نائب للامام المستور من ولد نزار وسارت دعوته على هذا الادعاء حتى ادعى أحد حكام الألموت فيما بعد انهم من نسل نزار !! فكانه بهذا الاختيار يؤكد هذا الادعاء . أنظر تاريخ جهانكشاى ص ٢٠٢ . وفى رأى بعض الكتاب المعاصرين انه هلك ولم يكن له أولاد لأنه قتلهم بنفسه فى آخر حياته شراهة فى سفك الدماء التى اشتهر بها ولما لم يجد من عقبه من يخلفه فى حكم الاسماعيلية جعل وصيته لهذين الداعيين . انظر كتاب طائفة الاسماعيلية لمحمد كامل ص ٧٨-٧٩ .

(٢) طائفة الاسماعيلية ص ٧٩ . وانظر تاريخ جهانكشاى لعطا ملك الجوينى ص ٢٠٥-٢٠٦ وفيه مايدل على ان الأمر لأربعة من أتباعه أوصاهم بأن يتم تدبير الأمور بينهم باتفاق ويستصوب بعد ذلك رأيهم الى أن يأتى الامام الى ملكه .

(٣) تاريخ جهانكشاى للجوينى ص ٢٠٦ ضمن كتاب دولة الاسماعيلية فى ايران لمحمد السعيد .

الجند والحراس فدخلوا فجأة على أمير المؤمنين وطعنوه بالخناجر في السابع عشر من ذى القعدة سنة تسع وعشرين وخمسمائة . كما انهم اغتالوا ابنه من بعده وذلك بعد أن تسلم الخلافة عزم على السير من بغداد لقصد الملاحدة والثأر لدم أبيه فاصيب بمرض فى الطريق ووصل الى أصفهان وهو لايزال على حالته من الوهن فدخل عليه فى بلاطه جماعة من مخازيل الفداوية فجأة وطعنوه بالخناجر وكان ذلك سنة ٥٣٢هـ (١) .

وقد ظل كيابزرك فى حكم دولة الاسماعيلية مايزيد عن أربعة عشر عاما حيث سحق سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة تحت أقدام الهلاك واشتد لهيب الجحيم من حطب جثته (٢) .

وتولى الأمر من بعده ابنه محمد الذى جعله وليا لعهده قبل وفاته وقد سار على نهج سلفه فى متابعة قواعدهم الباطنية وبذل قصارى جهده فى ذلك الى أن توفى سنة سبع وخمسين وخمسمائة حيث بدأت بعده مرحلة جديدة ، ذلك أن المرحلة السابقة كان حكامها يقولون عن أنفسهم انهم دعاة الامام ، أما هذه المرحلة فقد ادعى صاحبها (الحسن بن محمد ابن كيابزرك) انه هو الامام – على الرغم من تحذير والده من هذه الدعوى بل واستتابة من يقول بها – وقد جاهر بهذه الفكرة بعد موت أبيه حين تسلم زعامة الطائفة (٣) .

فالحسن هذا يعتبر حفيدا لكيابزرك كما يطلق عليه الحسن الثانى تمييزا له عن الحسن الصباح مؤسس دولتهم وعلى

---

(١) المصدر السابق ص ٢٠٩-٢١٠ .
(٢) تاريخ جهانكشاى لعطا ملك الجوينى ص ٢٠٧ هامش رقم (١) ، ص ٢١٠ ضمن كتاب دولة الاسماعيلية فى ايران لمحمد السعيد جمال الدين .
(٣) المرجع السابق ص ٢١٢-٢١٣ .

الرغم من قصر فترته حيث تولى زعامة الطائفة سنة ٥٥٧هـ وتوفى عام ٥٦١هـ فانه جاء بتجديدات خطيرة لم يدع بها سلفه وقد قبلها الاسماعيلية النزارية على درجات متفاوتة فادعى أن الامام الاسماعيلي المستور أرسل اليه سرابرسالة مضمونها ان الحسن بن محمد بن بزرك أميد هو خليفتنا وداعينا وحجتنا وعلى شيعتي أن تطيعه فى أمور الدنيا والآخرة وأمره لايرد وكلمته كلمتنا وليعلموا أن مولانا شفع لهم وقربهم الى الله وقرأ رسالة بهذا المعنى مشحونة بمثل هذه الألفاظ ثم نزل من المنبر وصلى ركعتى العيد ثم مد سماطا وأجلس الناس ليفطروا من الصيام فأكلوا واستمتعوا كما يستمتع فى الأعياد وقال لهم اليوم هو العيد مع ان اليوم كان يوم ١٧ رمضان . ومنذ ذلك التاريخ أطلق الاسماعيلية فى الموت على يوم ١٧ رمضان اسم عيد القيامة وصاروا يحتفلون به فى كل عام ويشربون ويفرحون .

وبعد ذلك الاعلان الأول باسبوعين أصدر بيانا ثانيا فى مؤمن اباد بقهستان وقرأ رسالة أخرى أعلن فيها انه كما أن المستنصر كان خليفة اله فى الأرض فكذلك الحسن الثانى هو خليفة الله على الأرض وان الرئيس مظفر هو خليفة الحسن فى قهستان ويجب اطاعته فى كل شيء وهكذا أتى الحسن الثانى بتجديدات ثلاثة هى :

(١) انه أعلن نفسه خليفة لله فى أرضه ولم يعد مجرد داع كما كان أسلافه فى الألموت .

(٢) انه نسخ حكم الشريعة الاسلامية حيث أبطل العمل بالتكاليف الشرعية وأبطل الظاهر لجميع الأوامر والنواهى .

(٣) انه أعلن قيامة الموتى ونهاية الدنيا وأطلق على نفسه "قائم القيامة" وقسم الناس ازاء هذه المقولة الى قسمين :

(أ) الذين استجابوا لدعوته قد بعثوا الآن للحياة الباقية

(ب) الذين لم يستجيبوا له قد قضى عليهم بالفناء .

وابتداء من هذه اللحظة لقبه أتباعه بلقب "على ذكره السلام" وهو لفظ لايطلق عادة عند الاسماعيلية الا على الأئمة المستقرين (١) .

وبدعوة الحسن الثانى واعلانه عن نفسه أنه قائم القيامة تدخل الدعوة الاسماعيلية الشرقية فى دور جديد من أدوار عقائد هذه الطائفة وتقاليدها وهو دور عدم القيام بالفرائض والايغال فى الوقوع فى المحظورات . لأن الامام سيتحمل عنهم الحساب فهو قائم القيامة . أى الحكم بين الناس يوم القيامة ومهمة القائم هى ايجاد الجنة على الأرض فتسقط التكاليف . ولهذا دعا الى اسقاط التكاليف علنا حتى انه أوغل فى هذا الاتجاه فعاقب من يتبع التكاليف الشرعية (٢) .

ويبين الجوينى آثار هذه التعاليم على اسماعيلية الموت ومن ثم على مزخرفها (الحسن الثانى) بقوله : وباتباع هذا الطريق الذى هو سبيل الغواية والاغواء والابطال والاضلال غرق أولئك المدابير المخاذيل فى بحار الضلال وتحيروا فى بيداء الحيرة فمارسوا الاباحة والتزم غلاتهم عن عمد أو جهل

---

(١) مذاهب الاسلاميين للدكتور عبد الرحمن بدوى ٣٤٤/٢-٣٤٦ وبتفصيل أكثر عن هذه الخزعبلات والترهات تحدث مؤرخ معاصر لهم عنها وذكرها بصيغة المشاهدة والعيان وذلك فى تاريخ جهانكشاى لعطا ملك الجوينى ص ٢١٣-٢٢٣ .

(٢) طائفة الاسماعيلية ص ٨١-٨٢ ، مذاهب الاسلاميين ٣٤٦/٢ .

مذهب الاباحة وأطلق قوم الألوهية على أئمة ضلالهم الذين كانوا فى مرتبة أخس من البهائم والسباع والحشرات .

فلما أجازوا اظهار هذه البدعة والالحاد نادى جماعة من أهالى تلك الديار بالهجرة عنها الى بلاد المسلمين خفية وجهارا ومن لم يستطع ذلك مكث فى هذه الديار على كره منهم لأن معظم أهلها كانوا مسلمين فى ضمائرهم وكانوا كلما استطاعوا يلتزمون بأوامر الشرع ونواهيه فى الخفاء الى أن قيض الله رجلا يقال له الحسن بن ماماور (١) فطعن الحسن المضل بخنجر فى يوم السبت السادس من ربيع الأول سنة احدى وستين وخمسمائة داخل قلعة لمسر فغادر الدنيا الى نار الله الموقدة (٢) . وبعد هلاكه خلفه ابنه محمد الذى يلقب بمحمد الثانى لأن والده قد نص على امامته حسب مقتضى زعمه واستطاع رغم شبابه أن يمسك بزمام الأمور بحزم وقوة وأرغم أتباعه على الاعتراف به اماما وقد طالت مدته حيث مكث أربعة وأربعين عاما كرسها لتعميق آراء أبيه وكان فى هذا أكثر غلوا من أبيه فى اظهار البدعة التى أطلقوا عليها "دعوة

---

(١) تذكر بعض المصادر أن اسم هذا الرجل حسين ناماور وانه من الشيعة البويهيين الذين كانوا يسيطرون على غربى ايران وانه صهر للحسن الثانى .
ويرى رشيد الدين الهمزانى صاحب جامع التواريخ ان السبب فى اقدام الحسين لقتل الحسن هو مقاومة فكرة القيامة ومحاولة اعادة الاسلام الى صفائه ولكن على مذهب الشيعة الاثنى عشرية . انظر مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوى ٣٤٧/٢ .
ويرى الجوينى رأى الهمزانى لكنه يسمى هذا الرجل بالحسن بن ناماور وانه أخ للحسن الثانى من الأم . وان القاتل لم يطق صبرا على فضائح الحسن الثانى وأضاليله حيث طعنه بخنجر فمات . انظر تاريخ جهانكشاى لعطا ملك الجوينى ص ٢٢٣ .

(٢) تاريخ جهانكشاى لعطا ملك الجوينى ص ٢٢٣ ، ضمن كتاب دولة الاسماعيلية فى ايران لمحمد السعيد جمال الدين .

القيامة " كما كان أكثر صراحة من أبيه فى دعوى انتسابهم الى نسل الأئمة واظهار امامته (١). ويمتاز عصره - كما ذكر الجوينى - بسفك الدماء الكثيرة واثارة الفتن وممارسة أنواع الفساد ونهب الأموال وقطع الطرق مع الاصرار على الالحاد والاستقرار على قاعدة الكفر (٢).

ومرت فترة زعامته بفترتين :

الأولى : من سنة ٥٦١هـ الى سنة ٥٨٨هـ خلت من الأحداث التاريخية الجديرة بالذكر اذ يبدو أن حركة التوسع والمد الاسماعيلى قد وقفت خصوصا وقد تبلبلت أفكار الاسماعيلية أنفسهم بعد اعلان القيامة واختلفوا من حولها .

والثانية : من سنة ٥٨٩هـ حتى سنة ٦٠٧هـ بدات تظهر بعض الأحداث التاريخية من جديد وذلك مثل الاغتيالات الباطنية وكذلك احداثهم ومعاركهم مع الدولة الخوارزمية وكان أول صدام بينهم وبين اسماعيلية ألموت فى سنة ٥٩٣هـ حينما حاصر خوارزم شاه قلعة الموت فاضطر أهلها الى طلب الصلح على أن يدفعوا مائة الف دينار (٣).

وقد توفى محمد الثانى سنة سبع وستمائة وقال قوم انه مات مسموما (٤)، وتولى بعده ابنه الحسن الثالث الملقب بجلال الدين عام ٦٠٧هـ (٥)، وأول عمل قام به فى الظاهر أن أمر

---

(١) انظر مذاهب الاسلاميين لبدوى ٣٤٧/٢ ، تاريخ جهانكشاى للجوينى ص ٢٢٣-٢٢٤ .
(٢) المرجع السابق للجوينى ص ٢٢٥ .
(٣) مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوى ٣٩١/٢-٣٩٢ .
(٤) تاريخ جهانكشاى ص ٢٢٥ .
(٥) ينبغى على علماء السنة - ولاسيما المؤرخون - أن ينظروا الى مثل هذه الخلافات أو هذه التحركات المتضادة أحيانا على انها جميعا خلافات باطنية اما لكسب مآرب فردية أو لتحسين الصورة للفرقة فترة معينة =

باعادة القيام بالفرائض الدينية كما كانت قبل ظهور جده وامر ببناء المساجد واقامة الأذان للصلاة وقرب اليه الفقهاء والقراء ووردت رسل الباطنية الى بغداد من آلموت وبقية بلادهم وفيها الأخبار بأنهم أسلموا وأظهروا شعائر الاسلام وراسل الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥ - ٦٢٢هـ) حتى انه بعث اليه ذهبا مضروبا باسمه . كما أرسل الى السلطان السلجوقي وغيره من ملوك وأمراء المسلمين يؤكد لهم عودته الى التعاليم الاسلامية والقيام بشعائر الدين وفرائضه ففرح المسلمون بذلك وأطلق عليه الألقاب الاسلامية وذلك "كالمسلم الجديد" أو جلال الدين نومسلمان كما سمى أتباعه فى عهده بنو مسلمان .

وذهب الحسن الثانى الى أبعد من هذا حيث طلب من الوفود الاسلامية - ولاسيما أهل قزوين الذين شكوا فى صحة اسلامه - المجىء الى قلعة الموت وفيها فصل كتب أبيه وجده ومؤسس الطائفة عن باقى الكتب الأخرى وأحرقها وطعن فى الحسن

= ولاتؤخذ هذه المظاهر على ظاهرها كيف وهناك أصل مهم للفرقة هو (التأويل الباطنى) وجميع المؤرخين الذين تحدثوا عن أحداث الحسن وتراجعه عن تعاليم أبيه وجده لم يشيروا لامن قريب ولامن بعيد انه تاب عن اسماعيليته أو باطنيته بل جل قولهم انه حارب الالحاد الصراح والكفر البواح الذى نادى به والده وجده فيما يسمى عندهم بقائم القيامة وهناك عبارة جيدة لمؤرخ قريب من احداثهم واطلع على أسرار كتبهم فى القلعة يقول عن الحسن جلال الدين بعد ذكره لمعاداة أفعال ومعتقدات أبيه وجده . ان ذلك اما عن حسن اعتقاد أوعن طريق العناد الذى وقع بينه وبين أبيه والله أعلم بما فى الضمائر والحكم من الخلق على الظاهر والله يتولى السرائر فله أو عليه مايستحقه . تاريخ جهانكشاى للجوينى ص ٢٢٥ . وهى عبارة تفيض وعيا ونصحا وتدل على ماأشرنا اليه من وجوب التحرى والدقة فى الحكم فى توبة زنديق أو رجوع مبتدع الى جادة الحق والصواب .

المباح وكل من تولى أمر الاسماعيلية بعده ورماهم جميعا بالكفر والالحاد ثم بعث أمه وزوجه لأداء فريضة الحج وأمر ببناء التكايا على طول الطريق الى مكة المكرمة ، وعقد معاهدات الصلح والتحالف مع أعدائه من الملوك والولاة والأمراء .

وقد التمس بعد ذلك خطبة النساء من بعض أمراء المسلمين وأجابوه الى ذلك بعد موافقة الخليفة العباسى الناصر لدين الله الذى أجازه بحكم الاسلام (١) . وقد استمر الحسن الثالث على هذه التعاليم طوال فترة حكمه وكذلك ابنه محمد الثالث الذى جاء الى الحكم بعده فى سنة ٦١٨هـ حيث سار على منهج أبيه وهذا على مايبدو لم يرض الاسماعيلية فى الالموت لمخالفته التعاليم التى تلقوها من زعمائهم الأوائل كما انه خروج على أصول المذهب لذلك عزموا على التخلص من محمد الثالث بن الحسن الثالث فأرسلوا اليه أحد الفدائيين فطعنه بخنجر فقتله وذلك فى عام ٦٥٣هـ وبمقتل محمد الثالث رجعت الاسماعيلية الى آراء الحسن الثانى ومافيها من ضلال وانحراف عن الدين واغتيال وارهاب واستمرت على هذا النهج الى أن اجتاحت جموع الجيش المغولى القلاع والحصون التى فى طريقها وكانت قلاع الاسماعيلية من بينها فدمرت ونهبت وكتبت نهايتها على يد هولاكو قائد الجيش المغولى فى عام ٦٥٤هـ وقتل ركن الدين خورشاه آخر أئمة الاسماعيلية النزارية فى

---

(١) تاريخ جهانكشاى للجوينى ص ٢٢٥-٢٢٩ ، الكامل لابن الاثير ٢٩٨/١٢ ، مذاهب الاسلاميين لعبد الرحمن بدوى ٤٠٨/٢-٤٠٩ ، طائفة الاسماعيلية لمحمد حسين ص ٨٢-٨٣ .

الموت[1] . وبذلك انتهت الدولة الاسماعيلية النزارية فى ايران والتى دامت احدى وسبعين ومائة عام حيث كان بدؤها عام ثلاث وثمانين وأربعمائة حينما استولى ابن الصباح على قلعة الموت وانتهاؤها عام أربع وخمسين وستمائة تولى حكمها ثمانية زعماء هم على التوالى كالآتى :

(أ) دعاة ديلمان :

(١) الحسن بن الصباح وعهده تأسيس الدولة ومدته ٣٥ سنة من سنة ٤٨٣هـ الى ٥١٨هـ .

(٢) بزرك اميد وعهده توطيد الدولة ومدته ١٤ سنة من سنة ٥١٨هـ الى سنة ٥٣٢هـ .

(٣) محمد بن بزرك اميد ومدته ٢٥ سنة من سنة ٥٣٢هـ الى سنة ٥٥٧هـ . ومدة هذه الفترة أربعة وسبعون عاما لم يدع أحد من حكامها الامامة .

(ب) أئمة القيامة :

(٤) حسن بن محمد بن بزرك (الحسن الثانى) وفى عهده الغاء ظاهر الشريعة وادعاء الامامة ومدته أربع سنوات من سنة ٥٥٧هـ الى سنة ٥٦١هـ .

(٥) محمد بن الحسن (محمد الثانى) وفترته روحية خالصة ومدته ست وأربعون عاما من سنة ٥٦١هـ الى سنة ٦٠٧هـ ومدة هذه الفترة خمسون عاما .

(ج) أئمة الستر :

(٦) جلال الدين حسن بن محمد بن حسن (الحسن الثالث) تراجع

---

(١) دول الاسلام للذهبى ١٥٨/٢ ، طائفة الاسماعيلية ص ٨٥-٨٦ مذاهب الاسلاميين للدكتور بدوى ٤٠٦/٢ .

الى الظاهر وتحالف مع الخلافة العباسية ومدته احدى عشرة سنة من سنة ٦٠٧هـ الى سنة ٦١٨هـ .

(٧) علاء الدين محمد بن جلال الدين (محمد الثالث) تكريس لتعاليم والده مع العزلة ومدته خمس وثلاثون سنة من عام ٦١٨هـ الى عام ٦٥٣هـ .

(٨) ركن الدين خورشاه . وفى عهده سقطت ألموت ومدته سنة واحدة من عام ٦٥٣هـ الى عام ٦٥٤هـ ومدة هذه الفترة سبعة وأربعون عاما .

فتكون سنى تسلطهم على العباد والبلاد احدى وسبعين ومائة عام .(١)

وما أجمل ماسطره الجوينى عند حديثه عن نهايتهم بقوله وهكذا تطهر العالم الذى كان ملوثا بخبثهم وأصبح الرائحون والغادون يذهبون ويجيئون بلاخوف أو وجل أو مشقة فى الحراسة وأخذوا يدعون بالتوفيق للسلطان السعيد الطالع الذى (٢) أزال أسسهم ولم يبق لأحد منهم أثرا . والحقيقة ان هذا الأمر كان مرهما لجراح المسلمين وتداركا للدين من الخلل ويعرف أولئك الذين ينتمون الى عصرهم الى أى مدى بلغت فتنة هذه الطائفة والى أى حد بلغ اضطراب الناس وانزعاجهم وان الشخص الذى كان على وفاق معهم منذ عهد الملوك السالفين حتى عهد ملوك هذا العصر انما كان فقط مدفوعا بدافع الخوف والرعب منهم . أما من عاداهم فكان عليه أن يعيش ليله ونهاره

---

(١) مذاهب الاسلاميين ٢/٣١٤-٣١٥،٤٠٦-٤٠٧ .

(٢) ان كان المقصود بذلك هولاكو فلايجوز وصفه بهذه الأوصاف .

سجينا خوفا من رعاعهم . حقا لقد كان كأسا طافحا وريحا عاتية ولكنها أخمدت ذلك ذكرى للذاكرين وكذلك يفعل الله بالظالمين . (١)

---

(١) تاريخ جهانكشاى للجوينى ص ٢٥٥ .